

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني

منذ عام 1987 حتى 2005م

إعداد

ناض محمد إبراهيم محسن

إشراف

الأستاذ الدكتور / نبيل خالد ربام أبو علي
أستاذ الأدب والنقد - الجامعة الإسلامية . غزة
نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الأدب والنقد بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

1426هـ - 2005م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ
(التوبة : 105)

الإهداء

إلى روح والسي الطاهرة
إلى أمي نبع الحب والعطاء المتجدد
إلى إخواني وأخواتي الأعزاء
إلى أسرتي الصغيرة زوجتي وأولادي
إليهم جميعاً أقدم هذا الجهد
وفناءً وعرفاناً باجتهاد

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

من لا يشكر الناس ، لا يشكر الله ، هكذا تعلمنا ، ومن أجل ذلك إنه ليسعدني بعد أن منَّ الله عليَّ بإنجاز هذا البحث أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي .. صاحب فكرة الدراسة ، الذي سار معي لحظة بلحظة ، وخطوة خطوة ، حيث لم يدخر جهداً ونصحاء ومشورة إلا أسداها إليَّ ، وأنار لي الكثير من الطرق المظلمة بعلمه الغزير الذي لا ينضب ، ومنه تعلمت الصبر والحلم والتعقل ، وأخذ الأمور بميزان دقيق محسوب ، وقد ذلل لي الكثير من العقبات بأرائه السديدة وتوجيهاته الصائبة ، حتى جاءت هذه الدراسة بهذا الشكل ، أسأل الله أن يبيحك ذخراً لطلبة العلم والمعرفة ، وبارك الله فيك ، ويحفظك لأسرتك وأولادك ، ومجتمعك ووطنك .

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور / كمال غنيم ، وفضيلة الأستاذ الدكتور / حماد أبو شاويش ، اللذين تجشماً عناء قراءة هذا البحث ، وتفضلاً بمناقشته ، وقد زاده مكانةً واعتباراً بقبول مناقشته .

والشكر موصول للأستاذة والمحاضرين الأعضاء في قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية كل باسمه ولقبه ، على ما قدموه لي ولزملائي من طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية من علم غزير ، ونصح وتوجيه في أثناء تدريسينا المسابقات التمهيدية للماجستير .

ويسعدني أيضاً أن أقدم خالص الشكر للأستاذ الأديب / ناهض زقوت مدير العلاقات العامة في المركز القومي للدراسات والتوثيق ، الذي كان لي عوناً صادقاً في إرشادي للكثير من الأمور التي استعصت عليَّ ، وقد غمرني بكرمه الوفير حيث فتح لي باب مكتبته الخاصة ، ومكتبة المركز القومي للدراسات والتوثيق ، وأمدني بالكثير من المصادر والمراجع الأساسية في البحث . دمت معطاءً ، وبارك الله فيك .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم الشكر الجزيل للأستاذ عبد القادر أبو علي مدير مدرسة أسدود العليا "ب" سابقاً ومدير مدرسة الكرمل حالياً ، الذي قدم لي التسهيلات تلو التسهيلات في زهابي للجامعة الإسلامية وحضور المحاضرات ، بالرغم من أنني

كنت أعمل نائباً له آنذاك ، والشكر لزملائي الأعزاء في المدرسة ، كل باسمه ولقبه ، حيث لقيت منهم كل تشجيع على إتمام دراستي ، والله الحمد على ذلك .

والشكر موصول لمدير المدرسة الحالي الأستاذ وليد الخطيب الذي قدم لي العون الكثير ، ولا أنسى مدراء المدرسة السابقين ، وأخص بالذكر الأستاذ كمال أبو عيطة ، والأستاذ ممدوح المصري فلهما الشكر الجزيل على مساندتهما وتشجيعهما المتواصل . والشكر الجزيل أيضاً للقائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية حيث كانوا عوناً لنا في تسهيل وتذليل كل الصعاب في البحث واستعارة الكتب .

كما أتقدم بوافر الشكر لجميع أفراد أسرتي الذين وقفوا جميعاً إلى جانبي مساندين ومشجعين ، فالشكر بادئ ذي بدء للوالد رحمةً الله عليه ، الذي كان يحثني كثيراً على الدراسة ، وكان يتمنى أن أصل إلى أعلى الدرجات العلمية ، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، والشكر كل الشكر لأمي التي ما زالت تمدني بالحنان والدعاء المتواصل بالتوفيق والنجاح في كل خطاي ، والشكر الجزيل إلى أختي أم أحمد وأم خالد لدعمهما المتواصل الذي لم ينقطع للحظة ، طوال فترة التحاق بالدراسات العليا ، والشكر أيضاً لإخواني الأعزاء كل باسمه ولقبه الذين شجعوني كثيراً على الالتحاق ببرنامج الدراسات العليا ، ولا أنسى في هذا المقام زوجتي العزيزة التي تحملت معي عناء الرحلة ، وكانت رمز الصبر والوفاء ، قبل وبعد إعداد هذه الدراسة ...

وفي الختام : أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث ولو بكلمة واحدة ، أو نصيحة ، أو إرشاد أو توجيه .

وأرجو من الله العلي العظيم أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم خدمة للأدب الفلسطيني الإسلامي ، سعياً للحفاظ على أدبنا وتراثنا الإسلامي من الاندثار .
والله ولي التوفيق .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،
وبعد :

يمرُّ العالم العربي والإسلامي اليوم بفتراتٍ حرجةٍ وعصيبةٍ في ظلِّ المتغيرات الدولية ، وضعف الأمة وقوة الدول الغربية ومعاداتها - المعلنة أحيانا - للإسلام والمسلمين ، وعنصرية الكيان الصهيوني وممارساته الإجرامية دون أن يردده أحد في هذا العالم الذي أصبح انشغاله بالماديات أكثر من انشغاله بالدين ، فبينما بذل السلف الصالح النفس والنفيس حتى تكون كلمة الله هي العليا ، نجد الأمة الإسلامية والعربية اليوم سادرة في غيها ، تلهث وراء الدنيا وبريقها المادي .

وقد تشكلت في المجتمع الفلسطيني في خضم تلك المتغيرات بعض الحركات والتيارات الإسلامية، التي برز دورها منذ قيام الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987م ، إذ بدأت تسهم في إعادة تشكيل المجتمع الفلسطيني ، وإحياء فريضة الجهاد ، وتطوير الأدوات النضالية حتى تكون كلمة الإسلام هي العليا.

وهذا لا يعني أن الحركات الوطنية الأخرى كانت مغيبة ، بل إن سقوط الشعارات العلمانية ، وانهيار الفلسفات المادية مع تفكك الاتحاد السوفيتي جعل بعض أفرادها يقترب من الحركات الإسلامية ، وقد جعلت هذه التفاعلات بعض أفراد المجتمع الفلسطيني أقرب ما يكون إلى المبادئ الإسلامية وأصبحت له شخصية قائمة بذاتها ، لا تنظر إلى رأسمالية أو شيوعية ، أو إلى غرب أو شرق .

أما مبررات ودوافع اختيار هذا الموضوع دون سواه فعديدة ، نذكر منها :
١- لم تُفرِّد الدراسات الأدبية والنقدية بحثاً أو دراسةً تختص بالشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني ، وكل ما وجدناه لا يعدو كونه إشارة في مقالة صحيفة ، أو إلماح عابر في ثنايا بعض الكتب التي تناولت الأدب الفلسطيني .

٢- إن الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني لم تكن جلية في الشعر الفلسطيني في الحقب السابقة قدر جلائها في حقبة موضوع الدراسة ، فمنذ عام 1987م وما بعدها برز دور الاتجاهات والحركات الإسلامية في معركة التحرير، وفي تشكيل شخصية المجتمع الفلسطيني ، وكذلك رصد للمتغيرات التي أصابت المجتمع الفلسطيني بعد عام ١٩٨٧م ، حيث ألغت الشخصية الإسلامية من معجمها اللغوي كلمة خوف وكلمة استسلام ، وكلمات الرعب والوهن ، وقد أقبلت على إحياء الكثير من الشعائر الإسلامية ، كشعيرة الجهاد في سبيل الله ، مما أدى إلى رحيل الاحتلال الصهيوني عن قطاع غزة نتيجة ضربات

المقاومة الإسلامية التي أزعجت الكيان الصهيوني ، فأجبرته على الاندحار والانسحاب من قطاع غزة ، مما يبشر بانتصارات قادمة واندحار للاحتلال من باقي أرض فلسطين ، أرض الإسراء والمعراج .

٣- شهدت الفترة الممتدة بين 1987م حتى اللحظة 2005م أحداثاً هامةً على الصعيد الفلسطيني ساهمت في تجسيد ملامح الشخصية الإسلامية ، ومنها:
أ- انطلاق شرارة الانتفاضة يوم الأربعاء الموافق 9-12-1987م / 18 جماد الآخر 1408هـ .

ب- كذلك انعقاد مؤتمر السلام في مدريد يوم 30-10-1991م بين الكيان الصهيوني ودول المواجهة العربية ، بحضور وسطاء دوليين .

ج- إبرام اتفاقية "أوسلو" التي تم التوقيع عليها في واشنطن بتاريخ 13-9-1993م ، ثم اتفاقية القاهرة المسماة "غزة - أريحا أولا" ، والمفاوضات التي تجري بين الفينة والأخرى جهرية أو سرية ، ومباحثات "ميتشل" .

د- انتفاضة الأقصى المباركة التي انطلقت عندما حفر اليهود النفق تحت المسجد الأقصى يوم 26 - 9 - 1996م ، وكانت تسمى ثورة النفق ، وتفاعلت أحداث هذه الانتفاضة وتوهج أوارها عندما وطئت قدما شارون أرض المسجد الأقصى يوم الخميس الموافق 28-9-2000م / 29 ربيع ثان 1421هـ ، وقد تفجرت لتدافع عن المقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى الذي حاول اليهود مراراً حرقه وهدمه وتدنيسه .

هـ- المذابح والجرائم التي شهدتها الساحة الفلسطينية وتشهدها كل يوم ، من تلك المذابح نذكر مجزرة عيون قارة (ريشون لتسيون) يوم الأحد 20-5-1990م ، ومذبحة الأقصى في يوم الاثنين 8-10-1990م حينما تصدى المصلون لمحاولة المتطرفين اليهود وضع حجر الأساس للهيكل المزعوم في ساحة الحرم القدسي الشريف ، ومذبحة الحرم الإبراهيمي الشريف يوم 25-2-1994م ، و مجزرة جنين البطولة يوم الثلاثاء ٢-٤-٢٠٠٢م حتى يوم الخميس ١١-٢-٢٠٠٢م ، ومجازر أخرى كثيرة ، وما زال الدم الفلسطيني ينزف .

و- اغتيال قيادات وزعامات في الداخل والخارج من كل الأطر والحركات النضالية التي تكونت قبل انتفاضة عام 1987م وبعدها ، وقد ازدادت الهجمة على الزعامات الفلسطينية في عهد شارون الحالي ، وتركز استهدافها على قادة الحركة الإسلامية.

٤- اضطراب أداء السلطة الوطنية الفلسطينية ، واضطراب أجهزتها الأمنية ، وسوء الإدارة ، وشيوع بعض الظواهر السلبية كالرشوة والاختلاس وعدم تكافؤ الفرص .

لكل هذه المبررات وغيرها الكثير أرى الأهمية القصوى لهذه الدراسة ونتائجها المتوخى تحقيقها إن شاء الله ، وقد اقتضى تحقيقها استخدام المنهج التكاملي الذي يتيح للباحث النهل من جميع المناهج النقدية حتى تكتمل رؤية ملامح شخصية الفرد والمجتمع الفلسطيني .

وقد استعدت منهجية الدراسة أن تتوزع على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، اختصت المقدمة بالحديث عن دوافع البحث وأهميته ، وتبيين منهج البحث وخطته ، ويسعى التمهيد إلى تحديد مفهوم الشخصية ، الفردية والعامة ، ثم التعريف بالبيئة العامة للبحث ، الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في فلسطين منذ 1987 حتى 2005 م .

ويتوقف الفصل الأول عند العوامل المؤثرة في تشكيل الشخصية الإسلامية ، ويقصر الحديث فيه على ثلاثة عوامل رئيسة هي : العوامل الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية .

أما الفصل الثاني فيحاول استقصاء سمات الشخصية الإسلامية كما تجلت في فنون الشعر المتنوعة : الشعر السياسي ، وشعر الرثاء ، وشعر الوصف ، وشعر المدح ، وشعر الغزل .

واهتم الفصل الثالث باستخلاص سمات الشعر موضوع الدراسة ، ويتوزع الحديث فيه على ثلاثة مباحث : يهتم الأول منها باللغة الشعرية ، والثاني بالإيقاع والموسيقى ، والثالث بالصورة الشعرية .

ثم تجمل الخاتمة أهم نتائج البحث وتوصياته ، ثم ثبت بأسماء مصادر البحث ومراجعته .

والله من وراء القصد .

التعريف

مفهوم الشخصية :

إن الحديث عن مفهوم الشخصية الإسلامية ، ولامحها في الشعر الفلسطيني ، يستدعي التعرف على محددات الشخصية الإنسانية ، الفردية منها والجماعية أو العامة ، فإذا كانت للشخصية الفردية سمات تميزها عن غيرها ، فهناك سمات عامة تجمع بينها وبين باقي أفراد مجتمعها ثم أفراد البشرية جمعاء (١) .

أما العرب القدماء فلم يستخدموا كلمة "شخصية" ، وإنما استخدموا كلمة شخص وأرادوا بها الإنسان ذكراً أو أنثى . فمادة الكلمة " شخص " وهي مستعملة في اللغة منذ القدم ، وكلمة "شخصية" مصدر صناعي ، وهي وليدة المصطلحات النفسانية (٢) . وعن المعنى اللغوي قال صاحب اللسان : "الشخص جماعة شخص الإنسان ، وغيره ، مذكر ، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص . والشخص ، سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد ، تقول ثلاثة أشخاص ، وكل شيء رأيت جسمانه ، فقد رأيت شخصه" (٣) .

وقد تعددت المحاولات من أجل إدراك الشخصية الإنسانية ومعرفتها ، إلى أن ظهرت الدراسات العلمية في مستهل القرن العشرين مع بداية نشاط علم النفس واستقلاله عن غيره من العلوم (٤) حيث وجه الطب العقلي والتحليل النفسي عنايته في هذا الميدان (٥) .

والشخصية أيضاً قد تعني الوجود الشخصي ، أو الهوية الشخصية ، وقد اعتبروا الشخصية هي كامل خصائص الفرد أو الجماعة أو الأمة الذاتية المميزة ، أو هي مجموع نزعات الفرد السلوكية والعاطفية ، وقد تتضمن قوة الشخصية أو جاذبيتها (٦) .

وقد تباينت وجهات نظر الدارسين حول مفهوم الشخصية وراح كل فريق منهم يعرفها من خلال جانب يريد إبرازه : فمنهم من ركز على فكرة التوافق الاجتماعي ، وعدّ الشخصية

¹ - انظر : واصف أبو الشباب ، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1، دار العودة ، بيروت 1981 ، ص11 .

² - أحمد سيد محمد ، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ، ط2 ، دار المعارف بالقاهرة 1992 ، ص7 .

³ - ابن منظور ، (جمال الدين محمد بن مكرم ، " 630-711هـ/1232-1311م ") ، لسان العرب ، ط2 ، دار صادر ، بيروت 1992م ، المجلد السابع ، ص45- 46 .

⁴ - محمد عماد الدين إسماعيل ، الشخصية وقياسها ، القاهرة 1959م ، ص13 .

⁵ - سعد جلال ، المرجع في علم النفس ، القاهرة 1971 ، ص513 .

⁶ - منير البعلبكي ، المورد ، ط18 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1984م ، ص676 - 677 .

معادلة للجانب الاجتماعي للفرد (١) .

- وبعضهم أكد كمونها في الفرد نفسه ، ونظر إليها على أنها ذلك التنظيم الديناميكي الذي ينظم في الأجهزة النفسية ، والجسمية ، التي تملي على الفرد طابعه الخاص وتمكنه من التكيف مع بيئته (٢) .

وذهب فريق ثالث إلى القول بانفراد الشخصية وتميزها ، فالشخصية هي التي تجعل الفرد يتصرف مستقلا عن كل ما يحمله ذهنه من ميول حضارته الأساسية (٣) .

فالفرد ليس هو الشخصية ، إذ إن الفرد حقيقة بيولوجية طبيعية ، بينما الشخصية حقيقة روحية ، أو هي الروح كما تتحقق في الطبيعة ، وقد يكون الفرد الموهوب بلا شخصية، بمعنى أنه لا يستطيع أن يبذل من المجهود ما يحقق به شخصيته (٤) .

ونظر علم النفس الاجتماعي إلى مدلول الشخصية نظرة أعم ، أطلقها على مجموع الأفراد في مجتمع ما(٥)، وقد استغل بعض الدارسين المعاصرين المدلول الجماعي لكلمة (شخصية) في استنباط سمات محددة تمثل الطابع القومي لمجتمع من المجتمعات (٦) ، كما يمثل الطابع القومي كل ما هو مشترك وشائع في المجتمع (٧) ، وقد نبه الدكتور عبد الحميد يونس على: " أهمية الفلكلور في تشكيل الشخصية ، وإلى ضرورة دراسة التراث الشعبي إذا كنا نريد فهم الشخصية القومية " (٨) . ويرى الدكتور أحمد سيد محمد: " أن مدلول كلمة الشخصية قد اتسع في الدراسات المعاصرة ، فلم يعد مقصورا على الإنسان وحده ، سواء بالمعنى الفردي أو الجماعي ، بل أطلق على البيئة الطبيعية بما فيها من جماد وحياء " (٩) .

ويتجه مفهوم الشخصية في المنظور الإسلامي إلى السلوك ، فالسلوك هو الذي يدل على شخصية الإنسان ، ولا دخل لهندامه ، أو شكله ، أو لونه ، أو جنسه ، في شخصيته ،

1 - فاطمة حسين المصري ، الشخصية المصرية ، الهيئة العامة للكتاب ، 1980م ، ص 189 .

2 - أحمد سيد محمد ، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ، ص 8 .

3 - انظر : محمد عماد الدين إسماعيل ، الشخصية وقياسها ، ص6 وما بعدها .

4 - انظر : فؤاد كامل ، الفرد في فلسفة شوبنهاور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1991م ، ص 6 .

5 - سعد جلال ، المرجع في علم النفس ، القاهرة 1971 ، ص522 .

6 - عبد العزيز الرفاعي ، الطابع القومي للشخصية المصرية بين الإيجابية والسلبية ، القاهرة 1971 ، ص5-6 .

7 - رفيق حبيب ، الشخصية المصرية " التطور النفسي في خمسين قرنا " ، ط مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر ، المعادي ، 1997م ، ص 18 .

8 - فتحي رضوان ، وآخرون ، في أبعاد الشخصية المصرية بين الماضي والحاضر ، ط1، الهيئة العامة للكتاب 1999م ، ص 9 .

9 - أحمد سيد محمد ، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ، ص 9 .

فالشخصية هي طريقة عقل الإنسان للواقع ، وهي أيضا ميوله نحو الواقع ، وبمعنى آخر ، شخصية الإنسان هي عقلية ونفسية . والعقلية الإسلامية تحكم على الأشياء والأفعال ، بناء على القاعدة الفكرية الأساسية عند المسلم ، وهي العقيدة الإسلامية ، أما النفسية فهي الكيفية التي يربط بها الإنسان دوافع الإشباع بالمفاهيم ، وهذه المفاهيم تعود إلى أفكار معينة ، تنبثق عن وجهة النظر المحدودة ، أو غير المحدودة في الحياة ، فإن كانت المفاهيم تنبثق عن العقيدة الإسلامية ، كانت النفسية إسلامية ، وإن كانت النفسية تنبثق عن مفاهيم شيوعية ، أو رأسمالية ، كانت النفسية كذلك (١) .

ويرى الباحث أن الشخصية الإسلامية جزء من هوية المجتمع ، وهذه الهوية التي قد غيبت نتيجة لمحاولات تغييب دور الإسلام في بناء المجتمع والشخصية الإسلامية . حتى كانت الانتفاضة المباركة عام 1987م ، التي أسهمت بقدر كبير في بلورة الشخصية الإسلامية في المجتمع الفلسطيني ، وذلك نتيجة لظهور الأحزاب والحركات الإسلامية ، هذه الأحزاب والحركات التي لم تكن مغيبة قبل عام 1987م ، ولكن تأثيرها على المجتمع الفلسطيني كان ضعيفا ، وقد اشتد تأثير هذه الأحزاب والحركات في ظل انتفاضة الأقصى ، وتركت بصمة واضحة في المجتمع الفلسطيني بأسره .

¹ - انظر : محمد حسين عبد الله ، مفاهيم إسلامية (الروح . الإدراك . الغرائز . العمل . الشخصية) ، ط 1 ، 1405 هـ - 1987م ، ص 83 - 89 .

بيئة البحث العامة

1- البيئة الجغرافية :

يقول الأستاذ هنري بر (HENRY BEER) : "لا ريب أن أثر البيئة قوي جدا على الإنسان ، فالجفاف ، والرطوبة ، والرياح ، بل وكهرباء الجو ، تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلا دائما ، أو مؤقتا ، سواء كان هذا الكائن حيوانا أو نباتا ، كما أن الطعام الذي يستهلكه الكائن الحي يؤثر في نموه . إن البيئة - بلا شك - تركت أثرها القوي في تكوين الإنسان خلقا وتفننا ، وإن قوة هذا الأثر ومدى تأثيره لا تزالان موضع بحث"^(١) .

ولما كانت البيئة الجغرافية الطبيعية لأي إقليم تتشكل من الموقع والسطح والمناخ ، فإنه قد يكون مفيدا القول إن فلسطين تقع في الغرب من قارة آسيا ، بين خطي طول 15 34 و 40 35 ، شرقي غرينتش . وهي القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام . ويحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط ، على ساحل طوله نحو 224 كيلو متراً ومن الشرق سوريا - ويبلغ طول الحدود بين القطرين 70 كيلو متراً - والأردن على حدود طولها 360 كيلومتراً ، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة . ويبلغ طول الحدود المصرية - الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو 240 كيلومتراً ، وطول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلو مترات ونصف الكيلو متر (٢) ، ووقوع فلسطين بهذا الشكل له دوره في تكوين سمات الشخصية الإسلامية . فقد لعب موقعها دور الوسيط في تجمع الحضارات ، وتمركز الديانات السماوية في بلادنا ، مما جعل الأعداء يعطوه أولوية في تفكيرهم بالسيطرة عليها من صليبيين وتتار ثم صهاينة (٣) .

أما مساحة فلسطين السطحية فتبلغ 27,009 كيلو متراً مربعاً ، بما في ذلك بحيرتا طبريا والحولة ، ونصف مساحة البحر الميت . وتقسم تضاريس فلسطين إلى أربعة أقسام : السهل الساحلي ، والمنطقة الجبلية ، ومناطق الأغوار ، ومنطقة النقب ، ويتميز مناخها بأنه حار جاف صيفا وبارد ممطر شتاء(٤) .

¹ - لوسيان فيفر ، الأرض والتطور البشري ، ترجمة محمد السيد غلاب : القاهرة 1973م ، ص 1 وما بعدها .

² - مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، القسم الأول ، إصدار دار الهدى ، كفر قر ، ط 1991م ، ص 15-17 .

³ - مركز التخطيط الفلسطيني ، النكبة الفلسطينية ، 1947-1948م ، مايو 1998م .

⁴ - مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص 21 .

2- البيئة السياسية :

عُرفت بيئة فلسطين السياسية بأنها ارتبطت بالإسلام وانتسبت إليه بأمر الله سبحانه وتعالى ، وبرسالة الله عز وجل^(١) ، وأخذت فلسطين بعداً عظيماً في دين الله سبحانه وتعالى ، أنبياء ، ورسول ، وقادة إسلاميين على مدار تاريخها حتى اللحظة . فرسولنا صلى الله عليه وسلم أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، قال تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"^(٢) ، ومرت فلسطين بأحداث ، وتعاقبت عليها أمم ، و الإسلام والمسلمون دائما على الساحة السياسية والعسكرية ، فبعد أن كانت تحت عهود قوى النيل والرافدين القديمة ، و القوة الفارسية ، والقوة المقدونية ، والقوة الرومانية^(٣) ، جاء الحكم الإسلامي عام 638 م ، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث منح عند قدومه لفلسطين وثيقة الأمان لبطريك النصارى في القدس صفرونيوس "العهدة العمرية"^(٤) .

وقد تعرضت فلسطين بعد الفتح العربي والإسلامي إلى غزوات كبرى ، منها معركة "حطين" ، ومعركة "عين جالوت" ، وهزيمة نابليون أمام أسوار عكا^(٥) ، وبعدها تبعت فلسطين إلى الخلافة العثمانية ، منذ أن بسط العثمانيون الأتراك سيادتهم عليها سنة 1517م حتى سنة 1917م ، ولا يمكن نسيان موقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عندما عرض عليه هرتزل المال والذهب ورفضهما ، في سبيل عمل وطن قومي لليهود ، حيث قال : "إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهباً - فضلا عن ١٥٠ مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والمحمدية ما يزيد عن ثلاثين

1 - عدنان علي رضا النحوي ، فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع ، ط 1 ، دار النحوي للنشر والتوزيع

1992م ، ص 23 - 38 .

2 - سورة الإسراء : 1 / 17 .

3 - سلافة حجاوي ، فلسطين المكان (الجزء الأول) ، ط ١ ، فلسطين ٢٠٠٠م ، ص ٩-٤٠ .

4 - انظر: وثائق القضية الفلسطينية ، ج 1 ص 9 ، وكتاب : قضية فلسطين لهنري كتن ، ترجمة رشدي

الأشهب ، ص 18- 19 ، و عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1990م ، ص 18 .

5 - انتصر صلاح الدين الأيوبي : يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر "532-589هـ = 1137-

1193 م" على الصليبيين سنة "583هـ = 1187م" في معركة حطين ، الأعلام للزركلي 8 / 220 .

وانتصر قطز بن عبد الله المعزي سيف الدين "658هـ = 1260م" على التتار عام "658هـ=1259م" في يوم الجمعة 25 رمضان ، الأعلام للزركلي 5 / 201، وانظر : الموسوعة الفلسطينية ج1، ص 505.

سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضا" (١).

هذا هو الحاكم الرباني الذي يحكم أرض الإسلام ، الذي لم يفرط بشبر واحد من أرض فلسطين لأنها أرض وقف إسلامي لا يجوز التفريط بها ، ليس كالأزمات التي تفرط في أي شبر حفاظا على كراسي الحكم، والتي تحارب الإسلام والمسلمين اليوم (٢) .

وجاء الحكم الاستعماري الإنجليزي ، الذي دخل فلسطين باسم الانتداب ، بهدف تحويلها إلى وطن قومي لليهود ، متسلحا بوعده بلفور ، الصادر عام 1917م (٣) ، وأدرك الفلسطينيون مستقبلهم المحفوف بالمخاطر منذ أذيع وعد بلفور . وبخاصة بعد الانفصال عن سوريا ، وفتح الهجرة لليهود ، فحملوا راية الجهاد على شكل مظاهرات ، وتحولت لصدامات ثم إلى مواجهات . وقد قامت السلطات البريطانية بعد ذلك باعتقال الآلاف من الأحرار ، والمجاهدين الأبطال ، وأعدمت ثلاثة من أبطال الجهاد المقدس ، وهم : "محمد مجوم" و "عطا الزير" من الخليل ، و "فؤاد حجازي" من صفد (٤) ، واستمرت المؤامرات التي تحاك ضد شعبنا ، فكان قرار التقسيم 1947م ، ثم إعلان دولة الكيان الصهيوني وصولا إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى في 1987م (٥) .

وجاءت مؤتمرات السلام الهزيلة ، والاتفاقيات والمعاهدات مثل : مؤتمر مدريد (٦) واتفاقية "أوسلو" (٧) ، التي عمقت الصراع بين الفلسطينيين واليهود ، وأعلن قيام السلطة الوطنية الفلسطينية في 1994/7/1م ، واستمرت الانتهاكات والممارسات الإجرامية ، والمذابح والمجازر ، وقتل الأطفال ، حتى جاءت انتفاضة الأقصى عام 2000م ، وما زالت

1 - تيسير جبارة ، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، ط1 مطبعة الرائد الحديثة شعفاط ، 1985م ، ص ٥١ .

2 - انظر: محمد سلامة النحال ، فلسطين أرض وتاريخ ، دار الجليل للنشر ، عمان ، ط 1 ، ١٩٨٤م ، ص 27 وانظر : أمين هويدي ، كيف يفكر زعماء اليهودية، دار المعارف المصرية، القاهرة 1974 ، ص 32 .

3 - محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (1917-1948) ، ط 2 ، مكتبة الفلاح ، الكويت 1989م ، ص 1 وما بعدها . و هنري كتن ، قضية فلسطين ، ص 20 .

4 - شوقي أبوخليل ، الإسلام وحركات التحرر، دار الفكر ، دمشق 1981م ، ص 174 - 176 .

5 - لطفي الخولي ، الانتفاضة والدولة الفلسطينية ، ط 1 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1988م ، ص 230 ما بعدها .

6 - حدث يوم : 30 / 10 / 1991م . انظر : أيام فلسطينية في القرن العشرين ، ط 1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق 1999م ، ج 10 ، ص 79 - 82 .

7 - 13 / 9 / 1993م . انظر: أيام فلسطينية ، ج 9 (أيلول - سبتمبر) ، ص 29- 32 .

الممارسات الإجرامية ضد شعبنا ، وضد المقاومة^(١) مستمرة حتى كتابة هذه الأسطر ، ولن يكون هناك سلام وأمان إلا إذا حَكَمْنَا شرعَ الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : "وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ"^(٢) .

3- البيئة الاقتصادية :

كان لسياسة الاحتلال الاقتصادية أثرها البالغ على المناطق المحتلة ، في الضفة الغربية ، وقطاع غزة بعد عام 1967 م ، وقد اتسمت هذه السياسة بعدة إجراءات منها :

- محاولة هدم معظم قواعد البنية الهيكلية لاقتصاديات الأراضي المحتلة ، وإضعاف مؤسساتها ، و الاستيلاء على الأراضي ومصادر المياه ، والعمل على تأخر الزراعة ، والصناعة ، والسياحة ، والتعليم ، والإسكان ، ومختلف مرافق التنمية الاجتماعية ، وضرب المؤسسات البلدية والقروية ، من خلال منع أية مساعدات أو قروض تقدم لها ، سواء من داخل الأراضي المحتلة أو خارجها ، وفرض القيود على تسويق المنتجات ، أو منافسة المنتجات الخاصة بالاحتلال ، مما يعرضها للكساد .
- السياسات الضريبية التي اتخذها الكيان الصهيوني ، من خلال فرض ضرائب باهظة وخيالية على التجار والمحلات الفلسطينية ، ومؤسسات الإنتاج .
- محاولة إلحاق ودمج اقتصاديات المناطق العربية المحتلة باقتصاد الكيان الصهيوني ، خدمة لأهداف سلطات الاحتلال الاقتصادية والسياسية .
- وفي القطاع الزراعي : قام الاحتلال بمصادرة آلاف الدونمات لإقامة المستوطنات ، والسيطرة على مصادر المياه في الضفة والقطاع ، وربطها بشبكة المياه التابعة للكيان الصهيوني ، وقد حولت 20 % من إجمالي هذه المياه إلى مستوطناتهم .
- وفي قطاع الصناعة ، وضع الاحتلال العراقيل لأية مساعدات ، من جهات فلسطينية ، أو عربية ، بهدف تطوير الصناعة . وفي قطاع التجارة : فقد أصبحت الأسواق الفلسطينية مجالا هاما لتسويق صادرات الاحتلال ، وأدى ذلك إلى تدهور الأوضاع المعيشية ، والاجتماعية ، والصحية في الأراضي المحتلة^(٣) وجاءت الانتفاضة فتعرض الاقتصاد الفلسطيني إلى تغيرات نوعية ، حيث تم الاعتماد على الاقتصاد الذاتي . وتمت مقاطعة

¹ - علي بسام الجرباوي ، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بحث في النخبة السياسية ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1989م ، ص 67 وما بعدها .

² - سورة هود : 11 / 113 .

³ - انظر : نص التقرير المقدم من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني إلى منظمة الصحة العالمية يونيو 1988م ، الصحة تحت الاحتلال - الأوضاع الصحية والاجتماعية للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة 1987م - 1988م ، ص 18- 25 .

بضائع الكيان الصهيوني التي يوجد لها مثيل ، فنشأ ما يسمى اقتصاد العائلة أو الاقتصاد البديل ، في المخيمات في الضفة والقطاع ، وتدهور اقتصاد المدينة ، فنشأت هناك علاقة بين أسواق الضفة والقطاع ، كبديل عن أسواق الاحتلال^(١) . وفي سياسة منع التجول ، أخذت الأسر تتعاون فيما بينها ، وكانت المحال التجارية قد تضررت ، وأسواق الخضراوات قد أصابها الكساد^(٢) . وفي نظرة على سنوات التسعينات ، نجد أن نسبة البطالة بلغت أعلى معدل لها، وأن معدلات نمو السكان زادت ، ومستوى الفقر ازداد^(٣) وبعد قيام السلطة الفلسطينية ، انتعش الاقتصاد الفلسطيني إلى حد ما ، وتم استيعاب بعض الخريجين والعاطلين عن العمل ، وسُمح لكثير من العمال - ضمن ضوابط وقيود - الوصول إلى أماكن عملهم داخل الخط الأخضر ، وظل هذا الحال ، حتى جاءت انتفاضة الأقصى ، حيث مر الاقتصاد الفلسطيني في أسوأ الظروف ، حصار اقتصادي ، وإغلاق شامل ، وقيود مشددة، على حركة الأفراد ، والبضائع و تعطل حركة التبادل التجاري ، الأمر الذي أدى إلى تضرر كافة القطاعات الاقتصادية ، وعدم قدرة العمالة الفلسطينية الوصول إلى عملها بفعل الحصار^(٤) .

- 1 - قسم الدراسات والأبحاث . اقتصاد العائلة الفلسطينية في قطاع غزة في ظل الانتفاضة . مؤسسة غزة للدراسات والأبحاث العربية والخدمات الصحفية . 1991م . ص 5- ص 35 .
- 2 - نعيم أبو الحمص ، الفلسطينيون جيل الانتفاضة ، القدس ، كانون ثاني 1990 م . ص 73 - 73 .
- 3 - اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة ، نظرة على التسعينات والتحديات المستقبلية ، مجلة أقلام حرة ، تصدر عن المنبر الديمقراطي الفلسطيني ، أغسطس 1999م ، ص 46 - 54 .
- 4 - وتقدر الخسائر الاقتصادية الفلسطيني المباشرة وغير المباشرة ، خلال الفترة من 29/ 9/ 2000م إلى 28/ 9/ 2003م بحوالي ثلاثة عشر مليار وتسع مائة وأربع وسبعون مليون وخمسة مائة وخمسون ألف دولار وقد استمر هذا الحال إلى سنة 2005م ، وقد تراجعت القطاعات الإنتاجية عموماً والزراعة بصورة خاصة .. وتزايدت محدودية سوق العمل الفلسطيني ، حيث انخفضت إلى 7.3% عام 2002م ، بسبب عوامل الحصار والإغلاق المتكررة . وكذلك التجارة الخارجية نتيجة الإغلاقات المستمرة على المناطق ، أدى إلى ارتفاع نسبة الفقراء إلى 60% عام 2002م ، تتوزع بنسبة 55% في الضفة ، و 70% في قطاع غزة . وقد انخفض نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عام 2002م بنسبة 28.4% عما كان عليه عام 1994م ، وانخفض الناتج المحلي الإجمالي من (4516) مليون دولار عام 1999م إلى (4441) مليون دولار عام 2000 ، وإلى (4093) مليون دولار عام 2001م ، وإلى (3390) مليون دولار عام 2002م ... وتعتبر سنوات انتفاضة الأقصى في السلطة الوطنية سنوات عجاف ، حيث المحسوبة ، وانتشار الرشاوى ، وسوء الإدارة ، كل ذلك أثر في انخفاض المستوى الاقتصادي . وانظر وقائع ورشة العمل المنعقدة بتاريخ 19/ 11/ 2003م، بعنوان : الاقتصاد الفلسطيني في ظل

ان

4- البيئة الاجتماعية :

أشارت الدراسة التي أجراها معهد "فافو" النرويجي عام 1991م إلى أن 31% من مجموع الفلسطينيين يعيشون في الأراضي المحتلة ، منهم 18.6 % في الضفة الغربية والقدس، و10.8 % في غزة ، فالمجتمع الفلسطيني مشتت في عدة تجمعات وأنماط اجتماعية، تمت تجزئته نتيجة للحروب المتتالية ، وتشير الدراسة إلى أن 60% من الفلسطينيين يعيشون في المدن ، ويعيش 62 % من سكان الضفة الغربية في الريف ، بينما الغالبية يعيشون في قطاع غزة ، أي بمعدل مقداره من 75% - 80 % من السكان يعيشون في مناطق غزة وجباليا وخان يونس ورفح (١) ، وهم يعانون في داخل مخيمات الضفة والقطاع من أزمات كثيرة ، واضطهادات كبيرة من قبل جنود الاحتلال . و تبقى ممارسات الاحتلال الإجرامية ماثلة في مخيماتنا ، الآلة الحربية الصهيونية ، بكافة أسلحتها وأجهزتها وقواها ، استهدفت - ولا تزال - البشر والحجر والشجر في جميع المواقع على أرض فلسطين ! ، وأهل المخيمات هم من أكثر أبناء الشعب العربي الفلسطيني تضمرًا ، وهم من أكثر وأطول الناس معاناة منذ أكثر من نصف قرن، واللاجئون من أكثر الشرائح المجتمعية تسييسًا وانضواءً في التنظيمات السرية والعلنية المقاومة، وهذه هي الحقيقة الرابعة التي تجعلهم أكثر إيلاماً للصهاينة ، وبالتالي الأكثر تعرضاً لتتكيلهم ! وقبل أن يجف حبر اتفاق أوسلو الذي أجل النظر في قضايا جوهرية كالقدس والدولة والحدود واللاجئين ، استشعر اللاجئون حجم التحدي والمخاطر التي تهدد مصيرهم ومستقبلهم وحقوقهم التاريخية في العودة والتعويض واستعادة الممتلكات ، فجاءت مجموعة من المبادرات التي انطلقت لتشكيل لجان للدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين (٢) . ومن تداعيات انتفاضة الأقصى على الأطفال : التغير في السلوك وانقلاب في الاهتمامات ، ففي البيت أصبح الأطفال يتعرضون لكوابيس وأحلام ليلية مزعجة بسبب القصف الليلي والنهاري ، وبدأ الأطفال في صنع لعب مثل : آلات حربية من الأدوات الخشبية والبلاستيكية ، وفي الشارع نجد الأطفال يلعبون لعبة جنود الاحتلال وراشقي الحجارة

انتفاضة الأقصى ، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - الهيئة العامة للاستعلامات ، السلطة الوطنية الفلسطينية .

- 1 - فافو (معهد العلوم الاجتماعية التطبيقية . النرويج) ، خلاصة دراسة الظروف المعيشية في قطاع غزة ، الضفة الغربية والقدس 1992م . ص 3- 8 .
- 2 - انظر : عبد الله الحوراني ، اللاجئون : قضية وموقف ، ط 1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة - فلسطين ، ص 14 ، وما بعدها . وانظر : سلمان أبو ستة ، اللاجئون الفلسطينيون . الواقع الراهن والحل .. في إطار حق العودة ، ط 1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة 2001م ، 10 وما بعدها .

من الشباب ، حتى أصبح حديثهم عن الشهداء والجرحي والأسرى في المدرسة^(١) ، وأخذت انتفاضة الأقصى تقلب أوراق الحياة العادية لأطفال فلسطين ، والأخبار تحل محل اللعب وأفلام " ميكى ماوس " ، وأصبح المقلاع لعبة مفضلة عند الأطفال ، فدخل الأطفال مرحلة جديدة من حياتهم ، وبدأ الاحتلال يستهدفهم بالقتل ، فقد سقط الأطفال شهداء ، وأصيب منهم ما أصيب ، وأصبحت سياسة الاحتلال لا تميز بين أحد ، فالكل داخل في معركة الاستهداف^(٢) .

5- البيئة الثقافية :

يقول الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي : " إن المشهد الثقافي في فلسطين اختلف عما كان قبل أوسلو ، لم يصل إلى الحالة الثقافية المنشودة ، رغم الإسهامات الجادة ، والجهود الرائدة والمتفردة ، والسبب في ذلك ، الاحتلال ، وسياسته ، وأهدافه ، والعقبات التي كان يضعها في طريق التغيير . ورياح التغيير تبدأ من رصد المتغيرات في البداية ، وأول هذه المتغيرات زوال العقبات الكئود التي كان يضعها المحتل في وجه الإبداع ، والقيود التي كانت مفروضة على المؤسسات التعليمية والثقافية ... ثم بعد ذلك إنشاء بعض المؤسسات الهامة ذات المهام الثقافية الرسمية ، كالوزارات والدوائر والمؤسسات الرسمية والشعبية ، والتجمعات الثقافية والفنية ، فالمؤسسات التي كانت مقيدة بقيود المحتل كاتحاد الكتاب والجامعات والنقابات ... أصبحت حرة طليقة يمكنها أداء الأهداف التي قامت من أجلها، ونجد الوزارات وبعض المؤسسات التي غايتها الثقافة ، من ذلك وزارة الثقافة ، ووزارة الإعلام ، والإذاعة والتلفزيون ، والمكتبة الوطنية ، أما التجمعات والنقابات والمؤسسات الشعبية فلم يبخل القرار السياسي عليها بما تحتاج إليه لكي تولد ، ثم لكي تستمر في الحياة "^(٣). لقد مارست الثقافة الفلسطينية دورا هاما في إعادة الشخصية الوطنية والإسلامية ، وعملت على تأصيلها بعدما تعرضت لكثير من عمليات التشويه والتذويب في خلال تاريخها ، فكان همها منذ البداية إرساء شخصية شعبية مكافحة ، منتمية ، واثقة ، فاعلة ..

¹ - حسام بدران ، من نداعيات الانتفاضة على الأطفال : تغير في السلوك وانقلاب في الاهتمامات ، مجلة بلسم ، العدد 308 ، شباط (فبراير) 2001م ، ص 58 - 59 .

² - محمد دراغمة ، الانتفاضة تقلب أوراق الحياة العادية لأطفال فلسطين ، مجلة بلسم ، العدد 308 ، شباط (فبراير) 2001م ، ص 60 - 64 .

³ - د. نبيل خالد أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، مقالات في الأدب والمسرح والتلفزيون ، ط 1 ، دار المقداد للطباعة ، غزة 2004م ، ص 79 - 80 .

تعدّ الثقافة من أهم أدوات التثوير والتثوير التي تعبئ الأجيال وتأخذ بيدها بقوة ورصانة^(١) ، ومن المنابر الثقافية التي كان لها أثر قوي في توعية الإنسان الفلسطيني ، وإبراز الشخصية الوطنية والإسلامية في مجتمعنا الفلسطيني نذكر :

- الكتاب : الذي يهتم بنقل المعلومات ، وإبراز الشخصيات العلمية ، والوطنية والإسلامية .
 - الإذاعة : مارست دورا هاما في إبراز ملامح الشخصية الوطنية والإسلامية .
 - المسرح : يعد منبرا ثقافيا هاما ، وذلك فيما يحاكيه من واقعنا المؤلم الذي نحيا ، والتعبير عن همومنا من خلال عرض لمسرحيات متنوعة ، مثل مسرحية : "المحسوم" التي كشفت غطرسة المحتل وممارساته اللاإنسانية ضد أبناء شعبنا، مرشدا من خلالها إلى كيفية مواجهة الحواجز والأسلاك الشائكة التي تحاصر الشعب الفلسطيني بأساليب مبتكرة تفوق الخيال .
 - التلفزيون والفضائيات : فهو من أكثر المنابر الثقافية شيوعا في هذه الأيام ، فهو المنبر الثقافي الذي تسلل لكل بيت ، ونقل هموم الشعب الفلسطيني من خلال قنواته الأرضية ، وقناته الفضائية التي تبرز من خلال الصوت والصورة جرائم الاحتلال وممارساته الإجرامية ضد شعبنا الفلسطيني ، وتوعية المجتمع بما يحدث من تطورات على الساحة العامة ، ولكن يجب أن نأخذ الاحتياطات مما يقدم في القنوات الفضائية الأجنبية .
 - الحاسوب والإنترنت : وهو أحدث المنابر الثقافية ، بما يقدم من معلومات ببسر وسهولة ، وتتيح للمتلقى فرصة اختيار الحقل المعرفي الذي يريد الإطلاع عليه والتبحر فيه^(٢) .
- وقد شاعت ظواهر ومنابر ثقافية أخرى في مجتمعنا الفلسطيني عكست الروح الوطنية والإسلامية ، وأبرزت دور الشخصية الوطنية والإسلامية في انتفاضة 1987م -1996م - 2000م وصولا إلى 2005م ، من هذه المنابر نذكر : الندوات السياسية والأدبية ، والأمسيات الشعرية ، والصالونات الأدبية ، واللقاءات الفكرية ، والتجمعات الشعبية في المناسبات الوطنية والإسلامية ..^(٣) .

¹ - المتوكل طه ، و إبراهيم جوهر ، بعد ألف يوم من الانتفاضة ، الثقافة والانتفاضة ، أثر الانتفاضة في

الثقافة ، أثر الثقافة في الانتفاضة ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ص 29 - 30 .

² - د. نبيل خالد أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، ص 104-112 . وانظر : ص 136 - 139 .

³ - د. نبيل خالد أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، وفي مرآة الثقافة الفلسطينية . وانظر أيضا : سلمان

جاد الله ، أدب الحركة الأسيرة الوطنية . وفايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني 1967م -

2001 ، ط 1 ، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي . رام الله 2003م . وناهض زقوت : انعكاس

الإرهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية ، دراسة نقدية ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب 2004 ،

ص 13 وما بعدها . وانظر : المتوكل طه ، و إبراهيم جوهر ، بعد ألف يوم من الانتفاضة ، ص 200-

214 . وانظر : فتحة صرصور ومي نايف ، صالون نون ، محاضرات في أدب المرأة ، ط 1 ،

محافظة غزة ٢٠٠٥م .

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في تشكيل الشخصية الإسلامية

1- العامل الديني .

2- العامل السياسي .

3- العامل الاجتماعي والاقتصادي .

أولاً-العامل الديني :

يقف العامل الديني على رأس العوامل المؤثرة في تشكيل الشخصية الإسلامية بشكل عام، فالمجتمع الفلسطيني مجتمع متدين ، يدين غالبته بالإسلام ، وعلى ذلك يكون القرآن الكريم والسنة النبوية ، هما الأساسان لتشكيل الشخصية الإسلامية في فلسطين ، وهناك عوامل أخرى ساهمت في تشكيل الشخصية الإسلامية ، منها :

1- سقوط الشعارات والفلسفات المادية :

انتشرت في بلادنا الإسلامية وخاصة فلسطين شعارت مادية ، وأفكار هدامة لا طائل منها ، اعتقاداً بأنها المنجى والملاذ من الأزمات الاقتصادية والسياسية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، إضافة إلى الأزمات الفكرية والروحية .
ولكن مع التجربة في الواقع الملموس سقطت هذه الشعارات ، الشيوعية ، والرأسمالية ، والديمقراطية ، والعلمانية ، والقومية والوطنية ..

لقد سقطت الشيوعية نظرياً بعد قيامها بسنوات قليلة ، وهي لم تزل وليدة ، لأنها تحمل في طياتها ، عوامل السقوط (١) ، وهذا الانهيار للمذهب الشيوعي ، يضع البشرى والأمل بأن المستقبل للإسلام (٢) ، وكذلك كان حال الرأسمالية ، التي كان الكفر والإلحاد من أهم أسباب سقوطها . أما الديمقراطية (٣) فلم تجد نفعاً في الساحة الفلسطينية ، والبيئات المقهورة بشكل عام ، ومثل ذلك يُقال عن العلمانية التي تنادي بفصل الدين عن الدولة ، وكذلك كان حال دعاوى القومية والوطنية .. (٤) .

¹ - صالح الرقب ، واقعنا المعاصر والغزو الفكري ، ط 4 ، مطبعة الرنتيسي للطباعة والنشر ، غزة 2002م، ص 298 – 299 . وانظر : فتحي يكن حركات ومذاهب في ميزان الإسلام ، ص 11- 38 .

² - محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، ط 1 ، دار الوطن للنشر ، الرياض 1991م ، ص 244 .

³ - وهي حكم الشعب للشعب بتشريع الشعب ، وتمثل الحريات العامة: حرية الاعتقاد ، الرأي ، التملك ، الشخصية .

⁴ - القومية : معناها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً ، و الوطنية أن يشعر جميع أبناء الوطن بالولاء لذلك الوطن ، والتعصب له . وتنادي الإنسانية بإنسانية النزعة ، وأن تطرح الدين جانبا . أما الإلحاد : فهو إنكار وجود الله ، والقول بأن الكون وجد بلا خالق .. انظر : محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، ط 1 ، دار الشروق ، بيروت والقاهرة 1983م ، ص 178 .

ويرى الأستاذ سيد قطب : "أن من أسباب انهيار الحضارة الأوروبية المعاصرة ، أنها حضارة منبته - منقطعه - عن الله تعالى ، ...وأنها لم تستطع أن تعطيَ الإنسانَ التفسيرَ الواحدَ الصحيحَ لحقيقةِ هذا الكون ، وعلاقته بخالقه عز وجل .."(١) .

2- الصحوة الإسلامية المعاصرة :

بدأت ملامح الصحوة الإسلامية تتمثل في بلادنا من خلال أمور عديدة من أهمها :
- الانتفاضة الشعبية الفلسطينية 1987م ، والفوز الكبير الذي يحققه أصحاب الاتجاه الإسلامي في الجامعات الفلسطينية ، وفي مجالس البلديات ، والنقابات المهنية ، والمنظمات الطلابية ، نتيجة لفشل الأفكار العلمانية ، والإلحادية ، الأمر الذي ساعد على نشر الفكر الإسلامي في المنتديات والتجمعات الشبابية ، وأصبح الشباب يلتفون حول شعار: "الإسلام هو الحل" .
- انتشار أسطرة ، واسطوانات القرآن الكريم ، والندوات ، والخطب ، والكتب التي تحمل الفكر الإسلامي ، وكذلك انتشار المجلات ، والصحف الإسلامية ، والصحافة الإسلامية ، بأقلام مفكرين إسلاميين ، ينظرون بأقلامهم ، إلى أن الأمل والحل في الإسلام(٢) .

3- الحركات والمؤسسات الإسلامية :

نشأت الحركات الإسلامية في ظروف صعبة ، في قلب الصراع ، في وسط الهجوم الماكر على العالم الإسلامي ، وكانت هذه الظروف المعاكسة كفيلة بالقضاء عليها وطمس معالمها ، لكن استطاعت هذه الحركات بعون الله تعالى أن تتغلب على كثير من الصعوبات ، بإيمان ووعي ، وعلى صعيد الحركات الإسلامية في فلسطين ، نذكر : حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ، وحركة الجهاد الإسلامي(٣) .

- حركة المقاومة الإسلامية "حماس" :

نشأت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في زمن التمادي الصهيوني باحتلال الأرض الفلسطينية ، وتهويد المقدسات الإسلامية ، والتوسع الاستيطاني ، والتنكر للحقوق الشرعية

¹ - سيد قطب ، المستقبل لهذا الدين ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت 1981م ، ص 52 - 54 .

² - عدنان علي رضا النحوي ، الصحوة الإسلامية إلى أين ؟! ، ط 1 ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض 1991م ، ص 15- 20 . وانظر : صالح الرقب ، واقعا المعاصر والغزو الفكري ، ص 331 - 333 . و إبراهيم المقادمة ، إلى علماء الإسلام ، صحيفة الرسالة ، العدد (235) ، الخميس 31 أكتوبر 2002 ، ص 11 .

³ - صالح الرقب ، واقعا المعاصر والغزو الفكري ، ص 324 . وانظر : علي الجرباوي ، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة .. ص 43- 58 . و تيسير جبارة دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان 1992م ، ص 109 - 139 .

للشعب الفلسطيني ، وقد انطلقت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" عام 1987م مع بداية انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال ، مشكلة المبادرة الفلسطينية الذاتية للثورة التي تتغذى من عقيدة الإسلام ، وقوة الحق^(١) . وبدأت منشورات وشعارات "حماس" تملأ الشوارع : "لا للكيان الصهيوني" .. لتمثل منهج حماس تجاه اليهود^(٢) .

تعتقد حركة "حماس" أن الصراع مع الصهاينة في فلسطين صراع حضاري مصيري لا يمكن إنهاؤه إلا بزوال سببه ، وهو الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، واغتصاب أرضها وطرد وتهجير سكانها^(٣) ، وترى الحركة أن الاتفاقات التي تم التوصل إليها ، اتفاقات غير عادلة ، وهي من ناحية شرعية تدخل في دائرة المحظور في الفقه الإسلامي ، ولا يجوز القبول بها^(٤) .

- حركة الجهاد الإسلامي :

نشأت حركة الجهاد الإسلامي في أوائل الثمانينات بعد عودة الدكتور فتحى الشقاقي وعدد من إخوانه إلى فلسطين ، وقد تم بناء القاعدة التنظيمية للحركة في فلسطين ، ثم خاض التنظيم غمار التعبئة الشعبية والسياسية في الشارع الفلسطيني إلى جانب الجهاد المسلح ضد العدو الصهيوني ، كحل وحيد لتحرير فلسطين .

وأهم مبادئ الحركة : الالتزام بالإسلام عقيدة وشرعية ونظام حياة ، وأن فلسطين أرض إسلامية عربية يحرم شرعا التفریط في أي شبر منها ، والكيان الصهيوني وجود باطل ، يحرم شرعا الاعتراف به على أي جزء منها^(٥) ، وأن الجماهير الإسلامية والعربية هي العمق الحقيقي لشعبنا في جهاده ضد الكيان الصهيوني ، وأن كافة مشاريع التسوية التي تقر الاعتراف بالوجود الصهيوني في فلسطين أو التنازل عن أي حق من حقوق الأمة فيها باطلة ومرفوضة . وتهدف الحركة إلى تحرير كامل فلسطين ، وتصفية الكيان الصهيوني ،

¹ - إسماعيل أبو شنب ، حركة المقاومة الإسلامية واستشراف المستقبل "حماس" ، الندوة الفكرية السياسية، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين ، ط1 ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة 2000م ، ص 164 - 169 .

² - أحمد عز الدين ، حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين ، دار التوزيع الإسلامية ، القاهرة 1989م ، ص 6 - 7 .

³ - عبد القادر ياسين ، حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ، ط1 ، سينا للنشر ، القاهرة 1990م ، ص 69 - 70 .

⁴ - انظر: إسماعيل أبو شنب ، حركة المقاومة الإسلامية واستشراف المستقبل ، ص 441 - 459 .

⁵ - محمد الهندي ، حركة الجهاد الإسلامي ، الندوة الفكرية السياسية ، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين ، ط1 ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة 2000م ، ص 179 - 187 . وانظر مجلة الأمة ، العدد ٢٣ ، إبريل (نيسان) ٢٠٠٠م ، ص ١٠-١٢ .

وإقامة حكم الإسلام على أرض فلسطين ، وأهم وسائلها في ذلك الجهاد المسلح ضد أهداف العدو الصهيوني ومصالحه ، وقد رفضت الحركة اتفاق أوسلو قلبا وقالبا^(١) .
المؤسسات الإسلامية :

قامت في قطاع غزة والضفة الغربية عدد من الجمعيات والمؤسسات الإسلامية ، بهدف تقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين ، وتقديم المساعدة لأسر الشهداء ، والمعتقلين . ومن هذه المؤسسات ما يتبع لحركة المقاومة الإسلامية ، ومنها ما يتبع لحركة الجهاد الإسلامي ، ومنها مستقلة .

- المؤسسات المحسوبة على حركة "حماس" :

1- المجمع الإسلامي : أسس المجمع الإسلامي عام ١٩٧٣م ، ومقره الرئيس في حي الصبرة بغزة ، ويعمل في جميع المجالات ، التعليمية ، والتنقيفية ، والصحية ، والاجتماعية ، والرياضية ، والنسوية ، ويحتضن عدداً كبيراً من الأطفال ، كما يكفل الأيتام ، والأسر المحتاجة ، ويوفر لهم سبل العيش الكريم ..^(٢) .

2- الجمعية الإسلامية : تأسست عام 1976م ، ومقرها الرئيس في مدينة غزة ، ولها تسعة فروع منتشرة في مناطق القطاع . وتقدم الجمعية المساعدات وكفالات الأيتام لنحو خمسة آلاف يتيم ، كما تقدم بصورة منتظمة مساعدات نقدية وعينية ، ولدى الجمعية 41 روضة، وتضم مركزين صحيين ، في حي الشيخ رضوان ومخيم النصيرات^(٣) .

3- جريدة الرسالة : صدرت في غزة 1997م ، ناطقة باسم حزب الخلاص الوطني الإسلامي، وتهتم بالدراسات ذات الطابع الإسلامي ، وقد أصدرت العديد من الدراسات والأبحاث .

4- جمعية أصدقاء الطالب : تأسست عام 2000م ، في مدينة غزة ، بهدف دعم الطلبة الجامعيين ، وتوفير المنح الدراسية لهم ، ومساعدتهم في الرسوم الجامعية وتكاليف الدراسة .

5- جمعية النور الخيرية لرعاية الأسرى وأسر الشهداء : تأسست عام 2000م في غزة . وهي تعنى بتوفير الدعم المادي والعيني لأسر المعتقلين والشهداء .

¹ - المرجع السابق . ص 179 - 187 . وانظر أيضا : ص 460- 476 .

² - مجلة المجمع الإسلامي ، مجلة دورية تصدر عن لجنة العلاقات والإعلام بالمجمع الإسلامي، العدد الأول ، السنة الأولى ، رجب 1424هـ ، سبتمبر 2003م ، ص5 وما بعدها .

³ - أبو الخوالد الحسن ، الحركة الإسلامية في فلسطين ، دراسة تاريخية لجذور حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ، (د . ت) ، ص 220- 221 . انظر موقع : شبكة الإنترنت للإعلام العربي ، القدس ، 30 كانون أول ٢٠٠١م .

6- جمعية الشابات المسلمات : جمعية تعنى بالمرأة ، كما تقدم المساعدات للأسر الفقيرة .
المقر الرئيس للجمعية في مدينة غزة ، ولها 14 فرعاً في مختلف المناطق .
المؤسسات المحسوبة على حركة الجهاد الإسلامي :

- 1- جريدة الاستقلال : ناطقة بلسان حركة الجهاد الإسلامي ، تصدر في مدينة غزة منذ عام 1994م ، ومحررها المسئول ، علاء الصفاوي ، وقد توقفت عن الصدور .
- 2- مركز فلسطين للبحوث والدراسات : يعنى بالدراسات السياسية ، تأسس عام 1995م .
- 3- جمعية الإحسان الخيرية : تأسست عام 1997م في مدينة غزة ، ولديها ستة فروع منتشرة في أنحاء القطاع ، وتعنى بتوزيع المساعدات المادية والعينية على الفقراء والمحتاجين .
المؤسسات الإسلامية المستقلة :

- جمعية دار الكتاب والسنة : وهي جمعية تابعة لجماعة السلفيين ، وتعنى بالدراسات الدينية والقرآنية البحتة ، ولا تهتم بالقضايا السياسية^(١).

ثانياً - العامل السياسي :

تتلاحق الأحداث على الساحة الفلسطينية منذ اندلاع انتفاضة 1987م التي انتهت باتفاقيات أوسلو ، وحتى انتفاضة الأقصى 2000م التي ما زال أوارها مشتعلًا ، إذ لم يجد الفلسطيني أملاً يرتجى من وراء المفاوضات والاتفاقيات ، والمعاهدات الفاشلة ، فقد جرّت تلك المفاوضات الشعب الفلسطيني إلى نكبة جديدة ، حيث ازدادت الممارسات الصهيونية عنفاً ، وازداد تواطؤ العالم الصليبي ، وتخاذل العالم العربي والإسلامي ، الأمر الذي جعل الفلسطيني يلجأ إلى الله عز وجل ويعتصم بدينه عملاً بقول الله تعالى : "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"^(٢) .

1- الاحتلال وممارساته الإجرامية :

ذاق الشعب الفلسطيني منذ اندلاع الانتفاضة عام 1987م ، كلّ صنوف القهر والعذاب ، والممارسات الوحشية والإجرامية ، وتعرض لانتهاك الحق في الحياة ، والقتل المتعمد^(٣) ،

¹ - انظر موقع : شبكة الإنترنت للإعلام العربي ، القدس ، 30 كانون أول ٢٠٠١م .

² - سورة آل عمران : 3 / 103 .

³ - تم اغتيال "أبو جهاد الوزير" في 16 إبريل 1988م في تونس ، واغتيال القادة الثلاثة : أبو إياد ، وأبو الهول ، وأبو محمد العمري في 14 يناير 1991م في تونس ، واغتيال القائد القسامي عماد عقل في 2 نوفمبر 1993م ، واغتيال الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين فتحي الشقاقي يوم الخميس

وقتل الأطفال وطلبة المدارس والجامعات ، وحتى الأجنّة في بطون أمهاتها لم ترحمها رصاصات الكيان الصهيوني^(١) ، وقد لاقى المعتقلون والأسرى ألواناً من العذاب ، حتى أن بعضهم تعرض للقتل المتعمد ، ومن جرائم الاحتلال : تدمير المنازل ، واقتلاع الأشجار ، وانتهاج سياسة الإغلاق ومنع التجول . وقد طالت آثار الإغلاق ومحاصرة الشعب الفلسطيني جميع جوانب الحياة : الاقتصادية ، والأمنية ، والصحية والتعليمية ، والنفسية ، والدينية^(٢) ، وانتهكت حرية التعبير في وسائل الإعلام ، وحظرت الكتب الإسلامية ، واقتحمت المساجد ، وأقدم الاحتلال على ارتكاب أبشع المجازر^(٣) .

2- أوصلو وقيام السلطة الوطنية :

شهدت مدينة أوصلو جولات من المفاوضات السرية بين اليهود ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد أسفرت عن توقيع الطرفين على اتفاقية إعلان المبادئ في واشنطن . حيث بدأت المفاوضات في يناير من عام 1993م بين أكاديميين يهود وشخصيات فلسطينية ، بمبادرة من النرويجيين ، وكانت في البداية اتصالات غير رسمية ، ثم أضحت رسمية عربية برعاية دولية .

1995/10/26م ، واعتيل القائد يحيى عياش في يوم الجمعة 1996/1/25م . وفي انتفاضة الأقصى تم اغتيال القادة : أبو علي مصطفى الأمين العام لحركة الجبهة الشعبية الفلسطينية في يوم الاثنين 8/27/2001م ، واعتيل صلاح شحادة في 22 / 7 / 2002م ، والدكتور إبراهيم المقادمة في 8/3/2003م ، والمهندس إسماعيل أبو شنب في 21 / 8 / 2003م ، واغتالت يد الغدر شيخ الانتفاضتين أحمد ياسين في يوم الاثنين الموافق 22 / 3 / 2004م ، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في يوم السبت 17 / 4 / 2004م . انظر : إسماعيل عبد اللطيف الأشقر ، مؤمن محمد غازي بسيسو ، الاغتيالات الصهيونية ضد رموز الشعب الفلسطيني ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، ذو الحجة / 1425هـ - فبراير / 2004م . ص 15 - 16 .. وانظر : ص 75- 105 .

¹ - جريدة الصحوه ، صوت الكتلة الإسلامية ، العدد الرابع والعشرون (السنة الثالثة) رمضان 1425هـ أكتوبر 2004م ، ص 12 . وانظر : جريدة الغد : العدد ١٢ - السنة الثالثة . آب أغسطس 2001م ، ص 16-17 ، ومجلة بلسم : العدد (311) ، السنة السادسة ، أيار (مايو) 2001م ، ص 62- 63 .

² - صائب عريقات ، الانتفاضة والتغييرات ، ط 1 ، دار العودة للدراسات والنشر ، القدس 1990م ، ص 19 . وانظر : إياد السراج ، و رعدة سابا ، واقع الطفل الفلسطيني في ظل الانتفاضة ، ط 1 ، برنامج غزة للصحة النفسية 1991 ، ص 16 .

³ - عن المجازر التي ارتكبتها الصهاينة بحق الفلسطينيين . انظر : أبو ستته ، سجل النكبة ، ص 12 ، إبراهيم الجندي ، اللاجئين الفلسطينيون بين العودة والتوطين ، دار الشروق ، عمان 2001م ، ص 8 - 10 . وانظر : جواد الحمد ، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية .. ط 1 ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان 1995م ، ص 7 وما بعدها .

وتناولت المفاوضات موضوع الانسحاب من قطاع غزة ، وتخويل الصلاحيات في المجال الاقتصادي في المناطق إلى الفلسطينيين . وبعد مد وجزر توصل الجانبان إلى اتفاق ينص على الاعتراف المتبادل بين الطرفين ، وتسليم قطاع غزة وأريحا إلى الفلسطينيين كمرحلة أولى في اتفاقية سلام بين الطرفين ، واعترف الصهاينة بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني ، ومن أهم البنود في الاتفاقية :

إقامة سلطة فلسطينية للحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة في خلال فترة مرحلية لا تزيد عن خمس سنوات ، وتنتهي بحل دائم على أساس قرارات مجلس الأمن الدولي رقم 242 و338 .

و إجراء انتخابات فلسطينية لتشكيل مجلس تشريعي . وتشمل ولاية المجلس منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء قضايا سيتم الاتفاق عليها في مفاوضات الوضع النهائي ، على أن تنطلق مفاوضات الوضع النهائي في وقت لا يتعدى بداية السنة الثالثة للفترة الانتقالية، وذلك للبت في وضع القدس ، واللاجئين ، والمستوطنات ، والترتيبات الأمنية ، والحدود .

ومع دخول إعلان المبادئ هذا حيز التنفيذ ، يتم الانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، وتبدأ إجراءات نقل السلطة من الحكومة العسكرية الصهيونية وإدارتها المدنية إلى الفلسطينيين (١) . ومما يؤخذ على هذه الاتفاقية نذكر :

1- قضية الأسرى : لم تتطرق هذه الاتفاقية إلى قضية الأسرى في سجون الاحتلال نهائياً ، فنصوص الاتفاقية وبنودها تخلو من أية إشارة أو معالجة لمسألة الأسرى .

2- اللاجئيين وحق العودة : تم تأجيل التفاوض على حق العودة إلى مفاوضات المرحلة النهائية ، واستشعر اللاجئون حجم التحدي والمخاطر التي تهدد مصيرهم ومستقبلهم وحقوقهم التاريخية في العودة والتعويض واستعادة الممتلكات ، وبدأت الفصائل الفلسطينية تحذر من شطب حق العودة ، لكن دعواتها ظلت شعاراً وخطاباً قلما ترجم فعلاً وواقعاً على الأرض .

3- وضع المستوطنات : لم تشمل هذه الاتفاقية على أية كلمة بشأن الاستيطان ، على الرغم من أن جوهر الصراع مع اليهود الصهاينة هو الاحتلال والاستيطان ، وعندما ينتهي الاحتلال والاستيطان ، تنتهي المشكلة الفلسطينية .

¹ - مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، اتفاق المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي ، الصهيوني ، مواجهة أم مصالحة ، القاهرة ، أكتوبر 1993 م ، ص 75 - 78 . وانظر : ممدوح نوفل ، قصة اتفاق أوسلو ، الرواية الحقيقية الكاملة ، ط1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن 1995م ، ص12 وما بعدها . وانظر : محمود عباس - أبو مازن ، طريق أوسلو ، ط1 ، بيروت 1994 ، ص7 وما بعدها .

4- **تعثر مفاوضات السلام واندلاع انتفاضة الأقصى** : في الشهور الثلاثة الأخيرة من عام 2000م تعثرت مفاوضات السلام على المسار الفلسطيني الصهيوني ، وفشلت مفاوضات "كامب ديفيد" - 11 تموز 2000 إلى 24 تموز 2000 - في وضع إطار معقول للتسوية النهائية يحظى بقبول الشعب الفلسطيني ، حيث تعذر التوصل إلى حلول وسط بشأن مسألة "القدس" ومسألة "اللاجئين" ، وما إن وطئت أقدام الصهيوني المتعصب "شارون" عتبة الحرم القدسي الشريف في 27-9-2000م ، تحت حماية ظاهرة ومعلنة من الشرطة الصهيونية ، حتى انفجرت انتفاضة الأقصى ، وانفجر معها الشارع الفلسطيني ، وتعاطف معها الشارع العربي والإسلامي أيضا^(١) .

ولو نظرنا إلى نتائج المفاوضات ، وما توصلت إليه العملية السلمية نلاحظ أن القيادة الفلسطينية وافقت على ما يطرح عليها من حلول وإن كانت غير ذات شأن^(٢) ، وأن الطرف الفلسطيني هو الذي اعترف بالاحتلال ، وألغى الميثاق ، وأعطى الصهاينة حق السيطرة على الاقتصاد ، وعلى القانون ، والمعابر ، والأجواء ، والمياه ، وكل مرافق الحياة تقريباً ، ولم تأخذ منهم سوى المماطلة والتسويف .

وجاءت انتفاضة الأقصى التي مثلت الصحو الحقيقية للشعب الفلسطيني الذي نبذ كل عوامل الفرقة ، ودخل جبهة المواجهة مع اليهود الصهاينة صفا واحدا ، يتنافس في المقاومة والتضحية^(٣) ، فالرجوع إلى الإسلام هو الحل ، والجهاد هو السبيل ، لأن اليهود لا عهد لهم ، ألم يقرر الله عز وجل ذلك في قوله تعالى : "أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"^(٤) .

1 - إبراهيم إسماعيل كاخيا ، الانتفاضة الفلسطينية الثانية وآثارها على الاقتصاد الصهيوني ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، العدد 76 في 1 / 3 / 2004م . عاطف عدوان ، فشل السلام مع إسرائيل : الأسباب والنتائج ، مجلة الأفق ، يصدرها مركز البشير للدراسات ، القدس الشريف ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، صيف 2001م ، ص 158 - 162 .

2 - عاطف عدوان ، فشل السلام مع إسرائيل : الأسباب والنتائج ، مجلة الأفق ، يصدرها مركز البشير للدراسات ، القدس الشريف ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، صيف 2001 . ص 158 - 162 .

3 - السابق ، ص 162 وما بعدها .

4 - سورة البقرة : 2 / 100 .

ثالثاً - العامل الاجتماعي والاقتصادي :

كان للعامل الاجتماعي والاقتصادي أثره الواضح في تكوين الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني ، ولكي يتضح هذا الأثر ينبغي الحديث عن تركيبة المجتمع وطبقاته ، والعادات والتقاليد ، والأعياد والمناسبات .

1- تركيبة المجتمع وطبقاته : قسم الدارسون المجتمع الفلسطيني إلى أربع مراحل ، هي : مرحلة ما قبل عام 1948م ، ومرحلة ما بعد نكبة عام 1948م ، ومرحلة نكسة عام 1967م وما بعدها ، وأخيراً المرحلة الممتدة منذ انتفاضة عام 1987م حتى اليوم ، وهي المرحلة التي سنتوقف عندها ملياً ، لأنها المستهدفة في هذا البحث .

ارتبط تاريخ هذه المرحلة بانطلاق الانتفاضة الشعبية المباركة يوم 9 / 12 / 1987م ، وقد قدم المجتمع الفلسطيني إبانها الكثير من التضحيات البشرية والمادية ، وقد سعى المجتمع الدولي لإسكات الصوت الفلسطيني بإعطائه جزءاً من الحقوق، ومن هنا بدأت المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، التي تمخضت عن اتفاق أوسلو في عام 1993م، وبدأت إجراءات تطبيق بنوده على أرض الواقع في مطلع عام 1994م ، ثم بدأت تتعثر المفاوضات وتتكسر الصهانية لما تم الاتفاق عليه ، فانطلقت انتفاضة الأقصى التي غيرت الموازين ، وأصبح كل ما تم الاتفاق عليه سابقاً لاغياً ، وبدأت هجمة صهيونية شرسة ضد الشعب الفلسطيني ، وفي المقابل طور الفلسطينيون وسائلهم للمقاومة والصمود .

التركيبة الداخلية للمجتمع الفلسطيني : يمكن تقسيم المناطق الفلسطينية إلى ثلاثة أقسام ، المدن (المناطق الحضرية) ، القرى والبلدان (الريف وأشباه الريف) ، وأخيراً مخيمات اللاجئين . ويبلغ عدد سكان الضفة الغربية في نهاية عام 2003 نحو مليوني نسمة ، 33.4% منهم يعيشون في مناطق حضرية ، ويتوزع 66.6% بين المناطق الريفية ومخيمات للاجئين. أما في قطاع غزة فيبلغ عدد السكان الكلي نحو مليون نسمة ، يعيش ما يقارب 45% منهم في المخيمات ، وحوالي 48% منهم يعيشون في مدن يزيد عدد سكانها عن 100000 نسمة ، و7% يعيشون في قرى يقل عدد سكانها عن 10000 نسمة . وتتميز كل منطقة من هذه المناطق بما يلي :

1- المناطق الحضرية : ويقصد بها المدن، وتتميز باحتوائها على الخدمات البلدية ، من كهرباء ، ومياه ، وصرف صحي ، وشبكات الهاتف ، والإدارية ، من وزارات ومؤسسات ، كما أنها تتميز بالنشاط التجاري أو الصناعي أو كليهما معا .

2- مناطق الريف وأشباه الريف : وهي المناطق التي تأتي مباشرة بعد المدينة من حيث عدد السكان ، وتحتوي هي الأخرى على الخدمات البلدية ، لكنها لا تحتوي على الخدمات

الإدارية . هذا بالإضافة إلى العمل في الزراعة والتجارة ، ويقبل فيها مستوى معيشة الفرد عن قرينه في المدينة ، أما المناطق شبه الريفية فيعتمد سكانها على تربية المواشي^(١) .

3- **مخيمات اللاجئين** : وهي المخيمات التي أُقيمت لإسكان الفلسطينيين الذين تم تهجيرهم من أراضيهم وقراهم من قبل العصابات الصهيونية ، ويوجد نحو 524 ألف لاجئاً في الضفة يتوزع نحو 130 ألفاً منهم على 18 مخيماً ، أما في قطاع غزة فيبلغ عدد اللاجئين حوالي 435263 لاجئاً .

أما طبقات الشعب الفلسطيني فيمكن تقسيمها على النحو الآتي :

1- **طبقة الفلاحين** : لقد كانت طبقة الفلاحين من بين أكثر طبقات المجتمع الفلسطيني تضرراً من الإجراءات القمعية التي اتخذها الصهاينة لقمع الانتفاضتين ، وقد كانت إجراءاتهم أكثر وحشية إبان انتفاضة الأقصى ، حيث منعت قوات الاحتلال الفلاحين من الذهاب إلى أراضيهم بشتى الوسائل ، وجرفت آلاف الدونمات الزراعية ، وقطعت أشجار الزيتون ، وصادرت الأراضي بحجة شق طرق التفاقية لحماية مستوطناتهم أو لإقامة الجدار العازل^(٢) .

2- **طبقة العمال** : تشكل الطبقة العاملة في الضفة الغربية أكثر من نصف المجتمع ، في حين تبلغ هذه النسبة ما لا يقل عن 60 % في قطاع غزة^(٣) ، ومنذ اندلاع انتفاضة الأقصى في 29 سبتمبر 2000م ازدادت معاناة فئات المجتمع الفلسطيني وخاصة العمال ، جراء سياسة الحصار وإغلاق المناطق ، وقد تسببت هذه الإجراءات في حرمانهم من

¹ - إبراهيم أبراش ، المجتمع المدني الفلسطيني من الثورة إلى تأسيس الدولة ، مجلة رؤية ، العدد الثامن والعشرون ، آذار 2004م ، تصدر عن : الهيئة العامة للاستعلامات ، السلطة الوطنية الفلسطينية . وانظر : سليمان بشار ، المجتمع الفلسطيني أطوار وتحديات ، موقع إسلام أون لاين على شبكة الإنترنت .

² - عبد الله الحوراني ، اللاجئين ، قضية وموقف ، ص14 وما بعدها . وانظر : سلمان أبو ستة ، اللاجئين الفلسطينيون ، الواقع الراهن والحل .. في إطار حق العودة ، ط1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ، 2001م ، ص3 وما بعدها . وانظر : حملة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين ، مركز بديل - المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين ، بيت لحم ، أيار 2001 ، ص5 وما بعدها .

³ - محمد سعادة عودة ، " تيسير خالد " ، الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ، الأبعاد الاقتصادية ، الاجتماعية ، ط1 ، دار ابن خلدون ، بيروت ، 1989م ، ص 176 - 177 .

التوجه إلى أماكن عملهم داخل الخط الأخضر، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد أدى هذا إلى ارتفاع نسبة البطالة ..(١) .

3- **البدو** : وتتركز هذه الطبقة في منطقة النقب ، في الجزء الجنوبي من فلسطين (٢) ، ويعتمد البدو في حياتهم على تربية المواشي ، وعلى العمل داخل المناطق المحتلة ، وكثيراً ما تعرض البدو للإجراءات القمعية التي نفذها الصهاينة في النقب في خلال انتفاضة 1987م وانتفاضة الأقصى ، سواء الترحيل من قراهم ، أو هدم بيوتهم ، أو الحيلولة بينهم وبين مراعي مواشيتهم ، وتغيير ملامح مجتمعهم ..

4- **الطبقة المتوسطة (البرجوازية الصغيرة)** : وهي تعيش على الوظائف الحكومية والتجارة، والأعمال المتوسطة والصغيرة ، وتضم تحت لوائها القسم الأكبر من المتعلمين ، وخصوصاً بعد انتشار التعليم في أوائل الثلاثينات ، وتنتمي نسبة كبيرة من اللاجئين في الضفة والقطاع إلى هذه ، وهم الأكثر ثورية ، بسبب افتقارهم إلى ما يفقدونه بعد احتلال مدنهم وقراهم عام ١٩٤٨م وطردهم منها ، مما جعل "إسحق رابين" رئيس وزراء الكيان الصهيوني سابقاً يصف اللاجئين بأنهم "قنبلة زمنية" .

5- **الطبقة العليا (البرجوازية الكبيرة)** : وتضم الإقطاعيين وكبار التجار ، والملاكين ، ورجال الأعمال .. ، وكان همها الوحيد هو الدفاع عن مصالحها وزعاماتها حتى لو كان ذلك على حساب البلاد والشعب ، ولكن مع استمرار الممارسات الإجرامية من قبل الاحتلال الصهيوني أخذت هذه الطبقة تعرف طريقها في الدفاع عن أرض فلسطين(٣) .

2- **العادات والتقاليد** : لكل مجتمع وشعب عاداته وتقاليده التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات ، ومن عادات وتقاليد المجتمع الفلسطيني حُسن معاملة الجار ، عملاً بقول الله سبحانه وتعالى : "وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

¹ - داس أبو كشك ، النهوض الوطني للحركة النقابية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، ط 1 ، إصدارات منشورات الوحدة ، 1986م ، ص 44 . وانظر : مركز الميزان لحقوق الإنسان ، المعاناة المستمرة للعمال في ظل الحصار ، سلسلة واجه الجمهور (1) ، الأحد 17 كانون أول ديسمبر 2000م ، ص 8 وما بعدها .

² - مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج 1 ، القسم الأول ، ص 122 - 128 . وانظر : أيوب بدران ، التعليم والتحديث في المجتمع الفلسطيني ، ج 1 ، ص 258 . وانظر : درعان برجس الوحيدي ، التراث البدوي أصالة وتاريخ ، ط ١ ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ٢٠٠٥م .

³ - عبد القادر ياسين ، مجتمع الانتفاضة ، كتاب الأهالي رقم 41 / مايو 1992م ، ص 41 - 45 . وانظر عن الطبقات الاجتماعية : المجتمع الفلسطيني ، خلاصة دراسة الظروف المعيشية في قطاع غزة ، الضفة الغربية والقدس العربية ، (فافو) معهد العلوم الاجتماعية التطبيقية ، النرويج ، ص 19 - 25 .

وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" (١) ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم موصياً بالجار : "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" (٢). وفي ظل الانتفاضة ازداد ترابط أبناء المجتمع ، وسارع الفلسطينيون لنصرة جاره ومساندته كلما طالته يد القهر الصهيونية ، ويواسيه في أفراحه وأتراحه ، وازداد التكافل الاجتماعي فيما بين الجيران ، وازدادت اللحمة ، وأصبحوا يداً واحدة في مواجهة الكيان الصهيوني ، وأضحى التدين والسلوكيات النابعة من روح الدين أكثر وضوحاً .

الزواج : تغيرت النظرة إلى الزواج ، أصبحت شريحة عريضة من الشباب تميل إلى الارتباط بالفتيات المتدينيات عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تتكح المرأة لأربع : لجمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاطفر بذات الدين تربت يداك" (٣) ، وقد انعكس ذلك على الجيل الجديد ، الذي حاز تربية إسلامية سليمة ، وأقبل على مجادلة المحتل بعزيمة قوية وإيمان صادق (٤) .

شهر رمضان : تجلت في شهر رمضان العديد من العادات والتقاليد المستمدة من روح الإسلام وسيرة السلف الصالح ، حيث شاعت روح التكافل والمودة ، فكانت البلمس الذي يداوي المصائب التي حلت بالكثير من الأسر الفلسطينية جراء الممارسات الصهيونية ، وتغلب الناس على العوز والحاجة نتيجة البطالة وتضييق المحتل الخناق عليهم بالمساعدات المالية والعينية التي كان يوزعها الميسورون من أبناء الشعب الفلسطيني ، والتي كان يرسلها العرب والمسلمون لمساندة الشعب الفلسطيني ، وأضحت زيارة أسر المعتقلين والشهداء ومساعدتهم من أبرز العادات الرمضانية ، هذا بالإضافة إلى العادات التقليدية المعروفة عند كل المسلمين في شهر رمضان .

الجنائز : منذ أن انتفض الشعب الفلسطيني في وجه المحتل ، وبدأ وجود بالنفس والنفيس ، تعارف الناس على مراسم وعادات شعبية ترافق مواكب الجنائز ، حيث يتوجه الناس إلى بيت الشهيد لمواساة أهله ، ويذهب حشد من الشباب إلى المستشفى لإحضار جثمان الشهيد

1 - سورة النساء : 36 / 4 .

2 - النووي ، الإمام ابن زكريا يحيى بن شرف النووي (631-676 هـ) : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، آفاق للطباعة والنشر ، غزة 2002 ، ص 98 .

3 - السابق . ص 133 .

4 - يسرى جوهريّة عرنبيّة ، الفنون الشعبية في فلسطين ، ط 3 ، السلطة الوطنية الفلسطينية ، وزارة الثقافة ، ص 127 وما بعدها ، وانظر : مجتمع الانتفاضة الفلسطينية ، ص 105 - 114 . وانظر : موقع مخيم نهر البارد ، العادات والتقاليد الفلسطينية ، على شبكة الإنترنت .

إلى بيته لكي يلقي أهله عليه نظرة الوداع ، وغالباً ما يخرج الجثمان من البيت على أصوات الأهازيج الدينية والزغاريد ، ثم تتطلق حشود الناس عبر الشوارع الرئيسية وهي تردد الهتافات الدينية والحماسية إلى أكبر مساجد المدينة ، لصلاة الجنازة ، ثم يحمل الجثمان ثانية على الأعناق إلى مئواه الأخير ، وبعد أن يوسد التراب يقف العديد من الخطباء واعظين ، ومحرضين على مواصلة درب الجهاد في سبيل الله ، ثم ذكر بعض مناقب الشهيد والدعاء له ، ثم يعود موكب الجماهير إلى بيت الشهيد ، حيث تقام الخيام الكبيرة في الساحات والشوارع الواسعة وتلقى خطب الوعظ والمواساة ، والخطب الوطنية الحماسية التي تحض على الجهاد والتصدي للمحتل ، ويؤم الناس من كل حدبٍ وصوبٍ بيت العزاء للتهنئة بالشهادة ، والوقوف إلى جانب أسرة الشهيد ..

3- الأعياد والمناسبات : اختلفت طقوس احتفال الفلسطينيين بالأعياد والمناسبات الدينية عما كانت عليه قبل الانتفاضة ، وعمّا هي عليه في العديد من البلدان الإسلامية ، حيث يتوجه الناس بعد صلاة العيد إلى بيوت الأسرى والشهداء لمواساتهم وإدخال البهجة إلى قلوب أطفالهم ، كما تقوم بعض التنظيمات بتوزيع الحلوى والهدايا على أبنائهم ، ثم ينطلق الناس بعد ذلك لزيارة أرحامهم ، ولأن المصاب جلل ، وأن يد الخراب والدمار والقتل قد أصابت معظم المناطق والحارات منذ بدء الانتفاضة حتى اليوم ، اقتصرت مراسم الاحتفال بالعيدين على زيارات المواساة وصلة الأرحام ، واختلفت معظم مظاهر البهجة التي كانت سائدة في المدن والقرى والمخيمات قبل الانتفاضة والهجمة الصهيونية على الشعب الفلسطيني ومقدراته .

ومن المناسبات التي احتفل بها الفلسطينيون ذكرى المعارك والانتصارات الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا ..
وقد أضحت المناسبات الوطنية والسياسية موضع اهتمام من معظم فئات الشعب وتنظيماته ، حيث تعقد الندوات ، وتقام المهرجانات الشعبية لتخليد الذكرى ، واستخلاص الدروس والعبر ، ومن هذه المناسبات المتعلقة بالقضية الفلسطينية نذكر : ذكرى وعد "بلفور" المشئوم التي تصادف اليوم الثاني من نوفمبر من كل عام^(١) ، و ذكرى صدور قرار تقسيم فلسطين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تأتي في اليوم التاسع والعشرين من نوفمبر من كل عام^(٢) ، والذي يتوافق وتاريخ يوم الأمم المتحدة لمناصرة الشعب الفلسطيني - 1977/11/29 - ، و ذكرى يوم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، التي يحييها

¹ - صدر وعد بلفور في عام 1917م .

² - القرار رقم 181 بتاريخ 1947/11/29 .

الفلسطينيون ليوجهوا عناية دول العالم لجرائم المحتل ، وتأتي في اليوم العاشر من شهر ديسمبر من كل عام^(١) ، ويتصل بها مناسبة صدور قرار حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة لديارهم واستعادة ممتلكاتهم وذلك في اليوم التالي مباشرة^(٢) ، ومن المناسبات والذكريات الأليمة التي يستذكرها الشعب الفلسطيني ذكريات المجازر التي ارتكبتها المجرمون الصهاينة كمذبحة دير ياسين يوم 9-4-1948م ، وقبية يوم 14-10-1953م ، وكفر قاسم يوم 29-10-1956م ، ومذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا يوم 17-4-1982م ، ومذبحة المسجد الأقصى يوم 8-10-1990م ، والحرم الإبراهيمي في الخليل يوم 25-2-1994م.. حتى مجزرة أيام الغضب يوم 29-9-2004م^(٣) ، وما زال الدم ينزف... وكذلك مناسبات استشهاد القادة السياسيين والمجاهدين مثل ذكرى استشهاد الشيخ عز الدين القسام يوم 19-11-1935م ، واستشهاد الإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الذي أرسل كتائب الجهاد إلى فلسطين يوم 12-2-1948م ، واستشهاد الدكتور عبد الله عزام يوم 24-11-1989م ، والشيخ أحمد ياسين يوم 22-3-2004م ، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي يوم 17-4-2004م ..

وفي المناسبات عموماً تكثر كتابة الشعارات المستوحاة من المناسبة على الجدران ، وبالذات شعارات تمجيد الشهداء والجرحى والمعتقلين ، والشعارات التي تدعو إلى مواصلة أهاليهم ، وتجديد العهد على مواصلة النضال ، والدعوة إلى التراحم والتلاحم^(٤) .

- 1 - صدر الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان في عام 1948 .
- 2 - وكذلك مناسبة إنشاء لجنة التوفيق الدولية حول فلسطين بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 بتاريخ 1948/12/11 . للاستزادة راجع : تقرير صحفي صادر عن بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين الصادر في : 2-11-2004 .
- 3 - جواد الحمد ، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية ، ط 1 ، دراسات الشرق الأوسط، عمان ، إبريل 1995م ، ص 11- 79 . وانظر : نشرة خاصة عن أيام الغضب ، المكتب الإعلامي لكتائب القسام .
- 4 - ومن هذه الشعارات نذكر بعض التي تتردد في المناسبات الوطنية : في يوم الأرض نحافظ على الأرض ونموت عليها ، يوم الأرض يعني عدم التخلي عن أي جزء من الأرض ، في يوم الأرض نتمسك بكل شبر أرض - انطلقت الاحتفالات بيوم الأرض في عام 1976م ، وفي ذكرى التقسيم نداء إلى المتهاككين: التاريخ لا يرحم ، وعد بلفور يؤكد أن ملة الكفر واحدة ، وعد بلفور هو الوعد المشئوم والخنجر المسموم الذي طعن المسلمين من الخلف ، وذكرى اغتصاب فلسطين وصمة عار على جبين الرجعيين ، فلنصعد الانتفاضة في ذكرى الكرامة ، كرامة الفلسطيني التي عادت وتعززت في الانتفاضة، بسواعد أطفال الانتفاضة المباركة نمحو عار هزيمة الأنظمة العربية في حزيران ، يوم الأرض يوم غضب شعبي .

إن الأعياد والمناسبات ليست فقط فرصة للخطب والإكثار من الشعارات ، وإنما تشمل على العديد من الفعاليات ، والمواجهات العنيفة مع الاحتلال ، ولذلك فكثيراً ما قامت السلطات باعتقالات احترازية عشية قدوم إحدى المناسبات .

وقد كان للاحتفالات في شتى المناسبات الإسلامية والوطنية منذ 1987م - 2005م ، أثر بالغ في المجتمع الفلسطيني ، حيث وُلدَ في نفوس أفراد المجتمع القناعة بأن لا بديل عن الإسلام في حل المشكلة الفلسطينية ، وطرد الاحتلال⁽¹⁾ .

¹ - صفوت العالم ، الشعارات والرموز الانتخابية ، ط1 ، القاهرة 1989م ، ص 146 وما بعدها . وانظر: إياد البرغوثي ، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، ط1 مركز الزهراء بالقدس 1990م ، ص96 وما بعدها . وانظر: نعيم أبو الحمص ، الفلسطينيون جيل الانتفاضة ، ص42 - 43 .

الفصل الثاني

ملامح الشخصية الإسلامية وأثارها في فنون الشعر:

أولاً: الشعر السياسي .

ثانياً: شعر الرقاء .

ثالثاً: شعر الوصف .

رابعاً: شعر المدح .

خامساً: شعر الغزل .

تعددت أغراضُ الشعرِ الفلسطيني في عرض ملامح الشخصية الإسلامية في المجتمع الفلسطيني ، ومن خلال تصفحنا للشعر الفلسطيني ، وجدنا أن أبرز الأغراض التي تتناول ملامح الشخصية الإسلامية منذ عام ١٩٨٧م حتى ٢٠٠٥م في مجتمعنا الفلسطيني هي : الشعر السياسي ، شعر الرثاء ، شعر الوصف ، شعر المديح ، شعر الغزل .

أولاً: الشعرُ السياسيُّ:

الشعر السياسي كان له نفوذ وما زال في عرض القضايا المختلفة ، سواء الداخلية أم الخارجية ، وقد اتصل الشعر العربي بالسياسة منذ العصر الجاهلي ، أو منذ وجود القبيلة العربية التي تعد الصورة المصغرة للدولة. فقد كانت القبيلة قبل الإسلام ، هي الوحدة السياسية، وشيخ القبيلة هو الذي يدير شؤونها بموجب تقاليد وأعراف غير مكتوبة . وكانت القبائل متناحرة متفرقة يغزو بعضها بعضاً. وجاء الإسلام فوحد الشمل ، ولم الشعث وجمع القبائل كلها في وحدة واحدة ، وأقام للعرب دولةً إسلاميةً قويةً منيعةً ترعى مصالحهم ، على رأسها الخليفة ودستورها القرآن الكريم . وجهت العرب نحو هدف واحد هو نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله في الأرض. وسرعان ما استطاعت هذه الدولة أن تسقط أعظم دولتين في ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم. وتمكنت في فترة زمنية قياسية ، بهرت المؤرخين ، ولا تتجاوز ستين عاماً أن تصل حدود الصين شرقاً وفرنسا غرباً ، حتى القسطنطينية شمالاً. وإذا أردنا تعريفاً لمصطلح الشعر السياسي: "هو ذلك الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدولة الداخلي ، أو بنفوذها الخارجي، ومكانتها بين الدول"^(١) .

وقد قام الشعر السياسي في فلسطين بتسجيل الأحداث السياسية الهامة في فترة 1987م حتى 2005م ، والتي كان لها أكبر الأثر في تكوين الشخصية الإسلامية ، في المجتمع الفلسطيني ، ومن المواضيع التي ركز عليها الشعر السياسي : أحداث الانتفاضة الشعبية الأولى ، الممارسات الإجرامية للاحتلال ، الاتفاقيات والمعاهدات السياسية وخاصة اتفاقية أوسلو وقيام السلطة الفلسطينية ، انتفاضة الأقصى ، اغتيال الزعامات السياسية من جميع الأطر الفلسطينية ، الاعتقالات ، العودة لأرض الوطن ..

وأول ملامح الشخصية الإسلامية لمجتمعنا في الشعر الفلسطيني منذ 1987م وحتى 2005م ، الصحوَّةُ الإسلاميةُ وانتفاضة الشعب الفلسطيني ، فقد ظل شعبنا رافضاً الظلم الصهيوني الذي استشرى قبيل الانتفاضة ، حتى بلغ حد الانفجار ، فانقض منطلقاً من كتاب الله عز وجل ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، عاملاً بقول الله تعالى :

¹ - أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، ط5 ، دار القلم ، بيروت 1976م

"قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (١) ، وقوله تعالى أيضاً : "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَنْبِشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (٢) ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَلِمُهُ يُدْمَى : اللُّونُ لَوْنُ دَمٍ وَالرِّيحُ رِيحٌ مِسْكِ" (٣) ، فَهَبَّ الشَّعْبُ بِجَمِيعِ فَنَاتِهِ ، أَطْفَالًا ، وَشَبَابًا ، وَرِجَالًا ، وَشَبَابًا ، وَنِسَاءً ، وَانْتَفَضَ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ .. فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ رَايَةِ الْجِهَادِ ، وَالتَّحَرُّرِ مِنْ بَرَاثِنِ الْإِحْتِلَالِ ، وَقَدْ صَوَّرَ الشَّاعِرُ عَبْدِ النَّاصِرِ صَالِحٌ (٤) تَلَاْحَمَ مَفْرَدَاتِ الْوَأَقَعِ الْفَلَسْطِينِيِّ مَعَ الْمُنْتَفِضِينَ فِي إِحْدَى قِصَائِدِهِ (٥) :

وَتَكَبَّرُ أُغْنِيَّتِي
تَكَبَّرُ، تَكَبَّرُ
وَتُفَجِّرُ أَغْلَالَ الْعُمْرِ الْجَائِمِ
تُشْعَلُ قِنْدِيلَ الصَّحْوَةِ
وَيَصِيرُ اللَّحْنُ سَنَابِلُ
وَالصَّوْتُ مَقَاصِلُ
وَالْحَجَرُ بِأَيْدِي الْأَطْفَالِ قَنَابِلُ
الشَّجَرُ يُقَاتِلُ
وَالْحَجَرُ يُقَاتِلُ
وَمَتَارِيْسُ الصَّخْرِ تُقَاتِلُ

1 - سورة التوبة : 9 / 14 .

2 - سورة التوبة : 9 / 111 .

3 - متفق عليه ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، آفاق للطباعة والنشر، غزة 2002م، ص317 .

4 - هو عبد الناصر محمد علي الصالح ، ولد في مدينة طولكرم عام 1957م ، شاعر ، صدر له عدة دواوين ، وهي : الفارس الذي قتل قبل المباراة في عكا 1980م ، داخل اللحظة الحاسمة في الناصرة 1981م ، خارطة للفرح في القدس 1986م ، المجد ينحني أمامكم في القدس 1989م ، نشيد البحر في القدس 1991م ، فاكهة الندم بيت الشعر 1999م .. انظر ترجمته في : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، كمال قاسم فرهود 6 / 511 . موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين، 2 / 479-480 ، البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبد الناصر صالح ، إبراهيم مصطفى رجب ص71-76 .

5 - عبد الناصر صالح ، ديوان : "المجد ينحني أمامكم" ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، 1989م ، ص 162 - 176 .

وَإِطَارَاتُ السِّيَّارَاتِ
 تُقَاتِلُ
 يَتَفَجَّرُ نَهْرُ الثَّوْرَةِ فِي عَمَقِ
 الْأَرْضِ جَدَاوِلُ
 أُغْنِيْتِي تَكْبِيرُ ، وَتُرْعَرِدُ سَيِّدَةُ الْمِيْنَاءِ
 تَرْكُضُ كَالسَّيْلِ وَتَحْضُنُ أَجْنِحَةَ الْبَرْقِ الصَّارِخِ
 تَرْفَعُ شَارَاتِ النَّصْرِ بِوَجْهِ الْأَعْدَاءِ
 يَا سَيِّدَةَ الْمِيْنَاءِ
 أُغْنِي لِلْفَجْرِ الْأَخْضَرِ
 وَالسَّهْلِ الْأَخْضَرِ
 وَالْقَمَمِ الْخَضِرَاءِ
 وَأُغْنِي لِلْفَجْرِ الْقَادِمِ مِنْ تِلْكَ الْأَرْجَاءِ
 وَأُغْنِي لِلْسِّجْنِ ، وَلِلْقُضْبَانِ
 أُغْنِي لْجُمُوعِ السُّجَنَاءِ
 تَكْبِيرُ أُغْنِيْتِي
 وَالْخُطُوَّةُ تَتْلُوهَا الْخُطُوَّةُ
 وَالْأَرْضُ تَمِيدُ
 تَمِيدُ
 تَمِيدُ
 وَتَتَغَلَّقُ الْهُوَّةُ

وفي ظل هذه الصحوه ، شب جيل الانتفاضة ، هذا الجيل الذي صنع ملحمة الانتفاضة ،
 والذي توحد في خندق الجهاد لصد العدوان والهجمة الصهيونية الشرسة على أبناء الشعب
 الفلسطيني ، يقول عبد الناصر صالح(1) :

أَعْلَنَ الْفَجْرُ مَخَاضَهُ
 خَرَجَ الْمَوْلُودُ : شَعْبُ الْإِنْتِفَاضَةِ .
 خَرَجَ الْمَارِدُ مِنْ قُمْقُمِهِ
 صَارِخًا مِلْءَ الْوُجُودِ
 أَزْفَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ .

1 - عبد الناصر صالح ، ديوان : " المجد ينحني أمامكم " ، ص 104 - 112 .

يا عُدُوَّ الشَّمْسِ وَالْإِنْسَانِ
عُدْنَا مِنْ جَدِيدٍ .
ورفعنا في جحيم الموتِ صرْحاً للصُّمُودِ .
وَعَشِقْنَا الْأَرْضَ مِلءَ الْقَلْبِ ،
ملءَ الرُّوحِ
أشهرنا على البَاغِي السَّلَاحِ
... أَيُّهَا الْأَبْطَالُ ، يا عنواننا الغالي
استمروا
لكم المجدُ وطَوْقُ الْيَاسَمِينِ
لكمُ الرِّايَاتُ ، رَغَمَ السُّحْبِ السَّوْدَاءِ
والليلِ اللَّعِينِ .
لكمُ الحَرِيَّةُ الحَمْرَاءُ
والنَّصْرُ المَبِينُ .
أَعْلَنَ الفَجْرُ مَخَاضَهُ
خرج المولودُ : شَعْبُ الْإِنْتِفَاضَةِ .
نَهَضَ المَارِدُ : شَعْبُ الْإِنْتِفَاضَةِ

لقد اغتتم الشعراء هذه الصحوة الإسلامية التي سرت في المجتمع الفلسطيني ، وطفقوا يُحرِّضون على مقاومة المحتل ، ودك عرش الظلم والقهر ، فسلح الإيمان والاعتماد على الله هو السلاح الفعال ، من ذلك قول الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي^(١):

يا شعبي المغوارِ دَعِ عَنْكَ الكَرَى
إِنَّ الشَّعُوبَ إِذَا تَرَاهَا اسْتَيْقَظَتْ
فالشَّعْبُ طُوفَانٌ يَدُكُ عُرُوشَهُمْ
بَزَعِ النَّهَّارُ فَهَلْ تَعُودُ القَهْقَرَى
رَغَمَتْ أُنُوفُ الظَّالِمِينَ إِلَى النَّرَى
والشَّعْبُ زَلْزَالٌ إِذَا يَوْمًا حَرَى (٢)

والشَّعْبُ بِالْإِيمَانِ طَوْدٌ شَامِخٌ
نَمْ وَاكْسِرِ الْأَغْلَالَ يَا ابْنَ عَقِيدَتِي
وَاسْتَقْرِي التَّارِيخَ وَاسْبِرْ غُورَهُ
عِنْدَ الصَّبَاحِ سِيحَمَدُ القَوْمِ السَّرَى
مَا عَزَّ بَيْنَ النَّاسِ خَوَّارٌ تَرَى

¹ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : " حديث النفس " ، قصيدة : " شعبي المغوار " ، ص 15 .

² - حري : غضب . انظر الديوان : " حديث النفس " لعبد العزيز الرنتيسي ، ص 15 .

وأضحى الحجر سلاحاً فتاكاً في أيدي المؤمنين المجاهدين ، كيف لا وقد قهرت في البداية الحجارة من سجل أبرهة الحبشي وجيشه الجبار بحول الله وقوته ، يقول عبد الناصر صالح (١):

فِي الْبَدءِ قَدْ كَانَ الْحَجَرُ
بَيْنًا ، إِلَهَا لِلْعِبَادَةِ .
وَالْيَوْمُ قَدْ صَارَ الْحَجَرُ
رَمَزًا لِتَحْقِيقِ السِّيَادَةِ .
طَيْرٌ أَبَابِيلٌ يَطِيرُ كَمَا الْحَمَامُ
وَحَجَارَةٌ السَّجِيلُ تَسْقُطُ كَالسَّهَامِ
حَجَرٌ سَيَّبَنِي دَوْلَةً
وَيَزِيلُ أَنْقَاضَ الْخِيَامِ
حَجَرٌ سَيَنْقُلُ أُمَّةً
لِلنُّورِ
بَعْدَ وُلُوجِهَا عَصَرَ الظَّلَامِ

ويقول أيضاً (٢) :

حَجَرٌ
وَتَمِيدُ تَحْتَ الْغَاصِبِينَ الْأَرْضُ
تَنْتَفِضُ الْمَدَائِنُ وَالْقُرَى
وَاللُّوزُ وَالزَّيْتُونُ
وَالنَّخْلُ الْمُعْبَأُ بِالنَّمْرِ

.....

فِي الْبَدءِ قَدْ كَانَ الْحَجَرُ

وقد أكد على هذا المعنى عبد الكريم السبعاولي (٣) عندما تحدث عن صحوة الأبطال من

1 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86- 87 .

2 - عبد الناصر صالح ، المجد ينحني أمامكم ، ص ٨٩ .

3 - ولد في غزة 1942م ، شاعر وروائي معروف. نشر العديد من أعماله في الصحف والمجلات العربية. عاد إلى غزة سنة 1994م ، ومن أعماله : ديوان شعر "توديت باسمي" ، وديوان "متى ترك القطا" ، و"ديرة عشق" ، "زهرة الحبر السوداء" ، وثلاثية روائية "العنقاء والخل الوفي والغول" . انظر ترجمته في : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، كمال قاسم فرهود ٦ / 498-499 . وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين ، 2 / 455 .

أبناء الشعب الفلسطيني في قوله (١):

وَحِينَ يَجُوعُ صِغَارُكَ فِي اللَّيْلِ
تَمْتَدُّ أَيْدِيهِمُ اللَّدَنَاتُ إِلَى طَوْقِ صَدْرِكَ
أَوْ مِنْ خِلَالِ ثُقُوبِ الرَّصَاصِ
فَلَا تَسْأَلِي .. أَيُّهُمْ يَرْضَعُ الثَّدْيَ
أَوْ يَرْضَعُ الْجُرْحَ
بَلْ أَطْلَقِيهِمْ طَيُورًا أَبَابِيلُ
يَقْصِفُونَ الْعَدُوَّ الْمُدْجَجَ خَلْفَ السَّرَابِيلِ
بِالْحِجَارِ السَّجَاجِيلِ
كُلُّ سَجِيلَةٍ فِي الْمَقَاتِلِ
كُلُّ سَجِيلَةٍ مِنْ ذِرَاعِ صَبِيٍّ مُقَاتِلِ

إنه يصور بطولة أطفال الحجارة الذين يستعصون على الموت ، إنهم طيورُ الأبايل الذين يقصفون العدو بحجارة من سجيل ، فبلغ ذلك حد القداسة ، كأنهم طيور الأبايل التي قصفت قبيلة أبرهة الحبشي وجنوده بحجارة من سجيل (٢) حيث استعان بقوله تعالى : "وَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ . فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ" (٣) . وقد لاحظنا أن العديد من الشعراء قد استلهم هذه الآية الكريمة ، وسعى إلى استثمار دلالتها في تحفيز المنتفضين وتبشيرهم بالنصر .

وقد افتخر الشاعر الدكتور محمد صيام(٤) بملحمة الانتفاضة ، معولاً على قوة الإيمان التي يتمتع بها المنتفضون ، أخذاً على العرب عنجهيتهم التي لم تجلب إلا الهزيمة التفهقر ، فقال (٥) :

- ١ - عبد الكريم السبعوي ، ديوان : متى ترك القطا ، ط1 ، دار النورس ، غزة 1996م ، ص93 .
- ٢ - د. نبيل خالد أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ط1 ، دار المقداد للطباعة ، غزة 2001م ، ص122 .
- ٣ - سورة الفيل : ١٠٥ / ٤ ، وسورة هود : 82 / 11 ، وسورة الحجر : 74 / 15 .
- ٤ - هو محمد الشيخ محمود صيام ، من مواليد قرية الجورة جنوب فلسطين قضاء "عسقلان" سنة 1937م . قام بأعمال رئيس الجامعة الإسلامية بغزة ، وكان خطيباً للمسجد الأقصى . يقيم الآن في الكويت ، شاعر معروف . له دواوين شعرية مثل : دعائم الحق ، وقصائد متناثرة غير مجموعة . انظر : ترجمته في صوت الجامعة ، نشرة غير دورية تصدر عن دائرة العلاقات العامة بالجامعة الإسلامية في غزة ، العدد 19 / فبراير ومارس 1987م ، ص38-40 .
- ٥ - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، دار الاعتصام 1989م ، ص301-302 .

نفسى فدى الجيل الذي رَسَمَتْ حِجَارَتُهُ الْمَسَارَ
وعلى جبينِ العُرُوبَةِ أَنْبَتَتْ إِكْلِيلَ غَارِ
بالدِّينِ بالإِسْلَامِ لا بالعنجهيةِ وهي عَارٌ
جَرَّتْ عَلَى الْعَرَبِ التَّرْدِيَّ والتَقَهْرَ والدَّمَارَ

فشاعرنا أعلنها : بالإسلام لا بالعنجهية يكون النصر ، فمجتمعنا الإسلامي في فلسطين عندما اتجهت ملامح شخصيته للإسلام كان له الكيان والوجود ، والعز والفَخَار ، وبدون الإسلام كان العار والتقهقر والدمار على جبين الأمة العربية والإسلامية .

وعن الانتفاضة الشعبية في سنة 1987م يقول محمود مفلح(١) أحد الشعراء الإسلاميين(٢) :

شعْبٌ يَفْجُرُ تَارِيحًا وَأُوسَمَةٌ وَمِنْ خِيَامِ الْمَاسِي تَطْلُعُ الشَّهْبُ
مِنَ الْمَسَاجِدِ صَاغَ الصَّيْدُ لِحَنَهُمْ وَمِنْ مَنَابِرِهَا الشَّمَاءُ قَدْ وَثَبُوا
طُفْلُ الْحِجَارَةِ بَلْ طُفْلُ الْعَقِيدَةِ فِي مَسَاقِطِ النَّارِ لَا خَوْفٌ وَلَا رَهَبِ
مُشْرِعُ الصَّدْرِ وَالْإِجْرَامِ مُنْطَلِقٌ رِصَاصُهُ وَدَمُ الْإِجْرَامِ مَنْسُكِبِ
هَذَا هُوَ الرَّدُّ لَا . لَاءٌ وَلَا نَعَمٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا لَوْمٌ وَلَا عَتَبِ

يرى محمود مفلح أن انتفاضة الشعب انطلقت من المساجد وتفجرت من خيام المآسي ، وأن أطفال الحجارة هم أطفال العقيدة الذين لا يهابون رصاص اليهود المجرمين .

ومن شعراء الانتفاضة هارون هاشم رشيد(٣) ، الذي أبدع ديواناً أسماه "ثورة الحجارة"، وتكلم فيه عن انطلاق الانتفاضة الأولى من مخيم جبالياً أحد مخيمات قطاع غزة المحتل ، الذي عانى طويلاً من الاحتلال ، فيقول في قصيدة بعنوان "معسكر جبالياً معسكر الثورة"(٤) :

¹ - ولد في قرية سمخ على شاطئ بحيرة طبريا 1943م ، هاجر عام 1948م مع أهله إلى سوريا ، تعلم في مدارسها ، يعمل في السعودية ، يكتب الشعر . من أعماله الشعرية : الراية ، حكاية الشال الفلسطيني ، شموخا أيتها المآذن ، مذكرات شهيد فلسطين . انظر ترجمته في : موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين . أحمد عمر شاهين ، 2 / 696-697 .

² - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، دار الاعتصام 1989م ، ص 197 .

³ - ولد في غزة 1927 ، وأنهى فيها تعليمه الابتدائي والثانوي سنة 1947 . شاعر وكاتب مسرحي . من مؤلفاته : مع الغرباء ، عودة الغرباء ، غزة في خط النار ، أرض الثورات ، حتى يعود شعبنا ، رحلة العاصفة ، ثورة الحجارة . انظر ترجمته في : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، كمال فرهود ، 10 / 878 ، وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين 2 / 826-827 .

⁴ - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، قصيدة : معسكر جبالياً .. معسكر الثورة ، قيلت في مارس 1988م ، ط1 ، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع ، تونس 1988م ، ص 12-13 .

أواة .. يا جباليا
تفجرت ، من نسغها
فأذهلت عالمنا ،
وأيقظت أيامنا
جباليا .. جباليا ،
فكل بيت جمره
وكل طفل ثورة
تقول ، يا أعدائنا
ياساحة للغضب
بالعارض المتهب
بطفلها ، المنتصب
على الصدى المصطب
وينهض ، المعسكر
وكل ، شير حجر
مشبوبة ، تنفجر
جنائكمو ، فانتظروا

يقرر الشاعر أن صورة مخيمات الوطن في ظل الانتفاضة تغيرت ، فلم تعد مأوى الضعفاء المشردين المُخَنِّين بالجراح . لقد وهدت الانتفاضة صفوف الشعب ، وخاصة المخيمات . فمن ملامح الشخصية الإسلامية التوحد الذي أظهرته مخيمات الوطن وتلاحم أهل مخيم جباليا ، وما كادت الانتفاضة تنفجر في مخيم جباليا حتى انتقلت إلى جميع المخيمات الفلسطينية داخل وطننا المحتل ، وتحولت إلى ساحة لمواجهة العدو ومقاومته^(١):

لما ضاقت المخيمات بالصرخات

والنسل المقاوم

أبدلوا الخيمة بالسجن

وبطاقات الإغاثة بالقبور

وأصبح الشعب وحدة واحدة - اللاجئين وغير اللاجئين - يعملون بقول الله تعالى :
"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون"^(٢) ، وبدوا كالجسد الواحد . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^(٣) .

وقد أظهر بعض الشعراء حرصهم على استمرار هذه الوحدة إيماناً منهم بأن توحد

¹ - محمود الغرباوي ، الفجر والقضبان ، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، (د.ت) ، ص25 - 26 .

² - سورة آل عمران : 3 / 103 .

³ - متفق عليه ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ص 79 .

الشعب الفلسطيني كفيل باستمرار الانتفاضة^(١) من ذلك^(٢) :

الوحدَةُ نحنُ صنعناها
بالألمِ والأملِ المفعمُ
والوحدَةُ درسٌ نَشْرَحُهُ
للطفلِ الآتي كي يفهمُ
أن التحريرَ دولتنا
قدرٌ ، والباطلُ أن يهزمُ
الوحدَةُ للأقصى حصنُ
والمهدُ وعيسى يتألمُ
ناقوساً جانبُ منذنه

وقد أشار الشاعر إلى أهمية التوحد بين الإسلام والمسيحية في مقاومة الاحتلال الصهيوني .
ومن ملامح الشخصية الإسلامية أيضاً روح التضحية الموجودة لدى أبطال الحجارة ،
وإصرارهم على المقاومة ، وعدم الاستسلام والخنوع ، فإما الشهادة وإما النصر ، وقد جسدت
قصيدة الانتفاضة [رسالة إلى غزة لا يقرأون !!] للشاعر سميح القاسم^(٣) هذا الملمح^(٤):

تقدّموا تقدّموا !
كلُّ سماءٍ فوقكم جهنمُ
وكلُّ أرضٍ تحتكم جهنمُ
تقدّموا
يموتُ منا الطفلُ والشيخُ
ولا يستسلمُ
وتسقطُ الأمُّ على أبنائها القتلى

¹ - حسام جلال التميمي ، صورة اللاجئ الفلسطيني في الشعر الفلسطيني الحديث ، 1967م - 1990م ، ط1 ،
جمعية العنقاء الثقافية - الخليل ، 2001م ، ص 242 .

² - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، (د.ت) ، ص 86-87 .

³ - ولد لعائلة درزية فلسطينية في مدينة الزرقاء الأردنية عام 1929 ، كتب سميح القاسم الرواية ، ومن
أعماله الشعرية : ديوان الحماسة ، وسبحة للسجلات . وله أعمال مسرحية ونثرية . انظر ترجمته في :
أعلام الأدب العربي في العصر الحديث 4 / 374 - 376 ، وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين
1 / ص 360-362 .

⁴ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، المجلد الثالث ط1 ، دار الهدى - شعفاط ، القدس
1991م ، ص 405-411 .

ولا تستسلم
تقدموا
بناقلات جنديكم
وراجمات حقدكم
وهددوا
وشرّدوا
ويتمّوا
وهدموا
لن تكسروا أعماقنا
لن تهزموا أشواقنا
نحن قضاء مبرم
...تقدموا
يصيح كل حجر مُغتصب
تصرخ كل ساحة من غضب
يضج كل عصب :
الموت .. لا الركوع
موت .. ولا ركوع !!

في الأبيات السابقة نجد أن كل فئات الشعب في خندق المقاومة . وقد استثمر الشاعر معني قول الله تعالى : "قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ" (١) ليبوح برأيه في بطولة الشعب الفلسطيني المنتفض . وفي هذا السياق نجد أن مشاركة المرأة الفلسطينية في مقاومة الاحتلال من ملامح الشخصية الإسلامية ، إذ كان لها دور هام في الانتفاضة الأولى ثم انتفاضة الأقصى ، فلم تعد رهينة المنزل ، بل خرجت وساندت أبناءها في انتفاضتهم ، يقول محمد مناصرة في وصفه لمشاركة المرأة في أحداث مخيم جباليا في أول أيام عيد الفطر 1990م : "ولا توجد لغة قادرة على تسجيل الدور الذي قامت به الأمهات والصبايا في مخيم جباليا" (٢).

¹ - سورة التوبة : 52 / 9 .

² - المشاركة الجماهيرية في الانتفاضة أم استراتيجية قمعها ؟ ، مجلة صوت الوطن ، عدد 10 سنة

1990م، ص9 .

وهي بذلك أشبه ما تكون بالنساء الماجدات^(١) اللواتي تحدث عنهن التاريخ الإسلامي ، ذلك ما يقرره الشعاع — هارون هاشم رشيد في استحضاره لأسماء بعض الماجدات^(٢):

أُسْطُورَةُ الْمَجْدِ ، مَا جَادَ الزَّمَانُ بِمَا جَادَتْ بِهِ طِفْلَةٌ فِي كَفِّهَا حَجْرُ
أُسْطُورَةُ الْمَجْدِ ، مَا الْخِنْسَاءُ صَابِرَةٌ فَعِنْدَنَا أَلْفُ خِنْسَاءٍ لَهَا أَثْرُ
فَهَلْ رَأَيْتُمْ نِسَاءً مِثْلَ نِسْوَتِنَا فِي كُلِّ مَا خَلَدَ الْكُتَابُ أَوْ ذَكَرُوا
وَعِنْدَنَا أَلْفٌ ... أَلْفٌ مِنْ شَبِيبَتِنَا تَلَفَّحُوا بِرِدَائِ الْمَوْتِ وَانْتَزَرُوا

وقد أدركت الأم أن أبناءها وقود التحرير ، فلم تجزع لاستشهادهم ، بل أخذت تحرضهم على النضال والكفاح لنيل شرف الشهادة ، وهذا أصبح ملمحا من ملامح شخصية مجتمعنا الإسلامي ، تحريض الأمهات أبناءهن على الجهاد والاستشهاد ، وهذا لم يحدث في سنوات ما قبل ١٩٨٧م ، إنه ثمرة من ثمار الصحوة الإسلامية التي أصابت المجتمع الفلسطيني ، حيث أصبحت الأم الفلسطينية خنساء هذا الزمن^(٣) :

يا وُلْدِي دَرْبُكَ ، أَعْرِفُهُ ...

يا حَبِيبَةَ قَلْبِي فَتَسَلِّمْ

فَصَلَاتِي لِلْبَارِي دَمَعٌ

وَعَيْونِي بِشَفَائِكَ تَحَلِّمْ

لَا أَجْزَعُ إِنْ صِرْتَ شَهِيداً

قَدْ سَبَقَكَ جَرِيْسٌ وَمَحْمَدُ

وهذا محمد فرحات الذي استشهد يوم 8-3-2002م ، ودَعَتْهُ أمه حائثةً إياه على اقتحام مستوطنة صهيونية وقتل العشرات من مستوطناتها ، رغم صغر سنه ، بعد أن نَمَّتَ الجُرأة في قلبه^(٤) ، يستوقف العديد من الشعراء ، فعبد الكريم العسولي^(١) مثلاً يصور أمه وهي تودعه ،

¹ - من النساء الماجدات في التاريخ الإسلامي : نسيبة المازنية ، أم عمارة "نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية الأنصارية من بني النجار" ، صحابية ، اشتهرت بالشجاعة ، قاتلت في يوم أحد ، وحضرت حرب اليمامة سنة 13هـ ، فقاتلت قتال الأبطال ، انظر الأعلام : الزركلي ج 8 ص 9 . ومن الماجدات : خولة بنت الأزور ، شاعرة كانت من أشجع النساء في عصرها ، لها أخبار في فتوح الشام ، توفيت عام 35 هـ . انظر الأعلام 2/ 325 .. ومن الماجدات : الخنساء "تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد" ، من أشهر شواعر العرب ، أسلمت ، وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يعجب بشعرها ويقول لها : "هيه يا خنساء" ! توفيت عام 24 هـ ، انظر الأعلام 2/ 86 .

² - هارون هاشم رشيد ، ديوان : ثورة الحجارة ، ص 9 .

³ - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، ص 86 .

⁴ - المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني : إسماعيل الأشقر ، مؤمن بسيسو ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، غزة 2004م ، 4/ 180- 195 .

وتوصيه بأن ينقض على الفريسة انقضاضاً^(٢):

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَبَلْتُ فَوْقَ الْجَبِينِ وَمَا بَكَتْ
مَالَتْ عَلَيْهِ وَوَدَّعَتْهُ وَعَانَقَتْ

وَأَوْصَتْهُ فِي حَزْمٍ

وَقَالَتْ فِي فَخَارِ امْضِ بَنِيَّ

كُنْ وَاثِقًا وَاهْجُمْ كَاعْصَارٍ وَنَارٍ

.. وَأَثْبَتْ هُنَاكَ وَلَا تَعُدْ إِلَّا شَهِيدًا وَأَنْتِصَارُ

وعندما سقط محمد ساجداً بدمائه الزكية شهيداً ، سَجِيَّ أَمَامَ أُمَّهِ ، فقالت الأمُ تودعه^(٣) :

مَرَحَى بَنِيَّ

بُورِكَتَ مِنْ وَلَدٍ تَقِيٍّ

يَا مُهْجَبِيَّ

يَا أَعْلَى مِنْ رُوحِي إِلَيَّ

... لَنْ أُرْتَدِي يَا مُقْلَتِي

ثَوْبَ الْحِدَادِ

... فَاهْتَأُ بِجَنَاتٍ

وَحُورٍ وَنَعَمٍ

فَلِكِ الْعُلَا

وَلَنَا الْكِرَامَةُ وَالْحُلْمُ

وكان التاريخ يعيد نفسه ، فالخنساء عندما بلغها خبر استشهاد أولادها ، لم تجزع - وقد أوصتهم بالصبر والثبات قبل المعركة - فقالت: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرٍّ رَحْمَتِهِ"^(٤) ، هكذا كانت الخنساء ، وقد أصبحت في فلسطين ألف خنساء . هذا هو الإسلام ، وهذا هو العطاء بلا حدود ، ليصبح مَلَمَحًا هامًا من ملامح الشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَجْتَمَعِنَا الْفِلَسْطِينِي مِنْذِ ١٩٨٧م وحتى يومنا . من أجل ذلك كان

¹ - شاعر ، من مواليد خانيونس 1949م ، تعلم في مدارس خانيونس ، التحق بالجامعات المصرية وتخرج فيها عام 1974م ، له ديوان "دموع وشموع" ، و"النار والحجر". انظر ترجمته في : انتفاضة ثقافية ، جمعية الثقافة والفكر الحر ، خان يونس 2002م ، ص 57 .

² - انتفاضة ثقافية ، قصيدة أم وبطولة ، ص 58 .

³ - المرجع السابق ، ص 58 .

⁴ - د. عائشة عبد الرحمن ، نوابغ الفكر العربي ، الخنساء ، ط5 ، دار المعارف 1970م ، ص 54- 56 .

توجيه الدكتور محمد صيام الأمهات المسلمات الوجهة التي يحبها الله عز وجل^(١) :

رَبِّي وَلِيدِكَ وَفِقَ الدِّينِ رَبِّيهِ فالدينُ من سَفَهِ الإلحادِ يَحْمِيهِ
يا أختُ أنتِ - رَعَاكَ اللهُ - عَدَّتْنَا لَخَلَقَ جِيلَ قَوِيٍّ غَيْرَ مَشْبُوهِ
فَلَقَّنِي طِفْلَكَ الإِسْلَامَ فَهُوَ لَهُ كَالْمَنْهَلِ العَدْبِ ما يَنْفُكُ يُرْدِيهِ
وَنَشَأِيهِ عَلَى هُدَى الكِتَابِ وَمِنْ آيَاتِهِ العُرُيا أختاهُ غَذِيهِ

يناشد الشاعر الأمهات المسلمات تربية أولادهن على الإسلام ، ليضمن جيلاً مجاهداً قادراً على مواجهة جيوش الكفر والإلحاد .

ومن ملامح الشخصية الإسلامية الفلسطينية الحرص على العودة للوطن ، أرض الرباط والجهاد ، والتحرر من قيود الغربة ، من ذلك ما يقرره الشاعر محمد عز الدين المناصرة^(٢) في قوله^(٣) :

في ليلة كالعَدْرُ

توهج كنعان بين حقول الشعير

توهج كنعان ورداً وخوفاً وخبزاً وشاياً

على تلة قرب برقوقة المنحدر .

عليك برشق المدى أنجماً من غرام

يجيئك كنعان ملتحمياً بالثلوج

يطيرُ اليمامُ على كتفيه

على فرسٍ أشهب ، ليلة الاجتياح

وسُبْحَتُهُ صَدْفٌ تَلْحَمِيٌّ ... وَجَبْتُهُ مِنْ حَرِيرِ

يجيئك كنعان

... يجيئك كنعان فابتهجي يا بلاد الندى وقلاع الغمام

عليك السلام ، عليك السلام ، عليك السلام

¹ - انظر جريدة الرسالة ، ع ، 27 مارس 1997 م ، ص 14 ، قصيدة : إلى الأمهات المسلمات .

² - ولد في بلدة بني نعيم ، الخليل سنة 1946م ، اسمه الأول محمد ، ولكنه يوقع باسم عز الدين تكريماً لذكرى أبيه ، حاصل على الدكتوراه في الأدب المقارن ، يعمل الآن في الأردن ، من أعماله الشعرية : يا عنب الخليل ، الخروج من البحر الميت ، قمر جرش كان حزينا ، لن يفهمني أحد غير الزيتون ، يتوهج كنعان ، له مؤلفات منها : الفن التشكيلي الفلسطيني ، السينما الصهيونية ، عشاق الرمال والمنتاريس . انظر : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، كمال قاسم فرهود ، 521/ 6 . وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين ، 2 / 491-493 .

³ - عز الدين المناصرة ، الأعمال الشعرية ، ديوان يتوهج كنعان ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1994م ، ص 498 .

وهذا شاعرنا محمود درويش (١) ، استطاع في ملحتمه "مأساة النرجس وملهاة الفضة" أن يترجم شعور الفلسطينيين ببداية مرحلة جديدة ، وانتهاء مرحلة الشتات والضياع ، إلى إبداع فني متميز ، يقول (٢):

عَادُوا ...

من آخر النفق الطويل إلى مرياهم . .وعادوا
حين استعادوا ملح إخوتهم ، فرَادَى أَوْ جَمَاعَاتٍ ، وعادوا
من أساطير الدفاع عن القلاع إلى البسيط من الكلام
لن يرفعوا ، من بعد ، أيديهم ولا راياتهم للمعجزات إذا أرادوا
عادوا ليحتفلوا بماء وجودهم ؛ ويرتّبوا هذا الهواء

وقد اختتم درويش قصيدته بالفعل المضارع (٣) :

يعرفُونَ ، ويحلُمُونَ ، ويرجعُونَ ، ويحلُمُونَ ، ويعرفُونَ ، ويرجعُونَ ،
ويرجعُونَ ، ويحلُمُونَ ، ويحلُمُونَ ، ويرجعُونَ

لقد استخدم الشاعر الفعل المضارع للدلالة على أن الرجوع يتلو العودة إلى الذات ، وبالتالي تحقيق المصير .

أما الشاعر عثمان أبو غربية (٤) فيقول عندما لاحت في الأفق الطريق إلى حيفا ،
وإلى ربوع فلسطين (٥) :

- ١ - شاعر فلسطيني كبير . ولد في قرية البروة 1941 ، وبدأ يكتب الشعر وهو طالب ، يقيم بين رام الله وعمان ، من دواوينه : عصفير بلا أجنحة ، أوراق الزيتون ، آخر الليل ، عاشق من فلسطين ، لماذا تركت الحصان وحيدا ، سرير الغريبة .. حصل على جوائز هامة عديدة . انظر ترجمته في: أعلام الأدب العربي ، فرهود ، 8 / 760-761 . وموسوعة كتاب فلسطين 2 / 697-699 .
- ٢ - محمود درويش ، الديوان ، المجلد الثاني ، ط1 ، دار العودة ، بيروت 1994م ، ص 419 .
- ٣ - السابق ، ص 447 .
- ٤ - ولد عثمان عبد الله عثمان أبو غربية عام 1946م في الخليل . انخرط في صفوف المقاومة بعد نكسة حزيران ، وتنقل مع رجال المقاومة بين الأردن ولبنان ثم تونس ، وعاد بعد اتفاق أوسلو 1994م إلى أرض الوطن ، وشغل منصب مساعد المفوض العام لشئون التوجيه السياسي والمعنوي ، ثم المفوض السياسي العام . له العديد من المؤلفات الأدبية والسياسية ، منها : التنظيم بين النظرية والتطبيق في تجربتنا ، وآفاق وتحديات ، والطريق إلى الجنوب . انظر ترجمته في : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، د. نبيل أبو علي ، ص 15-20 .
- ٥ - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 28 ، 29 .

وبعدَ غيابِ طويلٍ
وبعدَ عناءٍ مريرٍ
وعَصْفِ الرِّيحِ وَقَسْوَةِ مَلْحِ البِحَارِ
وقسوةِ لَفْحِ الهَجِيرِ
وبعدَ دماءٍ
وبعدَ حروبٍ
وقبلَ حروبٍ
تلوّحَ حيفا بباقاتها
لتونس حيفا تلوّح بالياسمين

يحدثنا الشاعر عن نهاية رحلة المعاناة ؛ وشوقه الجارف وحنينه لربوع وطنه ، وتصور الأبيات امتنان حيفا وحبها لتونس التي احتضنت الأبناء المشردين . ويعود الشاعر عبد الكريم السبعاعي إلى غزّة بعد ثلاثين عاماً من الغربة والمنفى ، فيراوح بين الاغتياب بمعانقة الوطن واسترجاع وجع الغربة (١):

عيونُ المَها أُرَجَعْتِكِ لَهَا
أُمُ رَمَاكِ الهَوَى مُنْذُ عُلِقْتِهَا
ثلاثونَ عاماً .. وكُلُّ الجراحِ
وكُلُّ الرماحِ النواهِلِ مِنْكِ
وما زالت تحيا على عهدِها
ثلاثونَ عاماً ..

هرمت .. انحنيت ..
فزادتُ صباً وغوى .. ودلّتُ عليكِ
كأنكِ بالأمسِ فارقتِها
...وها نحنُ عُدْنَا مَعاً
هذه غزّةُ الملتقى والعناقِ
... فغزّةُ أولِ عُمري ..
وغزّةُ آخرِ عمري ..
وغزّةُ لي .. سدرَةُ المنتهى

فالشاعر يربط بين عودته وحادثة الإسراء والمعراج ليضفي طابعاً من القدسية على عودته .

¹ - انظر : عبد الكريم السبعاعي ، ديوان : متى ترك القطا ، قصيدة : " عيون المَها " ، ص 116 - 120.

ويعود أيضاً الشاعر أحمد دحبور^(١) لأرض الوطن ، بعد رحلة من المعاناة قضاها في غاشية المنفى ، فيتحدث عن عودته قائلاً^(٢) :

دُنِّي يا ولدي

يا سيدي

يا جدُّ :

هل شاهدتني ، من قبل ، مَيِّتاً وتحريتُ القيامة ؟

أم أنا العائد من غاشية المنفى إلى برِّ السلامة ؟

إن أكنُ عدتُ ، فعَبَّيْ ذكرياتي الشاغرة

رُدِّ ، من وجهي ، إلى التربة ، غُصْنَاً وابتسامه

إنني منها -

فنسبني إليها بعلامة

والتمسك بحق العودة إلى ربوع الوطن ملمح من ملامح الشَّخْصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ أيضاً ، فالحرية والكرامة لا معنى لها دون استرداد الأرض المسلوبة ، هذا ما أكده الشعراء في حديثهم عن حق العودة ، ومن هؤلاء الشهيد إبراهيم المقادمة الذي يقول^(٣) :

عائِدٌ من ثنايا غُرْبَتِي السَّوْداءِ عائِد

عائِدٌ مثل فحجِّ النُّورِ في قلبِ المجاهد

عائِدٌ مثلما حقي لباطلهم يُطارِد

عائِدٌ رُوحِي على كَفِّي وللعلباءِ صاعد

ومن قول الشاعر المقادمة أيضاً^(٤) :

خُدُّوا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَسْرِقُوا الشَّمْسَ مِنَّا

خُدُّوا القمَحَ لكن ...

خُدُّوا النفطَ لكن ...

¹ - من مواليد حيفا سنة 1946م ، يكتب الشعر في سن مبكرة ، عاد لوطنه 1994م له أعمال شعرية وأدبية منها : الضواري وعيون الأطفال ، حكاية الولد الفلسطيني ، بغير هذا جئت ، هكذا ، كسور عشرية ، هنا هناك . انظر : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، فرهود ، ص 59 . وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين ، 1 / 53 - 54 .

² - أحمد دحبور ، ديوان : هنا هناك ، قصيدة وردة الناصرة ، ص 80 - 85 .

³ - إبراهيم المقادمة ، ديوان " لا تسرقوا الشمس " ، من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية ، محرم 1425هـ - مارس 2004م ، ص 53 .

⁴ - السابق ، ص ٢٢ .

خُدُوا الرُّوحَ لَا بَأْسَ
لَا تَسْرِقُوا الشَّمْسَ مِنَّا
نَخَافُ عَلَيْهَا ظِلَامَ المَحِيطِ وَبَرْدَ الجَلِيدِ
وَأرَوَاحِكُمْ
فَلَا تَسْرِقُوهَا
خُدُوا كُلَّ شَيْءٍ .. وَلَكِنْ دَعُوا شَمْسَنَا

تعكس الأبيات السابقة ملمحاً من ملامح شخصية هذا المجاهد ، التضحية مهما بلغ حجمها لكي تعيش الأجيال بعده حياة كريمة عفيفة ، ويلاحظ أن الشاعر يخرج من الدائرة الفلسطينية إلى الدائرة الإسلامية والعربية ، فالفلسطينيون لا يملكون النفط ولا القمح ، لذلك فهي دعوة عامة للتضحية والفداء من أجل الكرامة والأرض^(١) ، وفي السياق نفسه يقول عبد الناصر صالح^(٢):

أَقْتُلُونِي
لَسْتُ أَرْضَى عَنْ تِلَالِ اللُّوزِ
وَالزَّيْتُونَ وَالتَّيْنَ اسْتِعَاضَهُ
وَاسْلُبُوا أَرْضِي إِذَا شِئْتُمْ
فَللأَرْضِ نَسِيمُ الجَبَلِ الشَّامِخِ
مَاءُ النُّهْرِ
أَسْرَابُ العَصَافِيرِ
وَلِلنَّسْرِ إِذَا مَا أَزْفَ الصُّبْحُ انْقِضَاضُهُ
فَأَقْتُلُوا النَّسْرَ
وَعَيْثُوا فِي رَوَابِينَا فَسَاداً
لَنْ تَمْرُوا
جَسَدِي العَاشِقُ لِلثَّوْرَةِ جِسْرُ
وَأَنَا العَاصِي عَلَى القَتْلِ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني - أيضاً - الصبر على المعاناة والألم ، وتحمل أذى الأعداء ، يقول الله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا

1 - د. سليمان الغلبان ، نظرة في ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، مقاربات نقدية ، ص ٨٦ .

2 - عبد الناصر صالح ، المجد ينحني أمامكم ، ص ١٠٨-١٠٩ .

اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ" (١) ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا خَطَايَاهُ" (٢) ، وقد استلهم الشعراء هذه التوجيهات الدينية في حث الفلسطينيين على الصبر ، وبشروا بحسن عقابه ، من ذلك قول الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي (٣) :

وَاصْبِرْ إِذَا حَلَّ الدَّمَارُ وَتَفِيَّتْ مِنْ هَذِي الدِّيَارِ
وَمَضِيَّتْ تَنْشُدُ قَائِداً يَسْعَى إِلَى فَكِّ الإِسَارِ
لَا تَرْكَنْ لِمُرْجِفٍ أَعْيَاهُ طُولُ الإِنْتِظَارِ
وَاعْزِمِ عَلَى خَوْضِ الوَعَى وَارْكَبِ لَهَا مَوْجَ البَحَارِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَائِدٌ يَوْمًا إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ

فمنذ بداية الانتفاضة أخذ المحتل يعيثُ فساداً في أرض ، يقطعُ الأشجارَ ، ويقتلُ الأطفالَ والشبابَ والشيوخَ والنساءَ ، ويرتكبُ المجازرَ ضد العزل ، ويحاصرُ الناسَ ، ويغلقُ المناطقَ في جميع أنحاء فلسطين ، ويقومُ المستوطنات ، وبالرغم من ذلك فقد استحضر الفلسطينيون قول الله عزَّ وجلَّ : "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (٤) ، من ذلك ما ينطوي عليه قول الشاعر هارون هاشم رشيد (٥) :

آلاف . . آلاف . . أشجار مقطعةٍ هنا . . هناك رماها حاقداً قذراً
مستوطنات (٦) على أنقاض دارتنا يُقيمها غاصبٌ للأرضِ مُقتدراً
مطرودةٌ غزة السماء غائبةٌ مقاتلة في الحصار المر تُعتصرُ
وضفة النار ، ما زالت موججة مثلث الرعب .. فيها لاهبٌ خطرُ
والقدسُ صاخبةٌ ، تعلو بصرختها الله أكبر .. فيها هاتفٌ عمراً

لقد برهن الشاعر في الأبيات السابقة على إسلامية الأرض ، وبين ما تعانيه من ممارسات المحتل التعسفية . وفي تصوير المعاناة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ، وصمود أبطال

1 - سورة آل عمران : 3 / 200 .

2 - رياض الصالحين ، للنووي ، ص 23 .

3 - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 35 .

4 - سورة الشرح : 94 / 5 - 6 .

5 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، قصيدة : ثورة الحجارة ، ص 5-6 .

6 - محمد سليمان ، المستوطنون والانتفاضة ، ط 1 ، إصدارات مؤسسة بيسان للصحافة والنشر 1990م ،

ص 35 وما بعدها .

الانتفاضة يقول المتوكل طه^(١) وهو في المعتقل الصهيوني^(٢):

هَدَمُوا ..!

وَمَا هَدَمُوا سِوَى بَيْتِ

سُتْعَلِي سَقْفَهُ أَيْدِي الطَّفُولَةِ وَالْحِجَارَةِ

سَجَنُوا ..!

قَدْ أَصْبَحَتْ كُلُّ السُّجُونِ

مَنَارَةً تَلُو المَنَارَةَ

قَتَلُوا ..!

وَمَاذَا إِنَّ عَسَلْنَا أَرْضَنَا بِدِمَائِنَا

فَلِيَقْتُلُوا ..!

أَعْرَاسُنَا ارْتَفَعَتْ وَقَدْ نَلْنَا البِشَارَةَ

صورة تقابل بين جرائم المحتل و صمود الشعب الفلسطيني المقاوم ، فالهدم يقابله البناء ، والسجن تقابله الحرية .. ومثل ذلك ما يشتمل عليه قوله (٣) :

قد قلعوا الأشجار ..!!

سيكون تحت جذورها

قبرا لمن قصوا أظافرها المنارة

قطعوا المياه ..!!

ماذا إذا شرب الرجال الظامئين جراحهم

وتهللت بهم الحضارة

نجد في القطعة السابقة مفارقة تصويرية بين عدو يقطع الشجر ، وشعب يقاوم الاحتلال ، هكذا فرضت سياسة المحتل احتماء الفلسطينيين بدينه ، الأمر الذي رسخ ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني ..

لقد فشلت الأحداث الجسيمة في قهر الفلسطينيين ، فقتل الأطفال والشيوخ والنساء ،

¹ - شاعر مشهور .من مواليد مدينة قلقيلية 1959م ، صدر له العديد من الدواوين ، منها : مواسم الموت والحياة ، زمن الصعود ، فضاء الأغنيات ، الرمح على حاله .. أعلام الأدب العربي في العصر الحديث / 1 - 117 - 118 .

² - المتوكل طه ، ديوان " فضاء الأغنيات " ، إصدار دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر والتوزيع ، تقديم : جمال صالح حماد الديك ، معتقل أنصار "٣" ، النقب ١٩٨٩م ، ص ١٥ .

³ - المتوكل طه ، ديوان " فضاء الأغنيات " ، ص ٢٥-٢٦ .

وتجريف الأراضي الزراعية ، وهدم البيوت لم تفت في عضد الفلسطيني الذي يعتمد على الله عزّ وجلّ ، من ذلك ما نراه في قول الشاعر كمال غنيم^(١) :

يا أيها الفرخُ المحلق في البلاد النائمة
من لليتامى والثكالى في الديار الهائمة
عدّ للمنازل والشوارع ، فالشوارع قائمة
الله أكبر .. رددتْ هذي المآذنُ عازمةً
الله أكبر فالديار كموجةٍ متلاطمة
لا تحزنوا ! لا تندبوا ! هذي السعادة قادمة
هذا الشهيد الحيّ يهتف للقلوب الحازمة

تظهر الأبيات السابقة قسوة المحتل ، وجريمته التي ارتكبها يوم عيد الفطر ، كما تحت الزعامات العربية والإسلامية على الرجوع إلى دين الله ، لكي تستعيد الأمة عزتها .
ومن ملامح الشخصية الإسلامية النظرة المتفائلة للمستقبل ، والثقة بالنصر القريب الذي بشر به الله تعالى المؤمنين ، قال تعالى : " وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"^(٢) ، وها هو الدكتور إبراهيم المقادمة^(٣) ، يبث روح التفاؤل في ديوانه " لا تسرقوا الشمس" رغم حجم التضحيات ، ويبشر المجاهد بنصر الله تعالى ، من ذلك قوله^(٤) :

إن دربَ العزِّ مفروشٌ بأثاثِ الجراحِ
بالأذى العذبِ ، بأشواكِ الطريقِ
بالضحايا ، باليتامى ، والثكالى
بزنازينِ العذابِ
بالمعاناة التي تستولد العزم وتحيى

¹ - شاعر فلسطيني ، يعمل أستاذا مساعدا في قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بغزة ، من دواوينه : شروخ في جدار الصمت ، وشهوة الفرخ ، انظر : ترجمته في كتابه : الأدب الفلسطيني (أوراق في الأدب والنقد) ، ط 1 ، مكتبة الطالب الجامعي ، الجامعة الإسلامية 2004م ، ص 147 . وهذا النص من ديوان شروخ في جدار الصمت ، ط 2 ، مكتبة مدبولي 1997م ، ص 100 .

² - سورة الصف : 61 / 13 .

³ - الشاعر الشهيد إبراهيم أحمد خالد المقادمة " أبو أحمد " - ولد في 1952م ، واستشهد يوم 8 / 3 / 2003م جراء قذيفة صاروخية أطلقها الصهاينة على سيارته أثناء توجهه لعمله ، تخرج في كلية طب الأسنان بالقاهرة عام 1975م ، اعتقل عدة مرات بتهمة العمل العسكري والانتماء لحركة حماس ، ترك من المؤلفات : كتاب معالم الطريق إلى تحرير فلسطين ، ومجموعة من المقالات التي نشرها في صحيفة " الرسالة " الأسبوعية بغزة . انظر ترجمته في ديوانه " لا تسرقوا الشمس " .

⁴ - إبراهيم المقادمة ، ديوان " لا تسرقوا الشمس " ، قصيدة "عام دراسي جديد" ، ص 16 - 19 .

نفحة الإيمان في ميت القلوب
تبعث الإصرار للثأر العنيد
يا شغاف القلب عهداً لن نحيد
فاكبروا للحق جنداً
يبذل الروح يضحى بالحياة
لايبالي في سبيل الحق لو سالت دماه
يحمل الروح على الكف ويمضي في مناه
أنا للجنة أحياء ، يا إلهي
في سبيل الحق فاقبضني شهيدا
واجعل الأشلاء مني معبراً
للعز ، للجيل الجديد

ومن ملامح الشخصية الإسلامية الاهتمام لأمر المسلمين ونجدتهم عند المحن ، لذلك وجدنا العديد من الشعراء الفلسطينيين ينتقدون المواقف السلبية للعرب المسلمين ، من ذلك انتقاد الشاعر إبراهيم قراعين^(١) الزعامات التي ارتضت الذل والخنوع ، والجلوس مع العدو على طاولة^(٢) :

أنا يا عروبة أشتي أن تُقلعي عين العدا يوماً وأن تتجمعي
أن ترفضى إملاء أمريكا فلا إن طالبت أن تركعي.. أن تركعي
لم يا عروبة ترتضين مذلةً لم يبق نذل لم يهنك ويصنع
فإلى متى تبقيين في غيبوبة أن الأوان أيا عروبة أن تعي

وهذا رفيق أحمد علي ينتقد صمت العرب على مذبحه "عيون قارة" التي ارتكبتها الصهاينة^(٣) :

أيها العرب أفيقوا واعلموا أنكم من غير إسلام هباء
طمع الأذى بكم واستنسرت إذ تفرقتم بغاث وحاداء !
وتولّى المجد عنكم معرضاً إذ توليتكم ولم تعطوا الولاء
فارجعوا للدين أحيوا عهداً إنما الوعد من الله وفاء

ويندد الشاعر محمد صيام بصمت العرب على مقتل الشيخ أحمد ياسين بقوله^(٤) :

¹ - من مواليد سلوان قضاء القدس سنة 1947م ، يعمل معلماً في المدارس الثانوية . من دواوينه : بين الحب والحرب ، بيارق فوق الحطام . انظر : موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، 24/1 . وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين 25/1-26 .

² - إبراهيم قراعين ، ديوان وتعود أمواج البحار إلى البحار ، ص 78 - 79 .

³ - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ص 139 .

وبنو العروبة سادرون فلايرون ولايعون
وجيوشنا ضجت من الذل الذي يتجرعون
يا خيبة العرب الذين رعوسهم سيطأطنون
وغداً - لطاولة التفاوض والحوار - سيجلسون

ويحمل الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي حملة شعواء على القيادات المتخاذلة التي
استسلمت للصلف الصهيوني ، ويدعوها إلى العودة بالنظر والبصيرة إلى شخصيات شامخة
والاقتداء بها ، ويذكرهم بميراث الأجداد من قرى ونجوع ومدن .. يقول (١) :

أحيوا ضمائرکم أما بقيت ضمائر؟! فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر
عودوا إلى أطفال غزة تسمعوا عن مولد الإصباح من رحم الدياجر
عودوا إلى القسام يسلخ من ظلام الليل بالأكفان مجداً للأواخر
عودوا إلى المشلول ياسين العلاء بحماسة دارت على البغي الدوائر
عودوا إلى الخنساء تكظم غيظها لتثور بركاننا يزلزل كل خائر
لجبالنا السماء ترفع هامها لمروجنا الخضراء تنتظر الحرائر
عودوا إلى آثارنا آبارنا جناتنا الغناء في " مرج بن عامر "
عودوا إلى الرشاش تحضنه اللحي بخنادق الإخوان تزهو صور باهر
عودوا إلى يينا إلى يافا إلى بيسان ترقب من يزف له البشائر
للمجدل " المحزون يسكب في الدجي عبراته الحرى على أطلال " عاقر "
عودوا إلى مرج الزهور لتعلموا أن المبادئ لا تذلل لى مكابر
فلمن فلسطين الرباط؟ ومن له المسرى؟ وحتى النصر أين؟ وأين ثائر
أين الشعارات التي قد خدرت منا الألوف وزيفت فيض المشاعر
فغداً تعود لنا الديار تبثنا أشواقها ونقيل في ظل البیادر

وهذه العودة ليست من قبيل التراجع أو الوقوف في وجه التقدم ، بل هي دعوة للتعلم
والاعتبار ، وشحن النفس بطاقات الإيمان والثبات في التصدي للأعداء ، لجعل كلمة الله هي
العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

ومن ملامح الشخصية الإسلامية رفض التفاوض مع الكيان الصهيوني ، فهذا الشاعر

¹ - الإمام الشهيد أحمد ياسين في عيون الشعراء ، انظر قصيدة "سلام الوحوش" ط1 ، كلية الآداب

الجامعة الإسلامية - غزة ، شوال 1425هـ - ديسمبر 2004 م ، ص 95 - 96 .

² - د. عبد العزيز الرنتيسي، ديوان : حديث النفس ، قصيدة : التحدي : ص 69-70 .

سليم الزعنون^(١) يعلن رفض كل المؤتمرات أو المؤتمرات التي تهدد مسيرة حياة الشعب الفلسطيني ، سواء منها العلنية أو السرية ، ومن المؤتمرات التي رفضها بشدة مؤتمر مدريد^(٢) الذي يراه وبالاً على شعبه^(٣) :

لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ ويشترِي
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ ولم يكن
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يغيبُ فُدْسَنَا
خصم يصرب بأن يفاوض نفسه
نأبى الخُضوعَ ولكن تَلينَ قناتنا
فالنَّهْرُ ميمَمَةٌ البلادَ وبحرنا
وشمالها " ناقورة " وجنوبها
لا يبغيان .. وشعبنا متيقظ

شعباً .. نمته .. كرائم الأوطان
وطن يسام بأبْخس الأمان
فالموت أقرب من جديد هوان
ما هكذا يتفاوض الخصمان
سنواجهُ العُدوانَ بالعدوان
" متوسطٌ " يحنو على الشيطان
" الرشراش " ^(٤) والبحران يلتقيان
" رادار " يرصد هجمة العُقبان

فمؤتمر مدريد طوح بآمال الشعب الفلسطيني ، فالآمال المعقودة على الانتفاضة قد تبخرت منذ التوقيع على مسودة هذا المؤتمر ، الذي جلب معه الذل والهوان للأمة الإسلامية والعربية التي كانت طرفاً في هذا المؤتمر ، مؤتمر اللاسلام^(٥) :

كَانَ عُرْسًا
لِلْعَرَبِ
فَانْتَشَيْتَا
بِالْخُطْبِ !
بَارِكِ "الدَّاعِي" لَنَا
وَالْأَسَى عَنَّا ذَهَبَ
بَعْدَمَا الْعُرْسُ انْتَهَى
- بِاخْتِصَارٍ مُقْتَضِبٍ -
طُوحَ "الرَّاعِي" بِنَا !!
ثُمَّ وُلِّيَ
أَوْ هَرَبَ !!

¹ - ولد سليم ديب الزعنون "أبو الأديب" في غزة يوم 28 / 12 / 1933م ، يتولى منصب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، من أعماله الشعرية ديوان "يا أمة القدس" ، و"هكذا نطق الحجر" ، و"نجوم في السماء" . انظر ترجمته في دواوينه الشعرية السابقة .

² - عقد في 30 أكتوبر/ تشرين الأول 1991م في أسبانيا .انظر : أيام فلسطينية .ج: 10 .

³ - ديوان : "يا أمة القدس" ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1995م ، ص 118 .

⁴ - أم الرشراش : قرية بالقرب من مدينة إيلات . سليم الزعنون ، ديوان أمة القدس ، 119 .

⁵ - صلاح الدين الريماوي ، ديوان : "من محاسن الطبيعة" ، فلسطين - رام الله 2000م ، ص 17 .

وفي رفض السلام الذي تمخض عنه هذا المؤتمر تبارى الشعراء ، فالشاعر محمد صيام أعلنها صراحةً ، لابد من إسقاط خيار السلام ، ورفع راية الجهاد في وجه العدو الغاشم ، لتستمر الانتفاضة ، وتستمر راية الإسلام خفاقة عالية كعلو الشمس والقمر ، ليبقى الإسلام عزيزا بين أهله ، يقول (١):

هَذَا السَّلَامُ هُوَ الَّذِي	يَدْعُو إِلَيْهِ الْمَجْرَمُونَ
وَبِهِ الْقِرَاصِنَةُ الْغُزَا	ةٌ - أَمَامَنَا - يَتَبَجَّحُونَ
وَالْأَغْبِيَاءُ يُطْبَلُونَ	نَ - لِمِثْلِهِ - وَيَزْمَجِرُونَ
وَيُصَدِّقُونَ الْأَدْعِيَا	ءَ وَهُمْ بِهِ يَتَشَدَّقُونَ
وَالْأَمْرِيكَانُ وَبِوَشُ	كُلُّ الطُّغَاةِ يُبَارِكُونَ
هَذَا السَّلَامُ هُوَ الَّذِي	يَسْعَى إِلَيْهِ الْفَاشِلُونَ

ويقول الشاعر صيام عن هذا السلام المزعوم أيضاً (٢):

قف يا لسانُ عن الكلامِ وليشطبِ القلمُ السلام
فسلامُهُم هدرٌ يضيعُ مع الأسيِّنةِ والسَّهَامِ
ولتنتفضْ هاذي الجموعُ كأنها الموتُ الزَّوَامِ
لتقولَ للنديا بمجملها وتعلنُ للأنامِ
قتلُ الغزاةِ هو الحلالُ وما عداه هو الحرامِ

وفي اتفاقية أوسلو ، التي جلبت العار والذل للشعب الفلسطيني ، يقول سليم الزعنون (٣) :

في أوسلو قد كان مقتلنا كان لا الحل محترم .. ولا العقد
هذا سلام زائف سمج لا دائم يبقى ولا خلد

ويحذر شاعرنا ولادة الأمر من مكائد الصهاينة في قوله (٤):

يا صاحب الأمر حاذر من مكائدهم وإقرأ : تجد أن في القرآن تبياناً
إما تخافن من قوم خيانتهم فانبذ إليهم وكن في الليل يقظاناً

ومن الذين رفضوا نتائج محادثات أوسلو أيضاً الشاعر عثمان أبو غربية ، ويحذر من بنود تلك الاتفاقية ومراحلها التي لن تعطي إلا الأمل الزائف ، والوعود الكاذبة ، لذلك يحث

¹ - الإمام الشهيد أحمد ياسين في عيون الشعراء ، انظر قصيدة " سلام الوحوش " ، ص 95-96 .

² - د. نبيل أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، ص 34 - 35 .

³ - ديوان : " وهكذا .. نطق الحجر " ، ط 1 ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان 2001م ، ص 44 .

⁴ - " وهكذا .. نطق الحجر " ، قصيدة أوسلو ، ص 144 .

المناضل على عدم إلقاء السلاح ، والسعي لدرب الشهادة حتى تعود مدينة القدس لؤلؤة المدائن
والمسجد الأقصى المبارك^(١) :

أملٌ تناثرَ في الربيعِ كسنبلةٍ
لا تصعدُ الأيامَ وحدكُ
لا تفرشُ الأوهامَ وردكُ
لا تغلقُ الميدانَ قبل مجيء لؤلؤة المدائن
لا تغلقُ الآنَ الحنينَ إلى المراكبِ
لا تغمدُ الآنَ السيوفُ
بزغتُ جراحكُ من عيونِ الشمسِ من نورِ
الكواكبِ
... فليأتِ ملحُ الأرضِ أوْ
فليأتِ طوفانُ الجراحِ

ويحذر شاعرنا الذي يستشرف مستقبل مفاوضات أوسلو ، من ضياع القدس بثتى
الوسائل ، وأن الحديث عن الانسحاب من المدن الفلسطينية على مراحل هو حديث موهم لن
يؤول إلى شيء ، لذلك ينصح الشاعر بترك الأمر للأجيال المقبلة لكي لا تكون المفاوضات
هي النهاية المأساوية للنضال الفلسطيني ، ثم لا ينسى أن يبشر بغد النضال الفلسطيني ،
ويعيد للإرادة المهزومة ثقها بمستقبل الأجيال القادمة ، التي زادت في نموها ووعيها
النضالي حتى تشرق شمس الحرية^(٢) :

أرضٌ ستمنحنا الحقيقةَ والمسائل
أفقٌ فسيحٌ يحمل الميراثَ عنا
موجُ البحارِ سيغسلُ الآنَ المراحلُ
فليأتِ رملُ الصوتِ وحده
تلكَ المدينةُ تنتهي
تلكَ البلادُ ستنتهي
والصمتُ يلحقها ببددهُ المجيءِ إلى البدائل
... الآنَ تندلعُ السيوفُ
الآنَ ترتعدُ الفرائصُ من مجيءِ الضوءِ ، يتقدُّ

¹ - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 95- 97 .

² - السابق ، ص 97- 98 .

الوجيبُ

الآن ينتشرُ الصهيلُ ويلتقي زمنَ الأوائِلُ
الآن تبتدئُ الحياةُ

ومن ملامحِ الشَّخصيَّةِ الإسلاميَّةِ العمليَّاتِ الاستشهاديةِ ، ومشاركةِ المرأةِ في تنفيذها
مؤمنة محتسبة ، وقد توقف الشعراء عند بطولة العديد من الاستشهاديات الفلسطينيات أمثال
الشهيدة "آيات الأخرس"^(١) ، من ذلك قول صالح فروانة^(٢) :

يَا يَهَا الْبِرَابِرَةُ
عَزَائِمُ الرَّجَالِ لَا تُحَاصِرُ
إِصْرَارُ شَعْبِنَا عَلَى الْبَقَاءِ
لَا يُقَاوِمُ
... لَنْ تَكْسِرُوا صُمُودَنَا
أَوْ تَمْنَعُوا صَبِيَّةً لَمْ تَبْلُغِ الْحُلْمُ
يَقِلُّ عُمَرَهَا
عَنْ عُمُرِ (آيَاتِ) الْبُطُولَةِ
... يَا يَهَا الْعَصَابَةُ
فَإِنَّ لَحْمَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ شَعْبِنَا
أَقْوَى مِنَ الدَّبَابَةِ
... لَا تَقْلُقُوا يَا سَادَةَ الْعَرَبِ
فَإِنَّا بِدُونِكُمْ سَتَنْتَصِرُ

وفي ظل تحفيز الشعراء الناس على الجهاد ومقاتلة الأعداء ، يحث الشهيد الرنتيسي
شعب العراق على رفع لواء الجهاد ومقاتلة الأعداء ، وأن يكونوا شامخين في وجه الكفار ،
أمريكا ومن والها^(٣) :

دمَّرجيوش الكفريا عراق
دمرهم فجرهم مزقهم
واخلع نيوب الغدريها والنفاق
علمهم أنا الفوارس في السباق

¹ - "آيات الأخرس" من مواليد 20-2-1985م، طالبة في الصف الثالث الثانوي ، من مخيم الدهيشة
قرب بيت لحم . فجرت نفسها في أحد أسواق القدس الغربية في 29 آذار 2002م ، انظر : المرأة
الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني ، إعداد إسماعيل الأشقر ، ومؤمن بسيسو ، المركز العربي
للبحوث والدراسات ، غزة 2004م ، 141/٤ .

² - صالح فروانة ، مفردات فلسطينية ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، 2004م ، ص86 .

³ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص76 .

ارفع لواء الدين في كل البلاد
من ينصر الإسلام من يحمي الحمى
واصدع بها يا قوم حي على الجهاد
القدس يا بغداد في ذل الأسير
حيث الدمي جلبت لنا رأس الفساد
فَلتَشْمَخِي بغداد كالشم الرواس
والقبة السماء تنتظر النصير
ولتعلمي أن الجهاد هو الأساس

هكذا تكون الشخصية الإسلامية للمجتمع الإسلامي في فلسطين ، الاهتمام بشئون المسلمين ومشاركتهم في أجزائهم ، وفي أفرانهم ، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١) .

وفي نهاية هذا المبحث نستحضر دعوة الشاعر السياسي سليم الزعنون الفلسطيني إلى تدبر القرآن الكريم ، والعمل به حتى يتحقق النصر ، يقول في قصيدته "الوعد المقدس" (٢):

فَمُ وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ يَا شَعْبِي وَأَسْبَابَ النُّزُولِ
تَرْقَى إِلَى أَمَلِ الْحَيَاةِ بِعِزَّةِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ
أَيَّامَ نَصْرِ مُحَمَّدٍ وَالصَّحْبِ مِنْ حَوْلِ الرَّسُولِ (٣)

فِي "سُورَةِ الْإِسْرَاءِ" "إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ
"سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى" (٤) يُرَدِّدُ رَجْعَهَا كُلُّ الْقَبِيلِ

"وَبَعْدَهُ لَيْلًا" تَحْفُ بِه مَلَائِكَةٌ عُدُولُ
لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى يُبَارِكُ حَوْلَهُ رَبُّ جَلِيلُ

١ - متفق عليه ، انظر رياض الصالحين للنووي ، ص 80 .

٢ - سليم الزعنون ، ديوان : " وهكذا .. نطق الحجر "انتفاضة الأقصى، ص 72.

٣ - خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت (د . ت) .

٤ - انظر : سورة الإسراء : 1 / 17 .

ثانياً : شِعْرُ الرَّثَاءِ :

لَحْظَةُ الْحُزْنِ مِنَ اللَّحْظَاتِ الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهَا صَادِقاً مَعَ نَفْسِهِ ، وَكُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَصْدُرُ عَنْ مَعَانَاةٍ حَقِيقِيَّةٍ ، تَتْرَكَ أْبْلَغَ الْأَثْرِ فِي نَفْسِ الْآخَرِينَ ، وَالرِّثَاءِ - الصَّادِقِ - بِصِفَةِ عَامَةٍ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنِ نَفْسٍ تَعَانِي مَرَارَةَ الْحُزْنِ وَالْأَسَى وَالشُّعُورِ بِفَدَاخَةِ الْفَقْدِ . وَمِنْ مَلَامِحِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمَجْتَمَعِنَا الْإِسْلَامِيِّ الْحُزْنَ عَلَى مَدِينَةِ الْقُدْسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي يُدَنِّسُ مِنَ الْيَهُودِ كُلِّ يَوْمٍ ، إِذْ يَبْكِي الشُّعْرَاءُ الْفِلَسْطِينِيِّونَ مَسْجِدَهُمُ الْأَقْصَى الْمَسْلُوبِ ، بِكَلِمَاتٍ حَمَلَتْ فِي مَعَانِيهَا : إِظْهَارَ مَكَانَةِ الْأَقْصَى وَتَقْدِيسَهُ ، ثُمَّ الذَّلَّ الَّذِي يَلْحَقُ بِالشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ جَرَاءَ تَدْنِيسِهِ ، ثُمَّ طَلَبَ الْعَوْنِ وَمُنَاشِدَةَ زَعَمَاءِ الْأُمَّتَيْنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ كَيْ يَخْلُصُوهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالسِّيْطَرَةِ ، وَشَحْذَ هَمِّ الْمَجَاهِدِينَ لِلذُّودِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَدِينَةِ الْقُدْسِ . وَمِنْ الشُّعْرِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ هَذَا النَّدَاءِ الَّذِي وَجَّهَهُ الشَّاعِرُ هَارُونَ هَاشِمٌ رَشِيدٌ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) :

أَطْلُ بِسَيْفِكَ الْمَنْشُودِ	والموعدود... يا عمراً
فَأَنَّ الْقُدْسَ دَامِيَّةً	ووجه القدس منكسراً
فَقَدَّسْتُكَ .. يَا أَبَا حَفْصٍ	وما رددت... والسُّورُ
وَمَا سَجَلْتَ مِنْ عَهْدٍ	حماءً ، الإخوة الغررُ
لَأَنَّ الْقُدْسَ قَدْ أُسِيرَتْ	وأهل القدس قد أُسروا
أَبَا حَفْصٍ وَفِي الْأَقْصَى	الغزاة .. بساحه ظهرُوا

يُنَادِي الشَّاعِرُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - الَّذِي جَاءَ إِلَى الْقُدْسِ فَاتِحاً فِي عَهْدِ الْفَتْوحِ - لَكَيْ يَنْقُذَ الْقُدْسَ ، بَاكِئاً لَهُ الْقُدْسَ وَمَا جَرَى لَهَا ، مِنْ أَسْرِ ، وَاسْتِبَاحَةِ حَرَمَتِهَا ، وَتَدْنِيسِهَا ، ثُمَّ يَشِيرُ إِلَى حَقْدِ الْيَهُودِ ، وَيَبِينُ رَأْيَهُ فِي السَّلَامِ الْمَرْعُومِ (٢) :

تَعَلَّمْنَا أَبَا ، حَفْصٍ	وفينا تسكن الذُّكْرُ
بَأَنَّ يَهُودَ ، وَالتَّارِيخُ	شهد ، كم بنا غدروا
فَمَا جَنَحُوا إِلَى سَلْمٍ	وإن هزموا وإن دُجروا
وَأَهْلِي فِي عَذَابِهِمْ	على أعدائهم قدرُوا
فَهَبُوا .. لَا يَرَوْعُهُمْ	عدو غاصب أشيرُ
فَمَا خَوْفٌ يَكْبَلُهُمْ	ولا نعر ، ولا حذرُ

وَمِنْ قَلْبِ الْقُدْسِ يَرِثِي حَالَهَا الشَّاعِرُ عَبْدُ الْلطِيفِ عَقْلٌ (١) ، وَهُوَ أَحَدُ سَاكِنِي الْقُدْسِ

١ - هَارُونَ هَاشِمٌ رَشِيدٌ ، دِيْوَانٌ : ثَوْرَةُ الْحِجَارَةِ ، ص 70 - 80 .

٢ - الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ص 70 - 80 .

فيقول (٢) : آخ يا قُدْسُ أَنْهَكَتْكِ المَواوِيلُ
 وَأودَتْ بِرُوحِكِ الأَشعارُ .
 صَرتِ فِي جَوقَةِ الكِلابِ نَشازاً
 عَربِيّ الأَسي ، وَضاعَ الحِوارُ .
 فِي إِداعَتِهِمُ ثُغاءُ قَطيعِ
 أوَّلِ القَبَلَتينِ ، يا جُرحَ قَلبي
 جُرحَنا الأَحْتلالِ أَم (دِشدارُ) (٣) ؟!
 أَسَلَمَتِ أَمَراها لِمِزْمَرَةِ حِشاشينَ
 أَسِياذُهُمُ أَشرارُ

ويوم أن داس خنزيرهم باحة الأفضى ، و استباحها ، فدنسها ، ثار الشعب والأبطال
 من كل حدب وصوب ، وثار الشعراء أيضاً ، على ما أصاب القدس من قرح ونصب (٤) :

أبناء صهيون تفجر حقدهم
 داسوا الكرامة واستباحوا المعبد
 جدوا النخيل وأقبروا بيارة
 بقروا الحقول وأدموا زهر الندى
 ... في كل عين دمة حراقة
 في كل قلب عارض متجددا
 زرعو بلادهم بالمقابر والأسى
 واستعدبوا جرح الطفولة موردا (٥)
 ... القدس تبكي والمنابر تشتكي
 والحق يصرخ يستجير محمدا

1 - عبد اللطيف عقل (1942 - 1993) ، ولد في قرية دير اسنيا قرب نابلس .. كتب الشعر والقصة
 والمسرحية والنقد . من أعماله : " شواطئ القمر ، و بيان العار والرجوع . شعر " ، " العرس ،
 مسرحية " ، علم النفس الاجتماعي . انظر ترجمته في : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ،
 ٥٠٣/٦ . وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، 2 / 461 .

2 - عبد اللطيف عقل ، بيان العار والرجوع ، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين القدس 1992 ، ص86 .

3 - دشار : تركيب لغوي / معنوي من دشار وشهريار . انظر ديوان : بيان العار والرجوع ص91 .

4 - عبد الكريم العسولي ، ديوان النار والحجر ، الناشر مكتبة النور ، خانيونس 2001م ، ص99 .

5 - إشارة إلى طفولة محمد الدرة التي سعدت روحه إلى السماء حزينة جراء حقد اليهود وجرائمهم .

... للقدس هيا نمتطي ظهر الردى

يوم سيجمنا بمسجد صخرة

أما القدس المكلومة الحزينة فتناشد العرب انتهاج نهج الإسلام ، كما فعل السلف الصالح ، حتى يتمكنوا من الذود عنها ، هذا ما عبر عنه الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في خطابه الزعماء العرب (١) :

يا طائر الدوح بلغ أمة العرب
يا للهوان فعرض العرب منتهك
هذي فلسطين يا ابن العرب في نصب
والقدس تصرخ بالإسلام نصركم
هذا الرسول بجنح الليل شرفني
وذا الخليفة عند الباب يطره
من لي بخالد سيف الله مسلول
من لي بحطين تحيي مجد امتنا
أبو عبيدة في عمواس يحرسني
فأين أمثالهم مني وليتهم
فالمجد ضاع وبات الذل يخلفه

أني كفرت بهذا الصمت واللعب
والشعب بات أسير الزيف والكذب
والكفر يعثو بترب القدس والنقب
لا بالطبول وبج الصوت في الخطب
على البراق يغذ السير في طلي
يحرر البيت من رجس لمغصب
من لي بجمزة والقعقاع للندب
كي ينشر الأمن في الوديان والهضب
وذا معاذ يقود الصحب كالشهب
ما فارقوا صخرتي في المسجد الرحب
يوم التقينا لجمع المال والذهب

لقد أصبح شعار المجاهدين المنتفضين : لا حل إلا بالإسلام ، من أبرز ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني ، وقد عبر عن ذلك غير شاعر ، من ذلك قول الرنتيسي (٢) :

فبالعقيدة ساد الدين وانتشرت
وبالعقيدة صار العز شيمتنا
هذا الشباب يخاف الكفر غضبته
يلقي الرصاص بآيات يرددها

جنود الإله تدك الكفر باللهب
نأبي الهوان وخفض الرأس في الكرب
يرمي الجنود بزخات من الحصب
ففي الكتاب دليل النصر للنجب

وفي موضع آخر من ديوانه يبشر الشهيد الرنتيسي المجاهدين بأن القدس لن تكون لغير الفلسطينيين مهما تعاضمت الخطوب عليها ، وأن دماء الشهداء ، وتضحية الأبطال المقاومين ، من أبناء الإسلام وجنوده الذين يرفعون لواء الله سبحانه وتعالى هي الضمانة (٣) :

ولست اليوم والمسرى وحيدة فهذا الجيل قد ألقى قيوده

1 - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 11 .

2 - السابق ، ص 12 .

3 - السابق ، ص 64 - 65 .

على أسوارك الشَّمَاءِ قامُوا
تفِيضُ دماؤهم نوراً ومسكاً
وطُوبى للذي في الله يهدي
وهل يشري ديارَ القدسِ ظلماً
ولاةَ الأمرِ لا تنسوا بأننا
فلن نرضى بغيرِ القدسِ داراً

لتبقى قُبَّةُ الأقصى فريدةً
شبابٌ أسعدَ الأقصى وروده
إلى الأقصى بلا جزعٍ وريده
سوى من خانٍ عن غدرٍ جدوده
وعدنا القدسَ أن نحيا أسوده
ولن نرضى لكفرٍ أن يسوده

في الأبيات السابقة يؤكد الشاعر أن مسرى رسولنا عليه الصلاة والسلام لن يبقى أسيراً ، لوجود جيلٍ يتسلح بالإيمان ، محبٍ للجهاد في سبيل الله ، مُضحٍ بروحه ودمه ، كيف لا وهو الذي ضحى بنفسه فلقى الله شهيداً ، فَطُوبَى لهؤلاء الشُّهَدَاءِ ، الذين لم يَرْضَوْا بغيرِ القدس داراً وبيتاً . والشاعر "شهاب محمد" (١) ، يقول في المعنى نفسه (٢) :

مَهْمَا تَعَاظَمَ حَوْلَهَا الْعُدْوَانُ
وَاسْتَوْطِنَ الطُّغْيَانَ ..
مَهْمَا تَخَبَّطَ حَوْلَهَا ،
وَتَنَاقَلَ النِّسْيَانَ ..

مهما يكن للكونِ آخر الزمانِ
القدسُ لن تكونِ إلا قدسنا ..
القدسُ لن تكونِ إلا عهدنا
فليشهدُ اللهُ ويشهدُ الإنسانُ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية ، امتزاج العطف والحنو على الأبناء بالتسليم لقضاء الله وقدره ، فشدّة الحزن والأسى ، واشتعال العواطف وتأججها عند رثاء الأبناء ، والأقارب المقربين ، ينتهي بالاستسلام لمشئئة الله . من ذلك ما نراه في رثاء الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة لابنه أحمد (٣) ، فبالرغم من حزنه العميق ، واحتراق قلبه على ابنه ، نجده

١ - ولد شهاب محمد عام ١٩٥١ في قرية حارس قضاء نابلس ، من أعماله الشعرية : فصول في زمن المأساة (1978م) ، رحلة في بحر عاصف (1979م) ، وثبة للغزال .. قبلة للقمر (2001م) ، المسرحية الشعرية : أحاكمكم (1984م) ، سلطان الوهم (1984م) ، موال الأرض (1989) ، الحجارة (١٩٨٩م) . انظر ترجمته في : معجم الشعراء ، وعلى شبكة الانترنت .

٢ - شهاب محمد ، وثبة للغزال .. قبلة للقمر ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 2001م ، ص73 .

٣ - توفي أحمد غرقاً في بحر غزة بينما كان والده قابلاً في السجن ، ولم يتسن له وداعه أو المشاركة في تشييعه .

يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ، كيف لا وشاعرنا شَخْصِيَّةً رَبَّانِيَّةً ، يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الطَّاعَةِ وَالْإِنْصِياعِ لأوامر الله سبحانه وتعالى (١) :

حَبِيبِي أَحْبَسُ الدَّمْعَاتِ تَحْرِقُنِي
.. وَيَحْتَرِقُ الْبَصْرُ .

حَبِيبِي : أَهَذَا أَنْتَ يَخَذُلُنِي الْعَزَاءُ
نَمُوتُ كَنَبَاتَةِ الصَّحْرَاءِ حَتَّى

.. غَرَفْتِ ، وَلَمْ أَمُدُّ إِلَيْكَ يَدًا
أَفِرُّ إِلَى إِلَهِ الْكَوْنِ يَمْنَحُنِي الْعَزَاءُ

..لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي مُجِيبَ الدُّعَاءِ
عَلَيْكَ اعْتِمَادِي .. وَأَنْتَ الرَّجَاءُ

فَثَبَّتْ فُؤَادِي

أَعْنِي عَلَى مُجْرِيَاتِ الْقَضَاءِ

ومن لي بسواك بدنيا العناء

يَا رَبِّ قَلْبِي دَامِعٌ

يَا جَابِرًا قَلْبِي الْمُلَوَّعُ

يَا رَبِّ حُزْنِي وَاسِعٌ

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنِي بِهِ

بِجِوَارِ سَيِّدِنَا الْمُشَفِّعِ

"فالشاعر حزينٌ على فراق ابنه ، ويطلب من الله أن يعينه على قضائه النافذ ، لقد ذهل الشاعر الشهيد المقادمة بهول المصاب ، فاختلفت أمام ناظره الصور ، وتعثرت على لسانه الكلمات ، وكأنه لا يصدق ما حدث . لقد امتلأت نفسه بالأسى ، واضطرم قلبه بالمُصَابِ ، واحتبس دَمْعُهُ فِي الْمَقْلِ ، واحترق منه البصر ، وسرعان ما يلوذ شاعرنا إلى خَالِقِهِ ضارِعاً إِلَيْهِ ، راجياً منه تثبيت فؤاده على محن الزمان ومجريات الأقدار ، وقد كان ما أراد ، فقد عاش صلباً راسخاً يشق طريقه في دعوته بخطى ثابتة حتى لقي ربه شهيداً" (٢) .

واغتيال الأطفال الفلسطينيين من قِبَل الصهاينة المجرمين منذ بداية الانتفاضة الأولى 1987م أضحى سمة من السمات التي تميز هذه الحقبة ، ورثاؤهم وفضح السادية الصهيونية

¹ - إبراهيم المقادمة ، ديوان (لا تسرقوا الشمس) ، ص 36 - 38 .

² - مقاربات نقدية ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" دراسة نقدية ، د. يوسف شحدة الكلوت ، 2004م ، ص 151 .

أضحى ملمحاً من ملامح الأدب الفلسطيني ، فقتل الطفل محمد الدرة ، والطفلة إيمان حجوة وغيرهما .. أثار حفاظ الشعراء في العالمين ، العربي والإسلامي ، وعمق ظاهرة الحزن في الأدب الفلسطيني ، من ذلك ما نراه في رثاء محمود درويش للطفل محمد الدرة^(١) :

محمد

يعشعشُ في حُضنِ والدِه طائراً خائفاً
من جحيمِ السماء : احمني يا أبي
من الطيرانِ إلى فوق !
إن جناحي صغيرٌ على الريح .. والضوءُ أسود

محمد

ملاكٌ فقيرٌ على قابِ قوسين من
بندقيةِ صيادهِ الباردِ الدم من
ساعةِ ترصد الكاميرا حركات الصبي

يشفق محمود درويش على الطفولة البريئة ، لحظة اغتيالها بين أحضان الأب ، ويحاول جاهداً بعث إيقاظ الضمائر الحية ، بما يبثه من معاني الحزن والعجز في مقابل غطرسة المحتل .

ومثل ذلك يحاوله الدكتور عدنان النحوي الذي يعاتب العرب ويستصرخهم لنجدة الأطفال الفلسطينيين في قوله^(٢) :

خائفٌ! والرصاص حولي شديدٌ
بُ علينا رصاصُهُمْ وَيَزِيدُ
وأينَ الأخوال؟! أينَ الجدود؟!
ضُمَّني يا أبي إِلَيْكَ ! فإني
ضُمَّني ! واحمني ! فما زالَ يَنصَـ
أين إخواننا؟! وأين بنو العمِّ؟!
والشاعر السياسي سليم الزعنون يكي محمد الدرة قائلاً^(٣) :

يا من دخلتَ المجدَ من أبوابِه
يبكيكَ أهلٌ إنَّ حولَكَ فتيةٌ
" الله أكبرُ " فوقَ كلِّ شفاههم
والنعشُ متجةٌ لأكرمِ حفرةً
والكلُّ ملتمسٌ خضيبَ ثيابهِ
فتحوا الرصاصَ .. تحيةً لشبابه
وأبيه والأطفالَ من أترابه
والروحُ تصعدُ في رفيعِ سحابه

كانت لحظات استشهاد محمد الدرة من اللحظات المأساوية في تاريخ شعبنا ، فجميع فئات

¹ - انظر : د. نبيل أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، ص 31 . مجلة الأفق ، ع3 ، 2001 ، ص186 .

² - انظر : قصيدة درة الأقصى ، موقع النحوي على شبكة الإنترنت .

³ - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا نطق الحجر" ، ص66 .

الشعب بكت الدرة ، كما بكته شعوب العالمين العربي والإسلامي كأنه واحدٌ من الأبطال
المجاهدين ، وكيف لا ، وهو ممن دفعوا ضريبة النضال من أجل الحرية ، والنضال من أجل
الحرية ملمح هام من ملامح الشخصية الإسلامية . هذا إذا أخذنا في الاعتبار أن الطفل
الفلسطيني لم يكن خارج دائرة الحدث ، فالطفل فارس عودة - الذي استشهد يوم
2000/11/8م - تحدى الدبابة ببراعته وطفولته ، في حين عجزت أساطيل وجيوش عربية
وإسلامية عن ذلك .. وقد سجل الشعراء هذه البطولة الأسطورية ، فالشاعر صالح فروانة^(١)
مثلاً يراه قائداً يتصدى لقائد الدبابة بالرغم من طفولته ، يقول^(٢) :

فَتَى
يُحَاوِرُ الدَّبَابَةَ
فَقَائِدٌ لِقَائِدٍ
وَفَارِسٌ لِفَارِسٍ
قَد مَاتَ فِيهِ الخَوْفُ وَالْحَذَرُ
عُصْفُورَةٌ تَدُورُ حَوْلَ فَيْلٍ
تَخِيلُوا
عُصْفُورَةٌ تُذَلُّ فَيْلًا
وَيَنْطِقُ الدَّائِلُ
قَذِيفَةً
أَطُولُ مِنْ ذِرَاعِ
تُصِيبُ (فَارِسٍ)
وَفَجَاءَ يَمُوتُ
بِلا مَقْدِمَاتٍ
فَتَسْكُتُ الحَيَاةُ

أما الشاعر عبد الناصر صالح فيرى هذا الطفل معجزة في زمن الترددي العربي^(٣) :

وَلَدٌ مُعْجَزَةٌ

عَادَ مِنْ نَوْمِهِ تَحْتَ ظِلِّ الصَّفِيحِ

¹ - ولد صالح عمر فروانة في حيفا 1936م . وقد هاجر إلى غزة جراء نكبة فلسطين ، وفيها أتم دراسته
الثانوية، ثم أكمل تعليمه الجامعي في مصر . عمل معلما في مدارس وكالة الغوث .. انظر ترجمته في :
ديوانه "مفردات فلسطينية" .

² - صالح فروانة ، مفردات فلسطينية ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 2004م ، ص 66 .

³ - إبراهيم رجب ، البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبد الناصر صالح، ط2004م ، ص 103-104 .

وأودع أحلامه غيمة ،
وعصافير تعبر صوب المخيم
رتب أشياءه في الحقيبة :
أقلامه

صورة الأهل
رائحة القمح
وأجبه المدرسي ،
بشاشة وجه المعلم أو عنقه حين يغضب
رهبته حين يفشل في حل أسئلة الامتحان
وفرحتة حين يمضي إلى الجائزة

ومثل ذلك رثاء الشاعر يونس أبو جراد الطفلة الشهيدة إيمان الهمص ، التي أصابها
الصهاينة بأكثر من عشرين رصاصة ، الأمر الذي عده الشاعر إعداماً^(١) :

إيمان
حقلٌ وادعُ
عبثت
بروعته يدان
عش
بغير حمامة
مهد
بلا إنسان
حب
يباد بطلقة
كون
بلا وجدان
إيمان
تفتقد الأمان
تمضي
فتختصر الزمان

¹ - جريدة الحياة الجديدة ، ع 3289 ، الصادرة يوم الخميس الموافق 2004/12/16م ، ص 11 .

كيف الأمان وعشها
شاد بلون الأرجوان ؟
عشرون موتاً
أو يزيد
يجتاح أعماق الجنان
أين السلام
وأين أصداء
العدالة والحنان ؟
أم أين أدنى
ما يُشاع
عن الوداعة والأمان ؟

لقد شكل رثاء محمد الدرة وإيمان حجو وفارس عودة وضياء الدين الطميري ، وإيمان الهمص وعشرات الأطفال علامة فارقة في ديوان الشعر الفلسطيني ، وأضحت مفردات مثل إعدام واغتيال وقتل تقترن بذكر أطفال فلسطين ..

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني تمجيد الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم دفاعاً عن المقدسات الإسلامية ، ورفع راية الإسلام ، وقد كان للشخصيات الوطنية دوراً في الدفاع عن مقدساتنا الإسلامية ، والقادة الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في إذكاء روح الانتفاضة ، مثل خليل الوزير ، فقد كان العقل المدبر لكثير من الأحداث في الانتفاضة ، ومن أكثر الشعراء الذين رثوا شهداء الحركة الوطنية الشاعر سليم الزعنون ، الذي عاش فقدهم لوعة وندبا ، واستذكر رحيلهم سنة بعد أخرى تأبيناً وعزاءً ، فأبو جهاد "خليل الوزير" حاز ثلاث قصائد من الديوان⁽¹⁾ ، ففي ذكراه الأربعين التي أقيمت في الكويت ، يقول الزعنون⁽²⁾ :

ودَعْتُ في دربِ الجهادِ خليلاً
يا مَنْ ملكتَ من القلوبِ أعزَّها
يا سيدَ الشُّهداءِ يا رمزَ الفِدا
قد كنتَ أصغرنا وكنْتَ إمامنا
وهو الذي وهبَ الحياةَ جميلاً
وحبستُ دمعَ الذِّكرياتِ الأولى
وأنرتَ بالفكرِ السديدِ عُقولا
إنَّا فقدنا الصارمَ المصقولا
نزهو ونفخرُ إذ تقوُدُ الجيلا

¹ - د. نبيل أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ص 157 .

² - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 61 - 67 ، "وهكذا نطق الحجر" ص 124 - 127 .

دَمَكَ الزَّكِيِّ بَدَلَتْهُ فَمَضَى إِلَى
أُفُقٍ عَلَى اليرموكِ غَيْبَ شَمْسِنَا
أَرْضِ السَّلَامِ جَدَاوِلًا وَسَيُولًا
وَطَوَى حَبِيبًا لِلجِهَادِ رَسُولًا

ونلاحظ في الأبيات السابقة أن معاني الرثاء وثيقة الصلة بالحياة السياسية . ومن البطولات القيادية التي مجدها الزعنون بطولة صلاح خلف - أبو إياد - الذي اغتالته اليد الصهيونية في تونس^(١) ، في قوله^(٢) :

يُودَعُنَا قَبْلَ الْوَدَاعِ صِلَاحُ
وَيَتْرَكُنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَالِكًا
وَمَا كَانَ إِلَّا بِلِسْمًا لِحِرَاحِنَا
وَمَا كَانَ إِلَّا صَدْرَ كُلِّ مُلَمَّةٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا رَأْسُ كُلِّ عَظِيمَةٍ
أَرَى رُوحَهُ قَدْ فَارَقْتَنَا عَزِيزَةً
وَمَا كَانَ إِلَّا لِلجِهَادِ سِلَاحُ
وَمَا كَانَ إِلَّا فِي الدُّجَى الْمَصْبَاحُ
فَكَيْفَ نَرَى هَامًا عَلْتَهُ جِرَاحُ؟
وَدِرْعًا يَرُدُّ الْهَمَّ لَا يِرْتَاحُ
وَرَأْيٍ سَدِيدٌ لِلْكَفَاحِ كِفَاحُ
وَقَدْ طَارَ مِنْهَا لِلسَّمَاءِ جِنَاحُ

يظهر الأسى واللوعة وشدة الحزن على فراق هذا البطل المغوار ، الذي ضحى بدمه وروحه من أجل أن تبقى فلسطين شامخة لا يعترئها زيف ومكر خادع .

ومن قبيل الندب رثاء سليم الزعنون فيصل عبد القادر الحسيني^(٣) أحد الزعماء والمفكرين السياسيين في فلسطين^(٤) :

يَا فَيصِلًا يِرْتَاحُ فِي غَمَدِهِ
وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى حَفِيٌّ بِهِ
يَا قَدْسٌ هَذَا " فَيصِلُ " قَادِمٌ
وَقَدْ بَكَاهُ فِتْيَةٌ كُلُّهُمْ
" نَجَاةٌ " (٥) يَا صَامِدَةً .. أَبْشِرِي
وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ عَلَى حَادِهِ
قَدْ عَزَّ بَيْتُ الشَّرْقِ فِي عَهْدِهِ
وَرُوحُهُ كَالْبَرْقِ فِي رَعْدِهِ
مِنْ صُحْبَةِ " الْفَيصِلِ " أَوْ جُنْدِهِ
هَذَا شَهِيدٌ عَزَّ فِي مَجْدِهِ

أيضاً من الزعامات الوطنية التي اغتيلت ورثاها الشعراء "أبو علي مصطفى" ، الذي كان سيفاً حاداً على الأعداء بفكره وتطلعاته ، حيث كانت تطلعاته إلى تحرير فلسطين ،

1 - انظر أيام فلسطينية . الجزء الأول . ص 26 - ص 27 .

2 - ديوان "يا أمة القدس" ، ص 242 . وديوان "تجوم في السماء" ، ص 66 .

3 - ولد فيصل عبد القادر الحسيني في العراق يوم 17/ يوليو / 1940 ، وتربى في القاهرة ، أسس في القدس بيت الشرق عام 1979 ، وقد سجن عدة مرات ، وكان يقود المسيرات احتجاجاً على سياسة تهويد القدس ، حاول فيصل أن يزيل الخلاف بين السلطة الوطنية والكويت ، ولكن المنية عاجلته في الكويت وتوفي يوم 31/ مايو/ 2001م . انظر : موقع شخصيات من العالم العربي . شبكة الإنترنت .

4 - سليم الزعنون ، ديوان : "تجوم في السماء" ، قصيدة : الشهيد فيصل الحسيني ، ص 85 - 90 .

5 - نجاة : هي زوجة فيصل الحسيني .

وإعلان استقلالها ، ولكن حلمه غادر معه حيث غادر ، ملبياً نداء الوطن^(١) ، قال الشاعر أحمد دحبور في رثائه^(٢) :

لَسْتُ مَكْفُوفًا وَلَا قَارِيَّ غَيْبٍ

ليس لي صبرٌ سياسيٌّ على سيرِ موازين القوى

ليس لي أن أهمزَ الخيلَ ،

وأن أطلبَ ثاراتِ كليبٍ

فأنا لا أملكُ الآن سوى

دمعة راودت السياب^(٣) في ذكرى بويب

ومن الشخصيات الوطنية التي دافعت عن مقدساتنا ، والتي جعلت القضية الفلسطينية على رأس القضايا المحورية في اجتماعات المحافل الدولية في شتى أرجاء العالم ، هو الرئيس الراحل الرئيس ياسر عرفات ، الذي ناضل طوال حياته في سبيل قضية فلسطين. وفي تأبين الرئيس أقامت الجامعة الإسلامية بغزة حفلاً تأبينياً له ، شاركت فيه جميع الأطر الطلابية ، وعلى رأسها حركة حماس والجهاد الإسلامي ، وحركة الشبيبة الطلابية - فتح ، وفي هذا الحفل ذكر المؤمنون سيرة الفقيه النضالية ، وأنه بطل ولد على هذه الأرض الشامخة، وأنه عاد إليها ليضع حجر الأساس للمستقبل ، وليجد فيها راحته الأبدية .

ومما قيل في رثائه نذكر قصيدة علاء الكرييري التي يقول فيها^(٤) :

فُقِدَ الْعَزِيزُ فَأَجْهَشَتْ عَيْنَايَا وَتَلَعَّمَتْ لِفِرَاقِهِ شَفْتَايَا
مَاتَ الْمُفْدَى فِي فِرْسَا لَيْتَهُ فِي الْقُدْسِ فَارَقَ كَيْ تَصَلُّهُ يَدَايَا
بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِ حَتَّى أَعْرَقَتْ أَرْضُ الْقَدَاسَةِ ، مَا خَطَّتْ قَدَمَايَا
وَبَكَتْ لِفَقْدِكَ يَاسِرًا كَمُ أُمَّةٍ فَقَدَتْ نَدَى كَفِّكَ خَيْرُ عَطَايَا

¹ - هو مصطفى علي العلي الزبري، الشهير باسم "أبو علي مصطفى". ولد في عرابة" قضاء جنين" عام 1938 . أصبح أميناً عاماً للجهة الشعبية لتحرير فلسطين خلفاً لحبش ، وكان ذلك يوم 8 يوليو 2000 . واستشهد يوم الاثنين 27 أغسطس 2001 في عملية اغتيال نفذتها طائرات الاحتلال . انظر ترجمته في : كلمات مضيئة ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ص 10 .

² - كلمات مضيئة ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص 96 .

³ - هو الأديب العراقي بدر شاكر السياب (١٣٤٤-١٣٨٤هـ=١٩٢٦-١٩٦٤م) ، مولده في قرية "جيكور" من لواء البصرة . نشر مجموعات من نظمه ، منها "أزهار ذابلة" و "أزهار وأساطير" -يقال أنه مات مسلولا في المستشفى الأميري في الكويت يوم ٢٤-١٢-١٩٦٤م-انظر الأعلام للزركلي ، ج٢ ، ص ٤٥ .

⁴ - علاء الكرييري ، ديوان "درر السعداء في واحة الشعراء"، ديسمبر 2004م ، ص 38 .

وَتَحَرَّقَتْ كَمَ أُمَّةٍ وَرَعَايَا
لِلْغَدْرِ رَأْسِكَ أَوْرَضِيَتْ بِلَايَا
فِيكَ الْحُرُوفُ وَأَنْهَكْتَ كِفَايَا
وَلَكُمْ بِكَتِّكَ حَرَائِرٌ وَسَبَايَا

نَبِيٍّ فِرَاقِكَ قَائِدًا وَمُعَلِّمًا
قَدْ عَشَتْ حُرًّا فِي حَيَاتِكَ مَا أَنْحَتْ
يَا يَاسِرَ الْعَرَفَاتِ حَارَتْ هَاهُنَا
كَمْ نَاحَ طَيْرٌ فِي سَمَاءِ فِرَاقِكُمْ

وفي رثائه يقول شهاب محمد (١) :

أَلْفَ طُوبَى لَهٗ .. وَنَعْمَ الْمَالُ
وَعَلَى "مِرْقَدِيَهٗ" تَبْكِي الْجِبَالَ
وَعَلَى دَرَبِهَاتِ تَسِيرُ الرِّجَالَ
بَلْ دَعَاءٌ ، وَرَحْمَةٌ ، وَابْتِهَالُ

جِئَاكَ الْفَارِسُ الْأَبِيَّ رَسُولًا
جِئَاكَ الْفَارِسُ الْعَظِيمُ شَهِيدًا
يَاسِرَ الشَّعْبِ وَالْجُمُوعِ جُمُوعُ
لَا وَدَاعَ لِفَارِسٍ يَتَسَجَّى

إلى غير ذلك من القصائد الكثيرة جداً التي تناول فيها الشعراء جوانب من حياة الرئيس الراحل ، وبطولاته ، وضموده في وجه الغطرسة الصهيونية .

ومن رثاء أبطال فلسطين أيضاً ، رثاء الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي "فتحي

الشقاقي" (٢) ، من ذلك قول الشاعر الدكتور محمد صيام في رثائه (٣) :

قَالُوا: الْقَضِيَّةُ فَاَنْدَفَعَتْ تَجُودُ بِالِدَمِّ لِلْقَضِيَّةِ
لَا تَرَهَّبُ الْأَعْدَاءَ فِي الْهَيْجَا، وَلَا تَخْشَى الْمَنِيَّةُ
يَا مَنْ إِذَا ذُكِرَ الْوَفَاءُ أَوْ الْمَرْوَةُ وَالْحَمِيَّةُ
كَنْتَ الْأَثِيرَ بَهَنَ لَيْسَ سِوَاكَ فَرْدٌ فِي الْبَرِيَّةِ
أَمَا فِلَسْطِينَ الْحَبِيبَةَ، وَالرَّوَابِي السَّنْدَسِيَّةُ
وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ وَالْدِيَارَ الْمَقْدِسِيَّةُ
فَلَهَا الدَّمَاءُ الْغَالِيَاتُ هَدِيَّةُ أَزْكَى هَدِيَّةُ
أَمَا التَّفَاوُضُ فَهُوَ ذُلٌّ، وَهُوَ مَحْوٌ لِلْهُويَّةِ
وَلِذَا فَلَا حَلَّ هُنَاكَ بَغَيْرِ حَلِّ الْبِنْدَقِيَّةِ

فالشهيد فتحي الشقاقي فدائيٌّ ومجاهدٌ من نوع متميز ، كان عاشقاً لبلاده فلسطين ، وهذا

من ملامح شخصية المجتمع الفلسطيني ، حب الوطن ، والتضحية في سبيله .

1 - انظر جريدة الحياة الجديدة ، الصادرة يوم الخميس 2004/12/16 ، ص 10 .

2 - "فتحي إبراهيم عبد العزيز الشقاقي" من مواليد 1951م في قرية "الزرنوقة" إحدى قرى يافا بفلسطين ، مؤسس حركة الجهاد الإسلامي " اغتيل في مالطا يوم الخميس 26-10-1995م . ترجمته على موقع : إسلام أون لاين ، على شبكة الإنترنت .

3 - انظر: موقع إسلام أون لاين على شبكة الإنترنت.

أما رثاء المجاهدين الذين رووا بدمائهم الزكية تراب فلسطين إبان الانتفاضتين ، فأكثر من أن يُحاط به ، وذلك لكثرة عدد الشهداء ، وتنوع البطولات .. فمن شهداء حركة المقاومة الإسلامية حماس ، نذكر الشهيد عماد عقل^(١) ، الذي هزّ وجدان الجماهير ببطولاته ، وأدمى قلبه استشهاده ، وفي رثائه يقول الشاعر أحمد الريفي^(٢) :

لَيْسَ فِي مَبْدَأِ الْجِهَادِ اجْتِهَادٌ مَنْ يَجُودُ بِالدَّمَاءِ فَهُوَ الْجَوَادُ
فَاهْتَفِي يَا زُحُوفُ فِي كُلِّ وَادٍ جَادَ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ عِمَادُ
غَزَاةَ الْيَوْمِ خَيَّمَتْ سَحْبُ الْحُزْنِ عَلَيْهَا وَعَمَّ فِيهَا السَّوَادُ
نَبَأٌ كَالزَّلْزَالِ لَمْ تَقْوِ أَذْهَانَ عَالِي حَمْلِهِ وَلَا أَجْسَادُ
هُوَ نَجْمٌ عَلَى قُوَى الْبَغْيِ يَهْوِي وَهُوَ لِحَقِّ مِشْعَلٍ وَقَادُ
سَوْفَ يَبْقَى أَنْشُودَةٌ يَتَغَنَّى كُلُّ حُرٍّ بِهَا فَذَكَرَاهُ زَادُ
يَا عِمَادَ الْقَسَامِ رَمَزًا سَتَبْقَى لَكَ بِالْعَزْمِ يَشْهَدُ الْأَشْهَادُ
إِنْ تَكُنْ قَدْ رَحَلْتَ وَالْمَوْتُ حَقٌّ فَالْجَمَاهِيرُ لَمْ تَمُتْ يَا عِمَادُ

وكذلك القائد الشهيد يحيى عياش^(٣) ، الذي قيل في رثائه عشرات القصائد ، وبكاه قادة حماس ، من ذلك قول الشهيد الرنتيسي في رثائه^(٤) :

عِيَاشٌ حَيٌّ لَا تَقُلْ عِيَاشُ مَاتُ أَوْ هَلْ يَجْفُ النِّيلُ أَوْ نَبْعُ الْفِرَاتِ
يَا ذَا الْمُسْجَى فِي التَّرَابِ رِفَاتُهُ مِنْ لِي بِمِثْلِكَ صَانِعًا لِلْمُعْجَزَاتِ
أَنْعَمَ بِقَبْرِ قَدْ تَعَطَّرَ جَوْفُهُ إِذْ ضَمَّ فِي أَحْشَائِهِ ذَاكَ الرِّفَاتِ
أَنْ الْأَوَانُ أَبَا الْبِرَاءِ لِرَاحَةٍ فِي صَحْبَةِ الْمُخْتَارِ وَالغُرِّ الدَّعَاةِ
أَبْشُرْ فَإِنْ جِهَادَنَا مُتَوَاصِلٌ إِنْ غَابَ مَقْدَامُ سِيخْلَفِهِ مَنَاتِ

وبكاه أيضاً الشهيد المقادمة قائلاً^(٥):

- ¹ - لبي شهيدنا البطل نداء ربه وهو صائم يوم الأربعاء الموافق 1993/11/24م ، بحي الشجاعية بغزة . حيث حاصرته قوات الاحتلال وقتلته . انظر ترجمته في كتاب : عماد عقل أسطورة الجهاد والمقاومة ، غسان دوغر ، ص 8-104 .
- ² - أحمد الريفي ، ديوان : " مواجهات 1 " ، ط 1 ، مكتبة آفاق 2004م ، ص 20-21 .
- ³ - ولد يحيى عبد اللطيف عياش في 6 آذار/ مارس 1996م في قرية رافات جنوب غرب مدينة نابلس في الضفة الغربية المحتلة . تخرج من قسم الهندسة الكهربائية في العام 1988م . نشط في صفوف كتائب الشهيد عز الدين القسام منذ مطلع العام 1992م ، وتركز نشاطه في مجال تركيب العبوات الناسفة من مواد أولية متوفرة في الأراضي الفلسطينية ، اعتبر مسئولاً عن سلسلة الهجمات الاستشهادية مما جعله هدفاً مركزياً للعدو الصهيوني . ظل ملاحقاً ثلاث سنوات ، اغتيل في بيت لاهيا شمال قطاع غزة يوم 1996/1/5م . انظر ترجمته في : موقع المركز الفلسطيني للإعلام .
- ⁴ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 71 - 72 .

عياش لا ترحل وتترك حلمنا نهش الذئاب
... عياش أنت الحي أنت برغم كونك في التراب
فبذاك حدثنا الرسول وأنبأت أي الكتاب
ولنعلم أم أنجببتك وأرضعت لنا فطاب
وحماس إذ غرست بروحك عزمها حتى اللباب
فغدوت رمزاً للحمى وغدوت زينا للشباب

ومن قبيل الندب المملوء بالحزن والأسى ، رثاء المؤسس والقائد العام للجهاز
العسكري لحركة حماس في فلسطين ، صلاح شحادة^(٢) ، من ذلك قول الدكتور محمد صيام
في رثائه^(٣) :

لَكَ يَا صَلاَحُ تَحِيَّةٌ وَسَلامٌ ما نَاحَ في الوَطَنِ السَّيِّبِ حَمامٌ
قَد كُنْتَ في المِيدانِ رَمَزَ شِجَاعَةٍ سَتَظَلُّ تَذَكُّرُهُ لَنا الأيَّامُ
بَطْلٌ لَهِ بَينَ الجَمِيعِ تَميِّزٌ وعلَیْهِ مِن حُبِّ الجَمِيعِ وَسامٌ
والقائِدُ الفِذُّ الَّذي صَفَلْتَهُ تَجَرِبَةُ السَّنينِ السُّودِ وَهُوَ غَلامٌ
فإِذا بِهِ سَهْمٌ يُصِيبُ عَدُوَّنا والیومَ یَندُرُ أن تُصِيبَ سِهامُ

تلك الكلمات كانت بعض ما قيل في رثاء الشهيد القائد الشيخ صلاح الدين شحادة .. حين سمع
الشعراء نبأ استشهاده تفجرت مشاعرهم بكلمات عبرت أصدق التعبير عن تقديرهم لهذا القائد،
وحقدهم على احتلال لم يشهد التاريخ الإنساني مثيلاً له في الوحشية والدموية .. الاحتلال
الصهيوني الذي لم يتورع عن قصف حي الدرج المكتظ بالأطفال والنساء والشيوخ ليغتال
صلاح الدين شحادة وأفراد أسرته وأبناء حيّه .

وتستمر مجازر الاحتلال وجرائمه ، ويستمر في اغتيال القادة السياسيين لحركة
حماس ، فيغتال المعلم والمربي الذي تمنى الشهادة فنالها ، الدكتور إبراهيم المقادمة ، فيهب
الشعراء مهنتين بالشهادة ، يشدون من أزر الناس ، ويحثون على مواصلة المسيرة ، من ذلك
نورد قول أحمد الريفي في قصيدة "فزت يا مقدم" (٤) :

لَكَ يا إِبْراهِيمُ مِنّا السَلامُ خَسِرُوا هُمَ وَفُزْتَ يا مِقْدامُ

¹ - ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص ٥٦ - ٥٧ .

² - ولد صلاح شحادة في قرية "بيت حانون" بتاريخ 4-2-1953م ، لأسرة أجبرتها النكبة على ترك يافا
بلدتها الأصلية ، انضم للمجاهدين وأسس مدرسة اسمها مدرسة الشهادة والاستشهاديين ، استشهد يوم
2002/7/22م . انظر ترجمته في : الاغتيالات الصهيونية ضد رموز الشعب الفلسطيني ، ص 147 .

³ - انظر : المركز الفلسطيني للإعلام ، رثاء صلاح شحادة ، شبكة الإنترنت .

⁴ - أحمد الريفي ، ديوان : " مواجهاة 1 " ، ص 14 .

يَا أَبَا أَحْمَدٍ هَيْئًا مَرِيئًا
 أَنْ تَسْتَرِيحَ بَعْدَ جِهَادٍ
 عُدَّةَ الزَّاحِفِينَ فِيهَا قُلُوبٌ
 لَا تَرَى فِيهَا غَيْرَ أَشْلَاءِ جِسْمٍ
 سَوْفَ نَمُضِي عَلَى طَرِيقِكَ صَفَاءً
 جَنَّةَ الْخُلْدِ طَابَ فِيهَا الْمَقَامُ
 فِي دُرُوبِ تَرَابِهَا أَلْغَامُ
 وَنَفُوسٌ ضَاقَتْ بِهَا الْأَجْسَامُ
 فَجَرَّتْهُ قَذِيفَةٌ أَوْ حِرَامُ
 وَنُصَلِّي وَأَنْتَ فِيْنَا الْإِمَامُ

وقد هزّ اغتيال المجاهد الشهيد أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وجدان المسلمين في جميع بقاع الأرض ، وتفجرت قرائح الشعراء حمماً غاضبة على السفاح الصهيوني ، والعرب والمسلمين الخانعين ، ومما قيل في رثائه وتقريظ صفاته نذكر قول الشاعر(١) :

دمك المراقُ على الترابِ مطهراً
 يا سيدي قتلوك لكن لم تمت
 طعنوا قلوبَ المسلمين بحقدِهِم
 فتعطَّرَ الميدانُ من دمك الذي
 ولقيتَ ربك صائماً ومصلياً
 المسكُ من قَطْرَاتِهِ وَالْعَنْبَرُ
 بل أنتَ في الفردوسِ حيٌّ تُحْبَرُ
 وتجاوزوكَ وأنتَ خطُّ أحمرٍ
 بالمسكِ فاضَ على الثرى يتفجرُ
 في بيته فجراً ووجهك مُسْفِرُ

وفي رثاء الشيخ أحمد ياسين يقول الشاعر عبد الخالق العف(٢) :

يا قومُ عزَّ من الفراقِ تجلدي
 ثارت شجونُ الروحِ حتى خلتها
 أنى تغيبُ وفي شرابين الثرى
 أنى تغيبُ وفي ترانيم الورى
 حورُ الجنانِ تهيأت لعريسها
 حملته للجناتِ يعبقُ طيبه
 جرحُ هنا عرسُ هناك فزغردى
 فتدأفعتُ أرواحهنَّ صوادياً
 قد سرتَ نحوَ الشمسِ تمنحها السنأ
 وصعدتَ في درجاتها حتى إذا
 يا زهرةَ البُرْكانِ يا بدرَ الدجى
 ها قد ترَجَّلَ فارسٌ عن صهوةِ

هل أطفئت في الصبحِ جذوةَ أحمدٍ
 فجرتَ عيوناً في القلوبِ الجلمدِ
 دمك الطهورُ يثورُ ملءَ المرقدِ
 ألقىتَ لحنَ العابدِ المتهدِّدِ
 زفته بعد طراوةِ الفجرِ الندى
 كفُ الملائكِ عندَ بابِ المسجِدِ
 وتضوئى لا تحفلى بالحُسدِ
 يرشُفنَ من كأسِ النعيمِ السرمديِ
 والشهبُ تدنو من ضياك وتغتدي
 جئتَ النجومَ نزلتَ فوقَ الفرقدِ
 انعمَ فديتكِ بالرضأ والسؤددِ
 فبكتَ ظهورُ الخيلِ جلسةَ أحمدِ

1 - السابق ، ص 8- 9 .

2 - د. عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص 85 .

ومن البكائيات أيضاً نذكر قصيدة خضر أبو ججوح التي تقطر حزناً على فراق الشيخ أحمد ياسين ، والتي يواسي فيها الشعب الفلسطيني ، ويعزيه بذكر رفاق الياسين الذين تتعد عليهم الآمال في مواصلة المسير على درب الياسين ، يقول (١):

الْقُدْسُ تَبْكِي الْيَوْمَ فَارِسَهَا دَمًا وَحِجَارَةُ الشُّطَّانِ وَالْأَغْوَارُ
 وَشَوَارِعُ الْوَطَنِ الْحَزِينِ كَنِيْبَةً وَالْعَسْقَلَانُ يَلْفُهَا اِكْفِهْرَارُ
 وَالشَّاطِئُ الْمَكْلُومُ دَمْعَةً حُرْقَةً نَزَفَتْ عَلَيَّ خَدَيْكَ يَا أَمْسَارُ
 دَمَكِ الطُّهُورِ وَقُودُ ثَوْرَتِنَا الَّتِي سَيَذُوقُ مِنْهَا رُعْبَهَا الْأَشْرَارُ
 هِيَ ذِي الْقِيَادَةِ كُلِّهَا بِيَقِينِهَا قَزَمَ أَمَامَ شَمْوُخِهَا الطَّيَّارُ
 فَالضَّيْفُ يَعْشُقُ مَوْتَهُ وَيَغِيْظُهُمْ عَبْدَ الْعَزِيْزِ وَخَلْفَهُ الزَّهَّارُ
 وَأُخَيَّ إِسْمَاعِيْلَ يَشْمَخُ صَابِرًا فِي مَقْلَتَيْهِ مَرَابِيعُ وَبِحَارُ
 وَالْبَحْرُ أَحْمَدُ وَالسَّعِيْدُ وَمَشْعَلُ وَأَبُو أَسَامَةَ قَبْلَهُمْ وَنِزَارُ
 يَتَأَلَّقُونَ كَمَا النُّجُومُ تَهَابُهُمْ زَمْرُ الْيَهُودِ ، وَتَكْتَوِي الْأَحْبَارُ

ومن قبيل الندب الممزوج بالحسرة والعزاء لكل مسلم على فقدان شيخ الإسلام في زماننا الشيخ أحمد ياسين ، نورد بعض ما قاله الشاعر محمد صيام (٢) :

يَا شَيْخَنَا (يَاسِيْنَ) نَلْتَمُ وَالرِّفَاقُ الْأَكْرَمُونَ
 مَا عَشْتُمُ الْعُمَرَ الطَّوِيْلَ - بِكُلِّ صِدْقٍ - تَشْتَهُونَ
 فَإِلَى جِنَانِ الْخُلْدِ فِيهَا تَخْلُدُونَ وَتَنْعَمُونَ

وقد عزى محمد صيام الأمة الإسلامية بفقد الشيخ الإمام أحمد ياسين ، وبشرهم بأن مسيرة النضال ستستمر ، لأن المسلمات الفلسطينيات سيواصلن إنجاب الأبطال ، وتربيتهن في مدرسة الجهاد لكي يواصلوا مسيرة الياسين ورفاقه المجاهدين ، يقول (٣) :

وعزأونا للمسلمين ، وإن تَرَخَى المسلمون
 عن نَجْدَةِ الْأَقْصَى لِيَعْبَثَ فِي رُبَاهُ الْمُعْتَدُونَ
 وَلِيَبْعَثَنَّ اللَّهُ - يَوْمًا - مِنْ لُهُ سِيحْرَرُونَ
 وَنَسَاؤُنَا سَيِلْدَنَ مِنْ لِرُبَاهُ سَوْفَ يَطْهَرُونَ
 وَلِيَنْعَمَ الشَّهْدَاءُ بِالنَّعْمِ الَّتِي سَيُكَافِنُونَ
 وَلِيَعْلَمُوا أَنَّا بِمَنْهَجِ رَبِّهِمْ مُسْتَمْسِكُونَ

¹ - الإمام الشهيد في عيون الشعراء ، خضر أبو ججوح ، قصيدة : وسام على جبين العز ، ص ٣٤ .

² - محمد اليافاوي ، أحمد ياسين ، عظمة العطاء وروعة الشهادة ، ص 129 .

³ - محمد اليافاوي ، أحمد ياسين عظمة العطاء وروعة الشهادة ، ص 130 - 131 .

وبهم - لعمرك - في الدفاع عن القضية - مقتدون
وعلى خطاهم سائرون ، وللشهادة طالبون
حتى وإن لم يبق منا أولون وآخرون

وتستمر مسيرة قوافل الشهداء على درب رسولنا صلى الله عليه وسلم ، ويترجل
الدكتور عبد العزيز الرنتيسي . ويهب الشعراء لثناء الرنتيسي ، الأسد الذي وهب نفسه لله
سبحانه ، واستشهد مدافعاً عن ثرى فلسطين الطهور ، لأنه فلسطيني العرين ، مقاوم من
الطراز الفريد ، حياته عبادة وموته شهادة ، ولأنه الرنتيسي رثاه القاضي والداني ، من
ذلك قول أحمد الريفي^(١):

تَبْكِي الْقُلُوبُ عَلَيْكَ مُتَخَنَّةً
بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَيْكَ خَاشِعَةً
وَالْحَرْبُ تَطْحَنُنَا مَطَاحِنَهَا
سَاحَاتُ غَزَاةٍ وَدَعَّتْكَ عَلَى
سَابِقَتِنَا نَحْوَ الْعِلَاقِدُمَا
مَاضُونَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مَعَا
لَمْ يَقْتُلُواكَ وَإِنَّمَا قَتَلُوا
أُسْدًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ
يَا رَبَّنَا عَوْضُ خَسَارَتِنَا

أَفْجَاءَهَا أَمْ جَاءَكَ الْأَجَلُ
وَالطَّقْسُ فِي نَيْسَانَ مُعْتَلُ
وَدِمَاؤُنَا كَالغَيْثِ تَتَهَمِلُ
أَمَلِ اللِّقَاءِ وَحَبِّذَا الْأَمَلُ
فَسَبَقْتَنَا وَالسَّابِقُ الْبَطْلُ
فِي الدَّرْبِ خَلْفَكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ
أَوْهَامُهُمْ فَنَجَّاحُهُمْ فَشَلُ
شَرَفٌ فَإِنْ قَالُوا فَقَدْ فَعَلُوا
فِيهِ فَإِنْ مُصَابِنَا جَلُّ

وكذلك رثاء علاء الكرييري الذي يقطر أسى وحسرة ، والذي ينعى على العرب عجزهم
وتخاذلهم ، في قوله^(٢) :

قَتَلُواكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَمَا بَدَا
قَتَلُواكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَمَا دَرَا
أَوَاهُ مِنْ سَكَرَاتِهِمْ قَدْ شَرِبُوا
يَكْفِيكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ كَرَامَةٌ
إِنْ كُنْتُ أَرْتِيكُمْ فَصَوْتِي بَاكِيًا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رِقَادِكَ زَهْرَةً
وَبَكَتْكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَأَجْهَشْتُ
وَبَكَتْكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ يَمَامَةً

عَلَى عُرْبٍ هَزِيلٍ نَائِمٍ
أَنْ الشَّهَادَةَ مَطْلَبٌ لِلْمُقَدِّمِ
كَأْسَ الْمَنَايَا ، أَيْنَ رُدُّ الْمُسْلِمِ ؟
فَالْمِسْكَ يَعْبِقُ حَيْثُ يَقْطُرُ بِالدَّمِ
قَدْ قَضَيْتُ فَقَدْ هَزَبِرِ الْمُقَدِّمِ
قَدْ شَقَّتِ التُّرْبُ الْمُغَطَّى بِالدَّمِ
تَبْكِي بِمُرٍّ مِثْلَ طَعْمِ الْعَقَمِ
نَاحَتْ وَفِيهَا أَنَّةُ الْمُتَأَلِّمِ

¹ - أحمد إسحق الريفي ، ديوان : "مواجهات" ، ص 12- 13 .

² - علاء أحمد الكرييري ، ديوان : " درر السعداء في واحة الشعراء " ، ديسمبر 2004م ، ص 9- 10 .

وَاللّٰهُ اِنْ سَكَنَ التُّرَابَ عَظِيْمًا فِقُبُوْرُنَا بِرِقَاتِهِمْ فِيْ اَنْعَمٍ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني مشاركة الشعوب الإسلامية في نضالها ضد الغزاة ، فهذا القائد البطل المجاهد عبد الله عزام ، فلسطيني الجنسية إسلامي العقيدة والهوية(١) ، باع نفسه لله طلباً لمرضاته والفوز في الآخرة ، مصداقاً لقول الله تعالى : "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"(٢) ، حيث جاهد بطلنا مع إخوانه في أفغانستان ضد العدوان الروسي ، وألحق بهم الهزائم تلو الهزائم ، فأحيا فريضة الجهاد في الأمة ، كان لسان الجهاد ، ومفتي الجهاد ، وقائد الجهاد ، ضد أي عدوان تجاه العالم الإسلامي ، ومن كلماته الخالده: "إن الأبطال الحقيقيين هم الذين سيخطون بدمائهم تاريخ أمتهم ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتها الشامخة ، ويشيدون بجماعهم حصونها المنيعه ".ومن أقواله أيضاً : "الجهاد ضروري للحركة الإسلامية ؛ إذا استمرت في أخذ العلم دون التعامل معه فإنه يؤدي إلى قسوة القلوب وقلة التقوى وضعف الإيمان ، وتفقد الحركة مصداقيتها ، فالنار تاكل بعضها إن لم تجد ما تأكله"(٣) ، وقد رثى الشاعر عبد الرحمن بارود الشهيد الدكتور عبد الله عزام قائلاً(٤):

طَارَ عَنَّا نِسْرُ الْجِبَالِ الْأَبْيَةِ	صَوَّبَ تِلْكَ الْمَنَازِلَ الْعُلُوِيَّةَ
تَارِكًا حِكْمَةَ الزَّمَانِ تَدْوِي	صَادِقَ الدِّينِ ، لَيْسَ يُعْطِي الدُّنْيَةَ
أَيُّهَا الْمَيِّتُونَ مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ	أَخْرَجُوا لِلْحَيَاةِ وَالْحَرِيَّةِ
أُمَّةً ضَاعَ سَيْفُهَا مِنْ يَدِيهَا	فِي يَدِيهَا السَّلَاسِلُ الْأَبْدِيَّةَ
جاء(مرج بن عامر) من فلسطين	فأهدى (كابول) أعلى هديه

¹ - ولد الدكتور عبد الله عزام في قرية سيلة الحارثية لواء جنين عام 1941م ، التحق بكتائب الإخوان المجاهدين عام 1969م ، عمل في عدة دول عربية قبل أن يتفرغ عام 1984م للعمل كمستشار للتعليم في الجهاد الأفغاني ، ثم مجاهداً على أرض أفغانستان ، نال الشهادة في 24/11/1989م عندما كان متوجهاً لإلقاء خطبة الجمعة في مسجد الشهيد "سبع الليل" في مدينة بيشاور الباكستانية . لشهيدنا مؤلفات عديدة منها : آيات الرحمن في جهاد الأفغان ، إتخاف العباد في فضائل الجهاد ، أذكار الصباح والمساء ، إلحق بالقافلة ، بشائر النصر ، جهاد شعب مسلم ، السرطان الأحمر، المنارة المفقودة، حماس .. انظر ترجمته في ديوان : الوداع المر في رثاء شهيد الأمة عبد الله عزام ، إعداد الدكتور أحمد أبو بكر ص3 ، وكتاب حماس لعبد الله عزام .

² - سورة التوبة : 111 / 9 .

³ - أحمد أبو بكر ، ديوان : الوداع المر في رثاء شهيد الأمة عبد الله عزام ، 1990م ، ص13 - 15 .

⁴ - المرجع السابق، ص17 .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَثْبِيكَ تَاجاً رَصَّعَتْهُ الْكَوَاكِبُ الدَّرِيهَ
ومن عشرات القصائد التي قيلت في رثاء هذا القائد الفلسطيني المسلم نذكر أيضاً قول الشاعر
محمد صيام^(١) :

كَفَيْفِ الدَّمْعِ فَالْمُصَابِ ثَقِيلُ
وَالنَّفُوسِ الْمُصَابِ هَزَّ قُورَاهَا
فَابْنَ عَزَامِ المَصِيبَةُ فِيهِ
وَالِى رُوحِهِ (بَيَانُ سَرِيحِ)
وَرُبِّى السَّيْلَةُ الَّتِي أَنْبَتَتْهُ
وَقَبَابِ الأَقْصَى ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ
فِي فِلِسْطِينَ أَوْرَقَ العَرَسِ وَاشْتَدَّ
يَا (ابن عزام) اظْمِئْنِ فَإِنَّا
وَعَزَاءٌ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً
لَا تُوَأْسِيهِ أَدْمَعٌ وَعَوِيلُ
وَأَصَابِ النُّفُوسِ خَطْبٌ جَلِيلُ
جَلَلٌ ، مَا لَهَا الغَدَاةُ مَثِيلُ
غَزَّةٌ أُرْسَلَتْهُ بَلُّ وَالْخَلِيلُ
وَجَنِينُ وَنَابِلُسُ وَالْجَلِيلُ
الْيَوْمَ عَنْهُمْ عَنْ حَالِهِمْ تَفْصِيلُ
أَمَامَ الرَّدَى ، وَشَبَّ الفَتِيلُ
وَفَقْ مَا كُنْتَ تَرْتَجِي وَتَقُولُ
وَعَزَاءٌ لَنَا ، وَصَبْرٌ جَمِيلُ

يعزي الشاعر الأمة الإسلامية في فقد الدكتور عبد الله عزام ، ثم يتوجه لروح الشهيد عزام
مطمئناً إياها على مسيرة الجهاد في فلسطين ..

¹ - المرجع السابق ، ص 38 - 40 .

ثالثاً: شعر الوصف:

كان وصف الطبيعة في الشعر القديم باباً لم يخلُ منه ديوانٌ من دواوين معظم الشعراء ، حيث أدرك الشاعر الجاهلي معالم الجمال في طبيعة بيئته ، وقام بتصويرها جزئياً ، وتخللت أبياته لوحات جميلة من الصور التشبيهية والاستعارية التي استمدتها من الطبيعة ، وقد جاء وصف الطبيعة في قصائد الجاهليين تمهيداً للغرض الرئيس ، المدح والهجاء والغزل والفخر ... ، وكان وصفهم يتمثل في وصف النوق والخيول والحرر الوحشية بكل نعوتها ودقائقها ، كما وصفوا الصخر والجمال والسهول والأمطار بأنواعها . ومن الشعراء الذين برعوا في شعر الوصف امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى (١) .

وقد تطور فن الوصف حتى أصبح فناً مستقلاً في العصر العباسي ، ووصف الشعراء الرياض والأزهار والبساتين ، وأفردوا باباً خاصاً بشعر الطبيعة ، واتسع نطاق وصف الطبيعة ، وتغيرت النعوت التي استخدمها العباسيون في أشعارهم . واشتهر من شعراء الوصف في هذا العصر البحترى وابن الرومي وابن المعتز والصنوبري الذين سجلوا ظاهرات الطبيعة بدقة وأخرجوها إخراجاً فنياً حافلاً بالحياة والحركة (٢) .

وفي العصر الأندلسي ، هام شعراء الأندلس بالطبيعة وأبدعوا في وصف جمالها وتصوير مناظرها البديعة (٣) .

وتغيرت نظرة الشعراء إلى الطبيعة في العصر الحديث إثر تعرفهم على الآداب الغربية ، وتأثرهم بشعراء الغرب ، فجاء شعرهم في الطبيعة كما جاء عند الشعراء الغربيين الرومانسيين ، الذين فتنوا بالطبيعة واعتبروها الملاذ الأول الذي يجدون فيه الأمن والعطف ، فكانوا يلتجئون إليها هرباً من متاعب الحياة ومشاكل الناس وقبود المجتمع ، يبتونها مشاعرهم وانفعالاتهم وأحزانهم ، ويتبادلون معها العواطف والأحاسيس ، ويضفون عليها ذواتاً حيةً وصفاتاً إنسانيةً .

أما شعر الوصف عند الشعراء الفلسطينيين - خاصة في فترة الدراسة من 1987م حتى 2005م - فلم يكن مقصوداً لذاته ، بل اتجه نحو التمسك بالأرض ، والدفاع عنها من

¹ - شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ط7 ، دار المعارف بمصر 1976م ، ص 214 - 217 .

² - شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ط14 ، دار المعارف بمصر 1996م ، ص 183 - 189 .
وانظر : العصر العباسي الثاني ، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر 1986م ، ص 228 - 242 .

³ - جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، ط دار المعارف بمصر 1980م . ص 120 - 157 . وانظر كتاب : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، أحمد هيكل ، ط9 ، دار المعارف بمصر 1985م ، ص 278 - 280 .

خلال وصف فلسطين وأرضها وما تتمتع به من جمال ، ووصف المعارك القتالية التي تدور على ساحاتها ، والعمليات البطولية للمجاهدين على أرض فلسطين .. وفي ثنايا ذلك الوصف يتم وصف طبيعة فلسطين الصامته وطبيعتها الحية ، وفي خلال ذلك الوصف تتكشف ملامح الشخصية الإسلامية .

ومن مفردات الطبيعة الصامته التي وصفها الشعراء الأزهار والثمار والسهول والجبال والأنهار والبحر والبرد والثلج والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وما شابه ذلك من الجمادات ، أما مشاهد الطبيعة الحية فتمثلت في وصف النباتات ، ويدخل فيها وصف الربيع وما فيه ، ووصف الأحياء من إنسان وحيوان وحشرات وطيور ، ووصف الظواهر الطبيعية كالأمطار ووصف الرياح والعواصف والنسيم ، ووصف الرعد والبرق وخسوف القمر وكسوف الشمس ، والليل والنهار ...

ومن ملامح الشخصية الإسلامية في شعر الوصف تمثّل إبداع الخالق للجمال في هذا الكون ، حتى أصبح آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، من ذلك قول الشاعر عدنان النحوي في وصف جمال الكون (١) :

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا آيَةً
وَأَبَدَعْتَ فِي الْكَوْنِ مَا تَجَنَّبِي
وَرَيَّنْتَهُ ! يَا لِهَذَا الْجَمَالِ
فَتَخَشَعُ فِي نُورِهِ أَضْغَعُ
تَطُوفُ الْقُلُوبُ بِهَا وَالْعَيْونُ
عُيُونٌ وَمَا هُوَ سِرٌّ دَفِينٌ
وَهَذَا الْجَمَالَ هَذَا الْحَنِينُ
وَتَخَفُّقُ أَشْوَاقِهَا وَالشُّجُونُ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية التمسك بالوطن والتعلق به والذود عنه ، وفي ظل ذلك تغنى شعراء فلسطين بجمال هذا الوطن ، فهذا الشاعر عبد الرحمن بارود يتغنى بجمال فلسطين قائلاً (٢) :

أَقُولُ وَالْقَلْبُ يَشْدُو فِي خَمَائِلِهِ
يَا لِلجِبَالِ إِذَا مَا ازْيَيْتَ وَعَلَى
وَبَحْرُنَا الْمُنْعِشُ الْبَرَّاقُ بِهِجَتُهُ
بَحْرٌ شَوَاطِئُهُ تَبْرٌ وَزُرْقَتُهُ
يَا لِلرَّبِيِّ وَالْمَرْوَجِ الْخَضِرِ مُصْبِحَةَ
تَلَالِاتِ كَعَقُودِ الْمَاسِ تَحْسِبُهَا
وَالْبَدْرِ فِي رَوْضِنَا الْمِيَّاسُ يُطَلِّقُنَا
هَذَا الْجَمَالَ إِلَى الْفَرْدُوسِ يَنْتَسِبُ
سُفُوحِهَا غَرْدَ الزَّيْتُونِ وَالْعِنَبِ
تَشْفِي الْعَلِيلَ فَلَا هَمٌّ وَلَا نَصَبُ
سِحْرٌ وَأَمْوَاجُهُ بِالْفُلِّ تَعْتَصِبُ
وَالوَرْدُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مَنْظَرٌ عَجَبُ
حَدَائِقِ الْخُلْدِ عَنْهَا انْزَاحَتْ الْحُجُبُ
فِي الْكَوْنِ نَسِيجُ وَالْأَمْوَاجُ تَعْتَقِبُ

¹ - موقع : المركز الفلسطيني للإعلام ، شبكة الانترنت ، وانظر موقع النحوي .

² - انظر موقع : المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الإنترنت .

ولا تسل عن شموخ البرتقال ضحى
يا قدرة الله كم كنز نثرت هنا
هذي فلسطين يا من ليس يعرفها
وقد تالاً في نوره الحبب
سبحان من يهب الدنيا لمن يهب
كان أحجارها القدسية الشهب

أما عن وصف الأماكن في بلادنا فنجد أن المسجد الأقصى نال حظاً وافراً من الوصف ، وفي سحر وجمال وقدسية هذا المسجد يقول الشاعر عدنان النحوي (١) :

المسجد الأقصى رفيف حنينه
المسجد الأقصى على ربواته
نور مع التاريخ مؤتلق به
مهوى قلوب المؤمنين وقبلة
وربى ملائكة يشع بها الهدى
شعت بأنوار النبوة وزدهت

أضفى الشاعر - في الأبيات السابقة - قدسية على جمال فلسطين ، من بدر وشمس وجبال وبحر ومروج خضراء وبرتقال .. وذلك لجمال المسجد الأقصى ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ويصف الشاعر ماجد الدجاني صباح فلسطين قائلاً (٢) :

صباح الخير يا شمساً تغنى
وللنسمات في الأسحار تصحو
تهرب عطر رابية وروض
وللزهري الندي وورد طل
وللدوري للحسون يشدو

وتنشرف في الربى قبل الضياء
تراقص زهرة وخصور ماء
فتنعش بالشذا صدر الهواء
على خديه يرقص بانتشاء
يبیح لفجرنا سير الغناء

ومن ملامح الشخصية الإسلامية التي اشتمل عليها شعر الوصف تغير معالم طبيعة فلسطين نتيجة تعرضها للعدوان من الاحتلال الصهيوني ، والعبث في ملامح هذه الطبيعة ، من ذلك ما نراه في وصف الشاعر عبد القادر العزة (٣) شمس صباح فلسطين ، التي يتحدث

¹ - انظر موقع : النحوي على شبكة الإنترنت .

² - ماجد الدجاني ، ديوان : " قمر على شباكنا " ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1999م ، ص 9 .

³ - شاعر فلسطيني . من مواليد بيت جبرين عام ١٩٤٠م . من أعماله : شمس الصباح والود القديم شعر (1989م) ، و (مغناة ألف ليلة شعر (1992م) . انظر ترجمته في : موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين ، ج2 / 451 .

فيها عن معاناة الفلسطينيين اليومية ، ويصف جرائم المحتل ، من قتل وهدم وقصف ، يقول^(١) :

نَهَارٌ جَدِيدٌ شَهِيدٌ جَدِيدٌ وَفِي كُلِّ مَطْلَعِ شَمْسٍ شَهِيدٌ
وَجِرْحٌ جَدِيدٌ وَهَدْمٌ بِيوتِ وَتَزْفُ دِمَاءٌ وَقَصْفٌ رُعودِ
فَمَوْجٌ شَدِيدٌ وَخَصَمٌ عَنيدٌ جُنُودٌ جُنُودٌ وَجَيْشٌ حُشُودٌ
وَشَعْبٌ تَأَلَّفَ فِي حُبِّهِ يَطُولُ السَّمَاءَ بِعَزْمٍ حَدِيدٌ
وَنَجْمٌ جَدِيدٌ وَشَمْسٌ وَعِيدٌ لَنَا كُلُّ يَوْمٍ وَخَفَقٌ بُنُودٌ
وَفِي كُلِّ لَيْلٍ هَوَى كوكَبٌ يَطُلُّ عَلَى الكَوْنِ هَذَا الوَلِيدُ
فَمَنْ يَطْمَسُ الشَّمْسَ بِالكَفِّ وَالنُّورُ يَسْطَعُ رَعْمَ الحَسُودِ...؟
عَلَى الدَّهْرِ يَا مَنْ وَعَيْتَ الدُّرُوسَ فِلِسْطِينَ مَقْبِرَةً وَلُحُودَ

هذا هو حال شعبنا كل يوم منذ انطلاقة الانتفاضة الشعبية الأولى عام 1987م ، تتغير معالم طبيعة فلسطين جرأء الممارسات الصهيونية ، وأصبح الشعراء يصفونها بصفات لم تكن تألفها، من ذلك وصف عبد الناصر صالح الذي يقول^(٢) :

عَلَى غَيْرِ عَادَتِهَا تَحْتَوِيئِي الفَرَاشَاتِ
تُلْقِي عَلَى جَمْرَةِ الرُّوحِ أَفْيَاءَهَا
تُلْقِي حُلَّةَ النَّرْجِسِ الأَرِيحِيِّ
فَتَأْخُذُنِي لَوْعَةُ الصُّبْحِ
تَنْضُجُ فِي خَضْرَاءِ القَلْبِ تَفَاحَةً
خَضَبَ الوَجْدِ أَطْرَافَهَا
وَاسْتَحَالَتْ عَيْبِرًا تَنَاطَرُ فِي الفَلَوَاتِ
وَأَسْبَغَ حِنَاءَهُ فَوْقَ أَجْنِحَةِ الغَيْمِ
فُلْتُ : الفَرَاشَاتُ تَبَعْتُ دِفْءَ المَوَدَّةِ
تُرْسِلُ فِي فِطْرَاتِ النَّدَى لَوْنَهَا القُرْمُزِيِّ
وَتَنْسُجُ خَيْطًا مِنَ الضُّوءِ حَوْلِي
فَأَخْلَعُ جِلْدَ الكَابَةِ عَنِّي ، وَأَنْهَضُ

ومن ذلك أيضا وصف أحمد دحبور للياسمين الذي يطلب الماء والضوء قبل أن يموت، لأنه لم يجد ما يعيده للحياة ، يقول الشاعر^(١) :

¹ - عبد القادر العزة ، ديوان "شموس الصباح والود القديم" ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٨٩م ، ص93- 95 .

² - عبد الناصر صالح ، ديوان "فاكهة الندم" ، المركز الثقافي الفلسطيني (بيت الشعر) 1999م ، ص 18.

تطلبُ الياسمينُ ماءً ،
ولا ماءً ،
لا ضوءَ يكفي ليغسلَ وجهَ المكانِ
تضمّر المزهريّةُ ،
والعطرُ يرسلُهُ الياسمينُ إلى لا أحد
وكانَ الزمانُ
يتجدّدُ في المزهريّةِ
...لم تمرّ على المزهريّةِ ، منّا ، يدان
كلُّ ما كانَ أيّ هنا وهناك ،
جُفَاءً ذهبَ مع الياسمينِ ،
ويمكثُ ، حيثُ تركتُ ، الزبَدُ

ومن الوصف الذي يجسد شخصية المكان الفلسطيني ، وما تعرضت له من جرائم
جرائم الاحتلال الذي يعبث بنثرياته ويشوه ملامحها ، من ذلك ما نراه في قصيدة الشاعر
زكريا محمد^(٢) ، الذي رمز للاحتلال بثور هائج ، وللأرض الفلسطينية بوردة ، ثم يحذر
الفلسطينيين من مكر هذا الاحتلال وتلونه ، فيقول^(٣) :

للوردة ثورٌ أسودٌ
يطلعُ في الليلِ
عندَ الأسيجةِ
ويضربُ بقرتينِ من فضةٍ مُعتمّةِ
للوردة ثورٌ أسودٌ
الدمُّ المهْدورُ على قرنيهِ
دمُ العابرينِ

¹ - أحمد دحبور ، ديوان : " هنا وهناك " ، ط1 دار الشروق ، عمان 1997م ، ص 107 - 108 .
² - من مواليد 27 / 12 / 1950 في قرية الزاوية - قرب نابلس . واسمه الحقيقي "داود محمود عيد" ولكنه
اشتهر باسم زكريا محمد ، درس الأدب في بغداد ، وعمل في الأردن في الصحافة ، وعاد للوطن
1994م . له أعمال شعرية منها : قصائد أخيرة ، أشغال يدوية ، الجواد يجتاز اسكدار ، وله رواية
وأربع مسرحيات . انظر ترجمته في : موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، 1 / 313 .
³ - ديوان "الجواد يجتاز أسكدار" ، ط2 ، مطبوعات وزارة الثقافة 1997م ، ص15-16 .

الَّذِينَ بَلَادٍ دَرَعٍ أَوْ زَرَدٍ
لِلوَرْدَةِ ثَوْرٌ أَسْوَدٌ
يَطْلَعُ فِي اللَّيْلِ
وَيَكْمُنُ ظِلًّا عِنْدَ سَاقِهَا فِي النَّهَارِ
فَكُنْ حَذِرًا إِنْ قَطَفْتَ الْوَرْدَةَ
كُنْ حَذِرًا
وَخُذْ بِيَدِكَ الْخَنْجَرَ
كَيْ تَنْحَرَّ ثَوْرَ الرَّعْبِ
الَّذِي يَرْقُدُ مُجْتَرًا تَحْتَهَا

ومن ملامح الشخصية الإسلامية التي يجب التنويه إليها ، هو إدانة الاعتراف بالكيان الصهيوني ، وعدم الانصياع لأوامره ، لأن ذلك يدخل في دائرة اتخاذهم أولياء من دون الله كما نص القرآن الكريم ، قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (١) ، وقد تميز الشاعر عثمان أبو غربية في إدانته الاعتراف بالكيان الصهيوني ، بالرغم من أنه أحد العائدين بموجب اتفاقية أوسلو ، وأنه يتبوأ مركزاً مهماً في القيادة الفلسطينية ، وقد جاءت إدانته في قصيدة طويلة عنوانها "تشرين أقسى الشهود" (٢) ، حيث اشتملت قصيدته على أربعة مقاطع ، لتمثل فصول السنة الأربعة ، ودلالات كل فصل على المراحل التي تشكل فيها الكيان الصهيوني ، وتعرضت فيها مسارات القضية الفلسطينية ، فمثل في المقطع الأول فصل الشتاء ، وجعل تشرين الثاني موضع الاهتمام ليمثل المراحل التي تشكل فيها الكيان الصهيوني عبر ثلاثين سطراً أيام هذا الشهر .

وقد جسد الوصف هذا الملمح من ملامح الشخصية الإسلامية خير تجسيد ، حيث وصف فصل الشتاء ليصل إلى ليلة الخامس عشر من نوفمبر التي أعلن فيها المجلس الوطني

¹ - سورة المائدة : 51 / 5 .

² - ورد ذكر شهر تشرين عند العديد من شعراء فلسطين ، وقد اقترن بالمآسي التي مر بها الشعب الفلسطيني . لأن شهر تشرين الثاني - نوفمبر - يمثل في وجدان الفلسطينيين بالكثير من المآسي منها : وعد بلفور : 2-11-1917م ، قرار التقسيم : 29-11-1947م ، وكذلك الإقرار الضمني بهذه الشرعية في الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني : 12-15 / 11 / 1988م في الجزائر ، انظر : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، للأستاذ الدكتور : نبيل أبو علي ، ص 36 .

الفلسطيني قراراته التي وضعت حجر أساس الاعتراف بالكيان الصهيوني من خلال إعلان الاستقلال ، في ليلة النصف الفراغ^(١) ، يقول^(٢):

رَاوَدْتُ سَيْفِي مَرَّتَيْنِ
وَهَجَرْتُ أَشْرَعَةَ الْبِحَارِ
وَتَرَكْتُ صَوْتَ الْعَنْدَلِيبِ
صَارَ الشِّتَاءُ عَلَى النَّوَافِذِ وَالْجِدَارِ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ الْفَرَاغِ
وَقَفَ النَّهَارُ

أما المقطع الثاني من القصيدة فمثل فصل الربيع ، ليعبر الشاعر من خلال دلالاته عن البطولة والنضال الفلسطيني ، ويجعله رمزاً للشهادة ، وليواجه به التواطؤ الدولي ، والتخاذل العربي ، والاستسلام الفلسطيني المقر برداءة هذا الواقع ، وهذا المقطع جاء ليذكرنا بالدورة التي عقدت في الجزائر ، التي أضفت الشرعية على الكيان الصهيوني ، وليظهر تكرار التذكير بها حنق الشاعر وموقفه الرفض لإقرار الفلسطينيين بشرعية المحتل^(٣) ، ففي وصف فصل الربيع يعكس الواقع الفلسطيني بمثل قوله^(٤) :

الشَّمْسُ تَسْتَلْقِي عَلَى طَرْفِ الْغِيَابِ
الْغَيْمَةُ الْبَيْضَاءُ تَسْتُرُ ظِلَّهَا
لِتَصِيرَ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ
اللُّونُ أَحْمَرُ أَرْجَوَانِي وَيَرَسُمُ نَجْمَتَيْنِ عَلَى الْجَبِينِ
الْهَالَةُ الْحَمْرَاءُ تَصْبِغُ شَعْرَهَا
وَالْوَجْهُ يَطْفَحُ بِاصْفَرَارِ الْأَفْحْوَانِ

.. ..

لَمْ يَبْقَ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ جَمْرِ الْإِرَادَةِ
لَمْ يَبْقَ فِي الْإِنْسَانِ مِيلَادٌ عَتِيدٌ
خَرَجَتْ مِنَ الْمَاءِ الْحَيَاةُ
يَا حَارِسَ النَّيْرِكِ

1 - د. نبيل أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 39 - 40 .

2 - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ..، ط3 ، منشورات دائرة الإعلام في هيئة التوجيه السياسي ، رام الله ص40 .

3 - د. نبيل أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص40.

4 - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 38 ، 39 .

حَلَّ الرَّبِيعُ وَصَرَّتْ لِلْمُطَلَّقِ

فَانْفُخْ رِيَا حَكَ فِي دَمِي

وَابْعَثْ نَشِيدَ الْأُمِّيَّاتِ

تتجسد معاني البطولة والفداء والشهادة ، فترى المناضل رمز الحرية أو شمسها قد خرج من الميدان مستلقيا على ظهره ، والغيمة البيضاء كفنا يسعى به إلى بحر الظلام ، بعد أن أصيب بطلقتين في جبينه ، وقد عم المشهد لون الدم ورائحة الموت ..

وكان الصيف في المقطع الثالث ووهج أشعته رمزا على حضور مدينة القدس ، قلب فلسطين النابض ، وإشراق الأراضي الفلسطينية بنضالات أبطالها ، وقد جسد الشاعر المكان برموزه الدينية ، وأبعاده الحضارية التي ما زالت ترفض سياسة التهويد وطمس المعالم بعزلة وشموخ^(١) . وفي وصف فصل الصيف الذي يعكس هذا الواقع يقول شاعرنا^(٢) :

صَرَخَ مِنَ التَّارِيخِ وَالصَّلَوَاتِ تَصَدَّحُ أُغْنِيَّاتُ

وَعَلَى التَّلَالِ الْيَاسْمِينِ

يَتَأَلَّقُ الْعُنُقُودُ مَزْهُوًّا عَلَى شَفَاةِ النَّبِيدِ

جَمَعَتْهُ فِي فَجْرِ النَّدَى ، قَطَفَتْهُ مِنْ وَادِي الصَّرَارِ^(٣)

قَطَفَتْهُ مِنْ فَرَشِ الْهُوَى^(٤)

جَلَسَتْ قُرْنُفَلَةٌ وَتَارِ^(٥)

وَقَبَابُهَا صَوْتٌ مِنَ الْمَاضِي يُودِّعُ قَادِمِينَ

وَفُؤَادُهَا صَفْوٌ مِنَ الْإِصْغَاءِ لِلْوَتْرِ الْحَزِينِ

وَالطُّورُ كَانَ الطُّودُ يَفْرُدُ مِعْطَفًا^(٦)

يُلْقِي الظَّلَالَ عَلَى الصُّعُودِ

وَيَبْتُولُ يَحْضُنُهَا الْمَدَى

1 - أ.د. نبيل أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 41 .

2 - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 40 - 41 .

3 - وادي الصرار : اسم مكان قرب القدس ، انظر : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 42 .

4 - فرش الهوى : ضاحية من ضواحي الخليل مشهورة بأجود أنواع العنب ، انظر : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 42 .

5 - أي جلست القدس كقرنفلة متوهجة من لون شمس الصيف .

6 - الطور : جبل الطور في القدس . انظر : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 42 .

وجاء المقطع الرابع ليكمل عدد الفصول ، فيعبر عن فصل الخريف ويصفه عاكسا الواقع
لفلسطيني وليعبر عن رفضه الإقرار بشرعية الكيان الصهيوني^(١) :

تَتَسَاقَطُ الْأُورَاقُ قُرْبَ حَدِيقَتِي
وَالْعَابِرُونَ
سَيَلُّ مِنَ النَّمْلِ الْمُبْعَثِ فِي الْوَرِيدِ
فِي الْقَبَةِ الزَّرْقَاءِ يَتَقَدُّ الْوَمِيضُ
مُسَحَتْ هُنَا آثَارُ مَنْ مَرُّوا عَلَى حَرْفِ الزَّمَنِ
وَتَوَسَّدَتْ رُوحُ الْمَدُنِ
سِحْرُ الْحَضَارَةِ عَادَ لِلِإِشْعَاعِ
مُنْذُ الْبَدْءِ كَانَ الْبَدْءُ مِنْ لَوْنِ الْحَقِيقَةِ
مَنْ يَعْبُدُ الْأَوْهَامَ مِنْ تَلْدِ الْخُرَافَةِ
زَمَنٌ يَمُرُّ وَسَاعِدٌ يَرِثُ الْخِلَافَةَ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني صون العفة والشرف ، والحياء ،
التخلق بأخلاق الإسلام ، وذلك انسجاماً مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ الْمُؤْمِنَ
لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ" ^(٢) ، وفي حسن الخلق تكلم الكثير من شعرائنا
الفلسطينيين ، من ذلك قصيدة الشاعر صالح فروانة التي يصف فيها فتاة فلسطينية اسمها شفاء
أفقدتها الجيش الصهيوني نور عينيها بعد أن فشل في اقتلاع حجابها^(٣) :

كَبِيرَةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ شِفَاءً
أَكْبَرُ مِنْ كَتِيبَةٍ مِنَ الرَّجَالِ
مِنْ غَيْمَةٍ نَدِيَّةٍ تُظِلُّ الْجَلِيلَ وَالنَّقْبَ
أَمْضَى مِنَ اللَّهَبِ
عَيُونُهَا كَانَتْ جَمِيلَةً جَمِيلَةً
أَجْمَلُ مِنْ شَفَائِقِ النُّعْمَانِ فِي الرَّبِيعِ
أَحْلَى مِنَ الْحَدَائِقِ الْمُعَلَّقَةِ
وَوَجْهَهَا حِكَايَةٌ مُنَمَّقَةٌ
جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ شَهْرَزَادَ

¹ - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 41- 42 .

² - انظر: رياض الصالحين ، للنووي ، ص 181 .

³ - صالح عمر فروانة ، ديوان : " مفردات فلسطينية " ، ص 29- 30 .

فِي أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ
 فِي عُمُقِ عَيْنَيْهَا
 تَرَى أَيْقُونََةً وَمِنْذَنَةً
 كَانَتْ شِفَاءً
 صَبِيَّةً فَتِيَّةً تَرْفُلُ بِالْحِيَاءِ
 تَرْفَعُ كَفَّيْهَا إِلَى السَّمَاءِ
 بَاحِثَةً فِي هَيْكَلِ خَرْبٍ
 عَنِ بَذْرَةِ لِمُعْتَصِمٍ
 يَسْتَنْهَضُ الْعَرَبَ
 وَبَعْدَمَا تَفَجَّرَتْ عَيْونُهَا
 تَفَجَّرَ الْبُرْكَانُ بِالْغَضَبِ
 وَرَدَدَتْ حَنَاجِرُ الْأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ
 لِيَبْكِيكَ يَا شِفَاءً
 فَكُلُّ مِقْلَاعٍ وَكُلُّ بُنْدُقِيَّةٍ
 وَكُلُّ جُنَّةٍ تَطَايَرَتْ إِلَى السَّمَاءِ
 هَدِيَّةً رَخِيصَةً إِلَيْكَ يَا شِفَاءً

هذه هي أخلاق الفتيات المسلمات المؤمنات ، أخلاق الإسلام التي تربت عليها شفاء ، وكل
 جيل شفاء ، التي رفضت أن تهان كرامتها بنزع حجابها ، في حين انتهكت العفة والكرامة
 والأخلاق يوم نزع الحجاب عن وجه الفتيات والنساء المسلمات في بعض البلدان العربية
 والإسلامية ، حيث تجاهلوا قول الله تعالى : "يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
 يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (١).

ومن ملامح الشخصية الإسلامية التفكير في خلق الله تعالى ، والتمتع بجمال خلقه ، والابتهاج
 بالطبيعة الجميلة ، وقد التفت شعراء فلسطين لهذا الجانب بالرغم من معاناتهم اليومية ، ومن
 شواهد ذلك نذكر قول الشاعر فارس مشتهى واصفاً فصل الربيع في فلسطين ، حيث ملأ
 النواحي بهجة وفرحاً (٢) :

حَلَّ الرَّبِيعُ بِحُسْنِهِ مُزْدَانَا فَكَسَا السُّهُولَ حَرَائِرًا وَجَمَاتَنَا

1 - سورة الأحزاب : 33 / 59 .

2 - فارس مشتهى ، ديوان "نبضات قلب من أرض الرباط" ، طبعة دار الأرقم ، غزة 2004 م ، ص 158.

وَشَدَّتْ طُيُورٌ فِي الْفَضَا أَلْحَانَا
وَالْمَاءُ يَجْرِي رَائِقًا غَدْرَانَا (١)

وَاخْضَرَ حَرْتُ الْأَرْضِ عِنْدَ حُلُولِهِ
فَالكَائِنَاتُ بِسِحْرِهِ مَفْتُونَةٌ

بُرْدًا خَضِيرًا لِلثَّرَى فَتَانَا
مِنْ فَوْحِهِ سَكْرَ النَّسِيمِ وَهَانَا
ذُنَيْبَا الرَّيْبِيعِ أَرِيحَهُ عِرْفَانَا
فَكَأَنَّهَا بَرْدٌ عَلَا الْأَغْصَانَا
أَزْهَارُ ضَافَتْ جَارَهَا النَّشْوَانَا
مَلَأَ النَّوَاحِي بِهَجَّةٍ وَزِيَانَا
قَدْ بَايَعْتَهُ شُهُورُهَا سُلْطَانَا

نَيْسَانَ فَصَّلَ مِنْ جَمِيلِ نَسِيجِهِ
وَتَبَسَّمَ الزَّهْرُ النَّدِيُّ بِعِطْرِهِ
وَالْوَرْدُ أَهْدَى مِنْ رَقِيقِ عَيْبِرِهِ
وَالْيَاسْمِينُ تَفَتَّحَتْ أَزْهَارُهُ
وَتَرَاقَصَتْ أَسْرُ الْفَرَّاشِ كَأَنَّهَا
عُرْسٌ بِهَيْجٍ لِلرَّيْبِيعِ مُعْبَرٌ
فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْفُصُولِ مَتَوَجِّجٌ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية التغني بالانتصارات والمناسبات الوطنية مثل حرب الكرامة ، والعمليات الفدائية ، ويوم الأرض ، في شهر آذار وهو من أشهر الربيع ، الأمر الذي اغتنمه الشعراء للربط بين البهجتين ، بهجة النصر ، وبهجة فصل الربيع ، من ذلك قول الشاعر (٢) :

بَسَمَ الصَّبَاحُ وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
مَعَ كُلِّ يَوْمٍ سَجَلَتْ آثَارُ
حُرَيْبَةَ ، وَاخْضَرَّتِ الْأَعْوَارُ (٣)
صُبْحُ يَضِيءُ وَقُدُوءُ تُخْتَارُ
فَوْقَ الْمِيَاهِ ، وَشَوْقُهَا التِّيَارُ (٤)
أَرْضَ الْجُدُودِ تَحْفُهَا الْأَزْهَارُ
فِي كُلِّ عَامٍ ، وَالْهَوَى دَوَارُ (٥)

آذَارُ أَقْبَلْ ، رَحْبِي يَا دَارُ
شَهْرُ الْبَطُولَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالْفِدَا
فِيكَ (الْكَرَامَةُ) أَشْعَلَتْ قِنْدِيلَنَا
فِيكَ الشَّجَاعَةُ مِنْ نِسَاءِ بِلَادِنَا
جَاءَتْ (دَلَالُ الْمَغْرَبِيِّ) وَصَحْبَهَا
ضَرَبَتْ بِعَرْمٍ لَا يَلِينُ ، وَقَبَلَتْ
آذَارُ ، (يَوْمُ الْأَرْضِ) أَنْتَ تَعِيدُهُ

1 - غدрана : سيولا وأنهارا ، انظر الديوان ، ص 159 .

2 - عبد البديع عراق ، ديوان : "إبداع الحجر" ، شركة الفجر للطباعة ، القاهرة 1988م ، ص 25-26 .

3 - معركة الكرامة في غور الأردن يوم 1968/3/21م ، انظر أيام فلسطينية ، يوسف حجازي ، 39/3 .

4 - العملية البحرية البطولية التي نفذتها مجموعة بقيادة الشهيذة دلال المغربي يوم : 11 / 3 / 1978م .

انظر أيام فلسطينية ، يوسف حجازي ، 26/3 .

5 - بدأت مناسبة "يوم الأرض" في 30 / 3 / 1976م حيث سقط شهداء المثلث والجليل دفاعا عن الأرض

التي يحاول العدو الصهيوني سلبها من أصحابها ، وقد أصبح هذا اليوم مناسبة فلسطينية وطنية . انظر :

أيام فلسطينية . يوسف حجازي . ج3 ص57- ص58 .

ومن ملامح الشخصية الإسلامية إحياء ليلة القدر ، هذه الليلة التي يقول تعالى في قدسيها :
 " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ " (١) ،
 ويقول رسولنا عليه الصلاة والسلام عن هذه الليلة : " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ
 لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " (٢) ، حيث اغتتم الشعراء الفلسطينيون مناسبة هذه الليلة للبوح بمأساة
 الشعب الفلسطيني ، ومخاطبة وجدان المسلمين ولفت أنظارهم لما يحل بالفلسطينيين ، من ذلك
 مثلاً قصيدة "يا ليلة القدر .." التي عكس فيها الشاعر علاء الكرييري مأساة الشعب الفلسطيني
 والمعاناة التي حلت به في ظل الاحتلال الصهيوني ، وفي ظل صمت العرب ، يقول (٣) :

يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَشْكُو فِيكَ أُمَّتَنَا	نَامَتْ عَنِ الْحَقِّ ! مَا أَبْصَرْتُ مِنْ حُرِّ
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قُدْسُ الْعَرَبِ غَارِقَةٌ	فِي الْهَمِّ تَحِيًّا ، بِنَارِ الْحَقْدِ وَالْغَدْرِ
صُهَيْبُونَ يَمْضِي عَلَى أَهْلِي جِرَانِمَهُ	فَتَرَى الثَّوَاكِلَ وَالْبَاكِينَ كَالدَّرِّ
وَبَنُو الْعُرُوبَةِ فِي نَوْمٍ يُلَازِمُهُمْ	بَرَاتٍ يَدَايَ أَنْاسٌ قَدْ شَرُّوا ثَأْرِي
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قُولِي هَلْ مَضَى زَمَنٌ	فِيهِ الْكَرِيمُ يُجَازِي الشَّرَّ بِالْخَيْرِ
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قُولِي هَلْ أَتَى زَمَنٌ	فِيهِ الرَّوْبِيضُ يُحْنِي هَامَةَ الصَّقْرِ
صَمَتْ كَنِيْبٌ وَصَوْتُ الْفَجْرِ مُحْتَضِرٌ	وَالآهَ فِينَا ، بَعِيدِ الْفَطْرِ وَالنَّحْرِ

ومثل ذلك اغتنام الشعراء المناسبات الإسلامية لمخاطبة المسلمين في العالم ، ووصف ما
 يتعرض له الشعب الفلسطيني ، من ذلك قول الشاعر كمال أحمد غنيم (٤) :

يَا عِيدُ جِئْتَ وَكَمْ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَلَمٍ	يَكْوِي الضُّلُوعَ وَيَهْمِي الدَّمْعُ كَالْحَمَمِ
يَا عِيدُ جِئْتَ وَنَارُ الظُّلْمِ تَحْرِقُنَا	وَالنَّارُ تَصْهَرُ مِنْ يَهُوِي فَلَمْ يَنْمِ
يَا عِيدُ جِئْتَ وَكُلُّ الْعَرَبِ خَاضِعَةٌ	فَوْقَ الرُّؤُوسِ تَعَالَتْ قَبْضَةُ الْقَزَمِ
عُذْرًا إِلَيْكَ وَلِلْأَفْرَاحِ وَالْمَرْحِ	إِنِّي بَكَيْتُ وَقَدْ يَبْكِي ذُووُ الْهَمِّ
وَإِنْ بَكَيْتُ فَلَسْتُ يَأْسًا أَبَدًا	لَكِنَّ دَمْعِي إِذَا أَفْصَحَتْ كَالْحَمَمِ
نَارٌ سَتَّارٌ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ	وَسَوْفَ يُعْرِفُ طَعْمُ النَّارِ مِنَ أَلْمِي

١ - سورة القدر : 1 / 97 - 3 .

٢ - رياض الصالحين ، للنووي ، ص 297 .

٣ - علاء أحمد الكرييري ، ديوان : " درر السعداء في واحة الشعراء " ، ص 32.

٤ - كمال أحمد غنيم ، ديوان "شروخ في جدار الصمت" ، ط 2 ، مكتبة مبدولي ، 1997م ، ص 56 . وانظر

قصيدة "وأطل صبح العيد" ، ديوان "درر السعداء في واحة الشعراء" ، لعلاء الكرييري ، ص 19 .

ومن مَلَامِحِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِيمَانَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَمُعْجَزَاتِهِ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْبَدِيعِ ،
الذي أبدعه الخالقُ وَجَمَلَهُ ، ومن تلك الآيات خسوف القمر ، وهو من الظواهر الطبيعية في
هذا الكون ، قال تعالى : "فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجَمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ
الإنسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوءُ" (١) ، وفي وصف القمر وما حل به من متغيرات يقول الشاعر أحمد
دحبور عاكسا واقعنا الفلسطيني (٢) :

أَمْسِ بُوغْتَ الْقَمَرِ
لَا نُجُومَ تَخْدِمُهُ
لَا غُيُومَ تَلْزَمُهُ
بَارِدٌ ، يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الظَّلَامُ وَالْحُفْرُ
فَارِعٌ هُنَاكَ فَلَا هَالَةَ وَلَا صُورَ
لَنْ يَكُونَ مَنزِلُنَا

وقد استنمّر الشاعر يونس أبو جراد ظاهرة خسوف القمر يوم 30 / 5 / 2004م لشرح مآسي
الشعب الفلسطيني ، وما تتعرض له المقدسات الإسلامية في فلسطين ، وتهكم على المسلمين
الذين لا تحركهم هذه الظاهرة لنجدة الشعب الفلسطيني ، وتحرير المقدسات ، قال (٣) :

خُسِفَ الْقَمَرُ
خُسِفَ الْقَمَرُ
هَيَّا اهْرَعُوا
صَلُّوا لَوَجْهِ اللَّهِ ،
مَنْ غَرَسَ الْقَمَرَ
هَيَّا اهْرَعُوا
لَتَرْوُلَ سَاعَاتِ الْخَطَرِ
خُسِفَ الْقَمَرُ
أَيُّ احْتِضَارٍ فِي فُؤَادِ الْكَوْنِ
أَمْ أَيُّ انْتِحَابٍ لِلْقَدْرِ ؟
خُسِفَ الْقَمَرُ
مَلِيُونُ بُشْرَى تَخْتَفِي

¹ - سورة القيامة : 75 / 7 - 10 .

² - أحمد دحبور ، ديوان "جيل الذبيحة" ، ط 1 ، دار الفارس ، الأردن 1999م ، ص 54 .

³ - قصيدة "خسف القمر" ، للشاعر يونس أبو جراد ، منشورات النادي الأدبي للشعراء الأحرار "أنفاس
المصاييح لنازفة" ، نشرة ثقافية دورية ، العدد "1" ، شهر 2 / 2005 ، ص 4 - 5 .

إِذْ يَخْتَفِي نُورُ الْقَمَرِ

...خُسْفِ الْقَمَرِ

أَيَّمَا قَمَرٍ

قَمَرُ الْمَلَائِكِ السَّجِينَةِ فِي الْأَسَى

قَمَرُ النَّكَالِي فِي حَيَاةٍ مِنْ سَقَرٍ

...قَمَرُ الزَّعَامَاتِ الْحَكِيمَةِ

مَنْ صَلَاحٌ أَمْ عُمَرٌ؟

... خُسْفِ الْقَمَرِ

مَنْ يَرْجِعُ الْأَقْصَى

رَحِيقًا مِنْ زَهْرٍ؟

مَنْ يَقْلَعُ الْأُوبَاشَ

مِنْ أَرْضِ السَّنَا؟

مَنْ ذَا يُلْمِمُ مَا انْكَسَرَ؟

خُسْفِ الْقَمَرِ

هَاتُوا اشْتَعَالِي

وَالْعُبُودَةَ وَالْحَجَرَ!

وَتَقَدَّمُوا

هَيَّا ازْرَعُوا فِي كُلِّ رُكْنٍ

مِنْ بِيُوتِ الْحَيِّ فَخْرًا بِالظَّفَرِ

...إِلَّاكَ يَا أَحْلَى قَمَرٍ!

إِنْ غَبَّتَ أَضْنَانِي السَّهْرُ

أَوْ مِتَّ

أَحْرَقْنِي اللَّهَيْبُ الْمُنتَظَرُ!

وقد شكلت تجربة السجن والصبر عليها ملمحاً من ملامح الشخصية الإسلامية ، خاصة أن السجن الصهيوني لم يميز بين الأطفال والنساء والرجال ، وقد عبر الشعراء الفلسطينيون عن هذه التجربة ووصفوا قسوتها في عشرات القصائد ، فالشاعر محمود

دسوقي^(١) مثلاً يتوقف عند معاناة الأطفال في السجون الصهيونية ، محاولاً تشجيعه وتخفيف معاناتهم في قوله^(٢) :

الليلُ طالَ ..
وطالَ الانتظارُ
يا أحبتي الصغار
... والسُّجونُ يا أحبتي
مرابضَ الأسودِ
تفكروا .. وزمِّجروا
نهايةَ الغريبِ قد دنت
... السجنَ للأبوةِ يا أحبتي
السجنَ للأحرارِ
مهماً طغى السجنانُ ..
.. فالفجرُ لاحَ من صمودكم
وأثمرَ الكفاحُ
لا تياسوا ..
لا تحزنوا
غداً .. غداً .. نحطمُ القيودَ
ونهدمُ السجونَ
وشعبنا يعود
ترفرِفُ الأعلامُ في سماننا
ونرسمُ الحدودَ

وعن المناضلة الفلسطينية في السجون الصهيونية يقول المتوكل طه^(٣):

أكتبُ منَ نرجسِ القلبِ
آيةَ حُبِّي الكبيرِ إليكِ
وأهدي إليكِ السلامَ

¹ - ولد الشاعر في مدينة الطيبة عام 1934م ، أصدر ديوانه الأول "من السجن الكبير" عام 1959 ، سجن مرارا . من دواوينه الشعرية : صبرا وشاتيلا ، زغاريد الحجارة ، الركب العائد . انظر ترجمته في : موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين ، أحمد عمر شاهين 2/ 699 - 700 .

² - ديوان زغاريد الحجارة ، دار الفكر الحديث ، القاهرة 1993م ، ص 10 - 13 .

³ - المتوكل طه ، ديوان زمن الصعود ، ط ١ ، اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين ١٩٨٨م ، ص ٣٣ .

وَأَسْأَلُ عَنْ مَهْرَةٍ قَيَّدُوهَا
وَعَنْ غَيْمٍ عَيْتِيكَ ، أَسْأَلُ
وَعَنْ دَمْعَةٍ فِي الْمَسَاءِ

أما الرجال الفلسطينيون فعليهم أقام الصهاينة سجونهم ، وقد خاض معظم الشعراء تجربة السجن ، وأبدعوا ما أطلق عليه الأدب الفلسطيني اسم أدب السجون ، هذا الأدب الذي حمل بين طياته الكثير من سمات الشخصية الإسلامية في فلسطين ، وممن وصف تجربته الاعتقالية من الشعراء كمال غنيم الذي يقول (١) :

هُنَا النَّقْبُ
هُنَا مَوْجٌ وَلَا صَخَبُ
هُنَا الصَّحْرَاءُ يَا وَطَنِي
هُنَا بَحْرٌ بِلَا مَاءٍ عَلَى الْأَشْوَاكِ يَنْتَحِبُ
وَدَمْعُ الْبَحْرِ يَا وَطَنِي
حَصَى يَجْتَاحُهَا الْغَضَبُ
وَتَحْنُ هُنَا سُرَاةٌ فِي دِيَاجِيرٍ
وَكَيْلٌ أَصْفَرٌ يَجْتَاحُ غُرْبَتَنَا
وَرِيحُ الْمَوْتِ تَنْسَكِبُ
وَإِعْصَارٌ خَرِيفِي يُحَاصِرُنَا وَلَا هَرْبُ
وَسُخْرِيَّةٌ مِنَ الْأَسْلَاحِ نَصْنَعُهَا مَسَامِيرًا
وَقَهْقَهَةٌ عَلَى سُنْفُنِ نَجْمِهَا
وَإِنْ عَزَّتْ فَأَعْظُمْنَا لَهَا حَطَبٌ

وفي السجن وتجربته الخاصة ، وأثرها في بناء الشخصية الإسلامية الفلسطينية يقول الشاعر عبد الناصر صالح(٢) :

هُوَ السَّجْنُ مَدْرَسَةٌ لِلنِّضَالِ
إِضْبَارَةٌ لِلْعَلَاقَاتِ
شَمْسٌ تُخَلْفُ أَجْسَادَنَا مُضْنَعَةً لِلسَّوَادِ
عَذَابٌ وَمَلْحٌ عَلَى الْجُرْحِ يَطْفُو

1 - كمال أحمد غنيم ، ديوان : " شروخ في جدار الصمت " ، ص 171 - ص 175 .

2 - عبد الناصر صالح ، ديوان : " المجد ينحني أمامكم " ، ص ٤٣ . وانظر أيضاً : معاذ الحنفي ، أعلق في ليلك الليك ، ص ٥٨ - ٥٩ .

وَمَاءٌ أُجَاجٌ

.....

هُوَ السَّجْنُ

عُمُرٌ مِنَ الْإِتْفَاضَةِ مَا بَيْنَنَا

ذِكْرِيَاتٌ مِنَ الْجُوعِ وَالْحُزْنِ

رَحِطْنَا الْأَبْدِيَّةُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ

يَكْتَشِفُ الْغُصْنُ فِيهَا الْجُدُورَ

حُدُودَ الْيُنَابِيْعِ ، فَلَسْفَةَ الْأَنْبِيَاءِ

.....

هو السجن محكمة

والقضاة بها يستباحون كل القوانين

يتملكون فنون التواعد والاتهام

.....

هُوَ السَّجْنُ

جمع من الأصدقاء التقوا بغتة

وأحاديث تقفز عن ذكريات الطفولة

حين النهار استراح على عتبات المخيم

.....

هُوَ السَّجْنُ مَحْكَمَةٌ

وَالْقُضَاةُ بِهَا يَسْتَبِيحُونَ كُلَّ الْقَوَانِينِ

يَمْتَلِكُونَ فُنُونَ التَّوَعْدِ وَالْإِتِّهَامِ

.....

هُوَ السَّجْنُ

جمع من الأصدقاء التقوا بغتة

وأحاديث تقفز عن ذكريات الطفولة

حين النهار استراح على عتبات المخيم

وقد زج الصهاينة المجرمون بكبار القادة المجاهدين في غياهب السجون ، ولم تشفع
إعاقة الشيخ الشهيد أحمد ياسين له ، حيث قضى سنوات عديدة في أقبية التحقيق والزنازين ،
وكذلك كان حال معظم رفاقه ، وقد وصف الشعراء منهم قسوة هذه التجربة ، من ذلك ما قاله

الشهيد الدكتور المقادمة عن حلول العام الدراسي وهو في السجن ، وكيف يحاوره أولاده الصغار مفنقين بعده عنهم^(١) :

فِي غَدٍ عَامٍ جَدِيدٍ
يَفْرَحُ الْأَطْفَالُ بِالْعَامِ الْجَدِيدِ
قَدْ كَبَّرْنَا يَا أَبِي ،
وَأَفْتَقَدْنَاكَ طَوِيلًا
مَرَّ عَيْدٌ ، بَعْدَ عَيْدٍ ، بَعْدَ عَيْدٍ
كَمْ حَلُمْنَا ، أَنْ تَرَانَا دُونَ قُضْبَانِ الْحَدِيدِ
بِرَغْمِ الْقَيْدِ ، وَالْفَقْدِ كَبَّرْنَا
وَحَلُمْنَا أَنْ تَصَبَّ النُّورَ صَبًّا فِي رُؤَانَا
وَتَشِيْعَ الدَّفَاءَ فِينَا
نَظْرَةَ الْحُبِّ الْوَدُودِ
فِي غَدٍ يَفْرَحُ الْأَطْفَالُ يَا أَبَتَاهُ
بِالْفَصْلِ الْجَدِيدِ
فِي غَدٍ يَنْشُدُ الْأَطْفَالُ
لِلْإِسْلَامِ لِلْيَوْمِ السَّعِيدِ

ومما يضيف بعداً جديداً لملاحِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ما وصفه هؤلاء الأبطال من مقاومة السجناء لسجانهم ، فها هو الشاعر عبد الناصر صالح وهو في معتقل أنصار "3" يرصد بطولة بعض المعتقلين في التصدي لممارسات السجانين ، مبيناً كيف أقبل كل من أسعد الشوا وعلي سمودي على الشهادة^(٢) :

يَتَسَابِقُ الشُّهَدَاءُ فِي سَجْنِ النَّقَبِ

الْحَيَاةِ

...يَتَسَابِقُ الشُّهَدَاءُ

يَلْتَحِمُونَ بِالرَّمْلِ الْقَدِيمِ

يُسَافِرُونَ لِعُرْسِهِمْ

¹ - إبراهيم أحمد المقادمة ، ديوان : " لا تسرقوا الشمس " ، ص 16 - 17 . وانظر : عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ص 80 - 81 .

² - عبد الناصر صالح ، ديوان : المجد ينحني أمامكم . قصيدة : هل غادر الشهداء ؟ ، ص 92 - 102 . استشهد كل من أسعد الشوا وعلي سمودي يوم 1988/8/16 م .

...فَتَحُوا لِرِجَالِ الرَّصَاصِ صُدُورَهُمْ

وَاسْتَقْبَلُوا سَيْلَ اللَّهَبِ ..."

شهد الشاعر المذبحة بألم عينيه ، فقدم هذه الصور الحية للمجابهة بين قوة الإرادة وإرادة القوة ، فالكريم لا يرضى الهوان والظلم ، والاستشهاد أشرف للرجال الأحرار ، إن العصافير التي تحب الحرية تقول للأجيال : قاوموا تنتصروا(١) .
وكذلك عاش المتوكل طه تجربة السجن ، وكتب العديد من القصائد في تصوير هذه التجربة ، ومن أشهر قصائده مطولة "فضاء الأغنيات" ، التي تتحدث عن الانتفاضة والألم الفلسطيني في المعتقلات الصهيونية ، وتطلعات المعتقلين لليوم الذي يغيب فيه الاحتلال نهائياً عن أرضنا(٢) :

"وأقولُ هذا الرملُ يكذبُ

لن أصدقَ غيرَ أطفالِ الحجارةِ

والشواهدِ فوقَ أحلامِ الشهيدِ

وجوعَ مَنْ سَجَنُوا طَوِيلاً

والجراحِ

ولنْ أصدقَ كُلَّ أشباهِ الرجالِ

الواضحينَ بموتِهِمْ

والغامضينَ كلدغةِ الأفعى

الذينَ يُدبِّجونَ دماءنا مالاً رخيصاً

يغصبونَ بهِ النساءَ الذابلاتِ

ويلهجونَ بأنَّهُم أصلُ الحكايةِ والخطابِ "

بقي أن نقول في هذا المبحث إن أهم ما تميزت به الشخصية الفلسطينية الإسلامية هو الإيمان المطلق الذي يجعل الإنسان يجود بروحه عن طيب خاطر في سبيل إعلاء كلمة الله عزّ وجلّ ، وإحياء فريضة الجهاد ، حتى غدت العمليات الاستشهادية في فلسطين من أبرز ملامح العصر ، وأصبحت تخليد بطولات الاستشهاديين من أبرز موضوعات الأدب

¹ - عبد البديع عراق ، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1 ، مؤسسة الأسوار - عكا 2002م ، ص144.

² - انظر : حسن عبد الله ، النتاجات الأدبية الاعتقالية ، ص57 . وديوان : "فضاء الأغنيات" - وهي قصيدة في معتقل أنصار بصرى النقب - إصدار دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر التوزيع ، القدس 1990م ، ص 39 .

الفلسطيني المعاصر ، فهذه قصيدة "معركة طوباس" تخذ بطولة الاستشهاديين ، صالح محمد كميل من قباطية ، وأحمد عبد القادر عتيق من برقين(١) ، التي يقول في وصفها الشاعر(٢) :

أزف الهجومُ فمن سيبدأ منهما
ذا "صالح" متحفز متوثب
ورصاصهم بأزيزه ضجّ الفضا
هبّ الجنود ويالهول مصيرهم
والأرض بركان تفجّر من لظى
بطلان سنا هجمةً بمعسكر
ضدّ اليهود هل القيامة تحدقُّ
تجتثُّ أوكار اليهود؟ وتمحقُّ؟

ومن ذلك أيضاً ، وصف عبد الكريم العسولي العملية الاستشهادية التي فجرت فيها الشهيدة "وفاء إدريس" (٣) جسدها الطاهر في الصهاينة المحتلين ، يقول(٤) :

خرجت وفاءُ
مع السحر
قرأت تبارك
والمعارج والزُّمر
...ثم تابعت السفرُ
في ليلة
جاء الخبر
عملية في إسرائيل
قالوا الفدائي امرأة

- ¹ - خاضاً معركةً شرسةً ليلة الثلاثاء 2002/3/19م ، إذ اقتحما معسكراً لجيش الاحتلال الصهيوني واشتبكا معه من الساعة العاشرة والنصف ليلاً حتى الساعة الرابعة فجراً ، إذ تحولت المنطقة إلى جبهة حقيقية اشتركت فيها الدبابات والرشاشات وقنابل التنوير واستعملت فيها الطائرات ، وأسفرت عن العديد من الإصابات في صفوف الأعداء اعترفوا فيها بمقتل قائد المعسكر وجرح آخرين .
- ² - معركة طوباس . شعر : خالد السعيد . موقع المركز الفلسطيني للإعلام . الشعر والأدب الفلسطيني .
- ³ - "وفاء علي إدريس" ٢٦ عاماً ، من سكان مخيم الأمعري - قضاء رام الله ، نفذت عمليتها الاستشهادية يوم الأحد الموافق 2002/1/27م ، وقد أصيب أكثر من 70 صهيونياً بالقدس الغربية . انظر ترجمتها في : المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني ١٢٨/٤ .
- ⁴ - انظر : انتفاضة ثقافية من فكرة المتراس .. إلى فضاء الكلمة ، قصيدة "وفاء إدريس" ، ص 71-75 .

يا هولَ تلكَ الإمراة

قتلى وجرحى

كالجراد المنتشر

.. آه وفاء ..

ما أعظمك!

.. الشعب يصبح قنبلة

وكذا تسير القافلة

وكذا يكون الانتصار

وتستمر العمليات الاستشهادية ، ويثور بعض العرب المسلمين ، فيعبر الجندي المصري "أيمن محمد حسن" الحدود لينفذ عملياته الاستشهادية وحيدا .. فيبتهج الشعراء بالنخوة الإسلامية العربية ، من ذلك قول الشاعر (١) :

في سَاعَاتِ الأفقِ الأُولَى

فَاضَ النَّهْرُ ، غَزِيرًا فَاضٌ

دَرَبُ النُّورِ بِحَرِيٍّ

- فَلَمَّاذَا يَغِيرُ فِينَا النُّورُ أَفَقًا بَرِيًّا

- وَفَضَاءَ بَرِيًّا

وَهُدُوءًا صَحْرَاوِيًّا ؟؟

وَيُحَطِّمُ صَمْتَ الأَنْقَاضِ ؟؟!!

- يُشْرِقُ نَبْضِي فِي سَاعَاتِ

الأُفقِ الأُولَى

فَاضَ النَّهْرُ ، غَزِيرًا فَاضٌ

- يُقْمَرُ نَبْضِي

- يَمْشِي النِّيلُ جَنُوبًا

أَسْمَعُ نَبْضِي يَتَسَفَّعُ فِي قَيْظِ الصَّحْرَاءِ جَنُوبًا

يَتَسَفَّعُ فِي أُمِّ الرَّشْرَاشِ (٢)

يَتَسَفَّعُ نَبْضِي

يَتَسَفَّعُ صَوْتُ الرَّشْرَاشِ

1 - معاذ الحنفي ، ديوان "أعلق في ليلك الليلك" ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1998م، ص46 .

2 - أم الرشراش : هي مدينة إيلات .

- مِنْ لَيْلِ الْأَحْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ جُنْتُ وَحِيداً
- وَيَقِيضُ دَمَكُ
وَنَظَلُّ مَعَكَ
وَيَسِيرُ النَّهْرُ جُنُوباً
وَنَسِيرُ مَعَكَ
مَا أَرُوعَ أَنْ تَنْتَفِضَ الْأَرْضُ الْعَرَبِيَّةُ !!

إن باب الوصف في الشعر الفلسطيني المعاصر غزير جداً ، في حجم قصائده وكثرتها
وتنوع معانيها ، وإن كنا نرى معاني البطولة المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي هي الطافية ،
والشعر الذي يصور البطولات والعمليات الاستشهادية هو العلامة الفارقة .

رابعاً : شِعْرُ الْمَدِيحِ :

إن فن المديح من الفنون الشعرية التقليدية التي عالجها الشعراء منذ جاهليتهم ، وكان كثير من شعراء ذلك العصر - الجاهلي - يمدحون عن قناعة باستحقاق الممدوح لهذا الثناء ، وكان شعرهم نابعاً من قرارة النفس ، يمدحون الرجل بما هو فيه ، لا يتزلفون لكي ينالوا العطاء والهدايا^(١) .

وقد تحول هذا الغرض عند شعراء العصر الحديث من مدح للسلطين والخلفاء استجداءً لعطاءٍ سخي - كما هو الحال عند العديد من شعراء العصور السابقة - ليصبح المديح في معظمه للقادة والأبطال ورجالات الأمة المشاهير ، وإن بقيت ذؤابة من مدح المسؤولين يتسول بها أصحابها ويتزلفون سعياً للحصول على منصبٍ أو حظوةٍ لدى صاحب الأمر .. لكن هذا اللون من المديح بات ممقوتاً من عامة المجتمع .

وقد طُبِعَ شعر المديح في الأدب الفلسطيني بطابع الحياة السياسية التي مرَّ بها المجتمع الفلسطيني منذ الانتداب البريطاني ، وأصبح تخليداً لمعاني البطولة وما يتصل بها من معاني الإخلاص والتضحية .. ، ومنذ الانتفاضة الشعبية عام ١٩٨٧م وما طرأ على شخصية المجتمع الفلسطيني من تغييرات إيجابية غيرت معاني شعر المديح ، وارتبط بتمجيد الصفات المستمدة من قيم الإسلام وتعاليمه ، حيث أصبحت سمات الشخصية الإسلامية من أهم السمات التي تميز المجتمع الفلسطيني ، وقد أكد ذلك استقرار الشعر الفلسطيني في هذه الحقبة ، من ذلك اهتمام العديد من الشعراء بإحياء المناسبات الدينية ، واستثمار دلالاتها لبعث روح التفاؤل والأمل في نفوس المنهكين ، ففي مناسبة المولد النبوي - مثلاً - نجد الشعراء يصلون مدح النبي صلى الله عليه وسلم بما يحدث في الساحة الفلسطينية ، ويطلبون الشفاعة من رسول الله، وشواهد ذلك عديدة نذكر منها قول سليم الزعنون^(٢) :

وَاللَّيْلُ أَوْغَلَ فِي نُجَى سِرْبَالِهِ	مَا جِئْتُ بِابِكَ مَادِحاً بَلْ دَاعِياً
لِلْمَصْطَفَى الْهَادِي الْبَشِيرِ وَآلِهِ	"وَمِنَ الْمَدِيحِ تَضَرُّعٌ" وَتَوْسُّلٌ
فِيهَا يَزِيدُ الظُّلْمُ فِي إِغَالِهِ	"أَدْعُوكَ عَنِ قَوْمِي الضَّعَافِ لِأَزْمَةٍ"
هُوَ مَنْ يَجِيبُ الْعَبْدَ عِنْدَ سَوْأَلِهِ	فِي مِثْلِهَا يُلْقَى الرَّجَاءُ لَخَالِقِ
أَنْتَ الرَّحِيمُ عَلَى الشَّبَابِ الْوَالِيهِ	اللَّهِ أَنْتَ سَوْأَلُنَا وَجَوَابُنَا
أَنْ يَسْتَجَابَ الشَّعْبُ فِي آمَالِهِ	لَا يَأْسَ بَلْ أَمَلٌ يَدُورُ بِخَاطِرِ

¹ - درويش الجندي ، ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، ط دار نهضة مصر 1969م ، ص 43 - 64 .

² - ديوان "وهكذا .. نطق الحجر" ، ص 27 - ص 28 .

في المولد النبوي أولى أن نرى خصماً يحطمه غبي فعاله
وفي توظيف ذكرى الإسراء والمعراج لبث روح الأمل بتحريير القدس ، وتذكير
المسلمين بمكانة القدس يقول الشاعر علاء الكريري في ثنايا مدحه النبي صلى الله عليه
وسلم^(١) :

يَا عَاشِقًا خَيْرَ الْأَنَامِ مُحَمَّدًا
فَأَنْوُرُ هَلْ عَلَى الدُّنَا يَطْلُوعِهِ
أَسْرَى بِكَ الرَّحْمَنُ فِي غَسَقِ الدُّجَى
وَمَضَى إِلَى أَرْضِ الْقَدَاسَةِ مُسْرِيًا
فِي مَوْلِدِ الْهَادِي الْبَشِيرِ تَنَزَّلَتْ
وَتَشَاوَرَ الْكُفْرَ الْحَقُودُ قِتَالَهُ
وَتَشَارَكَ الطَّيْرُ الضَّعِيفُ بَيْتَهُ
خَرَجَ الرَّسُولُ وَفِي الْيَدَيْنِ تَنَازَرَتْ
صَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرَ صَلَاةٍ
وَالْخَيْرُ أَقْبَلَ بِأَسِطِ النَّعْمَاتِ
فَأَنَارَتْ الدُّنْيَا لَكَ الْجَنَبَاتِ
فَاسْتَبْشِرِي يَا قُدْسُ بِالصَّلَوَاتِ
رَحِمَاتُ رَبِّي وَاخْتَفَتْ آهَاتِي
فَحَمَاهُ رَبُّ الْبَيْتِ فِي الْأَرْمَاتِ
يَحْمِي النَّبِيَّ وَيُغْلِقُ الثَّغَرَاتِ
رَمَلَ عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْهَامَاتِ

وكذلك أيضاً الاقتداء بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملامح الشخصية
الإسلامية ، حيث نجد الشعراء يبعثون أمجاد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ويتمنون
عودة المسلمين لأمجادهم لكي تتحرر فلسطين والمقدسات الإسلامية ، من ذلك قول
الشاعر^(٢) :

وَصَدَقَ أَقْدَ تَزْيَاهُ عَتِيقٌ
وَذُو النُّورَيْنِ يَعْطُوهُ حِيَاءٌ
عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ الْمَحْيَا
نَجُومٌ فِي سَنَاءِ الْكُونِ تَزْهُوُ
فِيَا لَيْتَ الْإِلَهَ يُعِيدُ فِينَا
فَتَغْدُو رَايَةَ الْإِسْلَامِ عَلَيَا
وَفَارُوقُ الْعَدَالَةِ وَالْعَهُودِ
يُزِينُ هَامَةَ الرَّجْلِ الرَّشِيدِ
بَلِيغٌ عِلْمُهُ وَسُغُّ الْوَصِيدِ
تَضِيءُ بِنُورِهَا رَحْبُ الْوُجُودِ
زَمَانَ الْمَجْدِ فِي عَهْدِ الصُّعُودِ
وَهُوجَاءُ الْهَزَائِمِ فِي رُكُودِ

وفي ظل الاقتداء بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، والسلف الصالح من الصحابة
المكرمين ، أثمرت الصحوة الإسلامية نشوء جيل جديد محصن بتقوى الله ، وفي امتداح هذا
الجيل والآمال المعقودة عليه يقول الشاعر محمود مفلح^(٣) :

¹ - علاء الكريري ، ديوان : " درر السعداء في واحة الشعراء " ، ص 17 - 18 .

² - عبد الخالق العف ، ديوان : " شذو الجراح " ، ص 62 .

³ - محمود مفلح ، ديوان : " إنها الصحوة ... إنها الصحوة " ، ط 1 ، دار الوفاء ، القاهرة 1988م ، ص 37 .

وأقولُ للجيلِ الجديدِ
أقولُ للجيلِ المُحصَّنِ بالعقيدةِ والمُنَوَّجِ بالصباحِ
...وأقولُ يا جيلَ الكفاحِ
إنَّا بَلَوْنَا الليلَ والأشباهَ والموتَ المؤجَّلَ والجراحِ
...وأقولُ يا جيلَ المصاحفِ
...يا خميرَ الأرضِ ...يا طَلْقَ الولادةِ
ها أنتَ كالينبوعِ تَدْفُقُ في صحارِينَا ...
...وَتَمَنَحُنَا الوثيقةَ والشهادةَ ...
...أنتَ الَّذِي سَيُبَدِّلُ الأوزانَ والأحزانَ
...بِزرعٍ في العيونِ نَخِيلَهَا
فَلَكُمُ تَبَاطُأٌ في الرحيلِ عنِ القرىِ عامُ الرمادةِ

إن صفات هذا الجيل هي التي ترشحه لمجابهة المحتل الصهيوني ، وتحريير المقدسات، إنه جيل يتمتع بالنقاء والتوثب ومعرفة الطريق ، وقد عزز الشاعر فكرته بعدد من المعاني الجزئية منها : فدائية الجيل الجديد وشجاعته في العمل على التغيير ، فهم الذين آمنوا بربهم ، وانخلعوا من الخوف والفساد ، وعرفوا رسالتهم في الحياة^(١) ، و في مدح هذا الجيل الذي يتميز بروح التضحية نقول الشاعرة فدوى طوقان^(٢) معددة صفاته وإنجازاته^(٣) :

رسموا الطريقَ إلى الحياةِ
رَصَفُوهُ بِالْمُرْجَانِ ، بِالْمُهَجِ الْفَتِيَةِ بِالْعَقِيْقِ
رَفَعُوا الْقُلُوبَ عَلَى الْأَكْفِ حِجَارَةً ، جَمْرًا ، حَرِيْقِ
رَجَمُوا بِهَا وَحَشَ الطَّرِيْقِ
...هَجَمَ الْمَوْتَ وَشَرَعَ فِيهِمْ مَنجَلَهُ
في وجهِ الموتِ انتصبوا
أَجْمَلُ مِنْ غَابَاتِ النَّخْلِ وَأَجْمَلُ مِنْ غَلَاتِ الْقَمْحِ وَأَجْمَلُ مِنْ إِشْرَاقِ
الصَّبْحِ

¹ - كمال أحمد غنيم ، الأدب الفلسطيني ، أوراق في الأدب والنقد ، ص 8- ص 14 .

² - هي شقيقة شاعر فلسطين إبراهيم عبد الفتاح طوقان . ولدت في نابلس عام 1917م ، وتوفيت في نابلس بتاريخ 12 / 12 / 2003م ، من دواوينها : وحدي مع الأيام ، وجدتها ، لها مذكرات باسم : رحلة جبليّة رحلة صعبة ، الرحلة الأصعب . انظر ترجمتها في : أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، 7 / 589-590 . وموسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين 2 / 563-564 .

³ - الأعمال الشعرية الكاملة ط 1 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان 1993م ، ص 540- 542.

أجملُ من شجرِ غسلته في حُضنِ الفجرِ الأمطارِ
 انتفضُوا ... وثبُّوا ... نفرُّوا
 ... انظر إليهم في البعيدِ
 يُعانقون الموتَ من أجلِ البقاءِ
 يتصاعدون إلى الأعالي
 في عيونِ الكونِ هم يتصاعدون
 وعلى حبالٍ من رعايفِ دمائهم
 هم يصعدون ويصعدون ويصعدون
 انظر إليهم في انتفاضتِهم صُقوراً
 يربطون الأرضَ والوطنَ المقدسَ بالسماءِ

ومن ملامح الشخصية الإسلامية أيضاً حب الوطن ، والدفاع عن مقدساته ، والعمل على إنقاذ المسجد الأقصى ، ومما قيل في تقرُّيب المسجد الأقصى نذكر قول الشاعر^(١):

فلسطينُ يا قديسةَ الأرضِ والسَّما	كحلتِ عيوناً عندَ رؤياك إثمدا
... سماؤكِ مرآةً وبحركِ فضةً	ورمكُ أضحى فوقَ طُهرِكِ عَسجدا
مقدَّسةً ، أنى اتجَّهتَ بأرضها	تجدُ جذرَ زيتونٍ تخضبَ بالقدى
تغنَّتْ بإبراهيمَ مُذْ جاءَ داعياً	وكانَ ختامُ المسكِ فيها محمداً
أتاها فأرسي للرسالاتِ وحدةً	بناها خليلُ الله من قبلُ فافتدى
وصلى إماماً والنبيونَ خلفه	وخرُّوا لربِّ البيتِ في القدسِ سجداً
ولما أتى وقتَ الرحيلِ استعبرتُ	فلسطينَ والروحَ استماتتُ لتصعدا
وطارَ المفدى في السماواتِ راكباً	براقاً وحبُّ الشامِ في وجهه بداً
وموسى دعا أن يقضى الله ميتةً	تكونُ له فيها فلسطينُ مرقدًا
وخيرُ نساءِ العالمينَ هنا ربَّتْ	وهلَّ للحملِ الفضاءُ وزغردا
قعيداً ^(٢) ولكن عندَ رجلكِ مُقعداً	كيانُ جتنا قدامه عالمُ العدى

فوجد في الأبيات السابقة ، ما يدل على مكانة وطننا فلسطين ، وعلى التاريخ العريق الذي مرت به بلادنا ، من سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وسيدنا موسى عليه السلام ، ومريم ابنة عمران عليها السلام ، وسيدنا محمد عليه السلام ، وتختم الأبيات بذكر الشيخ أحمد ياسين .

¹ - شعر خالد السعيد ، قصيدة فلسطين ، انظر موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت ، وانظر في مدح بلادنا فلسطين : ديوان " وثبة للغزال قبلة للقمر " ، لشهاب محمد ، ص 79- 83 .

² - المشار إليه هو الشيخ أحمد ياسين .

ومن ذلك أيضا مدح الشاعر يوسف العزة^(١) أرض الإسراء والمعراج مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً^(٢) :

حُيِّتِ يَا أَرْضَ الْكَرَامَةِ وَالشَّهْرَامَةَ وَالْإِبَاءِ
حُيِّتِ يَا مَنْ تَرْفُضِينَ الْعَيْشَ فِي ظِلِّ الطُّغَاةِ
وَعَدَوْتَ كَالْبِرْكَانِ نَارًا تَحْتَ أَقْدَامِ الْغُرَاةِ
وَعَدْتَ صُخُورِكَ مِثْلَ بَارُودِ تَحَاشَاهُ... الْبُغَاةِ
حُيِّتِ يَا أَرْضَ الْبَطُولَةِ وَالصَّانِدِيدِ الْأَشَاوِسِ
حُيِّتِ يَا مَنْ تُجَبِّينَ لَنَا مَغَاوِيرَ فَوَارِسِ
وَالشَّبِيلَ فِيكَ كَأَنَّهُ صَقْرٌ وَلَيْسَ لَهُ مُنَافِسِ

وكذلك مدح الدكتور محمد البع مدينة القدس وأهلها بقوله^(٣) :

...يا قدسُ يا خيرَ أرضِ اللهِ يا وِطَنِي
يا قدسُ يا أملاً يُرْجَى ويا شرفاً
فالطُّهْرُ أَنْتِ وَأَنْتِ الْحَبُّ فِي خُلْدِي
يا أفضلَ الخلقِ يا مَنْ تُسْكِنُونَ بِهَا
يا قدسُ فِيكَ حُرُوفُ الْقُدْسِ نُعَلِّمُهَا
وَالسَيْنُ فِيكَ سَلَامٌ تَمْنِيهِ

وستظل القدس مفخرة البلاد ، فهي فؤادنا وحبّة العين ، ونورٌ نبصر فيه عزنا ، وسوف يبقى اسمها الأعلى ينادي ، وسيظل الأقصى رمز بلادي في جميع أرجاء الكون ، وسيظل الأقصى قرآنا يتلى حتى قيام الساعة ، قال تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"^(٤) .

¹ - ولد الشاعر في قرية تل الصافي قضاء الخليل ، وعاش حياته في الشتات ، حيث تنقل من مسقط رأسه إلى مخيمات الضفة الغربية التي أقامتها وكالة الغوث الدولية ، عاش مأساة فلسطين كغيره من الشعراء من حرب 48 ، وحرب 56 ، إلى نكسة حزيران 67 ، وحرب أكتوبر 73 ، وحرب لبنان إلى حرب الخليج ، إلى انتفاضة الشعب الفلسطيني 87 ، وانتفاضة النفق 96 ، وانتفاضة الأقصى 2000م . انظر ترجمة الشاعر في ديوانه "ديوان الفردوس المفقود" .

² - "ديوان الفردوس المفقود" ، ط1 ، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان 2004م ، ص 39- 40 .

³ - محمد رمضان البع ، ديوان "أناشيد المقاومة" ، ص 56- 57 ، وانظر ديوان : "وثبة للغزال قبلة للقمر" لشهاب محمد ، ص 73- 78 .

⁴ - سورة الإسراء : 1 / 17 .

كذلك أضحى دفاع القرى والمدن الفلسطينية عن نفسها في وجه الاجتياحات والمجازر الصهيونية ملمحاً من ملامح الشخصية الإسلامية ، من ذلك - مثلاً - صمود مدينة جنين ومخيماتها في وجه آلة الدمار الصهيونية ، واستبسال أهلها في الدفاع عنها ، الأمر الذي حاز إعجاب الشعراء واستدعى مدحهم ، مذ ذلك قول جهاد إبراهيم درويش (١) :

أَيِّ فَجْرٍ حَقَّنَا الْعَمْرُ سِنِينَا فالتَقَيْتَنَا فِي رَوَابِيكَ جَنِينَا
نَرشُفُ الْحَبَّ أَذَانَا خَالِدًا نَرْضَعُ الْمَجْدَ إِبَاءً وَحَنِينَا
يَا جَنِينُ .. أَنْتِ لِلْعَزِّ مَنَارٌ قَلْعَةُ الْأَحْرَارِ دُنْيَا بَلْ وَدِينَا

وهذه غزة أخت جنين التي أصابها أعداء الله بالمصائب والكوارث التي ستظل شاهدة على إجرامهم على مر التاريخ ، وهي اليوم تتعرض لهجمة شرسة استعدت استبسال المجاهدين في الدفاع عنها ، وفي ظل ذلك يمدح الشاعر غزة قائلاً (٢) :

حِيَاكَ رَبِّي شَعْبِنَا كَمْ فِيكَ مِنْ كَنْزِ ثَمِينٍ
شَهِدَاؤُنَا تَتَرَى قَوَافِلُ كُلِّ يَوْمٍ يَصْعَدُونَ
يَا غَزَةَ الْأَبْطَالِ تِيهِي وَاعْصِفِي بِالْغَاصِبِينَ
يَا غَزَةَ الْقَسَامِ بِأَبْوَابَةِ الْفَتْحِ الْمَبِينِ
شَهِدَاءَ أَبْرَاراً كِرَاماً صَادِقِينَ وَمُخْلِصِينَ
مَدْحِي لَغَزَةَ يَا أَخِي مَدْحٌ لَشَعْبِي أَجْمَعِينَ

وفي مدح أهل قطاع غزة الذين تحملوا الكثير من الآلام ، يقول الشاعر مبرزاً العديد من سمات شخصيتها (٣) :

أَنْعِمَ بِأَهْلِي إِذَا الْأَبْطَالُ تَنْتَدَبُ إِنَّ مُدَّ كَفِّ فَمَا وَهَنُوا وَمَا تَعَبُوا
نَحْوِ الْمَعَالِي إِلَى الْإِفْدَامِ شِيمَتَهُمْ رَغَمَ الصَّعَابِ ، فَمَا ذَلُّوا وَمَا غَلَبُوا
إِنْ تَسْمَعُوهُمْ فَدُرٌّ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ أَوْ أَنْشَدُوكُمْ ، تَلَالَا الدَّرُّ وَالْعَجَبُ
أَوْ أَيَّدُوكُمْ فَمَنْ فِي الْحَرْبِ يَهْزِمُكُمْ أَوْ صَاهَرُوكُمْ ، فَنِعْمَ الْأَهْلُ وَالنَّسَبُ
بِالْخَيْرِ جَادُوا وَبِالْإِكْرَامِ ، مَا مَنَعُوا يَوْمًا مُعْوَزًا وَلَا حَقًّا لَهُ سَلَبُوا

¹ - الشاعر جهاد إبراهيم درويش من مواليد مخيم المغازي بقطاع غزة عام 1963م ، شاعر معاق ، صدر للشاعر ديوان "وجه آخر للفرح" 2003م ، وديوان "أفمار الخيمة" 2004م . القصيدة في ديوان أقممار الخيمة ، ط1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة 2004م ، ص18.

² - القصيدة للشاعر الفلسطيني محمد صالح طه ، قيلت في : 27 / 11 / 1993م وهو في مرج الزهور ، انظر كتاب : عماد عقل أسطورة الجهاد والمقاومة ، غسان دوغر ، ص 169 .

³ - علاء أحمد الكرييري ، ديوان : "درر السعداء في واحة الشعراء" ، ديسمبر 2004م ، ص 23 .

ذَلُّوا الطُّغَاةَ ، غُبَارُ الْحَرْبِ تَعْرِفُهُمْ
 أَوْ كَانَ طَعْنُ فَصُوتِ الْهِنْدِ مَعْرِفُهُمْ
 مَنْ ذَا يُشَابِهُهُ أَهْلِي فِي شَمَائِلِهِمْ
 هُمْ أَهْلُ غَزَّةَ فِي الْأَخْلَاقِ مَا عَرَفُوا
 إِنَّ جَدَّ جَدُّ فَقَطَّرُ الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ
 يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ ، صَوْتُ النَّقْعِ يَنْتَحِبُ
 هُمْ كَالْبُدُورِ ، فَنِعَمَ الْأَهْلُ إِذْ نُدِبُوا
 غَيْرَ الْفَضَائِلِ فِي الْأَفَاقِ تَكْتَسِبُ

ومن المناطق الفلسطينية التي دافعت بشراسة عن وجودها في أثناء الاجتياحات الصهيونية بيت حانون ، وبيت لاهيا، وجباليا ، الأمر الذي استدعى مديح الشاعر عمر خليل عمر ، أحد الشهود على بطولة أهل تلك المناطق ، يقول (١):

بيتُ الحنانِ ، ومنبتُ الأشواكِ
 فيكِ المروعةُ والرجولةُ أِينَعَتْ
 إني عهدتكِ كالنَّخِيلِ أَيْبِيَّةُ
 يا "بيت حانون" ويا بيتَ الوفا
 لَمَّا دَعَا دَاعِيَ النَّضَالِ تَقَدَّمَتْ
 أما "جبالية" الصمودِ ، فَأَنْتِ لِي
 أَرْضَعْتَنَا لَبِنَ الْمَعَارِفِ صَافِيَا
 فيكِ الشَّرَارَةُ أَوْقِدَتْ وَتَوَهَّجَتْ
 أما السَّمَاحَةُ وَالْوَدَاعَةُ وَالرِّضَا
 والجودُ ، وَالْعَهْدُ الْأَمِينُ وَثِيقَةُ
 نَفْسُوا عَلَى سَفَرِ الزَّمَانِ حُرُوفُهَا
 حِيَاكِ رَبُّكِ - دِيرْتِي - وَرَعَاكِ
 وَتَفْتَحِ الْحُنُونَ فِي دُنْيَاكِ
 وَتَجُودُ بِالرَّطْبِ الشَّهِيِّ يَدَاكِ
 رُكْنَ الْوَفَاءِ تُشَيِّدُهُ يُمْنَاكِ
 زُمَرُ الرِّجَالِ الْغُرِّ مِنْ أَبْنَاكِ
 أَمْ رُؤُومٌ أَحْتَمِي بِرِضَاكِ
 فَجَعَلْتِ عُمْرِي شَاهِدًا لِهَوَاكِ
 فَمَشَى الرِّجَالُ عَلَى بَهِي سَنَاكِ
 يَا "بيت لاهية" ، فَمَا عَرَفْتَ سِوَاكِ
 قَدْ خَطَّهَا الْأَهْلُونَ فَوْقَ تَرَاكِ
 وَمَضَوْا عَلَى دَرْبِ الْجُدُودِ فِدَاكِ

هكذا كانت مناطق ومدن فلسطين رموزا للتضحية والفداء وكانت عنوانا للحرية ، فلم يستطع أعداء الله أن يدخلوا هذه المناطق ، بسبب المواجهة العنيفة التي لاقتها قوات الاحتلال الصهيوني ، هذه المواجهة التي كانت استجابة لقول الله سبحانه وتعالى : " أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (٢) .

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني منذ 1987م وحتى 2005م هو قيام الحركات الإسلامية مثل حركة المقاومة الإسلامية - حماس ، وحركة الجهاد الإسلامي . وكانت لهاتين الحركتين أكبر الفعاليات في مقاومة الاحتلال الصهيوني في كل بقاع فلسطين ، وقد امتدح الشعراء الحركتين وباقي الحركات الفلسطينية ، ففي مدح حماس وتقرظ مبادئها ونضالها نورد قول الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي (٣) :

¹ - عمر خليل عمر ، ديوان : " سنظل ندعوه الوطن " ، ص 117 - 118 .

² - سورة التوبة : 41 / 9 .

³ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : " حديث النفس " ، قصيدة (الانطلاقة) ، ص 85 .

امضي حماسُ وحطمي الأصفادا
 أنت الصباح إذا دلهم ظلامنا
 أنت الملاذ إذا تآمر ظالم
 أنت الرؤوم إذا تنمر خائر
 وإذا استباح البغي بيضة أمة
 من غير سقك نستظل بظله
 من للحيارى السائرين على اللظى
 من ذا يذب عن الديار وقد بنت

واسمي فديتك دعوةً وجهادا
 أنت السبيل لمن أراد رشادا
 لعب الهوى بفؤاده فتماذي
 يهوى الخنا ويعاقر الأحادا
 وأحال حلم الأبرياء رمادا
 من غير سيفك يصنع الأمجادا
 من ذا يحيل أفولهم ميئادا
 عصب الكلاب بقلبها "موسادا"

ومثل ذلك قول خالد أبو العمرين - أحد شعراء الدعوة الإسلامية - في مدح حماس⁽¹⁾ :

وحماسُ واعرباه تصنع فجرنا
 وحماسُ "للتبليغ" منبر دعوة
 وحماسُ "للسلفي" منهج أحمد
 وحماسُ عكرمة وسعد جيشها
 وحماسُ في دنيا السجون عرينها
 هتكوا ظلام هزيمة فكأنما
 وحماسُ تضرب في القلوب جذورها
 وحماسُ يأتلق الخليل بنورها
 وحماسُ يا جمر العقيدة في الوعى
 وحماسُ ملحمة البطولة والفدى

في الخافقين ، فهل لها أنصار
 يرتادها الأحباب والأطهار
 كل سرايا "للجهاد" تثار
 وابن الوليد وخلفه عمار
 أشبالها الصوام والأخيار
 غنت لموكب زحفهم أطيّار
 لحن الشهادة للمدى قيثار
 وتضوع في نابلسنا الأزهار
 صبي شواظك تستقاد النار
 ولها بكل عزيمة آثار

هذه هي حركة حماس ، حركة جهادية آمنت أن الجهاد هو الحل الوحيد لاسترداد الحقوق ،

وتصدت للعدوان بكل ما تملك من قوة ، الأمر الذي حاز إعجاب الشعراء ، وجعلهم يتغنون

بأسماء أبطالها وصفاتهم ، وفي هذا المقام نذكر مدح الدكتور محمد البع الذي يقول⁽²⁾ :

صلاح كان نورا قد أضاء
 عماد بعده يحيى رجال
 وذا عبد العزيز لسان صدق
 وزهار يقود مؤسسات
 هنية أنت للإخوان شمس

وإسماعيل قد لبى النداء
 وإبراهيم قد دفعوا الدماء
 لدعوتنا وقد رفع اللواء
 تعلمنا العقيدة والحياء
 ومن شفتيك تعطينا الدواء

¹ - أحمد بن يوسف ، أحمد ياسين - الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي ، ص 72 .

² - محمد رمضان البع ، ديوان : " أناشيد المقاومة " ، ص 6 .

وأحمدُ شيخنا الياسين نخرُ
من الشيخِ الجليلِ ومن حماسِ
كتائبها لقادتها حمأة
لأمتنا فقد أعلى البناء
وأحرارٍ نرى فيهم إباء
وقادتها ستبقى الأوفياء

وقد حظي العديد من جنود حماس الأوفياء بقصائد طويلة في مدح بطولاتهم ، ووصف أشكال
مقاومتهم ، وتعدد صفاتهم الإيمانية ، مما قيل في امتداح جوانب شخصية المجاهد الشهيد
عماد عقل^(١) :

فعمادُ عقلٍ قائدٌ قد هزَّ جُندَ الغاصبين
إذ بالعمادِ ومثله ملأت حماسُ العالمين
هو من كتائبِ عزنا فلنعم جهْدُ المُخلصين
وبجهده وجهاده قادَ الكتائبَ فائزين
قد علموا الأجيالَ درساً قد وعاهُ المؤمنون

وكذلك حظي مهندس العمليات الاستشهادية - المهندس يحيى عياش - بعشرات
القصائد التي تصور جوانب شخصيته ، وتمتدح بطولته .. ، من ذلك قول الشهيد الدكتور
إبراهيم المقادمة^(٢) :

فَجَرُّ قنابلكَ انطلقَ وانزعُ عن الشمسِ الحجاب
عياشُ أنتَ النورُ في دنيا تسربلتَ الضباب
عياشُ أنتَ الليثُ في زمنٍ تسودت الكلاب
فانشرْ ضياعكَ إن هذا الشعبَ قد سئمَ العذاب
فجرُّ بقايا بأسنا أطلقْ أمانينا العذاب

وكذلك ما قاله الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في تقييد صفاته بعد أن طالته يد الغدر
الصهيونية^(٣) :

عياشُ شمسٌ والشموسُ قليلةٌ بشروقها تُهدى الحياةُ إلى الحياة
عياشُ يحيا في القلوبِ مجدداً فيها دماءُ الثأرِ تعصفُ بالطغاة

¹ - غسان دوغر ، عماد عقل أسطورة الجهاد والمقاومة ، ط 2 ، منشورات فلسطين المسلمة ، لندن
1994م ، ص 170 .

² - إبراهيم أحمد المقادمة ، ديوان : " لا تسرقوا الشمس " ، ص 56 - 57 .

³ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : " حديث النفس " ، قصيدة (الانطلاقة) ، ص 71 .

عياش ملحمة ستذكرُ نظمها
 عياش مدرسة تشع حضارةً
 ياسعد أم أرضعتك لبانها
 يافخرَ قريتكَ التي قد أنجبت
 عبّدت درباً للشهادةِ واسعاً
 ورسمت من آي الكتاب له سِماتُ
 أجيالُ أمّتنا كأغلى الذكرياتُ
 عياش جامعة البطولة والثباتُ
 فغدّت بيحيى شامة في الأمهاتُ
 يحيى فباتتُ غرّة الدنيا (رافاتُ)

ومن أبطال حركة المقاومة الإسلامية حماس محمود أبو هنود^(١) ، الذي اجتهد الشعراء في تصوير شخصيته ، وتعدد مناقبه - أيضاً - ، من ذلك قول عبد الكريم العسولي^(٢) :

أبا الهنود يا جبل الصمود
 ويا سيفاً جنى كبر اليهود
 ملكت القلب يا أغلى حبيب
 وحزت المجد في يوم مجيد
 ملأت حياتنا زهو انتصار
 زرعت دروبنا حلو الورود
 فكنت البلسم الشافي لجرح
 وكننت البعث للحلم الفقيد
 عبرت بنا مهامة مهلكات
 وخضت البحر لجا كالسدود

ومما قاله أحمد الربي في مدح بطولته ، وتعدد صفاته الإيمانية نذكر^(٣) :

ربح البيوع يا أبا الهنود يا هلالاً على جبين الوجود
 ربح البيوع يا أخي فهنيئاً بطّل أنت باعتراف اليهود
 كنت حقاً مجاهداً يبذل الروح ويستبدل السرى بالقعود
 باع لله نفسه وهو يرجو ربّه في ركوعه والسجود
 أيها الفارس الذي غدرته صولة الشر في الليالي السود

¹ - "محمود أبو هنود" قائد الجناح العسكري لحركة حماس الذي اغتالته مروحيات إسرائيل مساء الجمعة 23-11-2001م . وقد ولد محمود محمد أحمد أبو هنود شولي في 1-7-1967م ، وأكمل دراسته الثانوية في قرية "عصيرة الشمالية" ، والتحق في عام 1995م بكلية الدعوة وأصول الدين بالقدس المحتلة ؛ حيث حصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية... انظر : الاغتيالات الصهيونية ضد رموز الشعب الفلسطيني ، ص112- 113.

² - عبد الكريم العسولي ، ديوان : " النار والحجر " ، مكتبة النور خان يونس ، ص115-116.

³ - أحمد الربي ، ديوان : " مواجهات 1 " ، ص 22 .

كُنْتَ سَهْمًا مِنْ أَسْهُمِ اللَّهِ يَصْطَادُ الْأَعَادِي فِي كُلِّ نَحْرٍ وَجِيدٍ
 كُنْتَ سَيْفًا مُهَيَّأً نَبْوِيًّا مُصَلَّتًا فَوْقَ رَأْسِ كُلِّ بَلِيدٍ
 وَسِنَانًا لَهُ الْحَاجِرُ أَهْدَافًا مَمِيئًا يُبِيدُ أَهْلَ الْحُقُودِ

ومن قادة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ، أسد فلسطين الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي ، الذي تبارى الشعراء في تعديد مناقبه الجهادية ، وامتداح صفاته الإيمانية ، من ذلك قول الشاعر أحمد الريفي (١) :

مِنْ نُورِ وَجْهِكَ أَشْرَقَ الْأَمَلُ وَبِصِدْقِ عَزْمِكَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
 يَا سَيْفَنَا فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ يَا جُرْحَ شَعْبٍ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
 عَيْنَاكَ مَشْرِقُ شَمْسٍ دَعَوْتَنَا هَيْهَاتَ تَطْفِئُ شَمْسَكَ الدُّوْلُ
 مَا قُلْتَ إِلَّا مَا عَمِلْتَ بِهِ فَالْقَوْلُ مَقْرُونٌ بِهِ الْعَمَلُ
 لَمْ تَتْنِكِ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا وَسِوَاكَ بِاللَّذَاتِ مُنْشَغِلُ
 كَمْ غَازَلْتِكَ فَمَا التَفَّتْ لَهَا أَفَلَمْ يَكُنْ مِنْ شِعْرِكَ الْغَزْلُ

أما مؤسس حماس ، وشيخ الانتفاضتين الشيخ أحمد ياسين ، المعلم والمربي ، والشيخ الإمام ، والقائد السياسي ، الذي عانى من ظلم السجن والسجان ، وجاهد في سبيل الحق ورفع راية الإسلام ، ودافع عن حقوق شعبه بكل قوة ، حتى لقي وجه ربه شهيداً ، كما تمنى ، فقد مُدِحَ بقصائد كثيرة ، نورد منها قول الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي (٢) :

يَا طَوْدُ يَا بَرَكَانَ يَا عِلْمُ مَآذَا يَخْطُ لَوْصَفِكَ الْقَلَمُ
 يَا مَنْ عَلَى الْأَنَامِ قَدْ طُوِيَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ وَأَنْتَ مَبْتَسِمُ
 هَذَا السَّوَاعِدُ لَا حَرَكَ لَهَا وَالصَّدْرُ وَالسَّاقَانِ وَالْقَدَمُ
 لَكِنْ هَمَّكَ لَمْ يَكُنْ شَلَالًا كَلَا وَلَا أَنْ عَضَّكَ الْأَلَمُ
 بَلْ كَانَ هَمُّكَ أَنْ أُمَّتَنَا مِنْ ذَلَّةٍ تَلْهَوُ بِهَا الْأُمَمُ
 وَمَضِيَتْ تَبْنِي صِرْحَ دَعْوَتَنَا فَتَبَدَّدَتْ بِحِمَاسِنَا الظُّلْمُ
 وَالشَّعْبُ قَالَ الشَّيْخَ قَائِدَنَا فَعَدَوْتَ رَهْنَ الْقَيْدِ دُونَهُمْ
 يَا أَحْمَدَ الْيَاسِينَ أَنْتَ لَهَا أَنْتَ الْمَجَاهِدُ دُونَكَ الْقِمَمُ

وفي ذكر قرية الجورة - قضاء عسقلان - التي ولد فيها الشيخ عام 1936م (٣) ، والإشارة إلى العظماء الذين أنجبتهم عبر التاريخ يقول الشاعر عبد الرحمن بارود مادحاً (٤) :

١ - أحمد الريفي ، ديوان "مواجهات 1" ، ص 12 - 13 .

٢ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، ص 97-98 .

٣ - محمد اليافوي ، الشيخ الشهيد : أحمد ياسين ، عظمة العطاء وروعة الشهادة ، ص 2 وما بعدها .

مِنَ الْجَوْرَةِ الْأَسَدِ الْمَقْدِسِيِّ
 قَوَارِبُهَا نَوْرَسٌ ناصِعٌ الـ
 تُحَارِبُ فَوْقَ عُبَابِ الْبِحَارِ
 وَأَسْوَارُ جَدَّتْهَا عَسْفَلَانُ
 شَرَاكَ...فلسطين..مخضوضر
 وكم .. فيك من عظماء الرجال
 وَفِي الْجَوْرَةِ الْجُودُ وَالْمَحْتَدُ
 بِيَاضٍ...وشطآنها العسجد
 وَظِلُّ بَسَاتِينِهَا أَرْغَدُ
 لَهَا وَلِأَجْدَادِهَا تَشْهَدُ
 وَنَائِلُكَ الْغَمْرُ لَا يُجْحَدُ
 وَكَالْأَسَدِ الْوَلْدُ الْأَمْرُدُ

لقد جمعت شخصية الإمام القائد أحمد ياسين جل صفات القائد المسلم ، الأمر الذي جعل الشعراء يتبارون في تعديد مناقبه وصفاته ، ولأن الشعر الذي قيل في مدحه كثير جداً نكتفي بذكر هذه القصيدة التي يُكثف عنوانها - رجل أحيأ أمة - دلالات إعجاب الناس وحبهم، ومنها(٢) :

"ياسين" هذا يومك المختار
 كنت الهلال سجين جسم هامد
 يا أحمد الياسين أنت إمامنا
 ولأنت فخر الثائرين بقدسنا
 يا أحمد الياسين قد علمتنا
 فلأنت رأس الراجمين عدوهم
 ولأنت بناء تقيم جدارنا
 قدماءك تعلقو والرقاب قد انحنت
 ولأنت "بسام" المحيا مشرق
 ضاق المخيم واتسعت لثورة
 وإذا تراجع في المعامق قادة
 يا أيها البطل المحرك أمة
 أنت الذي تمشي البلاد بأمره
 بوركت يارمز الجهاد وبوركت
 وإذا تفاخرت الشعوب فإنما
 فالأرض من صفو السماء تغار
 واليوم تم البدر والأنوار
 ويشدنا إيمانك الجبار
 ولأنت لليل البهيم نهار
 أن السجون سياحة وفخار
 ولأنت سيف صارم يتار
 وتسوسنا فتحلق الأحجار
 كلماك النبراس والأقمار
 يهفو لصوتك جفلة "جرار"
 لبي نداها هاتفا "زهار"
 فتظل أنت السابق الكرار
 هنا تحرك سادة وكبار
 وعيونه مستودع ، أسرار
 أرض الرباط الشعب والأحجار
 ياسين شيخ الانتفاضة غار

ومن ملامح الشخصية الإسلامية ، عدم التفريط بأرض فلسطين ، فهي أرض وقف إسلامية لا يجوز التفريط بها . وقد امتدح الشعراء كل القادة الذين دافعوا عنها ، وكان

1 - أحمد بن يوسف ، أحمد ياسين - الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي ، ص 53 .

2 - المرجع السابق ، ص 71- 72 .

السلطان العثماني عبد الحميد الثاني محط إعجاب الجميع ، وقدوة تُحتذى عند ذكر النابيات التي أمت بفلسطين ، ومما قيل في مدحه نذكر قول الشاعر (١) :

جليلٌ قَدْ عَلَا فِي أَرْقِ حُكْمٍ أصالةٌ دِيرْتِي تُعَلِي فُنُونِي
أَرَادَ عَدُوْنَا مِنْهُ ابْتِزَاذًا جليلٌ قَدْ عَلَا فَوْقَ الْجُفُونِ
فَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَنَا إِلَّا سَيْفٌ أُعَادِي كُلَّ مَنْ يَأْتِي حُصُونِي
فَخَابَ الظَّنُّ وَأَنْدَحَرُوا سَرِيعًا جليلٌ القَدْرُ قَدْ أَرْقَى عُيُونِي
أَصِيلٌ قَدْ عَلَا يُثْرِي تُرَابِي غَدَا فِي الْأَرْضِ يَرْقِي لِي ظُنُونِي
أَلَا بِاللَّهِ أَنْ الْحَقَّ يَعْلُو فَيَا لِلَّهِ تُثْرِي شَجُونِي
مَعَاذَ اللَّهِ نَنْسَى أَيُّ شَبِيرٍ بِلَادِي ارْتَقَتْ أَعْلَا فُنُونِي

وفي هذا السياق تبرز أيضاً ملامح الشخصية الإسلامية في الدفاع عن أرض فلسطين في المحافل الدولية ، وقد حظي الرئيس الراحل ياسر عرفات بعشرات القصائد التي تمجد دفاعه عن أرض فلسطين في المحافل الدولية ، وتمتدح حرصه على جمع أشتات الشعب الفلسطيني في المنفى ، من ذلك قول الشاعر (٢) :

أيا عرفات ... هل شهدت شعوبٌ كمثلك قائداً ورأت عصورٌ
جمعت شتات شعبك في المنافي وفي وطنٍ ... وقلت معاً نشورٌ
بثورتنا هزنا الأرض ... حتى تلين ، وقد هزناها ، صخورٌ
وما حدثت بحار من خطانا فمن وقع الخطى انشقت بحورٌ
فرضنا حقنا في العيش ... عدنا إلى وطنٍ علينا لا يجورٌ
وأبرزنا هويتنا وإنا بها شعبٌ على الدنيا فخورٌ
فيا عرفات قد حققت حلماً فبعد الموت صار لنا نشورٌ
فدُمت لنا مدى الأيام نسراً بظلِّ النسْرِ لا تفنى النُورُ

ومن ذلك أيضاً قصيدة للشاعر يونس أبو جراد التي يسترجع فيها بطولات الرئيس الراحل ياسر عرفات ، ويحذره من الانخداع بوعود اليهود الصهاينة ، وعدم الانجرار وراء السلام اللاسلام ، فلسطين لا تحرر إلا بالجهاد (٣) :

١ - أحمد الديراوي ، ديوان "بلادنا جنة الجنات" ، دائرة المطبوعات والنشر ، الأردن 1991 ، ص 39 .
٢ - إبراهيم قراعين ، ديوان "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ط1 ، مطبوعات دار العودة المقدسية ، 1998م ، ص 8 - 9 .
٣ - انظر : سبائك أدبية ، نشرة ثقافية دورية يصدرها النادي الأدبي للشعراء الأحرار ، فلسطين ، العدد 2، شهر (5/2004) ، ص 12-14 ، قصيدة : رسالة إلى الباب العالي ، شعر : يونس أبو جراد .

يا سيدي
أنتَ الرئيسُ الرمزُ
والبطلُ الهَمَامُ
لبنانُ تشهدُ
دون منظومِ الكلامِ
...يا سيدي
(شارون) مكرٌ خادعٌ
عن قبحةِ كُشفِ اللثامِ
قد كان يرجو منك أن تُمسي
طريداً أو قتيلاً
إنما
لم يفهمُ النكدُ السفيةُ
بأنكَ البدرُ التمامِ
...يا سيدي
ها قد علمتَ بأنهمُ
قومٌ لئامِ
أتراكَ تمتشقُ الحسامَ ؟
أم سوفَ تشدو
مرةً أخرى
بأنغامِ البطولةِ والسلامِ ؟
...يا سيدي
إن السلامَ الحرَّ
معقودٌ بأطرافِ السهامِ
...يا سيدي
من ذا تحرَّرَ
من شعوبِ الأرضِ يوماً
بالتقاضي والتفاوضِ
والسلامِ ؟
... يا سيدي
إن شئتَ نصراً

أو سلاماً خالدا
كبر لموت السلم
كبر أربعاً
ثم انتفض
أشعل ضلوع الأرض
ناراً واحتدام
... وتلتزم النهج العظيم
نهج الصحابة
والشهادة
والكرام

يسدي الشاعر في القطعة السابقة النصح والإرشاد للرئيس ياسر عرفات ، من خلال مدحه بأنه الرئيس الرمز ، والبطل الهمام ، والبدر التمام ، وينصحه بعدم الرضوخ للضغوط من جميع الأطراف للقبول بسلام مزعوم ، وأن يسلك درب الجهاد طريق العزة والفخر كما كان السلف الصالح .

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني الحث على طلب العلم ، فرب العزة سبحانه وتعالى حث على طلب العلم في كثير من المواضع القرآنية ، من ذلك قوله تعالى : "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (١) ، ومن الأحاديث النبوية الحاثثة على طلب العلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " .. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" (٢) ، وفي الحث على طلب العلم ، قول الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في مدح المتعلمين (٣) :

¹ - سورة المجادلة : 58 / 11 . وانظر : (طه : 114) ، (الزمر: 9) ، (فاطر : 28) .

² - انظر : رياض الصالحين ، للنووي ، ص 333 .

³ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، ص 56- 57 .

فالظلمة الظلماء تجلوها المشاعل
غير الرسول وقاد بالعلم الجحافل
اقرأ نبى الله وارتق في المنازل
يخشى الإله تهابه كل الفصائل
ويقيهم من شر وعناء النوازل
العلم والإيمان والشم البواسل
وبه بساط الأرض يفرش بالسنايل
بالعلم أشرب واكتسى حلل الفضائل
سيظل بين الخلق رمزاً للتنايل
لتنير دربا للورى قيس المشاعل
ليباركوا خطو الذي بالعلم صائل
تدعو بمغفرة لمن لالعلم سائل
ونقول أهلاً ثم أهلاً بالأوائل

من للدروب الحالكات سوى الفطاحل
من ذا الذي بالعلم أحيا أمة
جبريل يبدأ بالرسالة أمراً
الله يخشى كل ذي علم ومن
والعلم يرفع في الورى أصحابه
العرب عزوا يوم كان سلاحهم
والعلم غوث للأنام من الطوى
فالنصر والتمكين يحرزه الذي
من ظن أن الجهل يبني دولة
فاظفر بعلم يستضاء بنوره
واعلم بأن الله سخر جنده
فانمل والحيتان في جوف الدجى
وتحيية للفائزين نرفها

وقد اعترف المجتمع الفلسطيني بفضل المعلم ، كما اعترفت المجتمعات العربية والإسلامية من قبل ، وعرفوا دوره في إعداد النشء وتخريج جيل مستنير قادر على تحرير البلاد ، وقد امتدح العديد من الشعراء المعلم واعدوا مناقبه ، من ذلك نذكر قول الشاعر (1) :

ذابت وظل ضيأؤها متأبها
غنيبت باسمك عالماً ومؤدبا
وبناء أمتنا بناء أرحبنا
حُباً علاً بجهاده متواكبنا
لله درك كم صقلت مواهبنا
تحليقهم طاف السماء متعاقبنا
والزعامة راكبين الأصعبنا
وسقيتهم كأس الهنا متعاقبنا
من ذا ينزعك المديح الواجبا

يا شمعة ونهارنا من نورها
يا أيها النجم المضيء سماءنا
أفنيبت عمرك في رعاية نشئنا
وغرست في الوطن المجاهد شعبه
يا باتي الأجيال في أوطاننا
علمت من كتبوا ومن قرأوا ومن
حتى الذين تربعوا عرش المناصب
علمت علام الورى بعد الرؤى
أنا إن مدحتك فالمديح لك استوى

¹ - فارس مشتهى ، ديوان "نبضات قلب من أرض الرباط" ، مكتبة ومطبعة دار الأرقم ، 2000م ، ص142-150 . وانظر أيضاً : أحمد الريفي ، ديوان "مواجهات 1" ، ص103-104 .

ومن ملامح الشخصية الإسلامية في للمجتمع الفلسطيني بر الوالدين ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى بر الوالدين وطاعتها في المنزلة الثانية بعد عبادة الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" (١) .

وقد توقف العديد من شعراء فلسطين عند مدح الوالدين ، وخاصة الشعراء المجاهدين الذين تسترعي قصائدهم انتباه القارئ بما تشتمل عليه من معاني الرحمة والشفقة على الوالدين لما يتجشما من معاناة بعد هؤلاء الأبناء المجاهدين عنهم ، وقلقهم الدائم عليهم ، من ذلك ما نراه في قول الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي يمتدح والدته ويشد من أزرها ويبشرها بالنصر القريب (٢) :

فَهِيَ الَّتِي حَضَّتْ صِبَايَ يَدَاهَا	لَا تَعْجَبُوا إِن كُنْتُ لَا أَنْسَاهَا
طَعْمَ النَّعَاسِ لِيَالِيًا جَفَنَاهَا	وَحَتَّتْ عَلَيَّ إِذَا مَرَضْتُ وَلَمْ يَذُقْ
بِرَأِّ الْخَلَائِقِ وَالسَّمَاءِ بِنَاهَا	يَا أُمَّ فَوَازَ اسْتَعِينِي بِالَّذِي
فَالنَّصْرُ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا	وَتَصْبِرِي أُمَّاهُ ثُمَّ تَفَاعَلِي

وكذلك الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة الذي يناجي أمه ويمدحها وهو قابع في المعتقل الصهيوني (٣) :

أُمِّي
إِلَيْكَ حَمَلْتُ آهَاتِي
وَفِيكَ شَغَلْتُ أَوْقَاتِي
وَطَبِيقُكَ يُشْغَلُ الْخَاطِرُ
فَأَنْتِ الْأَمْسُ وَالْحَاضِرُ
وَأَنْتِ مَنَائِي فِي مُسْتَقْبَلِي الْآتِي
وَأَنْتِ رَفِيقَتِي فِي الدَّرْبِ
نَحْوَ الْفَجْرِ فِي دُنْيَا الضَّلَالَاتِ

إلى غير ذلك من القصائد العديدة التي تشع معانيها برأ ورحمة بالأم وصبرها على فراق الأبناء ، وقد حظي الآباء أيضاً بالعديد من قصائد المدح ، من ذلك قول الشاعر (١) :

¹ - سورة الإسراء : 17 / 23 ، 24 .

² - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، ص 40-41 .

³ - إبراهيم أحمد المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص 50-51 .

يا سيدي يا والدي
يا صاحب الكف الندي
يا سائراً إثر النبي الأمجد
فالقلب أبيض
قد خلام الأسود
عف اللسان
ولم تكن يوماً ردي
والأذن لا تصغي
لقول المفسد

لقد مدح الشاعر والده بالعديد من صفات التقوى والصلاح ، فهو كريم ، طيب القلب ، غير
سماح ولا نمام ..

¹ - صلاح الدين الريماوي ، ديوان "من محاسن الطبيعة " ، ص 59 .

خامساً : شِعْرُ الْغَزَلِ :

لقد تأثرت أغراض الشعر الفلسطيني بشكل كبير بالانتفاضة ، وتلونت بمعانيها ومعاناتها ، وقد اتضح ذلك في شعر الغزل أكثر من غيره من الأغراض ، حيث لم تعد المحبوبة عند سواد الشعراء هي المحبوبة التقليدية - المرأة - ، ولم تعد صفاتها تقاس بمقاييس الجمال المتعارف عليها ، وإن تغزل البعض بالمرأة على الحقيقة ، فهي المرأة التي تتصف بصفات الانتماء للوطن وقيم الدين الإسلامي الحنيف غالباً ، وقد وجدنا معظم الشعراء - منذ الانتفاضة - يتخذون المرأة رمزاً لفلسطين السليبية وكل ما يتصل بها من مفردات ودلالات ، وأصبح الشعراء يتغزلون بسمات فلسطين ، هذه المحبوبة التي لا يرون لها مثيلاً على وجه البسيطة . وقد رأينا التعبير عن حب الوطن وصدق الانتماء من الملامح التي تميز الشَّخْصِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْفِلَسْطِينِيَّةَ ، حيث استمد الشعراء هذا الحب من معين الدين ، واقتدوا بالرسول الكرام ، واسترجعوا جوانب من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام تتصل بالمقدسات الفلسطينية ، من ذلك ما يشتمل عليه قول الشاعر محمود دسوقي (١) :

بِالْحُبِّ أَشْقَى أَوْ بِحُبِّكَ أَسْعَدُ	فِي غَارِ حُبِّكَ سَاجِداً أَتَعَبِدُ
وَهَمَّا بِحُبِّكَ مَرِيماً وَوَلِيدَهَا	وَسَعَى إِلَيْكَ الْمُصْطَفَى يَتَهَجَّدُ
وَدَعَا الْمَسِيحُ لِحُبِّهَا وَجَمَالِهَا	وَسَعَى إِلَيْهَا لِلْجَمَالِ يُمَجِّدُ
نَاجَى الْمَسِيحُ بِأَمْرِ حُبِّكَ رَبَّهُ	وَدَعَا الْإِلَهَ لِأَجْلِ حُبِّكَ أَحْمَدُ
رَكِبَ الْبُرَاقَ وَطَافَ حَوْلَكَ عَاشِقاً	وَمَضَى وَعَرَجَ فِي اللَّيَالِي يَسْجُدُ
الْأَنْبِيَاءَ لِأَجْلِ حُبِّكَ عَذَّبُوا	وَعَلَى غَرَامِكَ ضَاءَ ذَاكَ الْفَرْقَدُ
وَأَنَا بِحُبِّكَ هَائِمٌ وَمُتَيِّمٌ	بِالْحُبِّ أَشْقَى بِالشَّقَاوَةِ أَسْعَدُ
جَذَبَ الْجَمَالَ الْأَنْبِيَاءَ جَمِيعُهُمْ	أَتَرَى أَنَا فِي حُبِّهَا أَتَرَدَّدُ
مَا زَالَ قَلْبِي عَاشِقاً لِجَمَالِهَا	سَيَظَلُّ قَلْبِي لِلْجَمَالِ يَخْلُدُ
أَقْسَمْتُ أَنْ أَبْقَى لِعَهْدِكَ حَافِظاً	حَتَّى يُوَارِيَنِي التُّرَابُ وَالْحَدُّ

وفلسطين هي المعشوقة ، والزوجة ، والأم .. التي يتغنى بحبها الشعراء ، فهي

حبيبة صالح عمر فروانة منذ الأزل كما يقول (٢) :

حَبِيبَتِي تَشَكَّلَتْ
بِحُلُوهَا وَمُرَّهَا
كَمَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ

1 - محمود دسوقي ، ديوان "زغاريد الحجاره" ، ص 36 - 37 .

2 - صالح عمر فروانة ، ديوان "مفردات فلسطينية" ، ص 25 - 27 .

وَإِنِّي أَحَبُّ مِنْ حَبِيبَتِي
 كُلِّ مَظَاهِرِ الْجُنُونِ
 فَشَكَلَهَا
 حُورِيَّةٌ تَنَزَّلَتْ مِنَ السَّمَاءِ
 قِيَّارَةً تَنَاعَمَتْ أَلْحَانَهَا
 فِي مَوْكِبِ الْإِسْرَاءِ
 وَشَعْرَهَا جَدَاوِلٌ مِنَ الْمَرْوَجِ
 حَبِيبَتِي صَبِيَّةٌ سَمْرَاءُ
 تَلْمِمْ الْحَصِيدَ فِي الْمَوَاسِمِ
 وَالتَّيْنَ وَالزَّيْتُونَ
 وَتَشْعُلُ الطَّابُونَ
 تُخَضَّبُ الْيَدَيْنِ بِالْحِنَاءِ
 وَتَعَشِقُ الْمَوَالَ وَالْعَتَابَا
 عُيُونَهَا بَحِيرَةٌ مِنَ الْعَسَلِ
 وَقَلْبُهَا أَرْقٌ مِنْ قَصَائِدِ الْغَزْلِ
 ... فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 تَمُدُّ رَأْسَهَا وَتَمَعِنُ النَّظَرَ
 فَالْعَرِيسُ قَادِمٌ
 عَلَى بَسَاطِ الرِّيحِ
 يُنِيرُ بِالْحَجَرِ
 بَوَابَةَ التَّارِيخِ وَالْأَمَلِ
 بَوَابَةَ
 كَانَ اسْمُهَا مُنْذُ الْأَزَلِ
 فِلَسْطِينِ

وهذه العروس فلسطين يناجيتها الشاعر معاذ الحنفي من وراء القضبان ، واثقاً أنه سيفوز بها
 مهما نازعه عليها المنازعون ، وقد خلع عليها اسم "ليلى" ليبين أنه يحبها أكثر من قيس (١) :
 آه لَيْلَى
 لِمَاذَا يُزَاحِمُنِي فِيكَ قَيْسٌ ؟؟

¹ - معاذ الحنفي ، ديوان "أعلق في ليلك الليلك" ، ص 55 - 56 .

فَأَعْدُوا وَحِيدًا بِلَا أَمَلٍ
تُهْتُ لَيْلَى - أُحْبِكُ - تُهْتُ
وَهَاجَرْتُ ، هَاجَرْتُ ، صُمْتُ
سَأَظْفُرُ يَوْمًا بِحُبِّكَ
لَسْتُ فَيْسًا ، وَكَلْتُ ابْنَ عَمِّكَ
لَكِنِّي أَلْفُ أَلْفِ أُحْبِكُ

وقد بين العديد من الشعراء أسباب حبه ، إنهم يحبون قلب فلسطين الطاهر ، القدس التي أغرم بها المؤمنون عبر الأزمان ، من ذلك قول الشاعر^(١) :

لَكَ الزَّمَنُ الْآتِي وَيَوْمُكَ وَالْأَمْسُ فَأَنْتَ ضَمِيرُ الْكَوْنِ وَالِدَهْرِ يَا قُدْسُ
مَكَانُكَ نَبْعُ النُّورِ فِي هَامَةِ الذَّرَى مَتَى هَلَّ فِي أَحْضَانِهِ تَسْكُنُ الشَّمْسُ
لَكَ الزَّمَنُ الْآتِي وَمَاضِيكَ حَاضِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ثَرَاكَ لَهُ هَمْسُ
دَرَجْتَ مَعَ التَّارِيخِ تُرَبِّي حَضَارَةً إِذَا دَرَسْتَ يَوْمًا تَظَلُّ هِيَ الدَّرْسُ
وَيَلْبَسُكَ الزَّيْتُونُ يَا قُدْسُ حِلَّةً وَلِلْكَوْكَبِ الذَّرِيِّ فِي هَمْسِهِ لَمْسُ
مَدِينَتُهُ نُورِ اللَّهِ كَمْ بَلَّلَ النَّدى شِفَاهَا وَكَمْ يَا قُدْسُ قَدْ هَزَكَ العُرْسُ
وَمَنْ عَبَقَ القُدْسِ الْمُبَارَكَةَ انْتَشَى يُسَبِّحُ فِي أَرْجَائِهَا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ
يَقُولُونَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سِرَّهُ وَمَا أدْرَكُوا أَنَّ الهَوَى سِرُّهُ القُدْسُ

في الأبيات السابقة نجد ولع الشاعر بحبيبه مدينة القدس ، فهي سرّ حبه لفلسطين ، يهواها لأنها من أسرار ملكوت الله سبحانه وتعالى ، ولأنها الحاضر الماضي ، درجت عليها ألوان الحضارات ، وشهدت عظيم الأحداث ، وعلى أرضها دارت العديد من الحروب والصراعات التي شكلت حداً فاصلاً في تاريخ البشرية ، إن عشقها أزلي ، ولا يمكن أن ينتهي حتى قيام الساعة .

وفي رسالة حبّ للقدس ، كانت هذه الكلمات للشاعر ماجد الدجاني^(٢) :

يَرْتَفِعُ الْجِدَارُ بَيْنَنَا تَتَسَّعُ الْبَحَارُ
تَخْفُقُنِي نِرَاعُ الْإِنْتِظَارِ
لَكِنِّي عَلَى آفَاقِ غُرْبَتِي أَرُشُ بِدِرَّةِ النَّهَارِ
بِقَبْضَتِي سَأَخْنِقُ الإِعْصَارِ

¹ - صخر أبو نزار ، ديوان "نشد الحجر" ، مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع ، (د.ت) ، ص 55- 58 .

² - ماجد الدجاني ، ديوان "قمر على شباكنا" ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين - القدس ،

1999م ، ص 43- 44 .

أَدَهْنُ فَوْقَ جِلْدِ أُمَّتِي الْقَطْرَانَ ،
وَأَمْسَحُ الْجَرَبِيَّ بِزَيْتِ الْقَارِ
لَا بِأَسِّ تَلْبَسِينَ تَاجَ الشَّوْكِ مَرَّةً
لَكِنَّهُ يَغْدُو مَتَى رَجَعْتُ يَا حَبِيبَتِي إِكْلِيلَ غَارِ
يَعُودُ لِلدَّرْبِ مَوْسِمُ الْأَزْهَارِ

وإذا كان الاستشهاد دفاعاً عن الأرض والعرض من أهم سمات الشخصية الإسلامية ، فإن ترك المرأة المحبوبة والاستشهاد في سبيل الدفاع عن المحبوبة فلسطين أضحت ظاهرة مألوفة في المجتمع الفلسطيني ، ومن شواهد ذلك نورد هذه القصيدة التي قالها الشاعر يونس أبو جراد على لسان عروسين متحابين ، وأحد العروسين هو الشهيد أحمد رفيق حمدان الذي استشهد للزود عن محبوبته الكبرى فلسطين ، فتقول عروسته في محبوبها الشهيد (١) :

سَيْلٌ مِنَ الْعَبْرَاتِ وَالْأَحْزَانِ
زُفَّ الْعَرِيسُ لِحُورِهِ وَأَنَا هُنَا
أَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَنْتَ فِيهَا إِنَّمَا
مَا كَانَ ضَرْكُ لَوْ بَقِيتَ فَإِنِّي
لَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ لَاتَّحَرَ الضِّيَاءُ
وَلَأَخْرَتُ رُوحِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ
وَلَأَحْرَقَ الْحُزْنَ الْعَنِيدُ أَزْهَارِي
مَا ذَنْبٌ أَنْتَى لَا تُرِيدُ حَيَاتَهَا
وَمَضَيْتَ لَمْ تَنْعَمِ عَلَيَّ بِضَمَّةٍ
يَجْتَاحُ قَلْبِي ذَاكِرًا وَلِسَانِي
مَا بَيْنَ لَسَعَةِ رَغْبَةٍ وَحَنَانِ
مَا قِيمَةُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ أَمَانِ
أَهْوَى الْحَيَاةَ لِأَجْلِ مَنْ أَحْيَانِي
بِأَضْلَعِي ذُرْعًا وَأَنْتَ الْجَانِي
وَلَأَزْهَقْتُ نَفْسِي مِنَ الْغَلْيَانِ
وَأَحَالَتِي ضَرْبًا مِنَ النَّسْيَانِ؟
خَلَّوْا مِنَ الْمَحْبُوبِ وَالْإِنْسَانِ؟
يَا لَهْفَ قَلْبِي مِنْ نَظْيِ التَّحْنَانِ !

أي حب هذا الذي تحمله المحبوبة لحبيبها ، وأي حنو وتبرير يقنع المحبوب بحبيبته به ، كيف يطفئ نار شوقها إليه ، وبصبرها على بعباده ، ليس سوى الحب المقدس ، ذلك ما نراه في قول الشهيد (٢) :

أَنَا لَمْ أُمَّتْ يَا مُهْجَتِي لَكِنِّي
لَا طَعْمَ لِلدُّنْيَا بِغَيْرِ عَقِيدَةٍ
شَتَّانَ بَيْنَ مُوَحَّدٍ نَشَرَ الْهُدَى
شَتَّانَ بَيْنَ مُجَاهِدٍ قَهَرَ الْعِدَا
لَا شَيْءٌ يَعْدِلُ دَفْقَةً مِنْ دَمْنَا
لَبَّيْتُ أُمَّرًا مِنْ نِدَا الرَّحْمَنِ
تَبَنَيْتُ هُدَاةً مِنْ سَنَا الْقُرْآنِ
وَمُضِيْعٌ سَلَكَ الطَّرِيقَ الثَّانِي
وَمُعَطَّلٌ مُتَمَتِّعٌ وَجَبَانَ
فِي سَاحَةِ الْإِقْدَامِ وَالشُّجْعَانَ

1 - مجلة أمجاد ، العدد الثاني ، تصدر عن منتدى أمجاد الثقافي بغزة ، (د.ت) ، حكاية عروسين ، ص 3 .

2 - السابق ، ص 3 .

يَا مُهْجَتِي ! الْخُورُ تَهْتَفُ رَغْبَةً
يَا مُهْجَتِي هَذَا كِتَابِي حَامِلًا
مَا خُنْتُ حُسْنِكَ بَائِعًا لِكُنِّي
يَا مُهْجَتِي غَدًا لِلِقَاءِ بِجَنَّةِ
وَتَجُوبَ أَعْمَاقِ الْجِنَانِ وَحَوْلَنَا
حُورٌ مِنَ الرِّيْحَانِ وَالْمَرْجَانِ
يَا مَرْحَبًا بِالْعَاشِقِ الْوَلَهَانِ
شَوْقًا وَعِشْقًا لِلْحَبِيبِ الْعَانِي
بَعْتَ الْقَلِيلَ بِرَحْمَةٍ وَجَنَانِ
نَمْتَصُّ شَهْدًا مِنْ نَدَى فَتَانِ

يهون الشهيد - في الأبيات السابقة - على محبوبته نارَ الفراق ، ويبشرها بأنه سيلاقيها في الجنة ، وسيتمتعان بنعيمها .. حيث يستحضر الشاعر معاني العديد من الآيات القرآنية التي تبشر الشهداء بالجنة ونعيمها^(١) .

وقد أوصى الإسلام أبناءه بالحياء ، وجعل الحياء شعبة من الإيمان^(٢) ، وملمحا من ملامح الشخصية الإسلامية ، ولأن جيل الانتفاضتين قد تربى في مدرسة الإسلام ، فقد كانت هذه السمة بارزة في شعر الغزل في هذه الحقبة ، من ذلك ما نراه في قول الشاعر^(٣) :

حَبِيبَتِي
يَا شُعْلَةً مِنَ الْحَيَاءِ
تَوَقَّدَ فِي قَلْبِي الْأَمَلُ
تَدَلِّي
فَإِنَّ أَجْمَلَ النِّسَاءِ
مَنْ تَرْتَدِي
ثُوبَ الْحَجَلِ !

لقد أعجب الشعراء الذين تربوا في مدرسة الإسلام بالفتاة الحبية المحتشمة ، وتغنوا بصفات عفتها .. وشواهد ذلك عديدة نكتفي منها بقول الشاعر^(٤) :

لَمَحْتُهَا
بَيْنَ أَصَابِعِ الزَّحَامِ
كَانَتْ "وَسَامَ"

- 1 - انظر : سورة الدخان 44 / 51 - 54 . وسورة الرحمن 55 / 72 . وسورة الواقعة 56 / 22 - 24 .
- 2 - وفي الحياء أحاديث كثيرة منها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " ، رياض الصالحين ، للنووي ، ص 194 .
- 3 - انظر : أنفاس المصابيح النازفة ، "نشرة ثقافية دورية" ، منشورات النادي الأدبي للشعراء الأحرار ، العدد (1) الشهر 2 / 2005 ، ص 8 ، قصيدة بعنوان "تدلي" ، للشاعر علي أبو مريحيل .
- 4 - السابق ، ص 8 .

مِثْلَ حَمَامَةٍ وَدَيْعَةٍ
يَلْفُهَا ثُوبٌ مِنَ الْقَتَامِ
يَغْمُرُهَا بَعْتَمَةٌ
تَزِيدُهَا تَأْلُفًا
فَيَرْتَقِي بِرَيْفِهَا بَسْتِرَةَ الْحَنَانِ
لِيَطْرَحَ السَّلَامَ
قَبْلَ أَنْ تُغَادِرَ الْمَكَانَ !

ومما يتصل بهذه السمة - الحياء - انضواء قصائد الغزل تحت باب الغزل العفيف الذي لا يخذش الحياء ، وقد هام معظم الشعراء في الصفات المعنوية ، وخاطبوا روح المرأة وكيانها أكثر من حديثهم عن مفاتن جسدها ، من ذلك قول الشاعر عبد الناصر صالح (١) :

رُبَّمَا صَارَ حُكَّتِ اللَّيْلَةُ أَنِّي مَا تَمَرَّدْتُ عَلَى قَلْبِي
وَمَا خُنْتُ حَبِيبِي
فَأَنْتَرِي فَوْقَ جَبِينِي ...
عَبَقَ الْوَرْدِ الَّذِي يَنْسَابُ
مِنْ وَجْهِكَ فِي الرِّيحِ
كَأَنَّ الرِّيحَ نَبْعَ الْحُلْمِ
يَا قَيْنَارَةَ الْحُلْمِ !
خُذِي اللَّيْلَةَ هَذِي كُلَّ أَشْعَارِي
أَقْرَأُ عَلَى جِيدِكَ تَلْتَفُ
خُذِي مَا شِئْتَ مِنْ عُمْرِي :
فَرَحِي الطِّفْلِي
أَوْ أَحْزَانِي
وَلَهْوِي
وَخُذِي مَا شِئْتَ مِنْ وَقْتِي

ومن طريف المعاني في باب العفة قول الشاعر إبراهيم قرايين (٢) :

سَأَلْتُ : تُرَى أَيَحْسَبُ لِي صِيَامِي تُرَى أَيَصِحُّ ... مَا رَأَى الْإِمَامِ
فَبَعْدَ الظُّهْرِ كُنْتُ أَسِيرُ ... إِذْ بِي أَفَاجَأُ ... مَنْ أَهَيْمُ بِهِ .. أَمَامِي

¹ - عبد الناصر صالح ، ديوان "فاكهة الندم" ، ص 41 - 42 .

² - ديوان "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ص 114 - 115 .

أَيُّعَقَلُ أَنْ يُصَادِفُنِي حَبِيبٌ
رَمَتْنِي عَيْنُهُ بِالسَّهْمِ .. رَدَّتْ
فَقَدْنَا الْوَعْيَ .. طَارَ الْعَقْلُ .. حَيًّا
وَمَرَّتْ لِحْظَةً لَمْ نَدْرِ مَاذَا
جَرَى يَا شَيْخُ هَذَا مِثْلَ سَهْوٍ
جَوَابُ الشَّيْخِ طَمَأَنَّنِي فَصَوْمِي
أَظُنُّكَ يَا بُنَيَّ ذَكَرْتَ شَيْئًا
وَلَا أُبَدِي بِهِ أَيَّ اهْتِمَامٍ
عُيُونِي بِالسَّهْمِ عَلَى السَّهَامِ
فَمِي .. فَمُهُ .. بِأَحْسَنَ مِنْ كَلَامٍ
جَرَى إِلَّا مُبَادَلَةً ابْتِسَامٍ
يُصَابُ بِهِ قَلِيلٌ مِنْ طَعَامٍ
سَيُحْسَبُ بِالْكَمَالِ وَالْتِمَامِ
يَكُونُ جَرَى .. وَلَكِنْ فِي الْمَنَامِ

ومن معاني شعر الغزل الممزوجة بالهم السياسي ، التي يتحدث الشاعر فيها عن حاله وحال محبوبته فلسطين ، قول الشاعر فيصل قرطبي (١) في قصيدة بعنوان "سيدة القلب" (٢):

لَمَلَمِي أَهْدَابَ الضُّوءِ

لَأَحْسَّ جَبِينَ الْوَدَاعَةِ

يَنْبُضُ بِالسَّحْرِ

أَعْرِفُ أَنِّي لَهُمْ ..

وَأَنْتِ

إِنَّهُمْ نَائِمُونَ

وَأَعْرِفُ أَنَّكَ لِي ..

وَأَنْتِ

إِنَّهُمْ نَائِمُونَ

وَنَحْنُ صَحَاءٌ

مُنْذُ فَجَّرَ الْخَلِيقَةَ

حَتَّى انْكَسَرَ النِّجَاةُ

أَهْمِسُ ،

أُحِبُّكَ "سَيِّدَةَ الْقَلْبِ"

مُنْذُ جَبِينَ الشُّمُوحِ ،

إِلَى آخِرِ التَّعَبِ

الْمُلْتَوِي فِي ضَمِيرِ الْخُطَاةِ .

¹ - شاعر فلسطيني . من شعره ديوان "تعالى لنحيا معا" ، و"عاشق الغناء والنار" ، و"الانفاق" . انظر ترجمته

في موسوعة كتاب فاسطين ، أحمد عمر شاهين 626/٢ .

² - ديوان "سجدة الحناء" ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1997م ، ص125 .

ولكي تكتمل ملامح الشخصية الإسلامية الفلسطينية نلتفت إلى شكوى المرأة من قيود الأهل والمجتمع ، سواء أكانت هذه الشكوى واقعية أم تمرد على الواقع الجديد الذي كان استجابة للمتغيرات التي واكبت الانتفاضة ، من ذلك قول الشاعرة صباح القلازين ، التي تحاول جاهدة طرح هموم المرأة البدوية التي تشكو من تسلط الأهل والعشيرة (١) :

سَيَّانُ
إِنْ وَقَفَ الْغَرَامُ بِبَابِي
أَوْ خَاصَمَتْ غَيْمَاتُهُ أَعْتَابِي

سَيَّانُ
إِنْ جَاءَ الْغَرَامُ مُدْرَعًا
أَوْ رَاجِلًا

لَيْسِيرَ فِي أَعْقَابِي
فَهُنَاكَ جَيْشُ نَعَالِبِ

وَسِيَاجُ شَوْكِ

وَأَقْفُونِ بِبَابِي

وَهُنَاكَ أَلْفُ قَبِيلَةٍ

وَحَنَاجِرُ الْحِجَابِ

ومثل ذلك قولها التالي الذي يبوح بأسباب شكوى الشاعرة ، وما يعتمل في قلبها تجاه قيود الأهل والمجتمع (٢) :

... هَلْ مُقَلَّتَاكَ خَطِيئَتَانِ مِنَ الزُّمُرْدِ

فِي سَرِيرِ اللُّغْوَايَةِ ؟

وَالشَّارِعُ الكَرَزِيُّ فِي شَفَتَيْكَ

صَارَ نَبِيذُ وَقْتِي وَالْحِكَايَةِ ؟

هَلْ مُقَلَّتَاكَ خَطِيئَتَانِ ؟

فَكَيْفَ لِي أَنْ أَشْتَهِيَ عَيْنَيْكَ تِلْكَ ؟

وَلَسْتُ مُقْتَرِفَ الخَطَايَا ؟

أَنَا نَاسِكٌ فِي جُبِّهِ

وَيَنْنُ مِنْ ثَقْلِ الوَصَايَا

¹ - ديوان "اعترافات متوهجة" ، ط1 منشورات الاتحاد العام للمراكز الثقافية ، غزة 1998م ، ص13.

² - صباح القلازين ، ديوان "نوافذ" ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، 2002م ، ص 14 .

ومن الشعارات اللاتي عانين الضجر من الواقع فاتتة الغرة ، ففي قصيدة "ما زال بحر بيننا" نراها تتحدث عن قيود تحول دون حلمها بالحب المباح فتجعله مستحيلا ، وترى أن بحرا من العادات والتقاليد ما زال يفصل بينها وبين ذلك الحب ، فتقول (١) :

مَا بَالُ كُلِّ قَصَائِدِي ..

غَمَّازَةٌ ..

فِي وَجْهِ فَجْرٍ يَنْشُرُ الْحُسُونَ خَلْفَ سَتَائِرِ

سَرَقَ الزَّمَانَ زُهُورَهَا مِنْ مَهْدِهَا ..

وَرَمَى النَّسَائِمَ لِلْسَهْرِ ..

لَوْزٌ هُنَا .. وَسَقِيفَةٌ خَرَسَاءٌ ..

كَانَتْ تُظَلِّلُ مَا تَبَقَّى مِنْ فُتَاتِ قُلُوبِنَا

.. وَمَا تَزَالُ حَدِيقَةُ الْأَشْوَاكِ بَاقِيَةً ..

وَلَمْ تَزَلْ ..

تَهْوَى التَّسَلُّلَ عَبْرَ نَافِذَتِي ..

وَتَرَفُّدُ فَوْقَ مَضْجَعِي الْقَدِيمِ ..

بِخَفَّةِ عَفْوِيَّةٍ

فالشاعرة لا يتاح لها التعبير عن كينونتها الإنسانية بخصوصيتها النسوية ، ومشاعرها وأحاسيسها وأحلامها المشروعة ، فالأنا النسوية ترى أن كل محاولة للانطلاق محفوفة بالمخاطر ، أليس هذا ما يرمز إليه : التسكع ، والوزة ، ومداعبة الدوري .. في قولها (٢) :

وَيَبْدَأُ هَمْسُهُ اللَّيْلِيَّ عَنِّي

كَيْفَ أَنِّي وَرَّةٌ بَرِيَّةٌ ..

تَهْوَى التَّسَكُّعَ تَحْتَ حَفَنَاتِ الثُّلُوجِ ..

تُدَاعِبُ الدُّورِيَّ ..

حِينَ يُخَبِّئُ الْأَزْهَارَ ..

خَلْفَ بُحَيْرَةِ الْمَاسِ الَّتِي ..

مَا عُدْتُ أَذْكَرُ لَوْنِهَا

.. تِلْكَ الصَّبِيَّةُ لَمْ تَعُدْ

مِنْ عَالَمِ الْأَحْلَامِ ..

١ - د. نبيل خالد أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، ص 101 - 102 .

٢ - السابق ، ص 102 - 103 .

لَكِنَّ الصَّبِيَّةَ مَا تَزَالُ
بِحِلْمِهَا .. وَبِعَطْرِهَا ..
وَبِفَارِسٍ تَهْفُو إِلَيْهِ ..
...جُرْحُ هُنَا .. لَوْزٌ هُنَا .. رَمْلٌ هُنَا ..
مَا زَالَ بَحْرٌ بَيْنَنَا .. وَصَبِيَّةٌ عَذْرَاءُ

إن العادات والتقاليد التي اشتكت منها المرأة لا أخالها غير مستمدة من التشريع الإسلامي الذي حفظ للمرأة عفتها وحصان لها كرامتها ، ومع ذلك فإن بعض الشعراء قد رأين ضرورة التمرد وكسر القيود التي تحد من حريتها في البوح بما يعتمل في صدرها ، من ذلك قول الشاعرة سلافة حجاوي (١) في قصيدة بعنوان "حدود" (٢) :

أَخَافُ يَا حُبِّي أَنْ أَمُوتَ
قَبْلَ أَنْ أَقُولَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ
لَكِنِّي أُدْرِكُ أَنَّنِي
فِي قَفْصِ مَسْدُودٍ
فُضْبَانَهُ تَسُدُّ أَفْقًا
يَمْتَدُّ مِنْ غَيْرِ حُدُودٍ
وَأَنْنِي
لَكِي أَقُولُ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ
لَأُبْدَّ مِنْ كَسْرِ الْحُدُودِ

ومن شعر الغزل في الزوجة نشير إلى تلك القصائد التي أرسلها الشعراء إلى زوجاتهم من خلف القضبان ، والتي يتميز بها الأدب الفلسطيني ، حيث العواطف الصادقة ، والأمانى الجميلة ، ومعاني الحب بمفهومها الإنساني العام ، من ذلك ما يحمله قول "المتوكل طه" من عواطف وأحاسيس صادقة وأمانى (٣) :

١ - ولدت الشاعرة في نابلس سنة 1934م ، حاصلة على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بغداد ، وكذلك الماجستير في العلوم السياسية ، عاشت في بغداد ، وتزوجت من الشاعر العراقي كاظم جواد ، تقلدت مناصب عديدة آخرها مدير عام مركز التخطيط في غزة . قامت بترجمة بعض الكتب النقدية والأدبية إلى العربية ، ومن شعرها ديوان "أغنيات فلسطينية ، وديوان "سفن الرحيل" . انظر ترجمتها في : موسوعة كتاب فلسطين في العشرين أحمد عمر شاهين ، ٣٤٨/١ .

٢ - ديوان "سفن الرحيل" ، ط 1 ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية 1998م ، ص 35 .

٣ - ديوان "فضاء الأغنيات" ، دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر والتوزيع ، القدس ، (د.ت)، ص 26.

وَأَقُولُ يَا امْرَأَتِي الَّتِي أَهْوَى
أُحِبُّكَ يَا بَتُولَ الرُّوحِ
يَا أُمَّ الطُّفُولَةِ
مِثْلَمَا أَهْوَى غُمُوضَ الضَّحَكَةِ الْأُولَى
وَحَرِيشَةَ الْبَرَاءَةِ لِلرَّضِيعِ
وَمِثْلَمَا أَهْوَى السَّلَامَ
لِكُلِّ أَطْفَالِ الْبِلَادِ
وَقِصَّةَ الْفَلَّاحِ فِي الْحَقْلِ الْكَبِيرِ
يَا لَهْفَ قَلْبِي مَنْ يَهْدُهُ طِفْلَتِي
لَمَّا تَدْبَلُّهَا النُّجُومُ
وَعِنْدَمَا تَصْحُو ...

يَا وَيْحَ عَمْرِي إِنَّ أَطْفَالِي لِيَالِيَهُمْ جُنُودٌ

في الأبيات السابقة يحن الشاعر لزوجته وأولاده ، ويتمنى لهم ولأطفال فلسطين حياة هادئة يسودها السلام ، ثم يلتفت إلى الواقع الذي يعيشه أبناؤه فيتحرق حنواً وخشية عليهم من خفافيش الظلام ، الجنود الصهاينة الذين يروعون الأطفال .

هذا هو حال معظم الشعراء القابعين في سجون الاحتلال ، حيث الغزل الممزوج بالهم السياسي ، والمزاوجة في أحاسيسهم ومعاني غزلهم بين المرأة الحبيبة وفلسطين ، من ذلك ما ينطوي عليه قول مؤيد عبد الصمد (1) :

لَوْ أَرْزَعُ كُلَّ بَسَاتِينَ الدُّنْيَا فِي كَفَيْكَ النَّاعِسَتَيْنِ
لَوْ أَجْمَعُ كُلَّ النِّجْمَاتِ ، وَكُلَّ مَجَرَّاتِ الْكُونِ
لَوْ أَصْنَعُ لَجَبِينِكَ تَاجًا مِنْ كُلِّ خِيُوطِ الشَّمْسِ
لَكِنِّي لَا أَمْلِكُ فِي الْأَسْرِ سِوَى هَذَا الْقَلْبِ
فَخُذِيهِ إِذَا شِئْتَ
سَيَدُقُّ لِقَلْبِكَ أَجْمَلُ لَحْنٍ !

لقد كان من البدهي أن يحمل الغزل في المرأة الزوجة معاني العفة والوفاء ، وأن يعبر الشعراء عن نبل مشاعرهم تجاه زوجاتهم ، خاصة إذا كانوا قد تربوا في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ، ووعوا قوله : "أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ

¹ - مؤيد عبد الصمد ، من وراء الشبك ، ط1 ، نادي الأسير الفلسطيني ، الضفة الغربية ، 2000م ،

تَمَلِّكُونُ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ .." (١) ، إنها سمة من سمات الشَّخصيَّة الإسلاميَّة ، وقد أفرد أكثر من شاعر القصائد العذبة في مناجاة زوجاتهم وبثهن مشاعر الحب والإخلاص ، فالشاعر سليم الزعنون - مثلاً - أفرد بابا في ديوانه "يا أمة القدس" لهذا الغرض ، وأطلق عليه عنوان "النجوى" ، ومما جاء فيه قوله في عيد ميلادها (٢) :

فَأَصْحُو مِنْهُ مُمْتَلِنًا شَبَابًا	أُنَاجِي الصَّوْتِ فِي بَدَلٍ بَعِيدٍ
مَضَتْ أَشْوَاقُهَا دَوْمًا عَدَابًا	فَيَبْعَثُ ذِكْرِيَّاتِ حَالِمَاتٍ
بَعَثْتُ بِهَا إِلَى الْأُخْرَى كِتَابًا	وَمَا قَدَّمْتُ إِلَّا قَافِيَّاتٍ
وَرَبُّ الْعَرْشِ قَدْ بَسَطَ الْحِسَابًا	فَهَلْ تَغْنِي ؟ بِيَوْمٍ فِيهِ حَشْرٌ
أَبْلُغُ مَا أُوْمِلُ أَوْ سَرَابًا	يُورِجِحُنِي الصِّرَاطُ فَلَسْتُ أُدْرِي
وَلَمْ أَسْحَبْ عَلَى اللَّهِوَ الثِّيَابَا	وَيَعْلَمُ مَا تَبَدَّلَ لِي شَبَابٌ

وحيثما سافر الشاعر إلى مدينة "كييف" عاصمة أوكرانيا للعلاج ، شعر بالحنين الجارف إلى رفيقة دربه فقال قصيدته التي مطلعها (٣) :

يَا شَوْقُ إِنَّ الشَّوْقَ زَادَ وَالصَّدْرُ ضَاقَ مِنَ البَعَادِ

وقد عبر عن عدم انبهاره بكل ما يشاهده من مناظر الطبيعة الخلابة هناك ، لأن جمال زوجته المحبوبة لا يعادله جمال (٤) :

وَأَنَا أَشَاهِدُ مَا أَشَاهِدُ	لَيْسَ تُغْرِينِي الْمَنَاطِرُ
لَا لَا يُحَرِّكُنِي السَّرَابُ	وَلَيْسَ تَهْدِينِي الْخَوَاطِرُ
فَلَقَدْ مَلَكْتُ بِهَا الْجَمَالَ	وَكُلُّ مَا يَرْجُوهُ نَاطِرُ
لَا النَّثْرُ يُنْصِفُهَا وَلَا	شِعْرٌ تَفَنَّنَ فِيهِ شَاعِرُ

لقد أكد الزعنون أن الحب هو الزوجة ؛ وأن السعادة مع الأولاد والأحفاد لا تضاهيها سعادة ، ومن ذلك أيضاً قوله (٥) :

أَبُئِّثُكَ يَا نَجْوَايَ مِنْ خَالِصِ النَّجْوَى
وَمَا أَنَا إِلَّا أَنْتَ مِنْ قِصَّةٍ تُرْوَى

1 - رياض الصالحين ، النووي ، 2002 م ، ص 92 .

2 - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 362 - 363 .

3 - السابق ، ص 364 - 365 .

4 - السابق ، ص 367 .

5 - السابق ، ص 385 - 389 .

تَغَارُ إِذَا مَا قُلْتَ شِعْرًا كَأَنَّ مَا
تَحَوَّلَتْ عَنْهَا أَوْ إِلَيَّ غَيْرَهَا أَهْوَى

هذا هو الحب في الإسلام بين الرجل والمرأة ، إنه حب عفيف لا ريبه فيه ولا دغل ،
حب يخدم الأسرة والمجتمع والأمة ، حب حقيقي يتسامى فيه الرجل والمرأة ..
ويلتقي مع الشاعر سليم الزعنون فيما ذهب إليه من تكريم الزوجة ، والتغزل بصفاتهما
التي لا تضاهيها صفات الشاعر عبد الكريم السبعاعي في قوله (١) :

وَأَقِيسُ هَامَاتِ النِّسَاءِ عَلَيْكَ

يَا امْرَأَةً ..

كَبَاسِقَةِ النَّخِيلِ

أَهْدَيْتُهَا قَلْبِي فَكَانَتْ

وَأَحَاةَ الظِّلِّ الظِّلِّ

وَتَعَمَّدَتْ هَفَوَاتَهُ ..

بِالْعَفْوِ .. وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ

مَهْرٌ يُضْرِبُ بِهِ اللَّجَامُ

وَيَسْتَفْزُ جُمُوحَهُ عُمُقِ السُّهُولِ

أَرِنِ إِذَا اشْتَدَّ السَّبَاقُ ..

يَطِيرُ مَجْنُونِ الصَّهِيلِ ..

أَرْفِيقَةَ الدَّرْبِ الطَّوِيلِ

شَرِيكَةَ الْهَدَفِ النَّبِيلِ

...فَتَدَلِّي .. وَتَجَمَّلِي إِنْ شِئْتِ ..

وَأَعْتَدِي وَمِيلِي

خَلِّي النِّسَاءَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ

لَمْ أَجِدْ كُفُوءًا سِوَاكَ

وَمَا لِمِثْلِكَ مِنْ مَثِيلِ

في الأبيات السابقة يمجّد الشاعر زوجته ويتغنّى بصفاتهما ، حيث يوازن بينها وبين
النساء الأخريات فلا يجد مثيلاً لها ، فهي كباسقة النخيل ، عالية الهامة ، هي ظل الشاعر
وسكنه ، إنه يتغاضى عن هفواتها ويصبر عليها ، وهذا هو الحب الحقيقي الذي لا تعكره
شئون الحياة اليومية .

¹ - عبد الكريم السبعاعي ، ديوان "متى ترك الفطأ" ، ص 105 - 106.

ويرسخ السبعاعي مفهوم الزواج المبني على الحب الصادق في قصيدة أوصى بها ابنه حسين ، ناصحا إياه يوم حفل زفافه بالرفق واللين مع زوجته ، وأن يحبها كما أحب هو أمه ، من ذلك قوله (١) :

أَحْسَيْنُ يَا زَيْنَ الشَّبَابِ
وَيَا نَضَارَةَ عُمُرِنَا الْغَالِي
أَحْبَبْتُ أُمَّكَ فِي الزَّمَانِ
وَمَا أزال ..
وَمَا قَلْبْتُ لَهَا الْمَجَنَّا
فأَحْبَبُ عَرُوسَكَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَلِنَ لَهَا ..
وَتَأَنَّ فَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمَنْ تَأَنَّى

ثم ينصح الشاعر ابنه ، أن يجعل فلسطين هي السبيل في حياته ، وأن يربي أبناءه على حب الوطن والتفاني في خدمته ، فيقول (٢) :

أَبْنِي خُذْ بِالسَّاعِدَيْنِ .. وَضُمْ
وَاعْنَمْ مِنْ حَيَاتِكَ مَا غَنِمْنَا
وَاجْعَلْ فِلَسْطِينَ السَّبِيلَ
وَهَبْ لَهَا بِنْتًا وَابْنًا
إِنَّا وَهَبْنَاهَا الْحَيَاةَ مَدَى الْحَيَاةِ
وَلَمْ نَزَلْ طَوْعًا وَرَهْنًا

تنسج معاني هذه الوصية مع قيم الدين الإسلامي الحنيف ، أن ينعم بالحياة مع زوجة يحبها وتحبه ، وأن يراعي الله فيها ، وأن يربي الأبناء على حب الوطن والإخلاص إليه .

¹ - عبد الكريم السبعاعي ، ديوان "متى ترك القطا" ، ص 114 .

² - السابق ، ص 115 .

الفصل الثالث الدراسة الفنية

أولاً: اللغة والأسلوب

ثانياً: الإيقاع الموسيقي

ثالثاً: الصورة الشعرية

أولاً: اللُّغَةُ والأسلوب :

1- مفهوم اللغة الشعرية :

اللغة هي وسيلة من وسائل التفاهم بين الناس ، ووسيلة من وسائل نقل المعلومات والأفكار من شخص إلى آخر أو أشخاص آخرين . وقد عرفها ابن جني بقوله : "هي أصول يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(١) .

أما في البناء الشعري فلا تتوقف وظيفة الألفاظ عند هذا الحد ، حيث يمكن أن تتجاوز مدلولها المعجمي إلى مدلولات أكثر اتساعاً ، وذلك لأنها عنصر أساسي من عناصر الإبداع الشعري .

يقول الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي : "اختلفت طرائق النقاد في الحديث عن عناصر الإبداع الشعري .. وقد لاحظنا أن فئة كبيرة من النقاد القدماء قد صبوا اهتمامهم على عنصرين من عناصر الإبداع الشعري ، هما اللفظ أو العبارة والمعنى ، وأداروا نقودهم حول هذين العنصرين وما يتصل بهما .."^(٢) ، فابن سلام الجمحي حينما صنف الشعراء في طبقات لم تخرج مقاييس الجودة عنده عن حدود هذين العنصرين اللفظ أو العبارة والمعنى^(٣) ، وكذلك ربط ابن قتيبة مستويات الشعر بعنصري اللفظ والمعنى ومدى تشاكلهما .."^(٤) ، وتحدث ابن طباطبا أيضاً عن اللفظ وما يتصل به من وزن وقافية ؛ وعن المعنى وعلاقته باللفظ والوزن والقافية .."^(٥) . وقد جعل قدامة بن جعفر عناصر الإبداع الشعري أربعة حينما عرف الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"^(٦) .

واهتم ابن الأثير بقضية اللغة الشعرية ، وتحدث عن تجربة الشاعر وتأثيرها على اللغة الشعرية ، سواء كانت ترتبط بلحظة فرح ، أو تحد ، أو يأس ، أو حقد ، أو اطمئنان ، أو سخرية ، وقسم الألفاظ إلى قسمين : "جزلة ورقيقة" ، ورأى أن الجزل منها يستعمل في

- ¹ - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط2 ، دار الهدى ، بيروت (د.ت) ، ج1 ، ص33 .
- ² - د. نبيل خالد أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ط1 ، إصدار اتحاد الفلسطينيين - القدس 1999م ، ص 21 - 22 .
- ³ - محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة (بدون تاريخ) 1/ 56 ، 187 ، 494 .
- ⁴ - الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط3 ، دار المعارف المصرية 1977م ، 70/1 وما بعدها ، 84/1 ، 94-96 .
- ⁵ - عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز ناصع المناع ، ط دار العلوم ، الرياض 1985م ، ص 5 .
- ⁶ - نقد الشعر ، تحقيق محمد خفاجي ، ط1 ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة 1979م ، ص64 .

وصف مواقع الحروب ، ويستعمل الرقيق في وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد ، وأشباه ذلك^(١) .

ومن النقاد المعاصرين الذين اهتموا باللغة الشعرية ، وجعلوها من أساسيات الإبداع الشعري الدكتور محمد زغلول سلام في قوله : .." يجمع النقاد على أن للشعر لغة تختلف عن لغة الكلام ، والحديث العادي ، وقد يكون هذا الخلاف ناشئاً من أن الشعر يحرص على لغة أسمى وأرفع ، وأفصح ؛ لغة مختارة لا ابتذال فيها ولا عامية ولا حوشية ولا غرابية ولا اشترك في المعاني"^(٢) . وكذلك تحدث الدكتور عز الدين إسماعيل عن خصوصية اللغة الشعرية في قوله : .."أما اللغة في الشعر فلها شأن آخر ، إن لها شخصية كاملة تتأثر وتتوثر ، وهي تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلاً أميناً .. وهي بعد لغة فردية في مقابل اللغة العامة التي يستخدمها العلم . وهذه الفردية هي السبب في أن ألفاظ الشعر أكثر حيوية من التحديدات التي يضمها المعجم . والألفاظ الشعرية تعين على بعث الجو بأصواتها . فالعلاقة بين الأصوات في الشعر - كالموسيقى تماماً - يمكن أن تثير متعة تذوق الانسجام الحي ، سواء بالأجزاء المكررة أو المنوعة أو المتناسبة . والكلمة الشعرية يجب أن تكون أحسن كلمة تتوافر فيها عناصر ثلاثة : المحتوى العقلي ، والإيحاء عن طريق المخيلة والصوت الخالص ، ويجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالاً إيقاعياً بحيث يؤدي هذا التلوين الإيقاعي إلى الغاية المطلوبة"^(٣) .

وقد تأثرت لغة الشعر في العصر الحديث بتطور الحياة وتراكم الخبرات ، واختلفت لغة شاعر عن آخر في استعمال كلمات نادرة أو مهجورة أو لهجات محلية ، وأحرزت الكلمات الشائعة أجمل الانتصارات في الشعر ، وذلك بسبب قدرتها على تنشيط المعنى^(٤) . وأضحى الشاعر المبدع هو الشاعر الذي يستطيع أن يكسب الكلمة حضوراً خاصاً ، حيث يلقي عليها ظلالاً من شخصيته ، ويخضعها لنهجه الخاص الذي يعتمد على سعة ثقافته اللغوية المتعلقة بمظاهر اللغة المختلفة ، كالاشتقاق والترادف والتضاد والتكرار والتكثيف

¹ - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق : د.أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، القاهرة ، دار نهضة مصر(د . ت) ، ص185 .

² - محمد سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، ط منشأة المعارف بالإسكندرية ، (د.ت) ، ص 59 .

³ - د.عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1412هـ=1992م ، ص294- 295 .

⁴ - د. مصطفى ناصف ، مشكلة المعنى في النقد الحديث ، مكتبة الشباب ، القاهرة 1965م ، ص134 .

والاختزال والتضمين ..(١) ، مما ينعكس على الكلمة التي تدفع الآخرين إلى التعامل معها بظلمها الجديد ، فمن حيوية الشخصية وقوتها تستمد الكلمة خصوصيتها .

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نأخذ بما قرره الدكتور نبيل أبو علي أن اللغة هي "وعاء الفكر والإحساس والتجربة ، وأن الكتابة الجيدة توأم التفكير السليم .."(٢) ، وأن نؤيد قول إليزابيث دور أن "الشعر يعيش في لغته ، ولا يمكن فصله بأي حال عن ألفاظه الأصلية التي كتب بها "(٣) ، وكذلك قول الإمام محمد عبده : "إنه لا يكون شعراً إلا إذا كانت ألفاظه آخذة بجزء من روح الشاعر "(٤) .

فاللغة وسيلة الشاعر للتعبير عن التجربة الذاتية ، وعن الموقف الانفعالي بالصورة الفنية ، ومن خلال تقدير الزمن المتحرك والساكن للحرف الذي يخلق موسيقى الشعر المؤثر في المتلقي ، وأن قيمة الألفاظ في القصيدة ليست في بساطتها أو جلالها ، وإنما في الطاقة أو العاطفة أو الحركة التي يسبغها عليها الشاعر ، والشاعر الأصيل تتضح ألفاظه بالقيم ، وتتشع منها الموسيقى والمعنى والبساطة والزخرفة ، والصورة والفكرة ، والقوة الدرامية ، والتكثيف الغنائي والكنائية واللون والضوء"(٥) ، كل ذلك يأتي انعكاساً للتجربة الشعرية .

وإذا انتقلنا إلى موضوع دراستنا ، نلاحظ التطور والتجديد ، لأن "الألفاظ تتطور ، والعلم يتقدم مع تقدم الحياة وتطور البيئات على اختلاف أنواعها "(٦) . وقد أسهمت النقلة النوعية في وسائل الانتقال والاتصال ، ومع توسع العلوم الإنسانية وتشعبها ، والتأثير المتبادل للثقافات ، على لغة الشعر ، وكما يول الدكتور محمود الربيعي لقد "تطورت لغة الشعر العربي تطوراً هائلاً في العصر الحديث ، فأصبحت اللغة أكثر دقة وإيحاءً ، وابتعدت في كثير من جوانبها عن مفهوم الألفاظ التقليدية"(٧) ، وبانت تعبر عن روح العصر ، وتفصح عن حجم الانفعالات النفسية والتجارب الذاتية .

- 1 - د. عدنان حسين قاسم ، لغة الشعر العربي ، ط1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت 1989م ، ص 134 .
- 2 - د. نبيل خالد أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 65 .
- 3 - إليزابيث دور ، الشعر : كيف نفهمه وننطقه ، ترجمة محمد إبراهيم الشوش ، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، ص 335 .
- 4 - عبد العزيز الدسوقي ، تطور النقد العربي في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977م ، ص 268 .
- 5 - د. الطاهر أحمد مكي ، الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة 1983م ، ص 8 .
- 6 - د. هاشم صالح مناع ، بدايات في النقد الأدبي ، ط1 دار الفكر العربي ، بيروت 1994م ، ص 141 .
- 7 - د. محمود الربيعي ، مقالات نقدية ، مكتبة الشباب ، القاهرة 1983م ، ص 23 .

لم يتخلف شعراء فلسطين - وهم جزء لا يتجزأ من شعراء الأمة العربية - عن روح العصر ، فكان الطور في لغتهم متزامناً مع تطور لغة الشعراء العرب ، وقد أضافوا من خصوصية واقعهم وتجاربهم إبان الانتفاضة الكثير من الألفاظ والتعبيرات التي تمثل لغة الشخصية الإسلامية ، والتي أصبحت تمثل معجماً شعرياً مستقلاً ، بعد أن أصبح للشعراء لغتهم ومعجمهم الشعري الخاص بما يشتمل عليه من ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني^(١) ، وسوف نتعرف - إن شاء الله تعالى - على سمات اللغة الشعرية وما تشتمل عليه من سمات الشخصية الإسلامية ، وما يميز لغة القصيدة الفلسطينية الحديثة .

أهم سمات اللغة الشعرية :

1- تفاعل اللغة الشعرية مع الروح والقيم الإسلامية :

لم تعد لغة الشعر الفلسطيني مقتصرة على الشاعر وحده ، بل هي ملك الشعب والمجتمع الفلسطيني ، تعبر عن قضاياها وأحاسيسه وهمومه وآماله وآلامه ، وتبرز هويته وقيمه الإسلامية ، ذلك لأن الأديب المسلم من أكثر المسلمين التزاماً بما يعتقد قولاً وسلوكاً ، وأن "أدبه أدب الحياة وأدب الواقع ، يعطي الصورة الحقيقية عن الحياة والإنسان وعن المجتمع من خلال تصويره الإسلامي"^(٢) ، وقد كان للاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر سمات جليلة تتبدى في "الدعوة إلى الحفاظ على التراث والمقدسات والشرائع والجهاد في سبيل الوطن وتحريره ، وفي التأكيد على ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع الفلسطيني"^(٣) .

والقيم الإسلامية أنواع ، منها الأخلاقية التي تتمثل في الصبر والرحمة والشجاعة والتواضع والوفاء بالعهد والحلم والجود ، ومنها الروحية التي تتمثل في أعمال العبادة مثل الصلاة والجهاد في سبيل الله ، ومنها القيم الإنسانية ، والمادية^(٤) . وقد اشتملت دراستنا على العديد من القيم الإسلامية ، ومنها :

¹ - د. صالح أبو أصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1979م ، ص 294 - 295 .

² - محمد حسن بريغش ، في الأدب الإسلامي المعاصر ، ط2 ، مكتبة دار المنار الأردن ، الزرقاء 1985م ، ص 39 .

³ - د. محمد عبد الله عطوات ، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1998م ، ص 410 .

⁴ - د. محمد هاشم ريان ، المنهاج التربوي من منظور إسلامي ، ط1 ، دار اليقين ، القدس 2002م ، ص 222 .

- ذكر الله ومناجاته :

توجه معظم شعراء فلسطين إلى الله عز وجل بعد الانتفاضة ، حيث تركهم الزعماء والحكومات العربية يواجهون الغطرسة الصهيونية بمفردهم ، واعتصموا بذكر الله تعالى ومناجاته وحمده وشكره ، فلجوء الشاعر لذكر الله يكسبه القوة في مواجهة الشدائد والمحن^(١) ، وفي دراستنا برز ذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأغراض التي تناولناها ، حيث تفاعلت معها اللغة الشعرية لتحديث الأثر والشعور بأن الإسلام والرجوع إلى الله هو الحل . وشواهد ذلك أكثر من أن يُحاط بها ، فالدكتور المقادمة - مثلاً - يلجأ إلى الله في مصابه الجلل ، ويناجيه في رثاء ابنه أحمد بمثل قوله^(٢):

يَا رَبِّ قَلْبِي دَامِعٌ
يَا جَابِرًا قَلْبِي الْمُلَوَّعُ
يَا رَبَّ حُزْنِي وَاسِعُ
لكنما رحماك أوسع
يَا رَبَّ فَاجْمَعْنِي بِهِ
بِجَوَارِ سَيِّدِنَا الْمُشَفَّعِ

وكذلك لا يكاد يخلو شعر الدكتور الرنتيسي من ذكر الله سبحانه وتعالى ، فمن ذلك قوله^(٣) :
وَطُوبَى لِلَّذِي فِي اللَّهِ يَهْدِي إِلَى الْأَقْصَى بِلا جَزَعٍ وَرِيْدَةٍ
ويقول الشاعر رفيق أحمد في خطابه للعرب عندما ارتكب الصهاينة مجزرة "عيون قارة" في حق العمال الفلسطينيين^(٤) :

فَارْجِعُوا لِلدِّينِ أَحْيُوا عَهْدَهُ
إِنَّمَا الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ وَقَاءُ

وكذلك ذكر الشاعر عبد الرحمن بارود الله سبحانه وتعالى في رثاء الشهيد عبد الله عزام^(٥) :

¹ - وقد حثنا الله سبحانه على الذكر في العديد من الآيات ، قال تعالى : "وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ" . سورة الأعراف 7 / 205 .
وقوله تعالى "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" .
سورة الأحزاب 33 / 35 .

² - إبراهيم المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص ٤٧ .

³ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 64-65 ، وانظر الديوان كاملا في ذكر الله .

⁴ - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ص 139 .

⁵ - أحمد أبو بكر ، ديوان الوداع المر في رثاء شهيد الأمة عبد الله عزام ، ص 17 .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَثْبِيكَ تَاجاً رَصَّعْتُهُ الْكَوَاكِبُ الدَّرِيَّةُ

وفي رثاء الشيخ ياسين ، يذكر الشاعر الله سبحانه وتعالى في مثل قوله (١) :

وَلَقَيْتَ رَبَّكَ صَائِماً وَمَصْلِيّاً فِي بَيْتِهِ فَجِراً وَوَجْهَكَ مُسْفِراً

ومن ذلك قول الشيخ أحمد ياسين يذكر الله سبحانه وتعالى ويناجيه وهو يودع مرافقه ناجي ، حيث ترجم هذا القائد الرباني أحاسيسه الصادقة ، وعاطفته الجياشة في أرق عبارات الوداع والمحبة لمرافقه "ناجي" ، ولإخوانه الأسرى مستمداً ذلك من حجم المعاناة التي يعانيتها الأسير ، فجاشت لغته بذكر الله ، وكيف وهو دائم الذكر لله سبحانه وتعالى (٢) :

يَا خَيْرَ مَنْ عَرَفَ الْفَوَاقِدَ وَكَلَّمَ نَاجِي رِعَاكَ اللَّهُ يَا إِرْثَ السَّنَا هَذِي يَدِي مَمْدُودَةٌ لِدَوَاعِكُمْ يَا طَيْرَ حَلَقٍ فِي رَبَا أَوْطَانِنَا فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَفُكَّ إِسَارَكُمْ وَاللَّهُ يَجْمَعُنَا بِسَاحَةِ عَدْلِهِ فَنَقِيمُ لِلإِسْلَامِ دَوْلَةَ عِزَّةٍ

وفي رثاء الرنتيسي ، يدعو الشاعر الله ويناجيه ، طالبا المغفرة لشهيدنا الرنتيسي (٣) :

يَا رَبَّنَا عَوِّضْ خَسَارَتَنَا فِيهِ فَإِنَّ مُصَابِنَا جَلَلٌ

- قيمة الصبر :

يعد الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة التي تمكن الإنسان من تحمل المتاعب والآلام ، وهو سلاح المجاهد في الاستمرار في المقاومة ، بحيث لا تلين له عريكة ولا تنتهي له هامة أمام العواصف والشدائد (٤) . قال تعالى : "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ" (٥) ، ويعتمد الصبر على حقيقتين جليلتين ، تتعلق الأولى منما بطبيعة الحياة الدنيا التي جعلها سبحانه وتعالى دار تمحيص وامتحان .

1 - أحمد إسحق الريفي ، ديوان: "مواجهات" ، ص 8 .

2 - مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، الجامعة الإسلامية - غزة ، كلية الآداب ، الجزء الثاني ، بحث الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي : "عصر وإمام ، دراسة تحليلية" ، ص ٧ وما بعدها .

3 - أحمد إسحق الريفي ، ديوان: "مواجهات" ، ص ١٢ .

4 - مقاربات نقدية في شعر المقادمة ، القيم الإسلامية في ديوان "لاتسرقوا الشمس" ، د. عبد الرحيم حمدان ، ص ٥٥ .

5 - سورة محمد : 31 / 47 .

وتتعلق الثانية بطبيعة الإيمان ، فالإيمان صلة بين الإنسان وبين ربه ، وهذه الصلة تخضع للابتلاءات ، قال تعالى : "أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (١) ، على هاتين الحقيقتين يقوم الصبر ، ومن أجلهما يطالب الدين به . والصبر من معالم العظمة وشارات الكمال ، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها ، ولذلك كان "الصبور" من أسماء الله الحسنى ، والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة ، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئاً لما أوتوا من مواهب ، ولما أدوا من أعمال (٢) .

وفي معنى الصبر ، يقول الرنتيسي ، داعياً أمه إلى الاستعانة بالله والصبر (٣) :

يا أمَّ فَوَازِ اسْتَعِينِي بِالَّذِي بَرَأَ الْخَلْقَ وَالسَّمَاءَ بِنَاهَا
وتصبري أمّاهُ ثُمَّ تَفَاعَلِي فالنَّصْرُ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا

ومن معاني الصبر ما يشتمل عليه قول الشاعر أحمد اسحق الريفى في رثاء شهيد الأمة الشيخ أحمد ياسين (٤) :

دَمُّكَ الْمَرَاقُ عَلَى التَّرَابِ مَطَهَّرٌ الْمَسْكُ مِنْ قَطَرَاتِهِ وَالْعَنْبَرُ
يا سيدي قتلوكَ لَكِنْ لَمْ تَمُتْ بلْ أَنْتَ فِي الْفِرْدَوْسِ حَيٌّ تُحْبَرُ

وقد اتسمت اللغة الشعرية بالسهولة والوضوح ، وابتعد الشعراء - في مخاطبتهم الجمهور الفلسطيني - عن الألفاظ الجزلة وكذلك الغريبة أو الحوشية ، وتحقق عنصر الصدق الفني في أشعارهم ، وكذلك الوحدة العضوية ، واعتمدوا أحياناً الغموض الشفيف الذي يُعد وسيلة من وسائل تحقق اللغة الشعرية الموحية .

- قيمة الصمود والتحدى والجهاد : تفاعلت لغتنا مع القيم الإسلامية تفاعلاً بناءً ، حيث استخدم الشعراء هذه اللغة للتعبير عن الصمود والتحدى ومقاومة المحتل الذي كان يهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية ، واستلهموا ألفاظهم وعباراتهم من واقع الألم والتجربة ، فثاروا وانتفضوا ، وكانت البداية الحجر ، كما يقول عبد الناصر صالح (٥) :

فِي الْبَدْءِ قَدْ كَانَ الْحَجْرُ
بَيْتًا ، إِلَهًا لِلْعِبَادَةِ .

1 - سورة العنكبوت 29 / 2-3 .

2 - محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ط2 ، دار القلم ، دمشق - بيروت 1980م ، ص 128 - 131 .

3 - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 41 .

4 - أحمد إسحق الريفى ، ديوان "مواجهات" ، ص 8 .

5 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86-90 .

والْيَوْمُ قَدْ صَارَ الْحَجْرُ
رَمَزًا لِتَحْقِيقِ السِّيَادَةِ .

هكذا كان تحدي طفل الحجارة ، طفل العقيدة الذي تربي على الإسلام ، تحدى المحتل بالحجارة ، وبصدره الذي لا يقيه شيء ، فأصبح الحجر لغة الصمود والتحدي ، وأصبحت لغة الحجارة هي رمز التحدي والصمود في وجه المحتل(١) :

... تقدّموا

يَصِيحُ كُلُّ حَجْرٍ مُقْتَصَبٍ
تَصْرُخُ كُلُّ سَاحَةٍ مِنْ غَضَبٍ
يَضِجُ كُلُّ عَصَبٍ :
الموت .. لا الركوع
موت .. ولا ركوع !!

وفي تصوير صمود المجاهدين في وجه الجزار الصهيوني في مخيم جنين قرض الشعراء عشرات القصائد ، من ذلك قول الشاعر خالد السعيد(٢) :

يا "يوسفُ الريحانُ" يا بطلَ الوغى سِفْرُ البطولة بالشهادة يُخْتَمُ
يا "جندلاً" صلِّبا وفوق متونه جيشُ الصهاينة اللّئام يُحَطَّمُ
أوصل لقيس شوقنا وسلامنا يا نورسي فؤادنا يتألمُ

لقد عبرت الألفاظ المستخدمة في الأبيات السابقة عن مدى مقاومة الأبطال وصمودهم ، واستوحت اللغة الشعرية الكثير من الألفاظ والمصطلحات من واقع المجازر التي ارتكبت ضد شعبنا في الفترة الممتدة بين الأعوام 1987م - 2004م ، لتصبح عاملاً من عوامل إثراء المعجم الشعري الفلسطيني .

وكذلك ما أوردها سابقاً من وصف الشاعر صالح فروانة لتحدي الطفل فارس عودة الدبابة الصهيونية ببراعته وطفولته(٣) :

فَتَى
يُحَاوِرُ الدَّبَابَةَ
فَقَائِدٌ لِقَائِدٍ
وَفَارِسٌ لِفَارِسٍ

1 - سميح القاسم ، ديوان سبحة للسجلات ، ص405-411 .

2 - موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الإنترنت ، قصيدة : عائد إلى جنين ، للشاعر خالد السعيد .

3 - صالح عمر فروانة ، ديوان مفردات فلسطينية (انتفاضة الأقصى) (الجزء الأول) ، ص66-67 .

قد مات فيه الخوف والحدْرُ
عصفورةٌ تدورُ حولَ فيلٍ
تخيّلوا
عصفورةٌ تُذِلُّ فيلاً

- الدعوة إلى الاتحاد ورس الصفوف :

ما كادت الانتفاضة تتفجّرُ في مخيم جباليا حتى انتقلت إلى جميع المخيمات الفلسطينية داخل وطننا المحتل ، وتوحد أفراد الشعب الفلسطيني ، فأصبحوا كالجسد الواحد ، وقد أظهر بعض الشعراء حرصهم على استمرار هذه الوحدة ، إيماناً منهم بأنّ توحد الشعب الفلسطيني كفيل باستمرار الانتفاضة (١) فجاءت لغتهم كذلك نابعة من الاتحاد (٢) :

الوحدَةُ نحنُ صنعناها
بالألمِ والأملِ المفعمُ
والوحدَةُ درسٌ نَشْرَحُهُ
للطفلِ الآتي كي يفهمُ
أنّ التحريرَ دولتنا
قدرٌ ، والباطلُ أن يُهرَمُ
الوحدَةُ للأقصى حصنٌ
والمهدُ وعيسى يتألمُ
ناقوساً جانبُ مؤذنه

فجاءت دلالة مقاطع : الوحدَةُ نحنُ صنعناها - والوحدَةُ درسٌ نَشْرَحُهُ - الوحدَةُ للأقصى حصنٌ .. قاطعة بأن الإسلام دعا للاتحاد ورس الصفوف في وجه المحتل ، لمقاومته ودحره ، وكذلك مقاطع : "والمهد وعيسى يتألم - ناقوساً جانب مؤذنه" تدل على توحد المسيحيين والمسلمين في وجه الاحتلال .

ويتحدث الشيخ أحمد ياسين عن الوحدة الوطنية - وهو في السجن - مبيناً أهميتها في قوله (٣) :

¹ - حسام جلال التميمي ، صورة اللاجئين الفلسطينيين في الشعر الفلسطيني الحديث 1967م - 1990م ، ط1 ، جمعية العنقاء الثقافية - الخليل 2001م ، ص 242 .

² - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، ص86-87 .

³ - مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، الجامعة الإسلامية - غزة ، كلية الآداب ، الجزء الثاني ، بحث الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي : " عصر وإمام ، دراسة تحليلية " ، ص7 وما بعدها .

هِيَ الأوطان نحميها بسيفٍ نُوحِّدُ صَفًّا أبداً بعزم
ولا عَزَّ لها دون اتفاقٍ ولا صفٌّ يُوحِّدُ بالشَّقاقِ

فجاءت ألفاظ: (نوحّد - اتفاق - يوحد) لتدل دلالة قاطعة أن بالوحدة والاتحاد يكون النصر والفلاح على أعدائنا ، فجاءت هذه الألفاظ تأكيداً على قيمة الاتحاد وحرص الصفوف .

ويدعو الشاعر سليم الزعنون الأهل إلى الاتحاد وحرص الصفوف لمواجهة إعلان الكيان الصهيوني مصادرة أراضي القدس (١) :

يا أهنا اتحدوا في موقفٍ أزم جاروا على القدس إنَّ القدسَ تدعونا

- طلب الشهادة وشرف نيلها :

منذ أن أعلن الشعب الفلسطيني الجهاد المقدس ضد الصهاينة المحتلين وهو يقدم قرابين الفداء ألوف الضحايا والشهداء ، وقد وقف الشعراء يسجلون أحداث كفاح هذا الشعب ملهيبين في النفوس المؤمنة الحمية وروح الجهاد الإسلامي ، مستثيرين كوامن الطاقات لمتابعة خطأ التحرير ، فمن حق من تعرض لأبشع الجرائم أن يجاهد عدوه ، ويخلص أرضه ، ويحمي عرضه من دنس المحتلين ، وأن يطلب الشهادة ويتمناها ، وترددت هذه الأمنية في شعر العديد من الشعراء ، فالشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة طلبها في أكثر من موضع من ديوانه ، من ذلك قوله (٢) :

أنا للجنةٍ أحياء ، يا إلهي

في سبيل الحق فاقبضني شهيداً

واجعل الأثلاء مني معبراً

للعزِّ ، للجيل الجديد

وكما رأى الدكتور يوسف رزقة فإنه لا غرابة أن تمتزج الرومانسية الإيمانية بالاستشهاد في سبيل الله ، أو أن تكون الشهادة إحدى مرتكزاتها الأساس ، مادام مصدر الوجد والحب رباني أخروي ، ينادي بعزة المسلم وكرامته ، ويطلب منه أن يتجاوز حالة الأنانية والدنيا التي وقف عندها الرومانسيون . إن العمل من أجل الآخرين والتضحية في سبيل الدين والكرامة ، تمثل حقيقة الإيثار التي نادى بها الدين الإسلامي وآمنت بها ذات شاعرنا (٣) .

¹ - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 393- 395 . وانظر مقاربات نقدية في شعر المقادمة، ص ٤٤ .

² - إبراهيم المقادمة ، ديوان " لا تسرقوا الشمس " ، ص 19 .

³ - د. يوسف موسى رزقة ، الرومانسية الإيمانية في الخطاب الشعري للدكتور إبراهيم أحمد المقادمة في ديوانه : " لا تسرقوا الشمس " ، منشورات رابطة أسر مساجد البريج ٢٠٠٤م ، ص 40- 41 .

وها هو الشاعر السياسي عثمان أبو غربية يحث المناضلين على مواصلة النضال وعدم إلقاء السلاح حتى يتم تحرير القدس ، مهما كانت التضحيات (١) :

لا تغلق الميدانَ قبل مجيء لؤلؤة المدائن

لا تغلق الآن الحنين إلى المراكب

لا تغمد الآن السيوف

بزغت جراحك من عيون الشمس من نور

الكواكب

... فليأت ملح الأرض أو

فليأت طوفان الجراح

لقد أكد الشاعر على ضرورة مواصلة النضال وتقديم التضحيات بأكثر من طريقة ، مثل : "لا تغلق الميدان - لا تغمد الآن السيوف - فليأت ملح الأرض - فليأت طوفان الجراح" .
وها هو شاعرنا محمد الشيخ محمود صيام يطلب الشهادة في سبيل الله وهو يرثى الشيخ أحمد ياسين قائلاً (٢) :

وعلى خطاهم سائرون ، وللشهادة طالبون

حتى وإن لم يبق منا أولون وآخرون

وكما هو معروف فقد تمنى الشهادة معظم قادة الحركات الإسلامية وأفرادها ، واشتهرت عبارات الشيخ أحمد ياسين في طلب الشهادة ونيل رضا الله عز وجل ، وكذلك القائد عبد العزيز الرنتيسي .. وقد سجل الشعراء ذلك في العديد من القصائد (٣) .

وخلاصة القول : لم تكن القيم الإسلامية مجرد لمح من عواطف الشعراء الذاتية أو ردود فعل عليها ، وإنما هي نزعة فكرية ونفسية والتزام فكري عقدي حرص الشعراء على ترسيخها في المجتمع الفلسطيني والدعوة إليها ، وذلك نابع من التزامهم برصد معاناة الشعب الفلسطيني ، حيث تمكن هؤلاء الشعراء من تحويل تلك المعاناة إلى تحد وصمود ، وتضحية وفداء ، والصبر على المحن ، والإعداد لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وذلك عملاً بقول الله تعالى :
"إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

1 - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 96 ، 97 .

2 - محمد اليافاوي ، أحمد ياسين ، عظمة العطاء وروعة الشهادة ، ص 130 - 131 .

3 - انظر : أحمد الريفى ، ديوان "مواجهات 1" ، ص 14 . وعلاء أحمد الكريبي ، ديوان "درر السعداء في

واحة الشعراء " ، ص 9 - 10 .

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كَفَرُوا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم" (١) .

٢ - توظيف الرموز والرموز الإسلامية في اللغة الشعرية :

وردت كلمة " الرمز " في العربية بمعانٍ عدة ، منها :

- الرمز : يعني الصوت الخفي ، والغمز بالحاجب ، والإشارة بالشفة (٢) . والصوت الخفي هنا ، يعني الذي لا يكاد يُفهم . وهذا ما عنته الآية الكريمة : "قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْأَبْكَارِ" (٣) .

- ويرى صاحب الكشف أن الرمز : "أصله التحرك" (٤) .

- ويرى ابن رشيق أنه يطلق على : "الكلام الخفي الذي لا يكاد يُفهم ، ثم استعمل حتى صار كالإشارة" (٥) .

- ويجمع صاحب اللسان ، هذه المعاني بقوله : "الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم ، باللفظ من غير إيانة بصوت ، إنما إشارة بالشفتين" (٦) .

من خلال ما سبق يتبين أن اللجوء إلى الرمز يكون في حالتين : إحداهما حين العجز عن الكلام ، وهذا ما أشارت إليه الآية السابقة . والأخرى حين يكون القصد ، إفهام بعض الناس بالمراد دون بعض (٧) . وجملة القول : إن العرب قد استخدموا الرمز بمعنى الإشارة التي تمتاز بالسرعة وغير المباشرة والخفة ، وأن الإشارة عندهم ، طريق من طرق الدلالة . ولا مشاحة أن النص الشعري غابة من الرموز والدلالات الإيحائية ، وأن الألفاظ وهي مرتبطة بسياقها ومتضامنة في نسقها النحوي تتكاثف إحياءاتها لتفتح وتنتج براعم جديدة في المعاني . وترتبط الإحياءات والدلالات اللغوية بتجربة الشاعر "ففي حالات توهج لحظات

1 - سورة التوبة : 40 / 9 .

2 - محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مج4 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1986م ، ص39- 40 .

3 - سورة آل عمران : 41 / 3 .

4 - الزمخشري ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل ، ج1 ، دار المعرفة للطباعة والنشر (د.ت) ، ص 189 .

5 - ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، ج2 ، دار الجيل ، بيروت 1972م ، ص 306 .

6 - ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الخامس (مادة رمز) ، ص356-357 .

7 - درويش الجندي ، الرمزية في الأدب العربي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 42 .

الإبداع يتبدى ألق اللغة وتلفها هالات إيحائية مضيئة فتثمر عطاءً سحرياً ، تتمثل في صور شعرية مذهشة وأنساق موسيقية تتفتح على وجدان المتلقي لأنها تخلق حالاتها ولا تصفها من الخارج ، وتلك الحالات تتم في تشكيلات لغوية ذات ارتباطات داخلية" (١) .

إن لغة الشعر موضوع الدراسة تمتلك طاقات تعبيرية عالية ، تتكشف فيها دلالات الألفاظ، وتتفرد الكلمات بالإيحاءات الخاصة " فكل كلمة هي قطعة من الوجود أو وجه من وجوه التجربة الإنسانية ، ومن ثم فإن لكل كلمة طعمًا ومذاقًا خاصاً ليس لكلمة أخرى ، لأن التلاحم بين اللغة والتجربة يجعل لكل كلمة كياناً متفرداً عن كل ما عداه" (٢) .

والكلمة في هذه الحالة تصبح طازجة وغمضة ومفعمة بالنبض - على حد تعبير الدكتور عز الدين إسماعيل(٣) - ، ولا يمكن أن تكون حشواً في بنية النص ، بل إن كل الفاعلية الموجبة وإشعاعاتها المتوهجة تنبعث من تأثير هذه الكلمة في السياق الشعري .

بقي أن نشير إلى احتفاء الشعر - في الحقبة موضوع الدراسة - بالدلالات الرمزية والإيحائية ، حيث استمد رموزاً من الكون والطبيعة ، ورموزاً إسلامية سابقة أو حديثة ، الأمر الذي عمق دلالات النصوص الشعرية ، ومن أمثلة ذلك نذكر قول عبد الناصر صالح عندما تجرّت براكين الانتفاضة(٤) :

في البدءِ قد كان الحجرُ
بيناً ، إلهاً للعبادة .
واليومُ قد صارَ الحجرُ
رمزاً لتحقيقِ السيادة .

هنا رمز الشاعر بالحجر للانتفاضة الشعبية الأولى 1987م ، وأن الحجر أصبح مقدساً ورمزاً للعبادة التي منها الجهاد ، وكان الحجر رمزاً للانتفاضة التي قادها نبي الله داود على الظلم وذلك سنة ألف قبل الميلاد ، وانتصر فيها ، بعد أن استخدم الحجر والمقلاع .

والانتفاضة بالحجر هي عبادة يجب أن نتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، ثم يشيخ الشاعر اللثام عن هذا الرمز بقوله بعد ذلك "رمزاً لتحقيق السيادة" ، الأمر الذي يجعل القارئ يستحضر الطير الأبايل التي أمطرت أبرهة الحبشي ، ثم يوضح الشاعر نتيجة فعل هذا الحجر في بقية النص : "سيبني دولة - يزيل أنقاض الخيام - سينقل أمة للنور بعد ولوجها عصر الظلام" ، وهنا جعل الظلام رمزاً للاحتلال الصهيوني الغاشم .

١ - عدنان قاسم ، لغة الشعر العربي ، دار الفلاح ، الكويت 1989م ، ص 157 .

٢ - عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ص 156 .

٣ - المرجع السابق : ص 154 .

٤ - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86 - 90 .

ومن اللغة الشعرية التي أبحر فيها الرمز ، فأخرج صيداً من المعاني ، والدلالات المختلفة^(١):

فَتَى
يُحَاوِرُ الدَّبَابَةَ
فَقَائِدٌ لِقَائِدُ
وَفَارِسٌ لِفَارِسُ
قَد مَاتَ فِيهِ الخَوْفُ وَالْحَذَرُ
عُصْفُورَةٌ تَدُورُ حَوْلَ فَيْلٍ
تَخَيَّلُوا
عُصْفُورَةٌ تُذِلُّ فَيْلًا

هنا الشاعر يحقق بالرمز المتعة الفنية ، التي تهدف إلى خلق الوعي من خلال الأداء الجمالي المتميز ، وهو يثري شعره بهذا الرمز ؛ من خلال تشخيصه للدبابة وكأنها شخص يحاوره ذلك الفتى العملاق بشجاعته ، ثم يجعل موت الخوف والحذر عند هذا الفتى للدلالة على أعلى درجات الشجاعة ، وقد تجلى جمال الرمز في قول الشاعر : عصفورة تدور حول فيل ، ثم قوله : عصفورة تذلل فيلاً ، حيث رمز للدبابة بالفيل ، وللفتى بالعصفورة ليحدث المفارقة المدهشة حينما نرى أن مجرد تحدي العصفورة للفيل هو في حد ذاته إذلال للفيل .
ومن الدلالات الرمزية التي اشتملت عليها بعض النصوص رفض الاعتراف بالكيان الصهيوني ، من ذلك احتفاء الشاعر عثمان أبو غربية بالرمز للبوح برأيه في إعلان المجلس الوطني الفلسطيني بالكيان الصهيوني ، حيث قال^(٢) :

رَاوَدْتُ سَيْفِي مَرَّتَيْنِ
وَهَجَرْتُ أَشْرَعَةَ الْبِحَارِ
وَتَرَكَتُ صَوْتَ الْعَنْدَلِيبِ
صَارَ الشِّتَاءُ عَلَى النُّوْافِذِ وَالْجِدَارِ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ الْفِرَاغِ
وَقَفَ النَّهَارُ

وقد تكثفت الدلالة في كل أسطر المقطوعة السابقة ، لتضحي دلالة فصل الشتاء مغايرة للمألوف ، وتتناغم عبارة "النصف الفراغ - وقف النهار" مع السياق العام ليصبح هذا الفصل وبالاً على الشعب الفلسطيني .

¹ - صالح عمر فروانة ، ديوان : مفردات فلسطينية (انتفاضة الأقصى) (الجزء الأول) ص 66 - 67 .

² - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 36 ، 37 .

أما المقطع الثاني من القصيدة فمثل فصل الربيع ، ليعبر الشاعر من خلال دلالاته عن البطولة والنضال الفلسطيني ، ويجعله رمزاً للشهادة ، وليواجه به التواطؤ الدولي ، والتخاذل العربي ، والاستسلام الفلسطيني المقر برداءة هذا الواقع ، وهذا المقطع جاء ليذكرنا بدورة المجلس الفلسطيني التي عقدت في الجزائر ، والتي أضفت الشرعية على الكيان الصهيوني ، وفي النص أيضاً تتجسد معاني البطولة والفداء والشهادة ، فنرى المناضل رمز الحرية أو شمسها قد خرج من الميدان مستلقياً على ظهره ، والغيمة البيضاء كفنا يسعى به إلى بحر الظلام ، بعد أن أصيب بطلقتين في جبينه ، وقد عم المشهد لون الدم ورائحة الموت ..(١).

وكان الصيف في المقطع الثالث ووهج أشعته رمزاً على حضور مدينة القدس ، قلب فلسطين النابض ، وإشراق الأراضي الفلسطينية بنضالات أبطالها ، وقد جسّد الشاعر المكان برموزه الدينية ، وأبعاده الحضارية التي ما زالت ترفض سياسة التهويد وطمس المعالم بعزّة وشموخ (٢) .

وجاء المقطع الرابع ليكمل عدد الفصول ، فيعبر عن فصل الخريف ويصفه عاكساً الواقع الفلسطيني وليعبر عن رفضه الإقرار بشرعية الكيان الصهيوني (٣) .

وقد استخدم الشعراء العديد من الرموز للدلالة على الكيان الصهيوني ، فتارة رمزوا إليه بالثور الأسود ، مثل (٤):

لِلوَرْدَةِ ثُورٌ أَسْوَدٌ

يَطْلُعُ فِي اللَّيْلِ

عِنْدَ الْأَسْجَةِ

وَيَضْرِبُ بِقَرْنَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ مُعْتَمَةً

وأخرى بالحصان الأسود ، مثل قول الشاعر (٥) :

الْحُصَانُ الْأَسْوَدُ وَرَاءَ التَّلَّةِ

أَكَلَ الْعَشْبَ كُلَّهُ وَالْوَرْدَ

وَهَبَطَ سَرِيحاً

¹ - سبق أن أوردنا هذا المقطع وغيره من النص الطويل الذي انقسمت معانيه ودلالاته على فصول السنة الأربعة . انظر النص في المرجع السابق ، ص 39 - 48 .

² - د. نبيل أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص 41 .

³ - السابق ص 41 - 42 .

⁴ - زكريا محمد ، ديوان الجواد يجتاز أسكدار ، ص 15 - 16 .

⁵ - السابق ، ص 74 .

وتارة يرمزون له بالليل ، كما في قول الشاعر(١) :

أَنَّى التَّفَقْتُ وَجَدْتُ أَنَّ اللَّيْلَ آذَنَ بِالرَّحِيلِ
فَالكُلُّ مِنْ حَوْلِي يَسُوقُ بِشَائِرِ المَجْدِ الأَثِيلِ
المَاءُ والأَزْهَارُ والأَطْيَارُ وَالظِّلُّ الظَّلِيلُ

كذلك اتخذ معظم الشعراء شهر حزيران رمزاً على الهزيمة ، والواقع الواقع السياسي المرير الذي يمر به الشعب الفلسطيني منذ نكسة حزيران عام ١٩٦٧م ، من ذلك قول الشاعر(٢) :

لَوْ كَانَ فِي
السَّحَرِ الشَّهْيِ بَقِيَّةً
مَا ضَاقَ بِي هَذَا المَسَاءُ وَعَدْتُ
وَحَدِي مُفْرَعًا .
آه حُزَيْرَانُ ابْتَعِدْ ،
مَا أَنْتَ إِلاَّ
ذِكْرِيَّاتٌ سَيِّئَةٌ .

نجد في الأبيات السابقة رموزاً امتزجت مع ذكريات الشاعر المسترجعة من خلال تصفح ألبوم صورته مع محبوبته التي فجرت غابرة من المشاعر والأحاسيس المتقابلة التي تحفز في النهاية الشاعر على الهروب من ماضيه وحاضره .

أيضا من الرموز ذكر أسماء المجازر التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ، وهذا لشحن الهمم ، واستنهاض العزائم لمحاربة الظلم والطغيان ، فمن المجازر المشهودة مجزرة دير ياسين ، كفر قاسم ، قبية ، بيتا ، صبرا وشاتيلا ، ريشون ليتسيون .. وكان لها صدى حزين ومؤلم على الشعب الفلسطيني ، من ذلك قول الشاعر الذي يسترجع فيه العديد من تلك المجازر(٣) :

يا بني صهيون لن تُزجي هباءً عند ريشون دماءً الشهداء !
يا بني صهيون كم مذبحة قد أبحتم في جموع الأبرياء!
دير ياسين وكفر قاسم قبية بيتا وصبرا ، شاتيلاء
إن هذا لعلوُّ سافرٍ وفسادٌ ضجَّ منه الأولياء

١ - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، قصيدة التحدي ص66 .

٢ - علاء الغول ، ديوان بهنباي مغارة وبحيرة ، ص47 - 51 .

٣ - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ص137 - 139 .

وقد توقف بعض الشعراء عند أسماء مرتكبي بعض تلك المجازر ، واتخذوهم رمزاً على الحقد والدموية ، ومن هؤلاء باروخ جولدشتاين المستوطن الحاقد الذي فتح النار على أهلنا المصلين في الحرم الإبراهيمي في شهر رمضان ، يقول الشاعر(١):

باروخ جاء وفي يديه سلاحه
وجرى إلى ركن من الأركان
هجم اللعين عليهم بشراسة
وتعينه مجموعة استيطان
فانهال يضرب بالرصاص كأنه
جيش الوغى في ساحة الميدان
سقطوا وقد أكل الرصاصُ جسومهم
صرعى فيا بشاعة العدوان

وفي المقابل اتخذ الشعراء أسماء الأبطال الذين صمدوا في تلك المجازر وأبدوا مقاومة واستبسلاً رموزاً للبطولة والفداء ، من ذلك ذكر الشاعر أسماء الذين صمدوا في مجزرة مخيم جنين ، حيث وقفوا في وجه الغطرسة الصهيونية تسعة أيام(٢) :

يا "يوسفُ الريحان" يا بطلَ الوغى سِفْرُ البطولة بالشهادة يُخْتَمُ
يا "جندلاً" صلبا وفوق متونه جيشُ الصهاينة اللئام يُحَطَّمُ
وصل لقيسُ شوقنا وسلامنا يا نورسي فؤادنا يتألمُ

كذلك استحضر الشعراء العديد من أسماء الأماكن والشخصيات الصهيونية - اليهودية والمسيحية - التي تسببت في مأساة فلسطين ونكبتها ، مثل : بازل ، هرتزل ، بلفور ، شارون، وفي مقابلهم استحضروا أسماء بعض الرموز الإسلامية العظيمة مثل سيدنا أبو بكر الصديق ، وسيدنا عمر بن الخطاب ، والسلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض التنازل عن أرض فلسطين ، من ذلك ما يشتمل عليه قول الشاعر(٣) :

من بازل قذفوا في القدس قنبلة
ولا يزال حريق القدس مُستعيراً
عبد الحميد ومهما قال شأنه
ما خان يوماً فلسطيناً ولا غدرًا
لاقي هرتزل سلطاناً يموت
ولا يبيع أنملة منها ولا ظفراً
لم يرعه أدناً .. بل هب يطرده
طرداً ويلقمه في يلدز حَجراً
وخط بلفور صكاً كان مقصلةً
فقط رأس فلسطين وما شعراً
من يسمع القدس؟ من يصغي لصيحتها؟
ياويلتأ! وأباكره! وأعمراً
ما للحدود حواليناً مغلقةً
لم نستطع معها ورداً ولا صدرًا
لو تجعل السدَّ يا مولاي طوعَ يدي
ألقيت مليون شارون قد اندحراً

1 - محمد رمضان البع ، ديوان أناشيد المقاومة ، ص 45 - 48 .

2 - انظر موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الإنترنت ، قصيدة عائد إلى جنين، للشاعر خالد السعيد .

3 - السابق ، قصيدة "أطلق يدي" ، للشاعر عبد الرحمن بارود .

لقد استحضر الشاعر بطريقة واعية تتناسب وتجربته هذه الأعلام لتبوح رموزها بما لا يستطيع البوح به أحياناً ، ولتكثيف الدلالة وتعميقها أحياناً أخرى ، فاسم "بازل" ارتبط في أذهاننا بالمؤتمرات الصهيونية التي عُقدت في تلك المدينة السويسرية ، كما ارتبط اسم "ثيودور هرتزل" بإنشاء الدولة الصهيونية ، وكذلك مساومة السلطان عبد الحميد الثاني لبيع فلسطين والتنازل عنها^(١) ، و"شارون" ذلك الوجه القبيح للعدو الصهيوني الحاقد الذي أشعل الأرض الفلسطينية بإرهابه ومجازره التي لا تُنسى ، منذ مجزرة دير ياسين وحتى اللحظة .

وفي مقابل تلك الشخصيات استحضر الشاعر بعض رموز النصر في التاريخ الإسلامي ، هادفاً إلى التعبير عن ثقته بنصر الله سبحانه وتعالى ، والوصول إلى الحرية التي يناضل من أجلها شعبنا .

لقد استحضر الشاعر هذه الأعلام بطريقة واعية لتكثيف قصة النكبة الفلسطينية منذ مؤتمر بال الصهيوني وحتى يومنا هذا ، وتجسيد تجربته الخاصة فكراً وإحساساً ، وتجسيد معاني التضحية والفداء التي تعد غاية من غايات الشاعر .

ومن الشخصيات التي أضحت رموزاً تضيء دلالات وإيحاءات نضالية شخصية الرئيس الراحل ياسر عرفات الذي عاش كرمز للنضال الوطني ، وقد تناوله العديد من الشعراء للدلالة على الإصرار ومواصلة النضال ، من ذلك قول الشاعر^(٢) :

ياسر الشعبُ والجموعُ جموعٌ وعلى دربها تسيرُ الرجالُ
لا وداعَ لفارسٍ يتسجّجى بل دعاءً ، ورحمةً ، وابتهالاً

وكذلك شخصية "خليل الوزير" و"صلاح خلف" وغيرهما من قادة النضال الفلسطيني ، الذين أضحو رمزاً للفداء ، من ذلك قول سليم الزعنون في خليل الوزير^(٣) :

يا سيدَ الشهداءِ يا رمزَ الفدا إنا فقدنا الصارمَ المصقولا
قد كنتَ أصغرنا وكنْتَ إمامنا نزهو ونفخرُ إذ تقودُ الجيلا

وقوله في "صلاح خلف" (أبو إياد)^(٤) :

يُودَعُنَا قَبْلَ الْوَدَاعِ صَلَاحُ وما كانَ إلا للجهادِ سِلاحُ
ويتركنا في ظُلمةِ الليلِ حالِكاً وما كانَ إلا في الدُّجى المصباحُ

¹ - د. تيسير جبارة ، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، ط1 ، مطبعة الرائد الحديثة ، شعفاط 1985م ، ص 45-54 .

² - انظر جريدة الحياة الجديدة ، الصادرة يوم الخميس 2004/12/16م ، ص 10 ، قصيدة شهاب محمد .

³ - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 61 - 67 . "وهكذا نطق الحجر" ص 124 - 127 ، وانظر : ديوان نجوم في السماء ، ص 45 - 53 .

⁴ - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 242 ، وديوان "نجوم في السماء" ، ص 66 .

ومن الرموز الوطنية النسائية التي كانت لها صدى في تاريخ فلسطين المجاهدة دلال المغربي ، قال الشاعر (١) :

آذَارُ أَقْبَلَ ، رَحْبِي يَادَارُ
شَهْرُ الْبُطُولَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالْفِدَا
فِيكَ (الْكَرَامَةُ) أَشْعَلَتْ قِنْدِيلَنَا
فِيكَ الشَّجَاعَةَ مِنْ نِسَاءِ بِلَادِنَا
جَاءَتْ (دَلَالُ الْمَغْرِبِيِّ) وَصَحْبُهَا
ضَرَبَتْ بِعِزِّهَا لَا يَلِينُ ، وَقَبَلَتْ
آذَارُ ، (يَوْمَ الْأَرْضِ) أَنْتَ تَعِيدُهُ
بَسْمَ الصَّبَاحِ وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
مَعَ كُلِّ يَوْمٍ سَجَّتْ آثَارُ
حُرِّيَّةً ، وَأَخْضَرَتْ الْأَغْوَارُ
صُبْحُ يَضِيءُ وَقُدُوءُ تَخْتَارُ
فَوْقَ الْمِيَاهِ ، وَشَوْقُهَا التِّيَّارُ
أَرْضَ الْجُدُودِ تَحْفُهَا الْأَزْهَارُ
فِي كُلِّ عَامٍ ، وَالْهَوَى دَوَّارُ

وقد استلهم الشعراء من الدلالات الغزيرة لبعض الشخصيات الإسلامية ما ينسجم مع الواقع الفلسطيني ، فحينما يريد الشاعر - مثلاً - حثَّ الشعب الفلسطيني على التسليح بالعلم ، وإظهار مكانة العلماء نراه يستحضر جانبين من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أولهما يتصل بعلمه صلى الله عليه وسلم ودوره في إحياء الأمة وقيادتها ، والثاني يتصل بجبريل عليه السلام الذي حمل الأمر السماوي للنبي بالقراءة .. ، ذلك ما نراه في قول الرنتيسي (٢) :

مَنْ لِلدُّرُوبِ الْحَالِكَاتِ سِوَى الْفَطَاحِلِ
فَالظُّلْمَةُ الظُّلْمَاءُ تَجْلُوهَا الْمَشَاعِلِ
مَنْ ذَا الَّذِي بِالْعِلْمِ أَحْيَا أُمَّةً
غَيْرَ الرَّسُولِ وَقَادَ بِالْعِلْمِ الْجَحَافِلِ
جبريلُ يَبْدَأُ بِالرِّسَالَةِ أَمْرًا
اقْرَأْ نَبِيَّ اللَّهِ وَارْتَقِ فِي الْمَنَازِلِ

وقد استخدم الشعراء رموز العزة التي تتبعث من اسم النبي صلى الله عليه وسلم لتذكير المسلمين بأمجادهم وانتمائهم إلى خير أمة أخرجت للناس ، من ذلك - مثلاً - قول سليم الزعنون عن الرسول وصحابته الكرام (٣) :

مُنْفَرِدٌ فِي حُسْنِهِ وَمِثَالِهِ
قَدْ جَاءَ مَوْلِدُهُ فَعَزَّتْ مَكَّةُ
يَتَعَبَّدُونَ قَلَائِلًا لَكَنَّهُمْ
وَالشَّمْسُ يَا بِي وَضَعَهَا بِيَمِينِهِ
صَلَى الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
تَتَحَطَّطُ الْأَصْنَامُ مِنْ زَلْزَالِهِ
جَمَعُوا الْفَضَائِلَ مِنْ كَرِيمِ فَضَالِهِ
وَالْبَدْرُ يَا بِي وَضَعَهُ بِشِمَالِهِ
فَانْضَمَّ يَبْكِي مِنْ جَلِيلِ مَقَالِهِ
عَمَّرُ تَعَلَّمَهُ شَجَاعَةُ أَخْتِهِ

1 - عبد البديع عراق ، ديوان : " إبداع الحجر " ، ص 25-26 .

2 - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : " حديث النفس " ، ص 56-57 .

3 - سليم الزعنون ، ديوان " وهكذا .. نطق الحجر " ، ص 22 .

وعليُّ فاضٍ شجاعاً وهو الفتى
في الغارِ صديقٌ أبو بكرٍ بهِ
يفدي الرسولَ الخيرُ في أفعالهِ
والصَّبْرُ والإيمانُ بعضُ خلالهِ

وقد استخدم الشعراء رموزاً إسلامية أخرى ، لتؤكد على ملامح الشخصية الإسلامية ،
منها الخنساء للدلالة على الصبر والثبات والتحدي ، وتحفيز المسلمات لاتخاذها قدوة لهن في
في مواجهة الظلم والظالمين من جهة ، والصبر والثبات على فقد الأجزاء من جهة أخرى ،
من ذلك قول الشاعر (١) :

أسطورةُ المجد ، ما جَادَ الزمانُ بما
أسطورةُ المجدِ ، ما الخنساءُ صابرة
جَادَت بهِ طفلةٌ في كفِّها حجرُ
فعدنا ألفُ خنساءٍ لها أثرُ
فهل رأيتُم نساءً مثل نسوتنا
في كلِّ ما خَلَدَ الكتابُ أو ذكروا

ومن الرموز الإسلامية المعاصرة التي استخدمها شعراؤنا ، للتأكيد على ملامح
الشخصية الإسلامية ، وعلى تواصل الجهاد : عبد الله عزام ، أحمد ياسين ، فتحي الشقاقي ،
صلاح شحادة ، إسماعيل هنية ، عماد عقل ، يحيى عياش ، إبراهيم المقادمة ، عبد العزيز
الرننيسي ، محمود الزهار ، ومن الرموز أيضاً حركة حماس وكتائبها ، فكل هؤلاء قادة من
قادات ورمز من رموز التاريخ الإسلامي الحديث ، فعماد عقل سيبقى رمزاً دائماً للدلالة على
البطولة وقوة الإرادة ، يقول الشاعر (٢) :

يا عمادَ القسامِ رمزاً ستبقى
لك بالعرم يشهدُ الأشهد

وكذلك يحيى عياش ، يقول الشاعر (٣) :

فغدوتَ رمزاً للحمى
وغدوتَ زينا للشباب

وصلاح شحادة رمز الشجاعة ، يقول الشاعر (٤) :

قد كنتَ في الميدانِ رمزَ شجاعةٍ
ستظلُّ تذكرُهُ لنا الأيامُ

وعبد العزيز الرننيسي رمز الكرامة والعطاء ، يقول الشاعر (٥) :

أنتم رمزُ الإباءِ والصوابِ

وبنو يهودَ رمزُ الوباءِ والخرابِ

أنتم رمزُ العطاءِ والإهابِ

وهم رمزُ أشلاءِ وأنيابِ

1 - د. عبد العزيز الرننيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 69-70 .

2 - أحمد الريفي ، ديوان "مواجهات 1" ، ص 20-21

3 - إبراهيم أحمد المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص 56 - 57 .

4 - انظر : المركز الفلسطيني للإعلام . شبكة الإنترنت . رثاء صلاح شحادة .

5 - السابق ، قصيدة "يا أسد الكفاح" ، رثاء الرننيسي .

والشيخ ياسين رمز الجهاد وشيخ المجاهدين ، يقول الشاعر (١) :
بوركت يارمز الجهاد وبوركت
أرض الرباط الشعب والأحجار

٣ - توظيف مفردات الواقع والبيئة الفلسطينية :

حفل معجم شعر الشخصية الإسلامية بالألفاظ الدالة على الواقع والبيئة الفلسطينية ،
ومن ذلك قول الشاعر (٢) :

لما ضاقت المخيمات بالصرخات

والنسل المقاوم

أبدلوا الخيمة بالسجن

وبطاقات الإغاثة بالقبور

استمد الشاعر ألفاظ القطعة السابقة من معاناة الشعب الفلسطيني ، حيث المخيمات ، والسجن ،
وبطاقات الإغاثة - بطاقات التموين التي يحصل عليها اللاجئون الفلسطينيون من وكالة
الإغاثة للأمم المتحدة - والقبور .. وكلها ألفاظ تعبر عن قسوة حياة الشعب الفلسطيني .
وكثيراً ما تناولت قصائد شعر الشخصية الإسلامية المفردات المعبرة عن الحياة الإيمانية
للشعب الفلسطيني وربطتها بالواقع النضالي ، من ذلك ما نراه في قول الشاعر محمود
مفلح(٣) :

شعبٌ يفجرُ تاريخاً وأوسمةً ومن خيام المآسي تطلعُ الشهبُ
من المساجدِ صاعَ الصيدِ لحنهم ومن منابرِها السماء قد وثبوا
طفلُ الحجارةِ بل طفلُ العقيدةِ في مساقطِ النارِ لا خوفٌ ولا رهبِ
مشرعُ الصَّدرِ والإجرامِ مُنطلقٌ رصاصهُ ودمُ الإجرامِ مُنكبُ

وكذلك الألفاظ التي تعبر عن معاناة الشعب الفلسطيني ، وجرائم الصهاينة التي يتمثل بعضها
في قطع الأشجار وإقامة المستوطنات(٤) :

آلاف .. آلاف .. أشجار مقطعة هنا .. هناك رماها حاقداً قذراً
مستوطنات على أنقاض دارتنا يُقيمها غاصبٌ للأرض مُقتدراً

١ - أحمد بن يوسف ، أحمد ياسين - الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي ، ص 71 - 72 .

٢ - محمود الغرباوي ، الفجر والقضبان ، ص 25 - 26 .

٣ - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، ص 197 .

٤ - هارون هاشم رشيد ، ديوان : ثورة الحجارة ، ص ٥ .

ومن واقع المواجهة تبرز صور الضحايا بألفاظ تجسد ما يتعرض له الشعب الأعزل ،
من تتكيل وموت ، مثل : مذبحة ، الدماء ، الضحايا ، اليتامى ، الثكالى ، زنازين العذاب ،
كما في قول الشاعر(١) :

يا بني صهيون لن تُزجي هباءً عند ريشون دماءً الشهداء !
يا بني صهيون كم مذبحة قد أبحتم في جموع الأبرياء!

وقول الشهيد إبراهيم المقادمة(٢) :

إن دربَ العزِّ مفروش بأناتِ الجراحِ
بالأذى العذب ، بأشواكِ الطريقِ
بالضحايا ، باليتامى ، والثكالى
بزنازينِ العذابِ

ومثل هذه الألفاظ المثخنة بالدلالة كثير جداً في الشعر الفلسطيني عامة ، وشعر الحقبنة
موضوع الدراسة على وجه الخصوص .

كذلك الألفاظ التي تشير إلى أدوات المواجهة التي يستخدمها الفلسطينيون ، والأسلحة
التي تستخدمها القوات الصهيونية ، مثل : الحجارة ، العصى ، الطائرة ، القنبلة ، الطلقات ،
الدبابة ، الرصاص ، التفجير ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر(٣) :

في البدءِ قد كان الحجرُ
بيئاً ، إلهاً للعبادة .
واليومُ قد صارَ الحجرُ
رمزاً لتحقيقِ السيادة .

وقول هارون هاشم رشيد(٤) :

أحاولُ جهدي
أن أستردَّ اقتداري
وأن أستطيع الكلامَ
أحقاً ...

1 - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ص 137- 139 .

2 - إبراهيم المقادمة ، ديوان " لا تسرقوا الشمس " ، قصيدة "عام دراسي جديد " ، ص 16 - 19 .

3 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86- 90 .

4 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص ٢٦ .

وتحت العِصِيَّ
وضرباً... يموتُ الغُلامُ
ومن ذلك ما يتجلى في قول الشاعر (١):
لَكِنَّ الطَّائِرَةَ الإِسْرَائِيلِيَّةَ
أَلْقَتْ قُنْبَلَةً حَارِقَةً فِي الحَالِ ،
وَقَتَلَتْ الطِّفْلَ طَلالً
وَكُلَّ الأَغْنامُ

وكذلك ما جاء في قول المقادمة مخاطباً الشهيد يحيى عياش (٢) :

فَجَرَّ قَنابِكَ انطَلِقْ وانزِعْ عَنِ الشَّمْسِ الحِجابُ

وقول محمد البع في تصوير مجزرة الخليل (٣) :

بأروخ جاء وفي يديه سلاحه
هجم اللعين عليهم بشراسة
فانهال يضرب بالرصاص كأنه
سقطوا وقد أكل الرصاص جسومهم
وجرى إلى ركن من الأركان
وتعينه مجموعة استيطان
جيش الوغى في ساحة الميدان
صرعى فيا لبشاعة العدوان

إلى غير ذلك من الألفاظ المستمدة من الواقع الفلسطيني المعاش ، التي تسهم في إبراز ملامح الشخصية الإسلامية .

٤ - توظيف الجغرافيا الفلسطينية (المكان والزمان) في اللغة الشعرية :

حفل المعجم الشعري بمفردات الجغرافية الفلسطينية ، من أسماء المدن والقرى ، والجبال والسهول والمخيمات بطرقها وشوارعها .. الأمر الذي يستكمل جانباً مهماً من جوانب الشخصية الإسلامية ويمنحها خصوصيتها الفلسطينية ، إضافة إلى التذكر المستمر بأن فلسطين ليس هي الأرض التي احتلت عام ١٩٦٧م ، بل هي من البحر إلى النهر . فهذا الشاعر هارون هاشم رشيد يمدح مخيم جباليا بصفات استمدها من مسيرته النضالية في قوله (٤) :

أواه... يا جباليا يا ساحةً للغضب
تفجرت ، من نسغها بالعارض المتهب

¹ - علي الخليلي ، ديوان "سبحانك سبحاني من طينك طوفاني" ، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1991م ، ص 54 - 58 .

² - إبراهيم المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص 56-57 .

³ - محمد البع ، ديوان أناشيد المقاومة ، ص 46 .

⁴ - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 12-13 .

فَأَذْهَلَتْ عَالَمَنَا ، بِطَفْلِهَا ، الْمُنْتَصِبِ
وَأَيَّقَظَتْ أَيَّامَنَا عَلَى الصدى المصطخبِ
جَبَالِيَا ... جَبَالِيَا ، وَيَنْهَضُ ، الْمُعْسَكَرُ

لقد كان ذكر جباليا ثلاث مرات في القطعة السابقة ، ضرباً من ضروب التأكيد على دورها في إشعال فتيل الانتفاضة .

وحيثما انطلقت الانتفاضة إلى جميع المخيمات الفلسطينية ، وبدأت آلة الدمار الصهيونية تعبت بالمباني وتشرذ سكانها ، وتحرمهم من مصادر رزقهم ، بدأ الشعراء في وصف شخصية المكان ، وتحديد معالمه الجديدة ، من ذلك قول الشاعر(١):

لَمَا ضَافَتْ الْمُخِيَّمَاتُ بِالصَّرَخَاتِ

وَالنَّسْلِ الْمَقَاوِمِ

أَبْدَلُوا الْخِيْمَةَ بِالسَّجَنِ

وَبطَاقَاتِ الْإِغَاثَةِ بِالقُبُورِ

واعتم الصعراء بمخيماتهم ومدنهم ، وعبروا عن مكانتها في نفوسهم ، واقتربوا بشخصياتهم وكيانهم ، من ذلك ما ينطوي عليه قول الشاعر عبد الكريم السبعوي(٢) :

... وَهَذَا نَحْنُ عُدْنَا مَعًا

هَذِهِ غَزَّةُ الْمَلْتَقَى وَالْعِنَاقِ

... فَغَزَّةُ أَوَّلِ عُمُرِي ...

وَعَزَّةُ آخِرِ عُمُرِي ...

كما استرجع العديد من الشعراء أسماء المدن والقرى التي سلبتها القوات الصهيونية عام ١٩٤٨م ، للتعبير عن الارتباط بالأرض ، وعدم التخلي عنها مهما كانت قوة المحتل ومهما عقد من اتفاقيات ، من ذلك ما نراه في قول عبد العزيز الرنتيسي(٣) :

بَيْسَانَ تَرْقُبُ مَنْ يَزْفُ لَهُ الْبِشَائِرَ

عَبْرَاتِهِ الْحَرَى عَلَى أَطْلَالِ "عَاقِرٍ"

لِمُرُوجِنَا الْخَضْرَاءُ تَنْتَظِرُ الْحَرَائِرَ

جَنَاتِنَا الْغَنَاءُ فِي "مَرْجِ بْنِ عَامِرٍ"

عُودُوا إِلَى بَيْنَانَا إِلَى يَافَا إِلَى

"لِلْمَجْدِلِ" الْمَحْزُونِ يَسْكَبُ فِي الدَّجَى

لِجِبَالِنَا الشَّمَاءُ تَرْفَعُ هَامَهَا

عُودُوا إِلَى آثَارِنَا آبَارِنَا

1 - محمود الغرباوي ، الفجر والقضبان ، ص 25- 26 .

2 - انظر : عبد الكريم السبعوي ، ديوان متى ترك القطا ، قصيدة "عيون المها" ، ص 116 - 120 .

3 - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص ٦٩ .

يذكر الشاعر أسماء بعض القرى والمدن الفلسطينية المحتلة : بينا ، يافا ، بيسان ، المجدل ، عاقر ، ومرج بن عامر في الجليل ، في محاولة لإثارة حماس ونخوة الزعامات العربية للعمل على تحرير تلك المناطق بدلاً من التنازل عنها مقابل اتفاقات السلام المزعوم .
ومن أكثر المدن التي ذكرت في الشعر موضوع الدراسة مدينة القدس ، مسرى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، من ذلك قول الشاعر^(١):

.. يا قدسُ يا خير أرضِ اللهِ يا وطني
يا قدسُ يا أملاً يُرجى ويا شرفاً
فالتُّهرُ أنتِ وأنتِ الحبُّ في خُلدي
يا أفضلَ الخلقِ يا مَنْ تسكنونَ بها
يا قدسُ فيكِ حُرُوفُ القدسِ نعلّمها
والسِينُ فيكِ سلامٌ تمنحيه
أعطاكِ ربُّكِ كلَّ الخيرِ والنِّعمِ
يُفدَى ويا وطناً يعلو على القممِ
والعهدُ أنتِ وأنتِ العهدُ في الدَّمِ
يا خيرَ اسمٍ ويا قدسيَّةَ النِّعمِ
فالقافُ قلبي وإنَّ الدالَّ فيكِ دمي
أعطِيَ الولاءَ لربِّ الكونِ والنِّسمِ

لقد حرص الشعراء على استرجاع ملامح المدن والقرى الفلسطينية ، وبعث شخصياتها في النفوس ، كما لاحظنا في الشواهد السابقة .

٥ - ظاهرة التكرار :

الترديد أو التكرار مترادفان لمعنى واحد يتم من خلاله تشكيل نسق أسلوبى خاص يعتمد على تكرار تراكيب صياغية متماسكة بنائياً ، أو دوال مفردة متوالدة المدلولات "حيث يأتي الدال بمعنى ثم يتردد في المرة الثانية مضافاً إليه هوامش مغايرة تجعله ثنائي الإنتاج بين المعنى الأول والثاني"^(٢) .

والتكرار هو تكرار لفظة بعينها أو عبارة ما داخل النص الشعري أكثر من مرة لمغزى خاص قصده الشاعر من وراء ذلك ، واقتضته طبيعة النص الشعري . والتكرار في حد ذاته يمكن اعتباره ظاهرة لغوية ، ويمكن اعتباره ظاهرة أسلوبية ، ويمكن اعتباره ظاهرة موسيقية ، تقول نازك الملائكة : "إن أسلوب التكرار يحتوي على كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانيات تعبيرية"^(٣) ، وفي تطور الاهتمام بظاهرة التكرار تقول : "قد جاءت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بتطور ملحوظ في أساليب التعبير الشعري ، وكان التكرار أحد هذه الأساليب ، فبرز بروزاً يلفت النظر"^(٤) . من ذلك نصل إلى حقيقتين في كلام نازك :

¹ - محمد البع ، ديوان "أناشيد المقاومة" ، ص 56 - 57 .

² - محمد عبد المطلب ، هكذا تكلم النص . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997م . ص 105 .

³ - نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1974م ، ص 253 .

⁴ - السابق ، ص 265 .

أولاهما : أن التكرار ظاهرة أسلوبية لها سماتها ووظائفها الصوتية والمعنوية .
الثانية : أن التكرار ظاهرة تطويرية في الشعر المعاصر ، وتعد امتداداً متميزاً لما ساد منها في
شعرنا القديم .

أما الدكتور صالح أبو إصبع ، فيرى "أن التكرار ظاهرة موسيقية ومعنوية في آن واحد،
فهو ظاهرة موسيقية عندما تتردد الكلمة أو البيت على شكل اللازمة الموسيقية ، أو التقسيم
الأساسي الذي يعاد ليخلق جواً نغمياً ممتعاً؟، ويصبح هذا التكرار على المستوى اللغوي ذا
فائدة معنوية ، إذ أن إعادة ألفاظ معينة في بناء القصيدة يوحي بأهمية ما تكتسب تلك الألفاظ
من دلالات ؛ مما يجعل ذلك التكرار مفتاحاً في بعض الأحيان لفهم القصيدة" (١) .

وهكذا فإن التكرار إضافة إلى أنه ظاهرة أسلوبية وموسيقية فهو أيضاً ظاهرة لغوية لها
علاقة بألفاظ النص الشعري ، بالإضافة إلى أنه ظاهرة لها علاقة بتطور لغة النص الشعري .
وقد اهتم الشعراء الفلسطينيون بظاهرة التكرار ، وأحسنوا توظيفها كما هو حال معظم
شعراء العربية في العصر الحديث ، وظهرت في أشعارهم جميع أشكال التكرار ، التي منها :
تكرار الحروف وتكرار الأفعال ، وتكرار الأسماء ، وتكرار العبارات أو الجملة الشعرية ، أو
تكرار الأساليب الشعرية . ومن أمثلة التكرار ما جاء في قول الشاعر (٢) :

فِي الْبَدْءِ قَدْ كَانَ الْحَجْرُ

بَيْتًا ، إِلَهَا لِلْعِبَادَةِ .

وَالْيَوْمُ قَدْ صَارَ الْحَجْرُ

رَمَزًا لِتَحْقِيقِ السِّيَادَةِ .

طَيْرٌ أَبَابِيلٌ يَطِيرُ كَمَا الْحَمَامُ

وَحَجَارَةٌ السَّجِيلُ تَسْقُطُ كَالسَّهَامِ

حَجْرٌ سَيِّبِي دَوْلَةٌ

وَيُزِيلُ أَنْقَاصَ الْخِيَامِ

حَجْرٌ سَيُنْقَلُ أُمَّةٌ

لِلنُّورِ

بَعْدَ وُلُوجِهَا عَصَرَ الظَّلَامِ

حيث كرر الشاعر عبد الناصر صالح في قصيدته - وليس في المقتبس السابق فحسب - كلمة
الحجر اثنتين وعشرين مرة ، ليؤكد على أهمية الحجر ، وما كان له من دور رئيس وفعال في

1 - د. صالح أبو إصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، ص338 .

2 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص86-90 .

الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، ويربطه الشاعر مع حجارة السجيل ليؤكد أهمية الحجر كأداة مقاومة في يد الفلسطيني ، وفي تكرار كلمات "السجاجيل وسجيلة" يبعث أجواء قداسته المستمدة من القرآن الكريم ، وذلك في قوله (١) :

بالحِجَارِ السَّجَّاجِيلِ
كُلُّ سَجِيلَةٍ فِي الْمُقَاتِلِ

كل سجيلة من ذراع صبي مقاتل

ولأن الانتفاضة انطلقت من معسكر جباليا ، رأينا الشاعر يكرر ذكر اسم جباليا عدة مرات ، من ذلك ما في قوله (٢) :

أوَاهُ .. يَا جِبَالِيَا يَا سَاحَةَ الْغُضْبِ
جِبَالِيَا .. جِبَالِيَا ، وَيَنْهَضُ ، الْمُعَسَّكِرُ

إنه يسعى إلى تأكيد مكانة جباليا الثورية ، وكذلك الربط بين المعاناة في المخيمات والثورات . وفي النص تكرارات أخرى مثل تكرار حرف النداء ، وفي تكرار هذا الحرف ينفس الشاعر عن ضجره وبغضه للاحتلال ، وكأن الشاعر يتنفس الصعداء بمجرد انطلاق الشرارة الأولى للانتفاضة .

ومع انطلاقة الانتفاضة توحد الشعب ، فجاء تكرار لفظ الوحدة في قول الشاعر (٣) :

الوَحْدَةُ نَحْنُ صَنَعْنَاهَا

وقوله : والوَحْدَةُ دَرَسٌ نَشْرَحُهُ

وقوله : الوَحْدَةُ لِلْأَقْصَى حِصْنٌ

فتوظيف تكرار لفظ الوحدة له دلالاته في السياق الشعري ، من ذلك افتخاره بروح الوحدة وتمجيدها ، وكذلك تعويله على الوحدة التي جعلت الشعب الفلسطيني يداً واحدة ، وحصناً منيعاً يصعب اختراقه .

وفي تحفيز المقاومين ، وإظهار قوتهم وعدم خوفهم من المحتل يكرر سميح القاسم نداءه على جنود الاحتلال "تقدموا" ، وكذلك لفظ "كل" ، في قوله (٤) :

تَقَدَّمُوا تَقَدَّمُوا !

كُلُّ سَمَاءٍ فَوْقَكُمْ جَهَنَّمٌ

وَكُلُّ أَرْضٍ تَحْتَكُمْ جَهَنَّمٌ

تَقَدَّمُوا

1 - عبد الكريم السبعواوي ، ديوان : متى ترك القطا ، ص 93

2 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 12-13 .

3 - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، ص 86-87 .

4 - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، ص 405-411 .

ثم يقول الشاعر (١) :

يموتُ منَّا الطفلُ والشيخُ
ولا يستسلمُ
وتسقطُ الأمُّ على أبنائها القتلى
ولا تستسلمُ
تقدّموا
بناقلاتِ جنديكمُ
وراجماتِ حديدكمُ
وهددوا
وشرّدوا
ويتمّوا
وهدموا
لنْ تكسروا أعماقنا
لنْ تهزموا أشواقنا
نحنُ قضاءٌ مُبرّمٌ
...تقدّموا

هذا خطاب إلى الغزاة يوجهه كل نائر يقاوم ويشعل الأرض ناراً تحت أقدامهم ، "تقدموا" فعل أمر تردد ثلاث مرات متتالية في مطلع النص إلهاماً على معنى التحدي والثورة ، ونحن نفهم أن المباحة بين طرفي التردد اللغوي تحقق انسجاماً مكانياً أكبر ، لكن واقع الانتفاضة الفلسطينية جعل الشاعر يفضل انسجام السياق وتفجر الدلالة على جماليات التشكيل المكاني ، فتتابع الألفاظ تتابعاً غاضباً حانقاً مستعلياً .

"تقدموا" لا شيء يرهبنا أطفالاً وشيوخاً ونساءً ، "تقدموا" بكل أدوات الدمار التي صنعها حقدكم ، "وهددوا وشرّدوا ويتموا وهدموا" أفعال أمر تتكرر وتؤجج الصراع ، ويزداد الخطاب حدة وعنفواناً في قوله : "لن تكسروا أعماقنا" ، "لن تهزموا أشواقنا" ، فقد كرر الشاعر حرف النفي "لن" لينفي قدرة الاحتلال على هزيمة الفلسطينيين في أعماقهم ، ويؤكد صلابة الفلسطيني التي لا تنتهي ، وعزيمته التي لا تقهر ، واستعدوا لمصيركم المحتوم

¹ - السابق ، ص 405 - 411.

على أيدينا ، وينتهي النص باللفظ المتردد - "تقدموا" - الذي يشكل بؤرة الخطاب تشكيمياً ودلالياً^(١) .

ومن تكرار الأفعال - في ظل الانتفاضة الفلسطينية - ما نراه في قول الشاعر عبد الناصر صالح^(٢) :

وَتَكْبُرُ أُغْنِيَتِي
تَكْبُرُ، تَكْبُرُ
وَتُفَجِّرُ أَغْلَالَ الْعُمُرِ الْجَائِمِ
تُشْعِلُ قُنْدِيلَ الصَّحْوَةِ
وَيَصِيرُ اللَّحْنَ سَنَابِلُ
وَالصَّوْتُ مَقَاصِلُ
وَالْحَجَرُ بِأَيْدِي الْأَطْفَالِ قَنَابِلُ
الشَّجَرُ يُقَاتِلُ
وَالْحَجَرُ يُقَاتِلُ
وَمَتَارِيسُ الصَّخْرِ تُقَاتِلُ
وَإِطَارَاتُ السِّيَّارَاتِ
تُقَاتِلُ
يَتَفَجَّرُ نَهْرُ الثَّوْرَةِ فِي عُمُقِ
الأَرْضِ جَدَاوِلُ

هنا يعطي تكرار الأفعال عمقاً وتأثيراً أكبر ، فهناك فرق كبير بين قول الشاعر (تكبر أغنيتي) لمرة واحدة ، وبين استخدام الفعل (تكبر) ثلاث مرات ، فتكرار الفعل هنا قد أعطى بعداً خيالياً لحجم المأساة التي يعيشها الشاعر ، بالإضافة إلى أن تكرار الفعل هنا قد يدل على مدى إحساس الشاعر بعمق المأساة ومدى شعوره بمرارتها ، وكذلك رسم الشاعر صورة جميلة بتكراره للفعل (يقاتل) حيث وضع الحدث موضع التجدد والاستمرارية ، وتكرار يقاتل يعني الاستمرار في القتال ، والتجدد في خوض المعارك دون توقف .

وفي تمجيد النساء اللواتي شاركن في الانتفاضة وسطرن أروع البطولات ، وجعلن من أنفسهن أسطورة المجد كما فعلت الخنساء ، يقول الشاعر^(٣) :

¹ - د. عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1 ، مطبوعات وزارة الثقافة 2000م ، ص121 - ص122 .

² - عبد الناصر صالح ، ديوان "المجد ينحني أمامكم" ، ص 162 - 176 .

³ - هارون هاشم رشيد ، ثورة الحجارة ، ص 9 .

أسطورة المجد ، ما جَادَ الزمانُ بما جَادَت بهِ طفلةٌ في كفِّها حجرُ
 أسطورة المجدِ ، ما الخنساءُ صابرةٌ فعَدنا ألفُ خنساءٍ لها أثرُ
 جاء الخطاب الشعري مفعماً بتمجيد المرأة الفلسطينية التي ضحت من أجل وطنها ، فأصبحت
 أسطورة ، فجاء تكرار "أسطورة المجد" لبيان مكانة هذه المرأة .
 ولأن الانتفاضة أحييت الأمل في نفوس الفلسطينيين في العودة لبلادهم رأينا بعض
 الشعراء يكرر استخدام لفظ "عائد" تعبيراً عن ثقته بالله ثم بجهد المنتفضين ، من ذلك قول
 الشهيد إبراهيم المقادمة^(١) :

عائدٌ من ثنانياً غربي السوْداءِ عائد
 عائدٌ مثل فجَّ النورِ في قلبِ المجاهد
 عائدٌ مثلما حقي لباطلهم يُطارِد
 عائدٌ رُوحِي على كَفِّي وللغيباءِ صاعد

لقد كرر الشاعر كلمة "عائد" في المقطع السابق خمس مرات ، للدلالة على الثبات والصمود
 والتحدي ، وليؤكد أيضاً على حق العودة ، وحثميتها .
 وفي ظل تخاذل الزعامات العربية ، يردد القائد الشهيد عبد العزيز الرنتيسي صراخه
 في وجه هذه الزعامات المتخاذلة^(٢) :

عودوا إلى المشلول ياسينَ العُلا بحماسه دارت على البغي الدوائرُ
 عودوا إلى الخنساءِ تكظُمُ غيظها لتثورَ بركاتاً يزلزلُ كلَّ خائِرُ
 عودوا إلى الرِّشاشِ تحضنه اللحي بخنادقِ الإخوانِ تزهو صورُ باهرُ
 عودوا إلى آثارنا آبارنا لمروجنا الخضراءِ تنتظرُ الحرائرُ
 عودوا إلى مرج الزهورِ لتعلموا أن المبادئَ لا تذُلُ إلى مكابرُ

جاء فعل الأمر مع حرف الجر "إلى" ليكون جرس تنبيه وإندار للزعامات المتخاذلة ، كي
 تقتدي بالخنساء الصابرة ، والقائد الرباني أحمد ياسين ، ومرج الزهور الذي نفي إليه قادة
 المسلمين ، مديناً بذلك التفاوض مع المحتل في مدريد ، وعقد الاتفاقات . وقد أكد الشاعر
 موقفه في العديد من القصائد ، من ذلك قوله^(٣) :

لا..لا..لمؤتمرِ يبيعُ ويشترِي شعباً .. نمته .. كرائمِ الأوطانِ
 لا..لا..لمؤتمرِ يبيعُ ولم يكنْ وطنٌ يُسامُ بأبخسِ الأثمانِ
 لا..لا..لمؤتمرِ يغيبُ قُدسنا فالموتُ أقربُ من جديدِ هوانِ

¹ - إبراهيم المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ص 53 - 54 .

² - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 69 - 70 .

³ - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" قصيدة طفل الحجارة ، ص 118 .

كرر الشاعر عبارته المشحونة بدلالات الرفض ، وكرر قبلها (لا) ليؤكد رفض التفاوض مع الكيان الصهيوني ، وقد تصاعدت دلالة هذا التكرار مع كل ترديد جديد ، حتى يكون هناك تواصل لا نهائي في عملية رفض التفاوض وعقد المؤتمرات مع اليهود ، وفي هذا التكرار أيضاً قيمة صوتية تساعد في ضبط النغم حتى يجري على وتيرة واحدة ، ليحدث الموسيقى الداخلية في الألفاظ .

كذلك التكرار في رثاء إبراهيم المقادمة ابنه ، الذي منه تكرر العديد من الألفاظ التي تدل على الفاجعة وهول الصدمة ، من ذلك ما يشتمل عليه قوله (١) :

حَبِيبِي .. أَهَذَا أَنْتَ ؟ تَخْتَلِطُ الصُّورَ
 أَهَذَا أَنْتَ ؟ تَحْتَرِقُ الصُّورَ
 .. تَصْعَقُهُ ، تَمَرِّقُ مَا تَبَقِيَ فِيهِ ، يَحْتَرِقُ
 حَبِيبِي أَحْبَسُ الدَّمْعَاتِ تَحْرِقُنِي
 .. وَيَحْتَرِقُ البَصَرَ .
 حَبِيبِي : أَهَذَا أَنْتَ يَخْذُلُنِي العَزَاءُ

يكرر الشاعر لفظ "حبيبي" ثلاث مرات ، ويكرر الاستفهام "أهذا أنت" ثلاث مرات ، وكذلك "يحترق" وما يشتمل منها ، وكلها ألفاظ شحنت من وجدان الشاعر لتدل على حزنه العميق ومصابه الجلل في فقدان ابنه .

وفي رثاء الأعمام ، يكرر الشاعر بعض العبارات في رثاء عبد العزيز الرنتيسي في قوله (٢) :

قَتَلُوكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ وَمَا بَدَا
 قَتَلُوكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ وَمَا دَرَوَا
 وَبَكَتَكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ وَأَجْهَشَتْ
 وَبَكَتَكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ يَمَامَةً
 عَلَى عُرْبِ هَزِيلِ نَائِمِ
 أَنْ الشَّهَادَةَ مَطْلَبٌ للمُقَدِّمِ
 تَبْكِي بِمُرٍّ مِثْلَ طَعْمِ العَلَقَمِ
 نَاحَتْ وَفِيهَا أَنَّهُ المُنْتَأَمِ

فيكرر الشاعر عبارة (قَتَلُوكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ) مرتين ، ويكرر أيضاً عبارة (وَبَكَتَكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ) مرتين ، وقد أعطى هذا التكرار بعداً واقعياً لحجم المأساة ، وحجم إحساس الشاعر بعمق المأساة ، ومدى شعوره بمرارتها .

ومن أبطال حماس الذين أبلوا بلاءً حسناً قبل أن يجودوا بأرواحهم يحيى عياش ، وفي ذكر بعض صفات هذا البطل يكرر الشاعر اسمه عدة مرات (٣) :

¹ - إبراهيم المقادمة ، (لا تسرقوا الشمس) ، ص 36 - 47 .

² - علاء أحمد الكرييري ، "درر السعداء في واحة الشعراء" ، ص 9 - 10 .

عِاشَ شَمْسٌ وَالشَّمُوسُ قَلِيلَةٌ بشروقتها تُهدى الحياةُ إلى الحياةِ
عِاشَ حِيا في القلوبِ مجدداً فيها دمَاءُ النَّارِ تعصفُ بالطغاةِ
عِاشَ ملحمة ستذكرُ نظمها أجيالُ أُمَّتِنا كأغلى الذكرياتِ

وهذا التكرار والترديد لاسم "عياش" يهب بنية الإيقاع حيوية وعمقاً دلاليّاً ، ويوحى بشدة تعلق الشاعر بهذه الشخصية المجاهدة ، وشدة إلحاح هذا الاسم على وجدانه ومشاعره ، وكذلك مكانة هذا البطل التي ستبقى محفوظة في نفوس الأجيال .

وفي مقطوعة أخرى ، يكرر فيها الشاعر اسم حماس في بداية كل بيت شعري ليدل على دور هذه الحركة في تفجير الانتفاضة ، وخلق جيل من الأبطال الذين قاوموا المحتل ، ، يقول الشاعر(٢) :

وحماسُ وأعرِباهُ تصنعُ فَجْرَنا في الخافقين ، فَهَلْ لَهَا أَنْصارُ
وحماسُ " للتبليغِ " منبرُ دَعْوَةٍ يَرْتادُها لأحبابُ والأطهارُ
وحماسُ " للسلفيِّ " منهجُ أحمدٍ كلُّ السرايا " للجهادِ " تُثارُ
وحماسُ عِكرمةٌ وسعدٌ جيشُها وابنُ الوليدِ وخلفه عَمّارُ
وحماسُ في دُنيا السجونِ عرينُها أشبالُها الصُّومُ والأخيارُ
هتَكُوا ظَلامَ هزيمةٍ فكأنما غنّتْ لموكبِ زحفِهِمُ أطيارُ
وحماسُ تضربُ في القلوبِ جُدورها لحنُ الشهادةِ للمدى قيثارُ
وحماسُ يأتلقُ الخليلُ بنورها وتضوعُ في نابلسنا الأزهارُ
وحماسُ يا جمرَ العقيدةِ في الوعى صبِّي شواظك تُستَقادُ النارُ
وحماسُ ملحمةُ البطولةِ والفدى ولها بكلِّ عزيمةٍ آثارُ

يؤكد هذا التكرار أن حماس باقية ومستمرة في جهادها رغم محاولات الطمس التي تتعرض لها من هنا وهناك .

٦ - ظاهرة الترادف :

تمتاز اللغة العربية بسعة إمكاناتها التعبيرية وتعددتها ، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من ألوان نذكر ظاهرة الترادف وأثرها في إبراز ملامح الشخصية الإسلامية ، سواء على صعيد الأسلوب أو الدلالة ، فهي تضيف جمالاً على الأسلوب وتأكيداً على المعنى . وقد أدرك

1 - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، قصيدة الانطلاقة ، ص 71 .

2 - أحمد بن يوسف ، أحمد ياسين - الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي ، ص 72 .

الشعراء الفلسطينيون ذلك في استخدامهم الترادف واستثمار طاقاته ، وشواهد ذلك كثيرة جداً ، نذكر منها قول الشاعر محمد صيام في ملحمة الانتفاضة(١) :

نَفْسِي فِدَى الْجَبِيلِ الَّذِي رَسَمَتْ حِجَارَتُهُ الْمَسَارَ وَعَلَى جَبِينِ الْعُرُوبَةِ أُتْبِتَتْ إِكْبِيلَ غَارِ
بِالَّذِينَ بِالْإِسْلَامِ لَا بِالْعَنْجَبِيَّةِ وَهِيَ عَارٌ جَرَّتْ عَلَى الْعَرَبِ التَّرْدِيَّ وَالتَّقَهَّرَ وَالدَّمَارُ

يجمع الشاعر بين ألفاظ "التردي ، التقهقر ، الدمار" وكلها ألفاظ تعطي معانٍ متميزة ، فالعنجبية ليست منزهة من الترددي أو التقهقر أو الدمار ، فكلها تصب في قالب واحد لتعطي تفسير نتيجة هذه العنجبية : التخلف والتراجع والدمار .

وعن الانتفاضة يقول الشاعر محمود مفلح أحد الشعراء الإسلاميين(٢) :

طِفْلُ الْحَجَارَةِ بَلْ طِفْلُ الْعَقِيدَةِ فِي مَسَاقِطِ النَّارِ لَا خَوْفٌ وَلَا رَهَبٌ

ويكرر كلمتي (الخوف والرهب) تكراراً معنوياً - ترادف - ليؤكد أن طفل الحجارة لا ترهبه ولا تخيفه تلك المعدات والطائرات والدبابات التي يمتلكها الكيان الصهيوني .

وعن شباب الانتفاضة ، يقول الشاعر هارون هاشم رشيد(٣) :

وَعِنْدَنَا أَلْفٌ ... أَلْفٌ مِنْ شَبِيبَتِنَا تَلْفَحُوا بِرِدَاءِ الْمَوْتِ وَأُتْرُوا

ويستخدم كلمتين مترادفتين (تلفحوا وأتروا) ليبين مدى حب شباب الانتفاضة للشهادة والتضحية في سبيل الله ، وكأن حب الشهادة الذي لم يكن موجوداً في سنوات خلت هو الذي حفزه على ذلك .

وعن السلام المزعوم ، واتفاق أوسلو المبرم بين الصهاينة والسلطة ، يقول رئيس

المجلس الوطني الفلسطيني الشاعر سليم الزعنون(٤) :

فِي أَوْسَلُو قَدْ كَانَ مَقْتَلْنَا كَانَ لَا الْحَلَّ مُحْتَرَمٌ .. وَلَا الْعَقْدَ
هَذَا سَلَامٌ زَائِفٌ سَمِجٌ لَا دَائِمٌ يَبْقَى وَلَا خَلْدَ

واستثمر دلالات الترادف التي تنطوي عليه ألفاظ : (الحل والعقد) ، (زائف وسمج) ، (دائم وخذ) ، لتبوح برأيه في هذا السلام ، فهو حلٌ وعقد مبرم بين طرفين ، ولكنه زائف وسمج ، لا دائم ولا مخذ . وهذا يعطي دلالة أن أي اتفاق وعهد مع الصهاينة لا يمكن أن يدوم أو يخلد ، وكأن الشاعر يهدف إلى استحضار الآية الكريمة "أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"(٥) .

١ - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، ص 301 - 302 .

٢ - المرجع السابق ، ص 197 .

٣ - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 9 .

٤ - سليم الزعنون ، "وهكذا .. نطق الحجر" ، ص 44 .

٥ - سورة البقرة ٢ / ١٠٠ .

ويبرر الشاعر موقفه من اتفاقية السلام باستمرار غطرسة المحتل ، مبيناً ما تتعرض له القدس في قوله^(١) :

والأرض في القدس تسببها وتسلبها عصابة الغدر والدينا تناديننا
من أجلّ القدس خانوه فلا أمل قد أصبح اليوم محزوناً ومغبوناً ،
جاء الترادف في (تسببها وتسلبها) ، و(محزوناً ومغبوناً) للدلالة على مدى بشاعة العدوان ،
حيث سبى الأرض وسلبها ، لذلك أصبح القدس محزوناً ومغبوناً .

وكذلك ما يشتمل عليه قول الشاعر في رثاء المجاهد أحمد ياسين^(٢) :

دمك المراق على التراب مطهر المسك من قطراته والعنبر
يا سيدي قتلوك لكن لم تمت بل أنت في الفردوس حي تحبر

فألفاظ (مطهر ، المسك ، العنبر) ، ترسخ الدلالة على طهارة دم الشهيد ، وأن رائحته زكية ،
وقوله : (لم تمت ، حي تحبر) تؤكد الإيمان بأن الشهيد حي يرزق عند الله سبحانه وتعالى ،
كما قال الله تعالى : "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"^(٣) . إلى غير ذلك من شواهد الترادف الكثيرة التي تعكس جانباً من جوانب الشخصية الإسلامية .

- توظيف ظاهرة الاشتقاق :

تبرز في لغة الشعر ظاهرة الاشتقاق ، وقد استخدمها الشعراء لتوضيح المعنى وتأكيد الدلالة التي يريد الشاعر أن يوصلها للمتلقين ، وشواهد ذلك عديدة نذكر منها قول الشاعر في رثاء الشهداء الأبطال الذين دافعوا عن مخيم جنين^(٤) :

حفل الملائكة الكرام بعركم فهناك أطيّب للكريم وأكرم

حيث اشتق الشاعر من مادة "كرم" كلمات : (الكرام ، الكريم ، أكرم) ، وذلك ليبرز مكانة هؤلاء الكرام عند الله عزّ وجلّ .

1 - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 393 - 395 .

2 - أحمد إسحق الريفي ، مواجهات ، ص 8 - 9 .

3 - سورة آل عمران ٣ / ١٦٩ .

4 - المركز الفلسطيني للإعلام . على شبكة الإنترنت .

ومن الشعراء من يشتق الاسم من الفعل والجمع بينهما ، من ذلك الجمع بين (الذبح ، ذبحوا) ، في قول الشاعر عن مجزرة رفح (١):

لا ، لن نسامح من حلوا بمجزرةٍ وإن أقاموا ؛ فلذبح الذي ذبحوا

ودلالة الجمع بين الاسم والفعل هنا إحساس الشاعر بالشجاعة وعدم المبالاة بمخاطر الموت . وعلى عكس ذلك يكون اشتقاق الفعل من الاسم في قول الرنتيسي عن الجهاد في العراق (٢):

من ينصرُ الإسلامَ من يحمي الحمى حيثُ الدُمى جلبت لنا رأسَ الفسادِ

حيث أضيف الاشتقاق على المعنى قوة ووضوحا ، فجاء الخطاب لأهل العراق بالتمسك بالدين ورفع لواء الإسلام .

وفي رثاء ابنه أحمد قال الشهيد المقادمة (٣) :

حبيبي .. أهذا أنت ؟ تختلطُ الصورِ

أهذا أنت ؟ تحترقُ الصورِ

.. تصعقه ، تمزق ما تبقى فيه ، يحترق القمر

حبيبي أحبسُ الدمعات تحرفني

.. ويحترقُ البصرُ .

اشتق الشاعر في القطعة السابقة من مادة حرق : (تحترق - يحترق - تحرقني) ، وذلك ليعبر عن مدى لوعته وحزنه على فراق ابنه .

ومن أمثلة توظيف الاشتقاق أيضاً قوله في حب الوطن ، وهو في السجن (٤) :

بالحُبِّ أشقى أو بحبك أسعد في غار حُبِّك ساجداً أتعبد

وهما بحُبِّك مريمٌ ووليدها وسعى إليك المصطفى يتهدد

ودعا المسيح لحبها وجمالها وسعى إليها للجمال يمجد

ناجى المسيح بأمر حُبِّك ربّه ودعا الإله لأجل حُبِّك أحمد

تعددت صور الاشتقاق من كلمة الحب (بالحب ، بحبك ، حبها ، حبك) ، وكذلك كلمة الجمال (جمالها ، للجمال) ، الأمر الذي يبين مقدار حب الشاعر لوطنه .

وقد يتجه بعض الشعراء لاستخدام "الاشتقاق الأكبر" فيجمع بين مشتقين يشتركان في

نفس الحروف ، مثل "الأمل والألم" ، من ذلك قول الشاعر (٥) :

١ - المتوكل طه ، ديوان الرمح على حاله ، ص ٤٣ .

٢ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص ٧٦ .

٣ - إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص 36 .

٤ - محمود دسوقي ، ديوان زغاريد الحجارة ، ص 36 - 37 .

٥ - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، ص ٨٦ - ٨٧ .

الوحدة نحن صنعناها بالألم والأمل المفعم

- توظيف التضاد والمخالفة :

لقد مثلت ظاهرة التضاد اللغوي والمفارقة التصويرية التي تترتب عليها أحياناً سمة مهمة من سمات شعر الشخصية الإسلامية ، حيث كانت وسيلة من الوسائل التي استخدمها الشعراء لإبراز المعاني وتعميق الدلالة ، من أمثلة ذلك قول عبد الناصر صالح(١) :

حَجْرٌ سَيُنْقَلُ أُمَّةً
لِلنُّورِ

بَعْدَ وُلُوجِهَا عَصَرَ الظَّلَامِ

وظف الشاعر التضاد في (النور ، الظلام) ، ليجعل الحجر هو مولد النور للأمة ، الحرية ، بعدما كانت في ظلمة الاحتلال ، عصر الظلام .

ومن الضاد ما ينطوي عليه قول الشهيد المقادمة (٢) :

عائِدٌ من ثَنِيَا غُرْبَتِي السَّوْدَاءِ عَائِد

عَائِدٌ مِثْلَ فِجِّ النُّورِ فِي قَلْبِ المِجَاهِدِ

عَائِدٌ مِثْلَمَا حَقِي لِباطِلِهِمِ يُطَارِدُ

عَائِدٌ رُوحِي عَلَى كَفِّي وَلِلْعَلِيَاءِ صَاعِد

فالتضاد بين (السوداء ، النور) و(الحق ، الباطل) ، يشرح رؤية الشاعر ويعبر عن ثقته في العودة لأرضه ووطنه ، إنها هي حق ونور ، وكذلك رأيه في نفيه عن وطنه وفيما يدعون ، إنه باطل .

ويستخدم الزعنون التضاد بين كلمتي (يبيع ويشترى) لتأكيد رأيه في مؤتمر مدريد

وكل مؤتمر من المؤتمرات التي تعقد للتفاوض مع الصهاينة في قوله(٣):

لا .. لا .. لمؤْتَمَرٍ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي شِعْباً .. نَمْتَهُ .. كَرَائِمِ الأَوْطَانِ

وفي التفاوض بين السلطة واليهود ، وخيار السلام المطروح ، كان لشاعرنا الدكتور محمد صيام رأي آخر ، أكده استخدام التضاد في قوله(٤):

قَتْلُ الغَزَاةِ هُوَ الحَلَالُ وَمَا عَدَاهُ هُوَ الحَرَامُ

¹ - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86 - 90 .

² - إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص 53 .

³ - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 118 ، قصيدة " طفل الحجارة " .

⁴ - أ. د. نبيل أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، ص 34 - 35 .

يؤكد التضاد بين كلمتي (الحلال ، الحرام) على عدم مشروعية عقد اتفاقات سلام مع الغزاة الصهاينة ، مبيناً أن المشروع هو التصدي للغزاة وقتلهم .

وكذلك ما نراه من رأيه في أسباب عزّ الأمة الإسلامية ، فبالعقيدة الإسلامية يكون العز شيمتنا ، ونرفض الذل والهوان ، يقول (١) :

وبالعقيدة صار العزُّ شيمتنا نأبى الهوان وخفض الرأس في الكرب

جاء التضاد بين لفظي (العز ، الهوان) للتأكيد على أن الإسلام هو مصدر العز ، والبعد عنه هو الهوان والذل .

وكذلك التضاد بين كلمتي (حلو ومر) في قول الشاعر (٢) :

حَبِيبَتِي تَشَكَّلَتْ

بِحَلْوِهَا وَمَرِّهَا

كَمَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ

عمق التضاد بين كلمتي (حلوها ومرها) ما أراده الشاعر من إظهار مدى حبه لفلسطين .

ومن نماذج استخدام التضاد نذكر أيضاً قول الشاعر أنور شما في وداع محبوبته (٣):

لست أول قافلة

لست آخر راحلة

ألف قبلك

ألف بعدك

ليس معنك انتحار

فالتضاد بين (أول وآخر) ، وبين (قبلك وبعذك) أسهم في توضيح موقف الشاعر من محبوبته، إن غادرت وسافرت فليس معنى ذلك الانتحار ، وليس معنى ذلك أنها أول وآخر محبوبه ، فهناك قبلها وبعدها ..

2- مفهوم الأسلوب :

لا نسعى في هذا الركن من الدراسة إلى إعادة البحث فيما انتهى منه الباحثون حول مفهوم الأسلوب ، ولكننا نستهدف التوطئة للحديث عن السمات الأسلوبية لشعر الشخصية الإسلامية ، لذلك نورد تعريف ابن منظور الذي يرى أن الأسلوب في اللغة هو الطريق أو

1 - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص ١٢ .

2 - صالح عمر فروانة ، ديوان مفردات فلسطينية ، ص ٥٦ .

3 - أنور شما ، ديوان القمر ، ص ٧٧ .

الطريقة ، حيث قال : "الأسلوب : الطريق الذي تأخذه فيه . والأسلوب بالضم : الفن ، يقال : أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين منه" (١) .

أما المفهوم الاصطلاحي فنستقيه قول ابن خلدون : "إنه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب "أي النحو" ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفته البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفته العروض ، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص .. فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة" (٢) .

ويجمل الدكتور صلاح فضل التعريفات الغربية للأسلوب في ثلاث مجموعات هي :

1- التعريفات التي ترد الأسلوب طبقاً للنموذج التواصل المعروف في الدراسات الإنسانية إلى المرسل (المبدع) .

2- التعريفات التي تتركز حول الخواص المتمثلة في النص ذاته - بغض النظر عن قائله - كما تتجسد موضوعياً في الأعمال الأدبية .

3- التعريفات التي تحاول أن تمسك بالأسلوب بالنظر إلى طرف ثالث وهو المتلقي (٣) .

وقد عرف الدكتور عدنان النحوي الأسلوب في الأدب الملتزم إسلامياً - الأدب الإسلامي - بأنه الذي يطلق النص الأدبي ويدفعه ويوجهه إلى أهدافه المحددة الجلية ، على نهج وطريق جلي ، منضبط بقواعد الإيمان والتوحيد ومنهاج الله . وهو الذي يربط الأديب المنتج ، والنص الأدبي ، والمتلقي جمهوراً أو ناقداً أو مستمعاً ، ليساهم هؤلاء كلهم في تحقيق الأهداف المرجوة من الأدب الملتزم بالإسلام ، وليقوم بينهم التفاعل من أجل ذلك .

والأسلوب هو الذي يجمع العناصر الفنية في النص الأدبي حتى يقوم كل عنصر بالمساهمة في بناء الجمال الفني المؤثر ، وحتى تقوم العناصر كلها مجتمعة بهذا الدور أيضاً .

¹ - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ، "630-711هـ/1232-1311م)، لسان العرب ، ط 2 ، دار صادر ، بيروت 1992م ، المجلد الأول ، ص473-474 .

² - د. صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م، ص72 .

³ - د. صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية (ب. ت) ، ص107 - 108 .

كما أن الأسلوب هو الذي يبرز الجمال الفني ، ويحدد مواقع الأشياء في الصورة ، ويبين أجزاءها ، ويهب لها الألوان ، ويعرض التناسق ، ويهب الحركة في الصورة ، والنبضة والخفة ، ويبرز النغمة والجرس ، وحلاوة اللفظة ونداوة ظلها وقوة ترابطها ، حتى يجتمع جمال المعنى والظلال ، وجمال الصورة والألوان ، وجمال النغمة والجرس ، وجمال الحركة والحياة .

ويقوم الإسلام ببناء الذوق الشخصي والحس الفردي وصياغتهما عند الأديب المنتج ، والناصح الفني (الناقد) ، والمتلقي الفرد والجمهور والرأي العام . إن الإسلام يوجد تواصلاً بين هؤلاء جميعاً : تواصلاً بالرسالة والفكر والأهداف ، والفهم الواحد للكون والحياة ، والفهم الواحد للمسؤوليات والتكاليف الربانية ، والعاطفة والشعور ، والشعائر والأذكار والدعاء ، وفوق ذلك كله باللغة الواحدة التي اختارها الله لرسالته الخاتمة ، اللغة العربية .

كما يرى الدكتور النحوي أن الأسلوب في الأدب الملتزم بالإسلام يقوم بمهمة أخرى . إنه يجمع الخصائص الإيمانية والخصائص الفنية ليبنيا معاً الجمال الفني المتميز المؤثر ، الجمال الذي يقدم المتعة الدائمة الطاهرة التي تملأ حس الإنسان الطاهر ، ذلك لأن الجمال الحق ، الجمال الفني المؤثر ، لا يمكن أن ينتج عن الخصائص الفنية وحدها . إن الجمال الفني الحق يفقد كثيراً بغياب الخصائص الإيمانية . وإن الجمال الفني الحق المؤثر بمتعته الدائمة هو ثمرة التفاعل الغني بين الخصائص الإيمانية والخصائص الفنية . وهذا الجمال الفني الإيماني المؤثر الذي يتولد من هذا التفاعل هو الذي يتولد من هذا التفاعل هو الذي يعطي المتعة الدائمة لا المتعة العابرة ، وهو الذي يهب الأمن في النفس المؤمنة^(١) .

الظواهر الأسلوبية لشعر الشخصية الإسلامية :

1- **توظيف التراث (الديني والتاريخي والأدبي) :**

- **توظيف النص القرآني :**

يعد النص القرآني مصدراً هاماً من مصادر التعبير الشعري وتكثيف الدلالة وإثرائها بالرموز الخصبية ، فقد تأثر الشعراء الفلسطينيون بأسلوب القرآن الكريم ، حيث استثمر هؤلاء الشعراء ثقافتهم الدينية بشتى الطرق التي تناسب تجاربهم ورؤيتهم^(٢) ، أيضاً لأن مجتمعنا الفلسطيني يدين بالدين الإسلامي ، ويرتبط هذا الدين بحياة الناس العملية والنفسية والمعيشية ، ولأنه يحتل دوراً هاماً في تشكيل الوجداني التراثي ، حرص الشعراء الفلسطينيون على إيلاء

¹ - د. عدنان علي رضا النحوي ، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ، ط1 ، دار

النحوي للنشر والتوزيع ، 1419هـ = 1999م ، ص 280 - 281 .

² - د. نبيل أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ص 116 .

هذا الجانب اهتماماً خاصاً^(١) فاستلهموا بعض المعاني القرآنية ، واقتباس بعض النصوص من القرآن الكريم ، لإبراز ملامح شخصية مجتمعنا الفلسطيني الإسلامية ، ومن ذلك قول الشاعر عبد الناصر صالح في هبة الشعب الفلسطيني في انتفاضة 1987م^(٢) :

واليومُ قد صارَ الحجرُ

رمزاً لتحقيقِ السَّيَادَةِ .

طَيْرٌ أَبَابِيلٌ يَطِيرُ كَمَا الْحَمَامُ

وحجارةُ السَّجِيلِ تَسْقُطُ كَالسِّهَامِ

وقد أكد هذا المعنى عبد الكريم السبعوي عندما قال^(٣) :

بل أطلقهم طيوراً أبابيلُ

يقصفون العدوَّ المُدَجَّجَ خَلْفَ السَّرَابِيلِ

بالحجارِ السَّجَاجِيلِ

كُلُّ سَجِيلَةٍ فِي المِقَاتِلِ

كل سجيلَةٍ من ذراعِ صبيِّ مُقَاتِلِ

جعل الشاعر أطفال الحجارة طيوراً أبابيل تقصف العدو بحجارة من سجيل ، فبلغ ذلك حد القداسة ، إنهم كالطيور الأبابيل التي قصفت فيلّة أبرهة الحبشي وجنوده بحجارة من سجيل^(٤) ، لقد وظف دلالات قوله تعالى : "وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ . فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ"^(٥) .

واستحضر يوسف العزة من قوله تعالى : " قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِيَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ"^(٦) عبارة "إحدى الحسينين" ليبوح من خلالها برأيه فيما حدث يوم مجزرة الحرم الإبراهيمي ، إما النصر على الطغاة أو الشهادة^(٧) :

هيا نسيرُ لإحدىِ الحُسَيْنَيْنِ معاً النَّصْرُ أَوْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ وَالنَّعْمُ

1 - نظمي محمود بركة ، الاتجاه الرومانسي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص303.

2 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص86-90 .

3 - عبد الكريم السبعوي ، ديوان : متى ترك القطا ، ص93 .

4 - د. نبيل خالد أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ص122.

5 - سورة الفيل : 4 .

6 - سورة التوبة : 52 / 9 .

7 - يوسف العزة ، ديوان "الفردوس المفقود" ، ص100.

وقد يعمد بعض الشعراء إلى اقتباس كلمة من كلام الله سبحانه وتعالى ، ليكتف من خلالها الدلالة ، فهذا المتوكل طه يقتبس كلمة "واجترحوا" من قوله تعالى : "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ" (١) أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (٢) ، لإضفاء جو من القداسة على مقاومة المحتل وعدم الاستسلام في يوم مجزرة رفح (٣) :

مهما استباحوا بأرض الله واجترحوا لن نرفع الراية البيضاء يا رفح
 وهاهو الشاعر سليم الزعنون يوظف ألفاظ ومعاني القرآن الكريم في أشعاره ساعياً لاستثمار دلالات السياق الأصلي في البوح بأحاسيسه وأفكاره ، وتوظيف قدسية النص وطاقاته التأثيرية في الإقناع برأيه ، وإحداث المشاركة الوجدانية ، وقد اتخذ توظيفه عدة مستويات ؛ تتفاوت بين الاستغراق الكلي ، والاستغراق الجزئي ، والإشارة أو الإلماح ، وشواهد ذلك كثيرة (٤) من ذلك قوله (٥) :

نَابَى الخُضُوعَ وَلَنْ تَلِينَ قَنَاتَنَا سَنُوجِهُ العُدُونَ العُدُونَ
 فَالنهْرُ ميمَنَةُ البلادِ وَبَحْرُنَا "مُنُوسَطٌ" يَحْنُو عَلَى الشُّطَّانِ
 وَشَمَالَهَا "نَافُورَةٌ" وَجَنُوبُهَا "الرَشْرَاشُ" وَالبَحْرَانِ يَلْتَقِيَانِ
 لَا يَبْغِيَانِ .. وَشَعْبَنَا مُتَقَيِّظٌ "رَادَارٌ" يَرْصُدُ هَجْمَةَ العُقْبَانِ

فتضمن النص القرآني لفظاً ومعنى نراه جلياً في قوله تعالى : "مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ" (٦) ، حيث استوحى "والبحران يلتقيان ، لا يبغيان" من الآيتين السابقتين ، وهذا الإلماح وتضمن جزئي ، ليوحي للمتلقي بمدى بشاعة التفاوض مع الكيان الصهيوني ، الذي لا طائل منه ، ولمخاطبة التكوين الوجداني والفكري للقارئ المسلم ، وليمكن من إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته وتجربته الشعرية .
 ومثل ذلك قوله أيضاً (٧) :

**يا صاحب الأمر حاذر من مكائدهم وقرأ : تجد أن في القرآن تبياناً
 إما تخافن من قوم خيانتهم فانبذ إليهم وكن في الليل يقظاناً**

- 1 - اجترحوا السيئات : اكتسبوا المعاصي والكفر . كلمات القرآن . حسين محمد مخلوف . ص 315 .
- 2 - سورة الجاثية 45 / 21 .
- 3 - المتوكل طه ، ديوان الرمح على حاله . قصيدة : رفح [رام الله 20/5/2004] ، ص 43- 46 .
- 4 - د.نبيل أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ص 168 .
- 5 - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 118 .
- 6 - سورة الرحمن : 19 / 55 - 20 .
- 7 - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا . نطق الحجر" ، ص 144 - 145 .

مَا عَاهَدُوا عَهْدًا إِلَّا رَاحَ يَنْقُضُهُ مِنْهُمْ فَرِيقٌ يَدِيرُ الْأَمْرَ شَيْطَانًا

حيث يضمن في البيت الأول قول الله تعالى : "وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ"^(١) ، ويستلهم في البيت الثاني قول الله تعالى : "أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"^(٢) ، وقوله تعالى : " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"^(٣) ، ليستثمر معطيات النص القرآني في وصل ماضي اليهود بحاضرهم ، ويضفي قدسية على رأيه فيهم ، ويؤكد صدق نصيحته للرئيس الراحل بأخذ الحيطة والحذر ، وعدم التعويل على معاهدة السلام المبرمة معهم^(٤) ،

ومن الأمثلة الأخرى على اقتباس الشاعر من القرآن الكريم ، قوله ^(٥) :

"سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى" يُرَدِّدُ رَجْعَهَا كُلُّ الْقَبِيلِ
"وَبَعْدَهُ لَيْلًا" تَحْفُ بِه مَلَائِكَةٌ عُدُولُ
لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى يُبَارِكُ حَوْلَهُ رَبُّ جَلِيلُ

فتضمن النص القرآني لفظاً ومعنى نراه جلياً في قوله تعالى : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"^(٦) ، وتضمن المعنى نراه في باقي المقتبس ، حيث نلاحظ الاستغراق الكلي الذي يحاول الشاعر من خلال مخاطبة التكوين الوجداني والفكري والنفسي للقارئ المسلم ، ليتمكن من إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته وتجربته الشعرية^(٧) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما اشتمل عليه قول أحمد الريفى في رثاء الشهيد المجاهد أحمد

ياسين ، حيث اقتبس لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم في قوله^(٨) :

ولقيت ربك صائماً ومصلياً في بيته فجراً ووجهك مُسْفِراً

1 - سورة الأنفال : 8 / 58 .

2 - سورة البقرة : 2 / 100 .

3 - سورة البقرة : 2 / 27 .

4 - د. نبيل أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ص 168 - 169 .

5 - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا .. نطق الحجر" ، ص 72 .

6 - سورة الإسراء : 17 / 1 .

7 - د. نبيل أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ص 168 - 169 .

8 - أحمد إسحق الريفى ، ديوان مواجهات 1 ، ص 8-9 .

اقتبس الشاعر كلمة "مسفر" من قوله تعالى : "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْقَرَةٌ" (١) ، ومعنى كلمة مسفرة : مشرقة مضيئة ، أي وجوه المؤمنين (٢) ، وهذا يعني أن الشيخ أحمد ياسين حي يرزق ، ينعم في الجنة كيفما يشاء ، وجهه مشرق وهذا جزاء الشهداء ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر (٣) :

شهيد الله حي في ممات وكم أحياء ما خطرُوا ببالي !!

وهذا مقتبس من قوله تعالى : "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (٤) ، وفي دراستنا كثرت الأبيات التي تتحدث عن جزاء الشهداء .

ومن الاقتباسات التي تناثرت في قصائد الشعراء ، اقتباس الشاعر أحمد دحبور لألفاظ

القرآن في قوله (٥) :

لم تمر على المزهريّة ، منّا ، يدان

كلُّ ما كان أني هنا وهناك ،

جُفاءً ذهبُ مع الياسمين ،

ويمكث ، حيث تركتُ ، الزبدُ

اقتبس الشاعر ألفاظ : "جفاء ، الزبد" من قوله تعالى : "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ" (٦) ، وهذا الاقتباس يدل على مدى بشاعة المحتل حتى مع الزهر ، وهذه الألفاظ التي اقتبسها الشاعر ، لم يقمها في السياق الشعري دون مبرر ، بل ارتبطت عضوياً بالنص ، فأصبحت جزءاً من بنيته .

وكذلك ما اشتمل عليه قول الشاعر عبد الكريم السبعوي في وصف البحر (٧) :

كَانَ فِي جَبْدِهِ طَوَّلٌ مِنْ مَسَدٍ

غَمَمَتْ مُقَلَّتَاهُ قَلِيلاً

وَحِينَ دَنَوْتُ

بِكَيٍّ . . وَشَرِدُ

1 - سورة عبس : 38 / 80 .

2 - حسنين مخلوف ، كلمات القرآن ، ص 408 .

3 - سليم الزعنون ، وهكذا .. نطق الحجر ، ص 115 .

4 - سورة آل عمران : 3 / 169 .

5 - أحمد دحبور ، ديوان "هنا وهناك" ، ص 107 - 108 .

6 - سورة الرعد : 13 / 17 .

7 - عبد الكريم السبعوي ، ديوان "متى ترك اقطا" ، ص 17 - 18 .

حيث اقتبس الشاعر من سورة المسد قوله تعالى : "في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ" (١) ، ليدلل على قدسية مكانة فلسطين وأماكنها ، وعلى حزن البحر وبكائه مما يلاقيه من عدوان الكيان الصهيوني .

ومن الاقتباس القرآني أيضا ما يشتمل عليه قول الشاعر كمال غنيم في وصف العيد ، وقد حمل الجرح والألم (٢) :

وَأِنْ بَكَيتُ فَلَسْتُ يَاْسَاءَ أَبَدًا لَكِنْ دَمْعِي إِذَا أَفْصَحَتْ كَالْحَمَمِ
نَارٌ سَتَّأَرُ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ وَسَوْفَ يُعْرِفُ طَعْمَ النَّارِ مِنَ الْمِي

ففي البيت الثاني ضمن جملة : "لا تبقي ولا تذر" من قوله تعالى : "لا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ" (٣) ، متوعداً بالانتقام لما أصاب مخيمه يوم العيد ، واقتباسه من القرآن ليدلل على قدسية الجهاد وقتال الأعداء .

ويقتبس الشعراء من القرآن أول كلمة نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فنجد الشاعر عمر خليل عمر يقول في مدح شهر رمضان (٤) :

شَهْرٌ يَفْجُ النُّورُ فِي أَرْكَانِهِ وَالْجُودُ يَعْمرُ سَائِرَ الْجَنَابَاتِ
.. رَمَضَانَ فِيكَ اللَّهُ أَنْزَلَ قَوْلَهُ : "اقْرَأْ" وَكَانَتْ أَرْوَعُ الْكَلِمَاتِ

وفي مدح العلم وفوائده قال عبد العزيز الرنتيسي (٥) :

مَنْ لِلدُّرُوبِ الْحَالِكَاتِ سِوَى الْفَطَاحِلِ فَالظُّلْمَةُ الظُّلْمَاءُ تَجْلُوهَا الْمَشَاعِلُ
مَنْ ذَا الَّذِي بِالْعِلْمِ أَحْيَا أُمَّةً غَيْرَ الرَّسُولِ وَقَادَ بِالْعِلْمِ الْجَحَافِلِ
جَبْرِيْلُ يَبْدَأُ بِالرِّسَالَةِ أَمْرًا اقْرَأْ نَبِيَّ اللَّهِ وَارْتَقِ فِي الْمَنَازِلِ

فاقتبس الشاعر عمر خليل عمر كلمة "اقرأ" في أول الشطر الثاني ، والشاعر عبد العزيز الرنتيسي في أول الشطر الثاني من البيت الثالث للتدليل على مكانة القراءة وطلب العلم ، وذلك من قوله تعالى : "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (٦) .

- توظيف أسماء السور القرآنية :

ومن ألوان الاقتباس القرآني اقتباس أسماء السور القرآنية ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر سليم الزعنون في قصيدة "الوعد المقدس" (٧) :

1 - سورة المسد : 5 / 111 .

2 - كمال أحمد غنيم ، ديوان " شروخ في جدار الصمت " ، ص 56 .

3 - سورة المدثر : 28 / 74 .

4 - عمر خليل عمر ، ديوان " سنظل ندعوه الوطن " ، ص 107 .

5 - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان " حديث النفس " ، ص 56- 57 .

6 - سورة العلق : 1 / 96 .

فِي " سُورَةِ الْإِسْرَاءِ " إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُقُولُ

وفي رثاء والده ، يقتبس الشاعر المتوكل طه اسم سورة "يس" ، فيقول (١) :

بكِتُ ، وما كنتُ أعرفُ أنك تمضي

لدربِ السرابِ

... أبي . لا تَقُمُ

سأقرأ سورة "يس" على روحك الطاهرة

... فإني أخاف عليك الرجوع

فسورة "يس" لها منزلة عظيمة ، ورد ذكر فضلها في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهي قلب القرآن ، وفي قراءتها ثواب عظيم .

ويقتبس الشاعر عبد الخالق العف اسم سورة "الزلزلة" في رثاء عماد عقل ، يقول (٢) :

قُم يا عمادُ

واقراً علينا سورة الزلزلة

ومن اقتباس أسماء سور القرآن ، قول الشاعر عبد الكريم العسولي في وصف العملية

الاستشهادية التي قامت بها "وفاء إدريس" في القدس الغربية (٣) :

خرجتُ وفاءً

مع السَّحَرِ

قرأتُ تباركُ

والمعارجِ والزُّمْرِ

... ثم تابعتُ السَّفَرَ

فاقتبس الشاعر أسماء سور : "تبارك ، المعارج ، الزمر" ، ليدلل على مدى شرعية العمليات الاستشهادية ، وأن هذه العمليات تحمل في طياتها القدسية ، وكذلك ربما ليشير إلى أسباب نجاح عملياتها الاستشهادية .

- تضمين التراث التاريخي :

اتخذ تضمين التراث التاريخي عدة أشكال ؛ أبرزها تضمين الأحداث التاريخية التي شهدتها الساحة الفلسطينية ، وما يتصل باليهود والمشركون من الأحداث التي شهدتها التاريخ العربي والإسلامي ، كذلك تضمين أسماء الأبطال المناضلين ، الفلسطينيين والعرب المسلمين

1 - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا .. نطق الحجر" انتفاضة الأقصى ، ص72.

2 - المتوكل طه ، ديوان رغبة السؤال ، ص42-55.

3 - الدكتور عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص39 .

4 - انظر : انتفاضة ثقافية من فكرة المتراس .. إلى فضاء الكلمة ، قصيدة "وفاء إدريس" ، ص 71 - 75.

الذين تصدوا لليهود والمشركين والصليبيين ، إضافة إلى تضمين أسماء المدن والقرى الفلسطينية والعربية التي كانت مسرحاً لبعض المعارك الحربية .

وقد سعى بذلك الشعراء إلى استنهاض التاريخ الإسلامي المجيد ، وبعث روح الكرامة العربية والإسلامية ، الأمر الذي يمنح رؤية الشعراء نوعاً من الشمولية ، ويبث فيها روحاً من الماضي الحزين ؛ الذي تتشابه أحداثه وملابساته مع الواقع السياسي الفلسطيني ، أو يستدعي أحداثاً ذات هيبه وشموخ عزّ وجودها في الراهن السياسي المعيش ، الأمر الذي قد يحيي النخوة العربية ، ويذكي روح الجهاد عند العرب والمسلمين ، إضافة إلى استخلاص العبر ، ومحاربة اليأس ، وحفز الأهل على الصبر والصمود .

فمن تضمين أحداث التاريخ الإسلامي القديم ، ما نراه من ذكر إسرائ الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، وصلاته بالأنبياء إماماً ، ثم عروجه إلى السموات ركباً البراق ، في قول الشاعر^(١) :

وصلى إماماً والنبيون خلفه وخرّوا لربّ البيت في القدس سجداً
ولمّا أتى وقت الرحيل استعبرت فلسطين والروح استماتت لتصعدا
وطار المفدى في السماوات ركباً براقاً وحبّ الشام في وجهه بدأ

ومن التاريخ المجيد استدعاء الشعراء لشخصية أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين^(٢) :

عمرٌ تعلّمهُ شجاعةُ أخته فاتضمّ يبكي من جليل مقاله
وعليُّ فاض شجاعةً وهو الفتى يفدي الرسول الخير في أفعاله
في الغار صديقٌ أبو بكر به والصبر والإيمان بعضٌ خلاله

تشير الأبيات السابقة إلى كيفية إسلام الفاروق عمر رضي الله ، وفدائية علي رضي الله عنه حينما نام في فراش الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحبة أبي بكر رضي الله للرسول عليه الصلاة والسلام في الهجرة ولجوئهما لغار حراء .

ومن تضمين أحداث التاريخ الإسلامي المجيد أيضاً فتح عمر لمدينة القدس ، والعهد التي أقرها يوم تسلم مفاتيح القدس "العهد العمري"^(٣) :

أطلّ بسيفك المنشود والموعود... يا عمر
فأنّ القدسَ داميةً ووجهُ القدسِ منكسرُ
فقدسك.. يا أبا حفص وما رددت... والسورُ

¹ - شعر خالد السعيد ، قصيدة فلسطين ، موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت .

² - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا .. نطق الحجر " ، ص 22 .

³ - ديوان ثورة الحجارة ، ص 70 - ص 80 .

وما سجلت من عهد حماه ، الإخوة الغرر
لأن القدس قد أسرت وأهل القدس قد أسروا
أبا حفص وفي الأقصى الغزاة .. بساحه ظهرُوا

ويبعث الرنتيسي صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي المجيد ليذكر الزعامات العربية المتخاذلة بهذا بما فعله قادة الأمة الإسلامية أمثال عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس ، وخالد بن الوليد ، والقعقاع ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل .. وأبطال معركة حطين الذين ردوا للأمة كرامتها ، فيقول (١) :

وذا الخليفة عند الباب يطرفه
من لي بخالد سيف الله مسلول
من لي بحطين تحيي مجد أمتنا
أبو عبدة في عمواس يحرسني
فأين أمثالهم مني وليتهم
يحرر البيت من رجب لمغصب
من لي بحمزة والقعقاع للندب
كي ينشر الأمن في الوديان والهضب
وذا معاذ يقود الصحب كالشهب
ما فارقوا صخرتي في المسجد الرحب

ويستدعي هارون هاشم رشيد من التاريخ الإسلامي جلد الخنساء وصبرها عند فقد أولادها الأربعة ، في قوله (٢) :

أسطورة المجد ، ما جاد الزمان بما
أسطورة المجد ، ما الخنساء صابرة
جادت به طفلة في كفها حجر
فعدنا ألف خنساء لها أثر

فقد شكلت الشخصيات والمواقف الإسلامية السابقة مرجعية دلالية لها حضورها العميق في النسيج الفني للشخصية الإسلامية في مجتمعنا ، ذلك لخصوصيتها المتأصلة في التكوين الفكري والروحي .

ومن تضمين أحداث التاريخ الفلسطيني الحديث ، نورد قول الشاعر عبد الرحمن بارود (٣) :

من يازل قذفوا في القدس قنبلة
عبد الحميد ومهما قال شاتئه
لاقي هرتزل سلطانا يموت
لم يرعه أننا .. بل هب يطرده
وخط يلفور صكا كان مقصلة
من يسمع القدس؟ من يصغي لصيحتها؟
ولا يزال حريق القدس مستعرا
ما خان يوماً فلسطيناً ولا غدرا
ولا يبيع أملة منها ولا ظفرا
طرداً ويلقمه في يلدز حجرا
فقط رأس فلسطين وما شعرا
يا ويئتأ! وأبا بكره! وأ عمرا

1 - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، ص 11.

2 - هارون هاشم رشيد ، ثورة الحجارة ، ص 9 .

3 - د. عبد الرحمن بارود ، قصيدة "أطلق يدي" ، المركز الفلسطيني للإعلام ، شبكة الإنترنت .

مَا لِلْحُدُودِ حَوَالَيْنَا مُغْلَقَةً
لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهَا وِرْدًا وَلَا صَدْرًا
لَوْ تَجَعَلُ السَّدَّ يَا مَوْلَايَ طَوْعَ يَدِي
أَلْفَيْتَ مَلِئُونَ شَارُونَ قَدْ ائْتَحَرْنَا

يذكرنا الشاعر بالسلطان عبد الحميد ورفضه إغراءات هرتزل ، ويذكرنا بوعد بلفور عام 1917م ، ويربط بين هذه الأحداث وما يرتكبه شارون من جرائم ، وذلك ليدلل على تواصل الإجرام الصهيوني ضد فلسطين وأهلها .

وقد ضمن الشعراء الكثير من الأحداث المهمة في تاريخ فلسطين الحديث ، مثل يوم الكرامة ، ويوم الأرض ، والعملية البطولية التي نفذتها المجاهدة دلال المغربي^(١) ، وكذلك المجازر التي ارتكبتها الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني ، مثل مجزرة عيون قارة ، ودير ياسين ، وكفر قاسم ، وقيبة^(٢) ، ومجزرة الحرم الإبراهيمي ، ومجزرة جنين^(٣) .. وتتناثر أسماء المجاهدين الفلسطينيين في ثنايا القصائد لتبعث أجواء المعارك التي خاضوها أو تجسد التضحيات التي قدموها ، ومن هذه الأسماء الشيخ أحمد ياسين رمز الجهاد ، والرنتيسي رمز العطاء والرأي الثاقب ، وصلاح شحادة رمز الجهاد ، والمقادمة رمز القوة في الحق ، ويحيى عياش مهندس العمليات الجهادية ، وعماد عقل المجاهد الذي ألهب حماس الفلسطينيين بعمالياته الجهادية ، وأسماء كثيرة من أبطال العمليات الاستشهادية^(٤) .

- تضمين الحديث النبوي :

تحللت العديد من نصوص الأحاديث النبوية الشريفة في معاني شعر الشخصية الإسلامية ، هذا بالإضافة إلى الإشارات العديدة إلى الإشارات الصريحة إلى الحديث الشريف بشكل عام ، وآيات الذكر الحكيم ، من ذلك قول المقادمة^(٥):

عياش أنت الحيّ أنت برغم كونك في التراب

فبذاك حدثنا الرسول وأنبأت آيُ الكتاب

استوحى الشاعر شخصية يحيى عياش بما تحمله من إبداع وعطاء ، وتضحية وفداء ، ليعلن عن استمرارية حياته رغم مواراته التراب ، وهو بذلك يشير إلى حديث نبينا الكريم صلى الله

¹ - عبد البديع عراق ، ديوان " إبداع الحجر " ، ص 25-26 .

² - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ص 137 - 139 .

³ - محمد رمضان البع ، ديوان أناشيد المقاومة ، ص 45 - 48 .

⁴ - خالد السعيد ، قصيدة عائد إلى جنين . انظر موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الإنترنت .

⁵ - د. إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص ٥٦ .

عليه وسلم : "ما من نفس تموت فتدخل الجنة فتتوّد أنّها رجعت إليكم ولها الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه ودّ أنه قُتل كذا مرّة لما رأى من الثواب" (١) .

ومن أمثلة استلهاهم معاني الحديث النبوي الشريف وتضمينه في شعر الشخصية الإسلامية ما ينطوي عليه قول عبد الخالق العف في رثاء الشيخ أحمد ياسين (٢):

حورُ الجنانِ تهَيَّأتْ لعريسها زفّته بعد طراوةِ الفجرِ الندي
حماته للجناتِ يعْبِقُ طيبه كف الملائكِ عندَ بابِ المسجِدِ
جُرْحُ هنا عرسٌ هناكِ فزغردِي وتضوّي لا تحفلي بالحسَدِ
فَدافعتْ أرواحهنَّ صوادياً يرشُفنَّ من كأسِ النعيمِ السرمدي

حيث الإشارات الواضحة إلى الأحاديث التي تتحدث عن أجر الشهداء ، وما ينتظرهم من نعيم مقيم . أما قول الشاعر أحمد الريفى (٣):

دمك المراقُ على الترابِ مطهراً المسكُ من قطراته والعنبرُ

فينطوي على قول النبي صلى الله عليه وسلم : "ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة ، وكلمه يذمي : اللون لونُ الدّمِ والريحُ ريحُ المسك" (٤) .

ومن التناص مع الحديث النبوي الشريف ، ما جاء في حث عبد العزيز الرنتيسي على طلب العلم ، وفضل العلماء ، كقوله (٥):

فالنملُ والحيتانُ في جوفِ الدجى تدعو بمغفرةٍ لمن للعلمِ سائل

وفي هذا إشارة لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم" ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلّمى الناس الخير" (٦) .

أما سليم الزعنون فيصوغ حديث النبي صلى الله عليه وسلم شعراً ، في قوله (٧):

من رأى المنكر فيها فليغير بيد قادرة أو باللسان
وإذا ما استطاع فيها بيد أو لسان فليغير بالجنان

١ - عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، سنن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد زمرلي وآخر ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، حديث رقم ٤٠٩ .

٢ - د. عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص ٨٥ .

٣ - أحمد إسحق الريفى ، ديوان مواجهات ، ص ٨-٩ .

٤ - النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣١٧ .

٥ - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص ٥٦ .

٦ - النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣٣٤ . رواه الترمذي ، حديث حسن .

٧ - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص ٣٥١ .

والحديث الشريف هو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (١) .

- تضمين التراث الأدبي :

استقطبت أشعار الشخصية الإسلامية بعض المشهور من شعر شعراء العربية الكبار ، وخاصة صورهم وعباراتهم وتراكيبهم ، هادفين إلى تكثيف الدلالة وتهييج الأحاسيس ، ووصل حاضر العرب بماضيهم التليد ، ومن التناص وتضمين أبيات الشعر العربي قول عبد الناصر صالح عن ثورة الحجارة(٢) :

طَيْرٌ أَبَابِيلٌ يَطِيرُ كَمَا الْحَمَامُ
وحجارة السَّجِيلِ تَسْقُطُ كَالسَّهَامِ

وكذلك تضمين بعض المفردات اللافتة ، كما في قول الشاعر محمد صيام(٣) :

بِالَّذِينَ بِالْإِسْلَامِ لَا بِالْعَنْجَبِيَّةِ وَهِيَ عَارٌ جَرَّتْ عَلَى الْعَرَبِ التَّرْدِيَّ وَالتَّقَهَّرِ وَالدَّمَارُ
وذلك من قول ابن الرومي(٤) :

لَيْسَ بِالْمُعْمَلِ الْهَجِينِ وَلَا الْوَحْدَ شَيْءٌ ذِي الْعُنْجَبِيَّةِ الْعَثْوَاءِ
ومن شواهد التناص أيضاً ما يشتمل عليه قول الزعنون في رفض مؤتمرات التفاوض مع العدو الصهيوني(٥) :

لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ وَيَشْتَرِي شِعْباً .. نَمْتَهُ .. كَرَائِمُ الْأَوْطَانِ
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ وَلَمْ يَكُنْ وَطَنٌ يُسَامُ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يَغِيبُ قُدْسَنَا فَالْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ جَدِيدِ هَوَانِ

هذا القول الذي يبعث في النفوس قول إبراهيم طوقان(٦) :

وَطَنٌ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى وَتَصِيحُ : فَلْيَحْيِ الْوَطَنُ
لَوْ كُنْتَ تَبْغِي خَيْرَهُ لَبَدَّلْتَ مِنْ دَمِكَ الثَّمَنُ
وَلَقَمْتَ تَضْمُدُ جِرْحَهُ لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْفِطْنِ

ومن ضمن التناص الشعري أيضاً قول سليم الزعنون في رثاء أريج الجبالي(٧) :

1 - النووي ، رياض الصالحين ، ص ٦٧ .

2 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86- 90 .

3 - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، ص 301- 302 .

4 - ابن الرومي ، الديوان ، شرح مجيد طراد ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٨م ، ١٣٦/١ .

5 - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 118 .

6 - ديوان إبراهيم طوقان ، ط ١ ، دار الشروق الجديد ، بيروت ١٩٥٥م ، ص ٩٥ .

7 - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا نطق الحجر" ، ص ١١٥ .

وتحتفلُ الخليلُ بلا بُكاءٍ تكسرتُ النصالُ على النصالِ

فالشطر الثاني من البيت السابق تضمنين للشطر الثاني من بيت المتنبي^(١):

فصيرتُ إذا أصابتني سهامٌ تكسرتُ النصالُ على النصالِ

إلى غير ذلك من الشواهد العديدة .

٢ - توظيف أسلوب السرد :

كذلك استخدم الشعراء أسلوب السرد في أشعارهم ، وهو أسلوب مقتبس من فن الرواية ، حيث يحتوي على : ضمير الغائب ، ضمير المخاطب ، ضمير المتكلم^(٢).

ومن أبرز ما لاحظناه في هذا السياق تحولات ضمائر الخطاب الشعري ، حيث خرج "الأنا" الذاتية الشخصية إلى "الأنا" العليا الجماعية - الشعب الفلسطيني - ، فالشعراء خلعوا لباس فرديتهم ، واتجهوا بها تجاه الجماعية أو "نحن" ، وهذا الخطاب الجماعي يعد ملمحاً من الملامح التي تميز الشخصية الإسلامية .

وقد دارت النصوص الشعرية في محاور تداخلية بين أنماط الضمائر ، وقد كسر توظيفها رتبة النص ، وعمل على تأجيل توقعات القارئ وإثراء الدلالة ، وهي محاور تذهب إلى "الذات" ، ثم تجاوزها إلى "الموضوع" ، ثم تغادرها إلى رصد العلاقة الجدلية بينها ، وتتحرك في خطوط الدلالة لتكشف شبكتها المعقدة^(٣) . ومن أمثلة السرد بضمير الغائب ، قول الشاعر^(٤) :

في البدءِ قد كانَ الحجرُ

بيئاً ، إلهاً للعبادة .

واليومُ قد صارَ الحجرُ

رمزاً لتحقيقِ السيادة .

طيرٌ أبابيلٌ يطيرُ كما الحمامُ

وحجارةُ السَّجِّيلِ تسقطُ كالسِّهَامِ

حجرٌ سيبيئي دولةٌ

ويُزيلُ أنقاضَ الخيامِ

حجرٌ سينقلُ أمةً

¹ - عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د.ت) ، ص ١٤١ .

² - د. صلاح فضل ، شفرات النص ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة 1995م ، ص 165 .

³ - محمد عبد المطلب ، هكذا تكلم النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997م ، ص 67 .

⁴ - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86-90 .

لِلنُّورِ

بَعْدَ وُلُوجِهَا عَصَرَ الظَّلَامِ

فإذا نظرنا نظرة تأملية للمقطع السابق نجد أن ضمير الغائب تفاعل مع الفعلين الماضي والمضارع ، وتفاعله كان مع الماضي أكثر ، وخاصة عندما وجد حرف التحقيق "قد" مع الفعل الماضي ، وهو يفيد التحقق مع الفعل الماضي ، وهذا يوجه الدلالة باتجاه ما سيؤول إليه الحجر في المستقبل . ومن أمثلة ضمير الغائب الممتزج بضمير المخاطب ، قول الشاعر(١):

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَبِلْتُ فَوْقَ الْجَبِينِ وَمَا بَكَتْ

مَالَتْ عَلَيْهِ وَوَدَّعَتْهُ وَعَانَقَتْ

وَأَوْصَتْهُ فِي حَزْمٍ

وَقَالَتْ فِي فَخَارِ امْضِ بُنَيَّ

كُنْ وَاثِقًا وَاهْجُمْ كَأَعْصَارِ وَنَارِ

... وَاثْبُتْ هُنَاكَ وَلَا تَعُدْ إِلَّا شَهِيدًا وَانْتِصَارًا

ثم يتبع استعمال الضمائر بضمير المتكلم في قوله(٢) :

مَرَحَى بُنَيَّ

بُورِكَتَ مِنْ وَكْدِ تَقِيٍّ

يَا مُهْجَتِي

يَا أَعْلَى مِنْ رُوحِي إِلَيَّ

... لَنْ أُرْتَدِيَ يَا مُقْلَتِي

ثُوبَ الْحِدَادِ

... فَاهْتَأُ بِجَنَاتِ

وَحُورٍ وَيَعَمُ

فَلَكِ الْعُلَا

وَلَنَا الْكَرَامَةُ وَالْحُلْمُ

يعطي هذا التكامل في منظومة استخدام الضمائر قراءات مختلفة للنص ، ويشير في النهاية إلى صيغة الجمع في قول الشاعر : (ولنا الكرامة والحلم) ، حيث توحد الإحساس وكأنه الشعب يقول : "لنا الكرامة والحلم" .

1 - عبد الكريم العسولي ، انتفاضة ثقافية ، قصيدة أم وبطولة ، ص 81 .

2 - السابق : ص 81 .

وكذلك قول الرنتيسي موجهاً خطابه للزعامات ولقيادات المتخاذلة التي فرطت واستسلمت^(١) :

عُودُوا إِلَى الْمَشْلُوبِ يَاسِينَ الْعُلَا بِحِمَاسِهِ دَارَتْ عَلَى الْبَغِيِّ الدَّوَائِرُ
عُودُوا إِلَى الْخِنَسَاءِ تَكْظُمُ غِيْظَهَا لَتَشُورَ بَرَكَانًا يَزْلُزُلُ كُلَّ خَائِرٍ
عُودُوا إِلَى الرَّشَاشِ تَحْضِنُهُ اللَّحَى بِخَنَادِقِ الْإِخْوَانِ تَزْهَوُ صُورُهُ بَاهِرُ
عُودُوا إِلَى آثَارِنَا آبَارِنَا لِمَرْوَجِنَا الْخَضْرَاءِ تَنْتَظِرُ الْحَرَائِرُ
عُودُوا إِلَى مَرْجِ الزَّهْوَرِ لَتَعْلَمُوا أَنَّ الْمَبَادِيَّ لَا تَذُلُ إِلَى مَكَابِرُ

وهذا الخطاب ليس مقصوراً على الزعامات بل يتعدى في مدلولاته إلى الخطاب الجمعي ، لأخذ العبرة والموعظة ، وحتى تتوسع دائرة المدلولات عند المتلقي .

ومن أمثلة الخطاب أيضاً قول المقادمة في مدح يحيى عياش مخاطباً إياه^(٢) :

عِيَاشُ أَنْتَ النُّورُ فِي دُنْيَا تَسْرِبَلَتْ الضَّبَابُ
عِيَاشُ أَنْتَ اللَّيْثُ فِي زَمَنِ تَسْوَدَّتِ الْكَلَابُ
فَانْشُرْ ضِيَاءَكَ إِنْ هَذَا الشَّعْبُ قَدْ سَمَّ الْعَذَابُ
فَجَرَّ بَقَايَا بَأْسَنَا أَطْلُقُ أَمَانِينَا الْعَذَابُ

وقد عبر الشعراء بضمير المتكلم ، وذلك مثل قول الشاعر^(٣) :

عَائِدٌ مِنْ ثَنَايَا غُرْبَتِي السَّوْدَاءِ عَائِدُ
عَائِدٌ مِثْلُ فِجِّ النُّورِ فِي قَلْبِ الْمَجَاهِدِ
عَائِدٌ مِثْلَمَا حَقِي لِبَاطِلِهِمْ يُطَارِدُ
عَائِدٌ رُوحِي عَلَى كَفِّي وَلِلْعَلِيَاءِ صَاعِدُ

فهنا الشاعر المقادمة لا يمتلكه تمجيد الذات بقدر ما يقوده هاجس تحولات الأنا الفردية إلى الأنا الجماعية رغبة في إظهار الخطاب الشعري بصيغة الجمع ، وبهذا تنتفي تهمة النرجسية ، ويبدأ القارئ في استنتاج دلالات أكثر عمقاً للحالة السياسية لشعبنا الفلسطيني .

ومن أمثلة التعبير بضمير المتكلم ، قول الشاعر^(٤) :

بَكَيْتُ ، وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ تَمْضِي

لِدَرْبِ السَّرَابِ

... أَبِي . لَا تَقُمْ

1 - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 69 - 70 .

2 - إبراهيم أحمد المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص ٥٦ .

3 - السابق ، ص 53 - 54 .

4 - المتوكل طه ، ديوان رغبة السؤال ، ص 42 - 55 .

سأقرأ سورة " يس " على روحك الطاهرة

... فإني أخاف عليك الرجوع

تدلل الأبيات السابقة على شخصية الشاعر الإسلامية ، وشخصية المجتمع ، وكأنه لسان حال شعبه ومجتمعه ، وليعطي للمتلقي إشارات وتبسيهات بأن قراءة القرآن لها من المكانة والقداسة العظيمة.

أما ضمير الغائب السردى ، الذي يشير إلى المستقبل ويستشرفه ، فمنه قول الشاعر (١) :

أبناء صهيون تفجّر حقدُهم

داسُوا الكرامةَ واستباحُوا المعبدا

جدّوا النخيلَ وأقبرُوا بيّارةً

بقرُوا الحقولَ وأعدمُوا زهرَ الندى

... في كلِّ عينٍ دمعَةٌ حرّاقةٌ

في كلِّ قلبٍ عارضٌ متجدّدا

زرّعُوا بلادي بالمقابرِ والأسى

واستعدّبُوا جرحَ الطفولةِ موردا

تكلم الشاعر بضمير الغائب وهو يعدد أشكال حقد اليهود ، أما الرد على أحقادهم وجرائمهم

فاستدعى استخدام ضمير المتكلم الجمعي :

... للقدس هيا نمطي ظهر الردى

يومٌ سيجمّنا بمسجدٍ صخرة

ومن أمثلة استخدام ضمير الغائب أيضا ، قول الشاعر (٢) :

ولّدُ مُعجزةٌ

عادَ من نومِهِ تحتَ ظلِّ الصفيحِ

وأودعَ أحلامه غيمةً ،

وعصافيرُ تعبرُ صوبَ المُخيمِ

رتّبَ أشياءه في الحقيبةِ : أقلامه

صورةُ الأهلِ

¹ - عبد الكريم العسولي ، ديوان النار والحجر ، ص 99 - 103 .

² - إبراهيم رجب ، البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبد الناصر صالح ، ط 1 ، 2004م ، ص 103-104 .

رائحةُ القمح
وَاجِبُهُ الْمَدْرَسِيِّ ،
بشاشةُ وجهِ المعلمِ أو عُنْفُهُ حينَ يغضبُ
رهبته حينَ يفشلُ في حل أسئلة الامتحان
وفرحتُهُ حينَ يمضي إلى الجائزة

٣- توظيف أسلوب النداء :

استخدم الشعراء أسلوب النداء ، ونوعوا في أدواته محاولين استثمار أقصى طاقاته الدلالية^(١) ، ففي التعبير عن مدى القربى النفسية ، وتعلق الأم بابنها ما نراه في قول الشاعر على لسان أم تحت ابنها على الجهاد^(٢) :

يا ولدي درُّبِكَ ، أَعْرِفُهُ ...
يا حبةَ قلبي فلتسلم

وكذلك قول الشاعر على لسان أم الشهيد "محمد فرحات" لحظة إحضار جسد ابنها وتسجيته أمامها بعد أن نفذ عملياته الاستشهادية^(٣) :

مَرَحَى بُنَيَّ

¹ - ويتألف أسلوب النداء من : أداة النداء والاسم المنادى . والمنادى : هو الاسم الظاهر الذي يطلب إقباله والتفاتة إليك بواسطة حرف من أحرف النداء . أدواته : للنداء سبع أدوات : الهمزة (مقصورة وممدودة) أ ، آ ، أي ، يا ، أيا ، هيا ، وا . مواضع استعمالها : تستعمل الهمزة المقصورة (أ) للقريب أو ما ينزل منزلة القريب ، و(وا) وهي للندبة . وأعم هذه الأدوات (يا) ، و(يا) تستعمل لكل نداء .
- علي رضا ، المرجع في اللغة العربية ، نحوها وصرفها ، دار الفكر (ب.ت) ، ج2 ص130 .
يا : حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً ، وقد ينادى بها القريب توكيداً ، وقيل : هي مشتركة بين القريب والبعيد ، وقيل : بينها وبين المتوسط ، وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً ، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو قوله تعالى : "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (سورة يوسف : 12 / 29) . ولا ينادى اسم الله عز وجل والاسم المستغاث وأيتها وإيها ، ولا المندوب إلا بها أو بوا . وإذا ولي "يا" النداء ما ليس بمنادى كالفعل مثل : "ألا يا اسقياني" ، والحرف نحو قوله تعالى : "وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً" (سورة النساء : 4 / 73) . والجملة الاسمية مثل : "يا لعنة الله والأقوام كلهم .." ، فقيل : هي للنداء والمنادى محذوف ، وقيل : هي لمجرد التنبيه لئلا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلها .

- ابن هشام : "جمال الدين ابن هشام الأنصاري المتوفى سنة 761هـ" ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق د. مازن المبارك ، محمد حمد الله ، ط 6 ، دار الفكر ، بيروت 1985م ، ص488 .

² - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، ص 86 .

³ - انتفاضة ثقافية ، جمعية الثقافة والفكر الحر ، قصيدة أم وبطولة للشاعر : عبد الكريم العسولي ، ص81

بُورِكَتَ مِنْ وَالدِ تَقِيٍّ
يَا مُهْجَتِي
يَا أَعْلَى مِنْ رُوحِي إِلَيَّ

لقد وظف الشاعر النداء توظيفاً صحيحاً في خطابه الشعري ، حيث خيّل للقارئ امتزاج
مشاعر البهجة بنجاح ابنها في الانتقام من الأعداء الصهاينة ، مع مشاعر اللوعة على فراقه ،

فكانت كالتي تكافئه على تأدية فريضة الجهاد في قولها : "مرحى بني (أي يا بني) ، يا
مهجتي، يا أعلى من روعي إليّ" ، إنها تتأديه بأعذب كلمات الترحاب والحب والحنو .
وكذلك فائدة النداء في التعبير عن أصدق مشاعر الحب والمودة ، كما في ذلك نداء
الشيخ أحمد ياسين على مرافقه في السجن لحظة الفراق مودعاً^(١) :

يَا خَيْرَ مَنْ عَرَفَ الْفَوَادُ وَكَلَّمَا وَأَبْرَ خَيْلٍ لِلصَّدِيقِ وَأَرْحَمَا
نَاجِي رِعَاكَ اللَّهُ يَا إِرْثَ السَّنَا فَأَبُوكَ فِي الْآفَاقِ أَضْحَى مَعَلَّمَا
هَذَا يَدِي مَمْدُودَةٌ لِمُودَاعِمُكُمْ وَالْقَلْبُ مِنِّي ذَاهِلٌ قَدْ أُسْقَمَا
يَا طَيْرَ حَلَقَ فِي رَبِّا أَوْطَانِنَا لَا تَنْسِنَا بِاللَّهِ وَانْعَمَ وَاسْتَمَا

وقد استعمل النداء في الخطاب الشعري لإظهار مدى وحشية الاحتلال ، كما في قول
الشاعر^(٢) :

يَا بَنِي صَهْيُونَ لَنْ تُزْجِي هَبَاءُ عِنْدَ رَيْشُونَ دِمَاءُ الشَّهْدَاءِ !
يَا بَنِي صَهْيُونَ كَمْ مَذْبَحَةٌ قَدْ أُبْحِثَ فِي جُمُوعِ الأَبْرِيَاءِ !

واستخدم أسلوب النداء أيضاً لتمجيد بطولة الأبطال والإشادة بصمودهم وقوتهم ، من
ذلك ما نراه في نداء الشاعر على الأبطال الذين صمدوا أمام الهجوم على معسكر جنين^(٣) :

يَا "يُوسُفُ الرِّيحَانِ" يَا بَطْلَ الوَعَى سَفْرُ البَطُولَةِ بِالشَّهَادَةِ يُخْتَمُ
يَا "جَنْدَلَا" صَلْبَا وَفَوْقَ مَتُونِهِ جَيْشُ الصَّهَائِينَةِ اللُّنَامُ يُحَطِّمُ
أَوْصَلْ لِقَيْسٍ شُوقِنَا وَسَلَامِنَا يَا نُورَسِيَّ فُؤَادِنَا يَتَأَلَّمُ

وفي ظل بكاء القدس ينادي شاعرنا الدكتور الرنتيسي على العرب وزعاماتهم الصامتين
قائلاً^(٤) :

¹ - غسان هرماس ، حكايتي مع الشيخ أحمد ياسين ، رواية رائد بلبول ، ص 154 - 156 .

² - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ص 137 - 139 .

³ - انظر موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الإنترنت . قصيدة عائد إلى جنين ، للشاعر خالد السعيد .

⁴ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 11 .

يا طائر الدَّوْحِ بَلِّغْ أُمَّةَ الْعَرَبِ أَنِّي كَفَرْتُ بِهَذَا الصَّمْتِ وَاللَّعِبِ
يا للهوانِ فَعَرِّضْ الْعُرْبَ مُنْتَهَكٌ وَالشَّعْبُ بَاتَ أَسِيرَ الزَّيْفِ وَالْكَذِبِ
ويحذر الشاعر الزعيم الراحل ياسر عرفات من مكائد اليهود ، ويطلب منه الرجوع إلى كتاب
الله قائلاً (١) :

يا صاحب الأمر حاذر من مكائدهم وقرأ : تجد أن في القرآن تبياناً
ومن دلالات المحبة والتعبير عن مكانة المُنادى عليه في نفس المُنادي ، ما ينطوي عليه قول
يونس أبو جراد على لسان مجاهد يودع محبوبته وهو مقبل على الشهادة في سبيل الله (٢) :

يَا مُهْجَتِي ! الْخُورُ تَهْتَفُ رَغْبَةً يَا مَرْحَبًا بِالْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ
يَا مُهْجَتِي هَذَا كِتَابِي حَامِلًا شَوْقًا وَعِشْقًا لِلْحَبِيبِ الْعَانِي
يَا مُهْجَتِي غَدًا الْقَاءُ بَجَنَّةٍ نَمْتَصُّ شَهْدًا مِنْ نَدَى فَتَانِ

وقد حذف الشعراء أداة النداء أحياناً للإمعان في التعبير عن القربى النفسية ، واللوعة
والحنو ، خاصة إذا كان المنادى أو المنادى عليه مُبعداً أو سجيناً أو شهيداً ، وكأنهم يعبرون
بطريقة عفوية عن رفض البعد أو تجاهله ، والتأكيد على القربى النفسية التي لا تخضع للقيود
المادية ، وشواهد ذلك عديدة نذكر منها قول الدكتور المقادمة وهو في السجن عندما مات ابنه
غرقاً في البحر (٣) :

حَبِيبِي .. أَهَذَا أَنْتَ ؟ تَخْتَلِطُ الصُّورُ
أَهَذَا أَنْتَ ؟ تَحْتَرِقُ الصُّورُ
.. تَصْعَقُهُ ، تَمَزَّقُ مَا تَبَقِيَ فِيهِ ، يَحْتَرِقُ الْقَمَرُ
حَبِيبِي أَحْبَسُ الدَّمْعَاتِ تَحْرِقُنِي
وَيَحْتَرِقُ الْبَصْرُ ...
حَبِيبِي : أَهَذَا أَنْتَ يَخْذُلُنِي الْعَزَاءُ

وإجمالاً فقد خاطب الشعراء الأحياء والعقلاء ، وكذلك نادوا رموز الوطن والدين مثل :
الأرض ، الطير ، العروبة ، القدس ، الموت ، ليلة القدر .. وهذا يعني تداخل المادي
والمعنوي في وجدان الشعراء ، الأمر الذي أسهم في التعبير عن ملامح الشخصية الإسلامية
للمجتمع الفلسطيني .

1 - سليم الزعنون ، ديوان "وهكذا .. نطق الحجر" انتفاضة الأقصى ، ص 144 .

2 - مجلة أمجاد ، العدد الثاني ، قصيدة : حكاية عروسين ، ص 3 .

3 - إبراهيم المقادمة ، ديوان (لا تسرقوا الشمس) ، ص 36 ، ص 37 .

٤ - أسلوب النفي :

يعكس أسلوب النفي صوت الضمير المتيقظ ، ونفي الواقع ، وقد استثمر الشعراء دلالات أسلوب النفي للمطالبة بنفي الواقع المؤلم والعمل على التغيير حتى تتحقق في مجتمعنا مواصفات الشخصية الإسلامية التي رأوها مؤهلة للجهاد ومجابهة المحتل والتصدي لأطماعه وغطرسته .

ومن شواهد ذلك قول الشاعر محمد صيام في تجسيد ملحمة الانتفاضة^(١):

بالدين بالإسلام لا بالعنجهية وهي عارٌ
جرت على العرب التردّي والتقهقر والدمارُ

لقد أعلنها الشاعر : بالإسلام لا بالعنجهية يكون النصر ، حيث نفي العنجهية التي تمسك بها العرب ، وقد برر نفيه بأن العنجهية جرت عليهم الهزيمة والدمار .

وينفي الشاعر عن أطفال الحجارة - الذين تحدوا الموت - الخوف والرهب والصراخ

واللوم والعتب^(٢) :

طفلُ الحجارة بل طفلُ العقيدة في مساقطِ النارِ لا خوفٌ ولا رهَبِ
مشرعُ الصدرِ والإجرامِ مُنطلقٌ رصاصهُ ودمُ الإجرامِ منسكبِ
هذا هو الرد لا . لاءٌ ولا نعمٌ ولا صراخٌ ولا لومٌ ولا عتبِ

وفي قصيدة (رسالة إلى غزاة لا يقرأون) يستخدم سميح القاسم أسلوب النفي في عدة

مواضع ، منها^(٣) :

تقدّموا

يموتُ منّا الطفلُ والشيخُ

ولا يستسلمُ

وتسقطُ الأمُّ على أبنائها القتلى

ولا تستسلمُ

ويقول : لن تكسروا أعماقنا

لن تهزموا أشواقنا

ويقول : يضحُّ كلُّ عصبٍ :

الموتُ .. لا الركوعُ

موتٌ .. ولا ركوعٌ !!

¹ - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة . تقديم : الشيخ أحمد القطان ، ص 301-302.

² - السابق ، ص 197 .

³ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، المجلد الثالث ، ص 405-411 .

فقد كرر الشاعر حرف النفي "لن" لينفي قدرة الاحتلال على هزيمة الفلسطينيين في أعماقهم ، ويؤكد صلابة الفلسطيني التي لا تنتهي ، وعزيمته التي لا تقهر .
ومثل ذلك ما رأيناه من رفض المؤتمرات ، ونفي أية فوائد ترجى منها ، وذلك في قول الزعنون رافضاً مؤتمر مدريد^(١) :

لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ ويشترِي شعباً .. نمتُهُ .. كرائمِ الأوطانِ
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ ولم يكنْ وطنٌ يسامُ بأبخسِ الأثمانِ
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يغيبُ فُدسنا فالموتُ أقربُ من جديدِ هوانِ

لقد عمق أسلوب النفي تجربة الشاعر ومضمونها لتنتج رؤيته وتبرر موقفه من الواقع السياسي المعيش .

وفي رثاء " أبو علي مصطفى " ، يوظف الشاعر النفي في خطابه الشعري قائلاً^(٢) :

لَسْتُ مَكْفُوفًا وَلَا قَارِيَّ غَيْبٍ

ليس لي صبرٌ سياسيٌّ على سبرِ موازين القوى

ليس لي أن أهمز الخيلَ ،

وأن أطلب ثارات كليبٍ

فأنا لا أملك الآن سوى

دمعة راودت السياب في ذكرى بويب

فهو يعبر عن حزنه وألمه لفراق هذا الزعيم ، وأنه لا يستطيع طلب الثأر لمقتله في الوقت الراهن ، لأنه لا يملك إلا البكاء عليه .

وفي وصف بحر يافا يوظف الشاعر النفي قائلاً^(٣) :

... أَيُّهَا الْبَحْرُ السَّجِينُ

لَمْ تَعُدْ حُرًّا كَمَا كُنْتَ

لَمْ تَعُدْ حُلُومًا كَمَا كُنْتَ

لَمْ تَعُدْ بَحْرًا كَمَا كُنْتَ

لَمْ تَعُدْ إِلَّا حَنِينًا وَشَجُونًا

يستخدم الشاعر النفي مع الفعل المضارع ويكرره ليذكرنا بجمال هذا البحر في الماضي ، ويؤكد أيضاً على ما أصاب هذا البحر من مصائب جعلته حزينا .

وفي مدح الرنتيسي وطف الشاعر أسلوب النفي في خطابه فقال^(٤) :

¹ - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص 118 .

² - كلمات مضيئة ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ص 96 .

³ - عبد الكريم العسولي ، ديوان النار والحجر ، ص 26 - 28 .

مَا قُلْتَ إِلَّا مَا عَمِلْتَ بِهِ فَالْقَوْلُ مَقْرُونٌ بِهِ الْعَمَلُ
لَمْ تُثْنِكِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَسِوَاكَ بِاللَّذَاتِ مُنْشَغِلُ
كَمْ غَازَلَتْكَ فَمَا التَّفَتُّ لَهَا أَفَلَمْ يَكُنْ مِنْ شِعْرِكَ الْغَزْلُ

والأمثلة على أسلوب النفي كثيرة لا يمكن الإحاطة بها في هذا الركن من الدراسة .

٥ - أسلوب الاستفهام :

الاستفهام بمعناه الاشتقاقي هو طلب الفهم ومعرفة الشيء المجهول ، وهو عند البلاغيين حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة ، أو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة^(٢) ، وقد توسع الشعراء في استخدام الاستفهام غير الحقيقي الذي يفيد التقرير أو النهي أو الإنكار أو التعجب ، وغير ذلك من الغايات البلاغية ..، وقد ازدحمت قصائدهم بالأسئلة التي تنبض بالاستنكار والسخرية ، والتعجب ، والنفي ، والتقرير ، والتحقير ، والوعيد والتهديد . وشواهد ذلك عديدة نورد منها تساؤل الشاعر أحمد دحبور بعد عودته لأرض الوطن^(٣) :

دُنِّي يَا وَلَدِي

يَا سِيدِي

يَا جَدُّ :

هل شاهدتني ، من قبل ، مَيِّتاً وتحريتُ القيامة ؟

أم أنا العائد من غاشية المنفى إلى برِّ السلامة ؟

ينطوي تساؤله على معاني الريبة والشك ، فهو العائد بناءً على اتفاقية السلام ، الذي لم يجد السلام والأمان ، والذي أفاد ذلك استخدامه لأداة التخيير "أم" .

¹ - أحمد الريفي ، ديوان "مواجهات 1" ، ص 12- 13 .

² - ينقسم الاستفهام إلى قسمين هما : الاستفهام الحقيقي : وهو سؤال الإنسان عما يجله ، وإن كان كذلك فإنه ينتظر ممن يسأله جواباً عن سؤاله وهذا ما أشار إليه كل من السكاكي والقزويني ، ويكون الاستفهام عن مضمون الجملة أو عنصر من عناصرها . والاستفهام غير الحقيقي : وهو السؤال عن المعلوم وفي هذه الحالة يخرج السؤال عن حقيقته لأغراض بلاغية متعددة منها : التقرير - الأمر - النهي - الإنكار التوبيخي - والتكذيبي - الدعاء - النفي - التسوية - العرض - التعجب - الاستبعاد - الاستعطاف - والتشويق - التمني . أما أدوات الاستفهام فمنها ما يفيد التصور والتصديق مثل الهمزة ، ومنها ما يفيد التصديق مثل هل ، ومنها ما يفيد التصور مثل ما ، متى ، من ، أيان ، أين ، أنى ، كيف ، كم ، أي .
د. محمد شعبان علوان ، د. نعمان شعبان علوان ، دراسات في البلاغة العربية ، من بلاغة القرآن ، ص ٥١ .

³ - أحمد دحبور ، ديوان : هنا وهناك ، قصيدة وردة الناصرة ، ص 80 - 85 .

ومن الاستفهام تساؤل من الشاعر يوم مجزرة جنين (١) :

أَجْنِينُ هَلْ مازالَ فِيكَ مَخِيمٌ أَمْ غَالَهُ مِنْ قَلْبِ حَضْنِكَ مَجْرُمٌ
أَيْنَ الْأَحْبَةَ أَيْنَ أَحْلَامَ الصَّبَا أَيْنَ الْأَرْقَةَ مَا لَهَا لَا تَبْسُمُ؟
ماذا دهاك مساجدي ومنازلي وملاعبي مالي كأني أحلمُ؟

وهنا خرج الاستفهام عن دلالاته الحقيقية استنكار جريمة الاحتلال في مخيم جنين .

ويحمل الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي حملة شعواء على القيادات المتخاذلة التي فرطت بفلسطين ، واستسلمت للصلف الصهيوني ، فيخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب من ضمائر الزعماء الميتة (٢) :

فلمن فلسطين الرباطُ؟ ومن له الـ مسرى؟ وحتى النصرُ أين؟ وأين تائرُ
أين الشعاراتُ التي قد خدرت منا الألوفَ وزيفتَ فيضَ المشاعرُ

فقد وظف الشاعر هذا الاستفهام ليقدم المعنى المراد ، وهو حثهم على التصدي للعدوان الصهيوني وجرائمه ، خاصة جرائمه في مسرى رسولنا صلى الله عليه وسلم .

ومن معاني الاستفهام أيضاً ما نراه في رثاء إبراهيم المقادمة لابنه ، حيث يقول (٣) :

حَبِيبِي .. أَهَذَا أَنْتَ؟ تَخْتَلِطُ الصُّورِ
أَهَذَا أَنْتَ؟ تَحْتَرِقُ الصُّورِ

فهو يسأل ابنه بلهفة واستغراب عما حدث له ، وتتجسد معاني التوجع والتلهف بتكراره الاستفهام الذي استخدم معه اسم الإشارة (هذا) الذي يفيد القرب ، فهو قريب منه ، وإن مات بعيداً عنه (٤) .

ويكرر الشاعر الاستفهام وهو يستحضر صورة ابنته الصغيرة ويناجيها في قوله (٥) :

كَمْ افْتَرَشْتَ صَدْرِي وَعَصْتَ أَنَامِلِي وَكَمْ عَبَّئْتَ بِالشَّارِبِينَ وَبِالأَدْنِ
وَكَمْ جَذَبْتَنِي مِنْ يَدِي فَحَمَلْتَهَا وَكَمْ خَدَشْتَ لَهَا بِأَظْفَارِهَا ذَقْنِي
وَكَمْ أَمْسَكْتَ كِلْتَا يَدَيْهَا بِغُرَّتِي وَكَمْ أَسْقَطْتَ نَظَارَتِي وَهِيَ فِي حُضْنِي
وَكَمْ لَعِبْتَ حَوْلِي وَدَارَتْ نَشِيطَةٌ مُغْرَدَةٌ كَالطَّيْرِ سَاحِرَةَ اللُّحْنِ
وَكَمْ بَعَثْتَ كِتْبِي فَلَذْتُ بِأَمِّهَا إِذَا كُنْتُ مَشْغُولًا لِتَأْخُذَهَا عَنِّي

1 - انظر موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الإنترنت ، قصيدة : عائد إلى جنين ، خالد السعيد .

2 - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 69- 70 .

3 - إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص 36- 47 .

4 - مقاربات نقدية في شعر الشهيد المقادمة ، ص ١٨ .

5 - أحمد الريني ، ديوان "مواجهات 1" ، ص 3 .

يدلل تكرار الاستفهام هنا على مدى حرقه الشاعر على فراق ابنته الصغيرة ، وحينه إلى اللحظات السعيدة التي كانت تداعبه فيها .

وفي المعنى نفسه يستخدم عبد الناصر صالح الاستفهام في رثاء والده قائلاً^(١) :

ماذا يُخاطِبُكَ التُّرابُ ؟

هل استراح النبض فيك

وكذلك قوله :

هل يموتُ الفارسُ العربيُّ

هل يكبو الحصانُ

وهل يغيبُ البدرُ في سحُبِ الظلامِ ؟

كم مرّةً سأموتُ بعدكُ

كم سيقتلني رحيلكُ

فقد وظف الشاعر الاستفهام في الخطاب الشعري ليبين مدى حزنه وألمه لفراق والده .

ويتساءل الشاعر عدنان النحوي على لسان الشهيد محمد الدرة قائلاً^(٢):

أين إخواننا؟! وأين بنو العمِّ؟! وأين الأخوال؟! أين الجدود؟!

هنا كرر الشاعر الاستفهام بـ"أين" للدلالة على خذلان العرب ، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب والاستكار والدهشة من صمت العرب .

كذلك يخرج الاستفهام عن دلالاته الحقيقية في استخدام الشاعر يونس أبو جراد أسلوب

الاستفهام في رثاء الطفلة الشهيدة إيمان الهمص فيقول^(٣) :

كيف الأمان وعشها

شاد بلون الأرجوان ؟

ويقول : أين السلام

وأين أصداءُ

العدالةِ والحنانِ ؟

أم أين أدنى

ما يُشاع

عن الوداعةِ والأمانِ ؟

¹ - عبد الناصر صالح ، ديوان "المجد ينحني أمامكم" ، ص 25- 38 .

² - موقع النحوي على شبكة الإنترنت . قصيدة درّة الأقصى .

³ - انظر : جريدة الحياة الجديدة ، ع 3289 ، الصادرة يوم الخميس 16 / 12 / 2004م . ص 11 .

وجاء الاستفهام هنا لبيان مدى بشاعة العدوان ، ودحض ما يدعيه الكيان الصهيوني من العدالة والأمان .

وكذلك في رثاء الشيخ أحمد ياسين يخرج الاستفهام عن دلالاته الحقيقية في قول الشاعر عبد الخالق العف^(١) :

يا قومُ عزَّ من الفراق تجلدي هل أطفئت في الصبح جذوةً أحمد
ثارت شجونُ الروحِ حتى خلَّتْها فَجَرَتْ عيوناً في القلوبِ الجلمدِ
أنى تغيبُ وفي شرَّابينِ الثرى دمك الطهورُ يثورُ ملءَ المرقدِ
أنى تغيبُ وفي ترانيمِ الورى ألقيتَ لحنَ العابدِ المتهجِّدِ
حورُ الجنانِ تهيأت لعريسها زفته بعد طراوةِ الفجرِ الندى

استخدم الشاعر أداة الاستفهام "هل" وكأنه لا يصدق ما يحدث ، فهل من المعقول أن تطفأ جذوة أحمد ، ولسان حاله يقول : لا .. لن تطفأ جذوة أحمد ، وأكد هذا النفي بالاستفهام الثاني الذي جاء بـ "أنى تغيب" ، أي لن تغيب عنا ، تأكيداً للنفي .

إلى غير ذلك من طرق استخدام الشعراء أسلوب النفي ، واستثمار دلالاته المتنوعة .

٦ - أسلوب الأمر :

الأمر نقيض النهي ، وفي اصطلاح البلاغيين : هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، فينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه إليه الأمر^(٢) .
ومن أمثلة ذلك في الشعر موضوع الدراسة قول الشاعر سميح القاسم^(٣):

تقدّموا تقدّموا !
كلُّ سماءٍ فوقكم جهنّم
وكلُّ أرضٍ تحتكم جهنّم
تقدّموا
يموتُ منّا الطفلُ والشيخُ
ولا يستسلمُ
وتسقطُ الأمُّ على أبنائها القتلى

¹ - د. عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص 85 .

² - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ج1 ص313 ، وانظر : عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص 81 . وللأمر أربع صيغ هي : فعل الأمر ، والمضارع المقرون بلام الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر . محمد علوان وآخر ، من بلاغة القرآن ، ص 40 .

³ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات . المجلد الثالث ، ص 405-411.

ولا تستسلمُ
تقدّموا
بناقلاتِ جُنْدِكُمْ
ورَاجِمَاتِ حَقْدِكُمْ
وهَدِّدُوا
وشرِّدُوا
ويتمِّمُوا
وهدمُوا
لنْ تكسِرُوا أَعْمَاقَنَا
لنْ تهزِمُوا أَشْوَاقَنَا
نحنُ قُضَاءُ مُبْرَمٌ
...تقدّموا

يفيد الأمر هنا الاستعلاء والتحدي ، حيث يعلن الشاعر عدم الخشية من الصهاينة وممارساتهم الوحشية ، وإصرار الشعب الفلسطيني على مواجهتهم ، ننبين ذلك في تكرار أفعال الأمر : (تقدموا ، هددوا ، شرّدوا ، يتموا ، هدموا) في سياق الخطاب الشعري .
ومثل ذلك تكرار الشهيد إبراهيم المقادمة فعل الأمر (خذي) في خطابه للجنة ، معلناً تبرمه من الواقع العربي المهزوم ، وإصراره على المواجهة رافضاً الذل ، طالباً الشهادة^(١):

خُذِينِي إِلَيْكَ
فكُلُّ الدَّوَابِّ ضَاقَتْ عَلَيَّ
وَكُلُّ الْمَنَافِي وَكُلُّ الْمَخَافِرِ
خُذِينِي إِلَيْكَ : ويقول
انظمني قصيدة تار

وكذلك خطاب الشهيد الرنتيسي الزعامات المتخاذلة التي ضعفت أمام صلف العدو الصهاينة الذي كرر فيه فعل الأمر (عودوا) سبع مرات لتأكيد رفض الفلسطينيين ما رضي به العرب ، وإصرارهم على التصدي للمحتل الغاشم ، يقول^(٢) :

أحيوا ضمائرکم أما بقيت ضمائر؟! فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر
عودوا إلى أطفال غزة تسمعوا عن مولد الإصباح من رحم الدياجر

¹ - إبراهيم المقادمة ، ديوان (لا تسرقوا الشمس) ، ص 25- 26 .

² - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : حديث النفس ، ص 69-70 .

عودوا إلى القسَم يسلُحُ من ظلام
عودوا إلى المشلول ياسين العُلا
عودوا إلى الخنساء تكظُم غيظَها
عودوا إلى الرشاش تحضنه اللُحى
عودوا إلى آثارنا آبارنا
عودوا إلى مرج الزهور لتعلموا
الليل بالأكفان مجداً للأواخر
بحماسة دارت على البغي الدوائر
لتثور بركانا يزلزل كل خائر
بخنادق الإخوان تزهو صوراً باهر
لمروجنا الخضراء تنتظر الحرائر
أن المبادئ لا تذلل إلى مكابر

وقد أكد الشاعر محمد صيام موقف الرنتيسي الراض للاستسلام ، وحث الفلسطينيين والأمة العربية على رفع لواء الجهاد وإسقاط خيار السلام ، باستخدامه أسلوب الأمر^(١) :

قف يا لسان عن الكلام وليشطب القلم السلام
فسلامهم هدر يضيع مع الأسنة والسهام
ولتنتفض هادي الجموع كأنها الموت الزوام
لتقول للدينيا بمجملها وتعلن للأنام
قتل الغزاة هو الحلال وما عداه هو الحرام

ومن ملامح الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني مساندة الشعوب الإسلامية في حربها ضد الأعداء ، من ذلك استخدام الشاعر الرنتيسي أسلوب الأمر في حث أبناء العراق على صد العدوان في قوله^(٢) :

دمر جيوش الكفر يا عراق
دمرهم فجرهم مزقهم
ارفع لواء الدين في كل البلاد
فلتشمخي بغداد كالشم الرواس
واخلع نيوب الغدريها والنفاق
علمهم أنا الفوارس في السباق
واصدع بها يا قوم حي على الجهاد
ولتعلمي أن الجهاد هو الأساس

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تتساق في دلالتها على استخدام أسلوب الأمر لتحقيق الغاية آنفة الذكر .

٧ - أسلوب النهي :

والنهي معناه : طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، وله صيغة واحدة ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية^(٣) . وهو من الأساليب التي استثمر الشعراء الفلسطينيون

^١ - نبيل أبو علي ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، ص 34 - 35 .

^٢ - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 76 .

^٣ - انظر : دراسات في البلاغة العربية ، ص 47 .

دلالاتها البلاغية أيضاً ، من أمثلة ذلك ما نراه في قول الشاعر كمال غنيم حينما ارتكب الصهاينة مجزرة النصيرات في صباح يوم العيد^(١) :

لا تحزنوا ! لا تندبوا ! هذي السعادة قادمة
هذا الشهيد الحي يهتف للقلوب الحازمة

وكذلك قول معاذ الحنفي من قلب سجن نفحة الصراوي في هذه المجزرة ، موظفاً أسلوب النهي^(٢) :

لستَ إلا حريقُ
يا عيدُ يا حبي العتيقُ
لا تقربُ : وقوله :
عُدْ لا تضيعُ : وقوله :
لا تنسَ موعدنا الربيعُ

وكذلك الشيخ أحمد ياسين الذي يواسي أبناء الشعب الفلسطيني ، ويبث فيهم روح الأمل ، وهو قابع في السجن الصهيوني في قوله^(٣)

فلا تهنوا بني قومي فإننا ليوم النصر نرنو باشتياق

وكذلك استخدم الشاعر عثمان أبو غربية أسلوب النهي في التحذير من القبول بنتائج محادثات أوسلو ، والحث على مواصلة النضال^(٤) :

لا تصعدُ الأيامَ وحدكُ
لا تفرشُ الأوهامَ وردكُ
لا تغلقُ الميدانَ قبل مجيء لؤلؤة المدائن
لا تغلقُ الآن الحنين إلى المراكبُ
لا تغمدُ الآن السيوفُ

فجاء أسلوب النهي موظفاً في الخطاب الشعري ليبين مدى خيبة الأمل في نتائج المفاوضات التي تجري بين الحين والآخر .

¹ - كمال أحمد غنيم ، شروخ في جدار الصمت ، ص 100 - 104 .

² - معاذ محمد الحنفي ، ديوان أوراق محررة ، ص 18- 19 .

³ - مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، الجامعة الإسلامية - غزة ، كلية الآداب ، الجزء الثاني ، بحث الأستاذ الدكتور نبيل أبو علي : " عصر وإمام ، دراسة تحليلية " ، ص ٧ وما بعدها .

⁴ - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص 95- 97 .

٨ - أسلوب الحذف والإضمار :

لقد أفاد الشعراء الفلسطينيون من استخدام أسلوب الحذف والإضمار في تكثيف الدلالة ، والبوح بما يريدون البوح به معتمدين على ثقافتهم بقدرة المتلقي على اكتشاف المحذوف والمضمر ، وتخيل الدلالة والإحساس بها ، وتقديره^(١) .
ومن أمثلة الحذف والإضمار ما يشتمل عليه قول الشاعر^(٢) :

حَجْرٌ
وَتَمِيدٌ تَحْتَ الْغَاصِبِينَ الْأَرْضُ
تَنْتَفِضُ الْمَدَائِنُ وَالْقُرَى
وَاللُّوزُ وَالزَّيْتُونُ
وَالنَّخْلُ الْمُعْبَأُ بِالنَّمْرِ

.....

فِي الْبَدءِ قَدْ كَانَ الْحَجْرُ

حذف الشاعر مسميات كثيرة ، واكتفى بذكر المدن والقرى والأشجار ، وكان بإمكانه أن يواصل عد أشكال المقاومة ، ولكن الشاعر آثر الحذف موحياً للمتلقي أن مقاومة الغاصبين واجب على البشر والحجر والطير والحيوان وكل كائن على سطح هذه الأرض ، فكان الحذف يتناسب مع قناعات الشاعر والجو النفسي الذي يعيشه .

ومن أمثلة الحذف والإضمار - أيضاً - قول المقادمة^(٣):

خُذُوا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَسْرِقُوا الشَّمْسَ مِنَّا
خُذُوا الْقَمْحَ لَكِنْ ...
خُذُوا النِّفْطَ لَكِنْ ...

وفي ذلك إحياء برفض قاطع للاستيلاء على الشمس ، وحذف عبارة (لا تسرقوا الشمس منا) في كل المواضع أبلغ من تكرارها ، ففي تعدد المعطيات المضحي بها تأكيد على معناها ، ويكون الخفاء في بعض الأحيان أبلغ من الظهور والتكرار^(٤) .
ومن أمثلة الحذف قول الشاعر في رفضه لمؤتمر مدريد^(٥):

١ - الحذف هو : "التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى" ، دراسات في البلاغة العربية ، ص ١٤٠ .
٢ - عبد الناصر صالح ، المجد ينحني أمامكم ، ص ٨٩ .
٣ - د. إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص ٢٢ .
٤ - د. كمال غنيم ، شاعر على مائدة الرسول ، مقاربات نقدية ، ص ٢٧٨ .
٥ - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ، ص ١١٨ .

لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ ويشترِي شعباً .. نمتُهُ .. كرائمِ الأوطانِ
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يبيعُ ولم يكنْ وطنٌ يسامُ بأبخسِ الأثمانِ
لا .. لا .. لمؤتمرٍ يغيبُ قدسنا فالموتُ أقربُ من جديدِ هوانِ

حذف الشاعر اسم المؤتمر الذي يريد - مؤتمر مدريد - معتمداً على قدرة القارئ على استنتاج هذا الاسم الذي جر منذ انعقاده في ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م الولايات على الفلسطينيين ، مؤكداً عدم جدوى المؤتمرات والمعاهدات مع اليهود .
وكذلك ما في قول عبد الناصر صالح عن السجن (١):

هُوَ السَّجْنُ مَحْكَمَةٌ

وَالْقَضَاءُ بِهَا يَسْتَبِيحُونَ كُلَّ الْقَوَانِينِ

يَمْتَلِكُونَ فَنُونَ التَّوَعُّدِ وَالْإِتِّهَامِ

لم يذكر الشاعر تفاصيل المحكمة وماهيتها ! أهى محكمة عسكرية أم مدنية ؟ أهى محكمة فلسطينية أم محكمة إسرائيلية ؟ ، أهى عادلة أم ظالمة ؟ لقد حذف تفاصيل المحكمة ليثير انتباه القارئ ويحفزه على الوصول إلى لحظة الكشف مع اكتمال النص ، ذلك لأن مدلول كلمة محكمة في ذهن القارئ يشير إلى العدل بشكل عام ، فإذا بالشاعر يقدم شكلاً آخر لمحكمة السجن ؛ يقوم على التهديد وتلفيق التهم .

وكذلك ما في وصف الشاعر معاذ الحنفي السجن ، وحديثه عن السنوات الطويلة التي

يقضيها الفلسطيني فيه ، يقول (٢) :

تتراكمُ السنواتُ

كم عمراً يثورُ ويشعلُ الأشواقُ ؟

كم عاماً توزعُ للورودِ ؟

كم عاماً ستهدي للمخيمِ ؟

كم ربيعاً تطحنُ السنواتُ ؟

كم

إن مدة السجن أكثر من أن تحسب بالسنة أو اليوم ، إنه يبث القارئ إحساسه بتقل سنوات السجن ، حتى أضحي من الصعب حصرها في زمن محدد ، وقد ترك الحذف بعد (كم) للمتلقى إكمال عدد السنوات ، وتوزيعها على نثرات الطبيعة ، الورد والمخيم والأشواق والربيع ..

١ - السابق ، ص ٤٨ .

٢ - معاذ الحنفي ، أعلق في ليلك الليلك ، ص ٥٨ - ٥٩ .

٩ - أساليب أخرى :

لقد استخدم الشعراء الفلسطينيون في خطابهم الشعري جميع الأساليب التي مكنتهم من التعبير عن تجاربهم ، والبوح بأرائهم ، واستثمروا طاقاتها في تكثيف معانيهم وتجميل أساليبهم كذلك ، شأنهم في ذلك شأن الشعراء العرب المعاصرين ، من ذلك استخدام أسلوب القصة وتقاناتها ، إذ حفلت الدراسة ببعض القصائد التي اتخذت الطابع القصصي ، بحيث يهتم الشاعر بعرض القضايا الوطنية والأحداث التاريخية بصورة قصصية ، تهتم بالتفاصيل الجزئية الدقيقة ، وترمز للواقع المعيش في ظل الاحتلال ، ومن أمثلة ذلك قصة استشهاد فارس عودة ، التي حكاها كثير من الشعراء بأسلوب القصة ، التي تحتوي على مقدمة وعرض ونهاية ، من ذلك قصيدة صالح فروانة التي منها قوله (١) :

فَتَى

يُحَاوِرُ الدَّبَابَةَ

فَقَائِدٌ لِقَائِدٍ

وَفَارِسٌ لِفَارِسٍ

قَد مَاتَ فِيهِ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ

عُصْفُورَةٌ تَدُورُ حَوْلَ فَيْلٍ

تَخِيلُوا

عُصْفُورَةٌ تُذِلُّ فَيْلًا

وَيَنْطِقُ الدَّلِيلُ

قَذِيفَةً

أَطُولُ مِنْ ذِرَاعٍ

تُصِيبُ (فَارِسٌ)

وَفَجْأَةً يَمُوتُ

بِلا مُقَدِّمَاتٍ

فَتَسْكُتُ الحَيَاةُ

حيث سرد لنا الشاعر قصة حقيقية للطفل فارس عودة الذي وقف في وجه الدبابة الصهيونية مقاوماً بحجره ، ليصل بعد عرض بعض التفاصيل إلى النهاية ، مبيناً أن مصيره كان الموت جراء قصفه بقذيفة من قذائف هذه الدبابة .

¹ - صالح عمر فروانة ، ديوان ، مفردات فلسطينية ، ج ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

ومن أمثلة ذلك أيضا قصة "إيمان الهمص" التي تحدث الشعراء قصة استشهادها ، وكيف نكل بها الاحتلال ، ومزق جسدها الطاهر^(١) ، وكذلك القصة الرمزية للشاعر زكريا محمد التي وصف فيها وحشية الاحتلال البغيض ، ورمز لهذا الاحتلال بالثور^(٢) ، وقصة أخرى للشاعر نفسه يسرد فيها قصة حسان أسود ، ويرمز به إلى الاحتلال أيضا^(٣) ، وكذلك قصيدة الشاعرة فانتة الغرة التي تسترجع فيها قصة طفولتها^(٤) ، ومن ذلك أيضا قصيدة للرننيسي يحكي فيها قصة بعوضة كانت ترافقه في السجن^(٥) ..

ومن الأساليب الجديدة في القصيدة الشعرية الفلسطينية الحديثة ، الطول اللافت لبعض القصائد ، حيث يربو طولها على الأربعين بيتاً ، ويصل بعضها إلى مائة بيت .
ومن أمثلة هذه القصائد : قصيدة ثورة الحجارة للشاعر هارون هاشم رشيد التي بلغ طولها سبعا وأربعين بيتاً ، ومطلعها^(٦) :

أسطورة المجد ، ما جاد الزمان بما جادت به طفلة في كفها حجر

فقد تحدث فيها عن بطولات أطفال الحجارة ، وبطولات المرأة الفلسطينية ، وعن القدس ، وعن النصر الآتي لا محالة .

ومن المطولات التي اتخذت الأسلوب الملحمي ، مطولة الشاعر المتوكل طه "فضاء الأغنيات"^(٧) ، والتي منها :

وأقولُ يا امرأتي التي أهوى
أحبك يا بتول الروح
يا أم الطفولة
مثلما أهوى غموض الضحكة الأولى
وخريبة البراءة للرضيع
ومثلما أهوى السلام
لكل أطفال البلاد

1 - انظر : جريدة الحياة الجديدة ، ع ٣٢٨٩ ، الصادرة يوم الخميس الموافق ١٦ / ١٢ / ٢٠٠٤م ، ص ١١ .

2 - زكريا محمد ، ديوان "الجواد يجتاز أسكدار" ، ص ١٥-١٦ .

3 - السابق ، ص ٧٤ .

4 - نصوص شعرية لشاعرات فلسطينيات ، ص ٢٨ - ٣٢ .

5 - د. عبد العزيز الرننيسي ، ديوان حديث النفس ، ص ٨٠ - ٨١ .

6 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص ٩ .

7 - المتوكل طه ، قصيدة "فضاء الأغنيات" ، ص ١١ - ص ٦٣ .

تتحدث هذه القصيدة عن رحلة المنفى الفلسطيني إلى كتسوت ، أو كما ينبغي أن نسميه " أنصار ٣ " ، وهي مجموعة رسائل في رسالة واحدة ، تحدث فيها الشاعر عن عالم المعتقلين وأشكال معاناتهم ، ويتحسس مشاعرهم ، حباً و غضباً وكرهاً .. ، ورؤاهم لمسيرة شعبهم وانتفاضتهم ، ورسائله ملخصة في هذه المطولة ، يحدد إطارها بالتحريض ، الانتماء للسجين ، الجندي الصهيوني ، زعيم السلطة ، المرأة الفلسطينية ، زوجات الأسرى ، الأمة العربية ، رسالة الحب لأطفال فلسطين ، وأطفال العالم ، وخصوصاً أطفال المقاليع ، رسالة التحذير إلى المحتل . يوازيها رسالة الطفل إلى والده في القرية ، والرسالة الأوضح والأهم رسالة السجين للأمة العربية .

ومن الأساليب التي استخدمها الشعراء أسلوب القصيدة القصيرة (المقطوعة) التي لا تتجاوز عدة أبيات ، كقصائد سليم الزعنون "الرباعيات الأبجدية" التي تقع كل منها في أربعة أبيات(١) ، ومنها ما يقع في بيتين مثل قصيدة "متى نغير"(٢):

من رأى المنكر فيها فليغير بيد قادرة أو باللسان
وإذا ما استطاع فيها بيد أو لسان فليغير بالجنان

وقصائد المتوكل طه ، ومنها "مرأتان" ، "لسانان" ، "صورة تتجدد" ، "فاذا" ، "حجل" ، "أحلام" ، وتقع أطول قصيدة منها في سبعة أبيات(٣) ..

١ - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص ١٣١ - ١٥٩ .

٢ - السابق ، ص ٣٥١ .

٣ - المتوكل طه ، ديوان ربح .. النار المقبلة ، ط ١ ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٩٥م ، ص ٥٠ .

ثانياً : الإيقاع الموسيقي :

يرتبط الحديث عن موسيقى الشعر بالحديث عن لغته ارتباطاً وثيقاً ، فهي لازمة من لوازمه الجوهرية التي تتكفل بمنحه أسباب سحره وسريانه في النفوس فكراً ووجداناً ، وهي تتأزر من خلال اللغة مع الصورة لإعطاء التجربة شكلها الإبداعي الخاص .

وقد اهتم القدماء بالموسيقى الشعرية ، وتتنوعت وجهات بحثهم في مصادرها وأسباب جمالها ، وتوزع اهتمامهم على الموسيقى الخارجية - الوزن والقافية - والموسيقى الداخلية ، فكما اهتم علما العروض والقافية بالموسيقى الخارجية ؛ اهتم علم البديع وبعض علوم اللغة بالموسيقى الداخلية والبحث في مقوماتها وأسباب جمالها . وفي التمييز بين الخارجية والداخلية وأهمية كل منهما جعلوا الموسيقى الخارجية الفارق الرئيس بين الشعر والنثر ، فقالوا في تعريف الشعر إنه "كلام موزون مقفى يدل على معنى" (١) ، وتحدثوا عن الموسيقى الداخلية كسمة أسلوبية عامة يهتم بها النثر كاهتمام الشعر بها أو يفوق .

أما المحدثون فتوزع اهتمامهم بين الموسيقى الخارجية والداخلية ، ورغم تسهل فريق منهم في أشكال ورود الوزن - كما هو الحال في شعر التفعيلة - وفي تنوع القوافي أو التخلي عنها ؛ فإنهم لم يتساهلوا مع من تخلى عن الوزن من الشعراء ، بل ساروا في فلك القدماء وعدوه أساس التمييز بين الشعر وباقي الأجناس النثرية . وقد صب الفريق الثاني جل اهتمامه على الموسيقى الداخلية وأعلن التخلي عن الموسيقى الخارجية ، لأنها في رأيهم تعيق عملية الإبداع وتحد من قدرة الشاعر على التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ..

لقد اهتم علماء العربية منذ القدم بدراسة البحور والأوزان الشعرية ، فالوزن عبارة عن مجموعة التفعيلات المتساوية المكررة التي يتألف منها البيت الشعري ، وللقافية أهميتها في تحقيق اتساق النغم الموسيقي ، وليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشرطة أو الأبيات من القصيدة ، وتكرارها هذا يكون جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن .." (٢) .

ومع ما أصاب الحياة العربية عامة من تطور عبر الأزمنة ، تطورت أشكال القصيدة العربية واعترف جل النقاد بشعر التفعيلة ، وأنكروا باقي الأشكال التي تخلت عن الوزن والقافية ، حيث اعتمدت القصيدة وحدة التفعيلة بعد أن كانت تعتمد على وحدة البيت كأساس ثابت للبنية الإيقاعية فيها ، إضافة إلى الالتزام بالقافية الموحدة فيها .

1 - قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص ٥٤ . وانظر : ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ٩ .

2 - د. إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ٢٤٦ .

وقد نظم الشعراء الفلسطينيون القصيدة العمودية كما نظموا قصيدة التفعيلة ، وفي دراستنا لموسيقى شعر الشخصية الإسلامية سنلقي الضوء على الموسيقى الداخلية والخارجية في القصيدة العمودية ، وقصيدة التفعيلة .

أولاً : الموسيقى الخارجية :

١- الوزن :

أ- في القصيدة العمودية :

تتكون الموسيقى الخارجية من ركنين أساسيين هما الوزن والقافية ، وقد أكد ابن رشيق القيرواني أن "الوزن أعظم أركان الشعر ، وأولها خصوصية ، وهو مشتمل على القافية ، وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي ، فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن" (١) ، وفي تعريف التفعيلة التي تعتمد عليها أوزان الشعر العربي يقول محمد فتوح أحمد : "الإيقاع عبارة عن تردد وحدة نغمية على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة ، وهذه الوحدة في الشعر العربي هي التفعيلة التي قد تتردد بمفردها طيلة البيت كما في بحر الكامل مثلاً (متفاعلن ست مرات) .. ومن مجموع التفعيلات في البيت الواحد يتكون الوزن الشعري" (٢) ، فالوزن "مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت ، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية" (٣) .

ويتألف البيت الشعري في القصيدة العمودية من شطرين أو مصراعين يتساوى كل منهما في عدد التفعيلات ، منها ما يكون تاماً وهو ما سلمت منه الأعاريض والضروب من الزحافات والعلل واستوت أجزاءه وأوزانه" (٤) ، ومنها ما أصابه بعض التغيير في الزحاف والعلة وذلك عن طريق حذف أو زيادة بعض الحروف ، وتسكين أو تحريك بعضها ضمن القواعد العامة لعلم العروض "وقد أدت هذه المساواة إلى وحدة موسيقية عامة متكررة في تتابع تألفه الأذن وتسرب به ، وبشكل عام غلب على هذه الصورة الموسيقية الطابع الحسي الخارجي" (٥) .

١ - الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة ، ١ / ١٣٤ .

٢ - د. محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

٣ - د. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٤٦٢ .

٤ - يوسف أبو العدس ، موسيقى الشعر ، علم العروض ، ط ١ ، الأهلية النشر ، الأردن ١٩٩٩م ، ص ٢٧ .

٥ - د. السعيد الورقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، ص ١٣٩ .

وقد استخدم شعراء الشخصية الإسلامية الأوزان الخليلية في قصائدهم الشعرية ، ونوعوا فيها ، والجدير ذكره أن قصائدهم كانت تميل - في أغلبها - إلى الرقة والسلاسة والبساطة ، لذلك يمكن أن يناسبها البحر الكامل ، ويمتاز هذا البحر بجرسه الواضح الذي يتولد من كثرة حركاته وتلاحقها ، ولأن إيقاعه أقرب إلى الشدة منه إلى الرقة (١) .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر عبد الخالق العف (٢) :

يا قومُ عزَّ من الفراق تجلدي هل أطفئت في الصبح جذوة أحمد
ثارت شجونُ الروح حتى خلتها فجرت عيوناً في القلوب الجلمد

ويلاحظ أن الزحاف الشائع الذي يطراً على البحر الكامل هو الإضمار (متفاعلن) وهو يساوي المقياس (مستقلن) . والبحر الكامل الذي عرف بجلجلة إيقاعه وفخامته ، تتلون إمكانياته في التعبير حيث إنه "يبطئ بإيقاعه بحيث يتسع للمضامين التي تحتاج إلى لون من البطء في الإيقاع كالمضامين الفكرية والاجتماعية التي تحتاج إلى لون من التأمل المتأن ، في نفس الوقت الذي يتسع فيه للمضامين التي تحتاج إلى إيقاع فخم" (٣) .

ومن الأمثلة أيضاً على القصيدة العمودية ، قول المقادمة في رثاء يحيى عياش (٤) :

عياش لا ترحل وتترك حلمنا نهش الذئاب
... عياش أنت الحيّ أنت برغم كونك في التراب
فبذاك حدثنا الرسول وأنبأت آيُ الكتاب
ولنعلم أمّ أنجببتك وأرضعت لنا فطاب
وحماس إذ غرست بروحك عزّمها حتى اللباب
فغدوت رمزاً للحمى وغدوت زينا للشباب

وهذه الأبيات من مجزوء الكامل الذي يمتاز بتكامل حركاته ، التي تبلغ عشرين حركة وثمان سنكات ، وقد زاد الشاعر حرفاً ساكناً على التفعيلة الأخيرة ، لتصبح القصيدة من المجزوء المذيل ، كما أن وفرة تفاعيل هذا البحر مكنت الشاعر من التعبير عن ثورة الغضب التي تكتنفه بسبب فقد عياش المجاهد (٥) .

1 - إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م ، ص ١١٤ .

2 - د. عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص 85 .

3 - د. علي عشري زايد ، موسيقى الشعر الحر - رسالة ماجستير - مخطوطة بكلية دار العلوم رقم ٩٢ - سنة ١٩٦٨م ، ص ٢٠٣ .

4 - ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص ٥٦ - ٥٧ .

5 - مقاربات نقدية ، شعر الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة ، ص ١٧٧ .

ب - الوزن في قصيدة التفعيلة :

لقد تحررت قصيدة التفعيلة من قيود الشعر الخليلي "الوزن والقافية" ، واعتمدت وحدة التفعيلة ، وتكمن أهمية الوزن في قصيدة التفعيلة في التكرار الصوتي لعدد من المقاطع ، إذ لم تهمل القصيدة وفق نظامها الجديد أثر الموسيقى في التعبير عن المضمون ، وحافظت على موسيقى التفعيلة ، وخرجت عن قيود البيت الشعري بوزنه المحدد " وهذا هدف من أهداف البنية الإيقاعية الحديثة التي أفسحت المجال أمام الإبداع ، إذ أصبحت القصيدة الحديثة مع هذا النظام الوزني الجديد تعطي وزنها الخاص تبعاً للمضمون الذي تعبر عنه" (١) .

وقد قسمت بحور شعر التفعيلة حسب الوحدة الموسيقية فيها إلى قسمين ، الأول منهما : هو القصيدة واحدة التفعيلة ، النمط البسيط ، والقسم الثاني القصيدة ذات البحور المركبة التفعيلات .

القصيدة ذات النمط البسيط

يعتمد النمط البسيط لقصيدة التفعيلة على عدد محدد من التفاعيل ، وفيه تتحرر القصيدة من طول البيت ، كما يتيح الفرصة للشاعر للتعبير عن أفكاره وعواطفه ، وقد كان لهذا النمط وجود كبير في قصائد شعر الشخصية الإسلامية ، ومن بحور قصيدة التفعيلة المستخدمة :

أ - البحر الكامل :

من قصائد شعر التفعيلة التي جاءت على تفعيلة البحر الكامل - على وزن "مفاعلهن" - قصيدة "شهداء الانتفاضة" للشاعرة فدوى طوقان حيث تقول (٢) :

رسموا الطريق إلى الحياة

رصفوه بالمرجان ، بالمهج الفتية بالعقيق

رفعوا القلوب على الأكف حجارة ، جمراً ، حريق

رجموا بها وحش الطريق

... هجم الموت وشرع فيهم منجلاً

في وجه الموت انتصبوا

أجمل من غابات النخل وأجمل من غلات القمح وأجمل من إشراق

الصبح

أجمل من شجر غسلته في حضن الفجر الأمطار

¹ - بشرى عليطي وآخرون ، البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٩٨م ، ص ٨٥ .

² - فدوى طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط١ ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان 1993م ، ص 540 .

انتفضوا ... وثبوا ... نقرأوا
... انظر إليهم في البعيد
يُعانقون الموت من أجل البقاء
يتصاعدون إلى الأعالي
في عيون الكون هم يتصاعدون
وعلى حبال من رعاف دمائهم
هم يصعدون ويصعدون ويصعدون
انظر إليهم في انتفاضتهم صُقوراً

استخدمت الشاعرة صيغة البحر الكامل "متفاعلن" في الأسطر الشعرية السابقة ، وهو ما منح القصيدة موسيقى ذات إيقاعات متنوعة ، إذ تنوعت هذه الإيقاعات بتنوع القافية ، وبالتالي جاءت القصيدة بمقاطعها نسقاً موسيقياً بالغ الحساسية ، وترتبط حركات القوافي فيها ارتباطاً نغمياً بالنبض الوجداني الذي يسري في وحدة القصيدة ، وقد ارتبط ذلك بالحالة الشعرية التي تخضع لها الشاعرة ، وهي حالة الحزن والأسى والتمزق ، وقد ساعدت صيغة هذا البحر على تصوير هذه العاطفة وتجسيدها .

ب- بحر الرمل :

لقد احتل بحر الرمل^(١) مساحة واسعة من شعر دراستنا ، وذلك لأنه يمكن "أن يتقلب بين أيدي الشعراء في ألف لون وقالب محتفظاً دائماً برشاقة هي فيه أصلاً ، ولكن لابساً ثوب الحزن مرة ، والغضب مرة أخرى والمرح ثالثاً ... وفيه نوع من الانسيابية والاسترسال يجعله صالحاً للتعبير عن العواطف الحادة غضباً كانت أم فرحاً"^(٢) .
من أمثلة ذلك قول الشاعر إبراهيم المقادمة على لسان ابنته^(٣) :

فِي غَدِّ عَامٍ جَدِيدٍ
يَفْرَحُ الْأَطْفَالُ بِالْعَامِ الْجَدِيدِ
قَدْ كَبُرْنَا يَا أَبِي ،
وَأَفْتَدْنَاكَ طَوِيلًا
مَرَّ عَيْدٌ ، بَعْدَ عَيْدٍ ، بَعْدَ عَيْدٍ

¹ - "وقد سمي بالرمل لسرعة النطق به لتتابع فاعلاتن فيه" . انظر : محمود السمان ، العروض الجديد ،

أوزان الشعر وقوافيه ، دار المعارف ١٩٨٣ م ، ص ٧٧ .

² - د. علي عشري زايد ، موسيقى الشعر الحر ، ص ١٥٢ .

³ - إبراهيم أحمد المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص 16- 17 .

كَمْ حَلْمْنَا ، أَنْ تَرَانَا دُونَ قُضْبَانِ الْحَدِيدِ
بِرَعْمِ الْقَيْدِ ، وَالْفَقْدِ كَبْرَانَا ...
وَحَلْمْنَا أَنْ تَصَبَّ النُّورَ صَبًّا فِي رُؤَانَا
وَتَشِيْعَ الدَّفَاءِ فِيْنَا
نَظْرَةَ الْحَبِّ الْوَدُودِ
فِي غَدِ يَفْرَحُ الْأَطْفَالُ يَا أَبْتَاهُ
بِالْفَصْلِ الْجَدِيدِ
فِي غَدِ يَنْشُدُ الْأَطْفَالُ
لِلْإِسْلَامِ لِلْيَوْمِ السَّعِيدِ

التزمت القصيدة صيغة "فاعلاتن" ، فامتازت موسيقاها بالهدوء الذي يناسب الموقف الحزين الذي يصوره الشاعر لنا ، وقد أطل عام دراسي جديد ، يفتقده فيه أبناؤه ، ويتمنون أن يضمهم إلى صدره ويلثم فاهم ، ويرعى خطاهم(١) .

ج- بحر الوافر :

استخدم شعراء التفعيلة في شعر الشخصية الإسلامية تفعيلة هذا البحر "مفاعلتن مفاعلتن فعولن" ، واستثمروا موسيقاه الهادئة في التعبير عن العاطفة الحزينة ، بانسياب وترسل ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر صقر نزال(٢):

مَعِي حُوصِرْتُ أَوْ حُوصِرْتُ فِي قَلْبِكَ
تَوَحَّدْنَا
وَكَانَ الرَّعْتَرُ الْبَرِيَّ شَاهِدُنَا
وَأَهْلُ الْكَهْفِ مَا زَالُوا بِنَوْمَتِهِمْ
كَمَا كَانُوا
وَلَمْ تَفْتَحْ جُفُونَهُمْ
عَلَى قَصْفِكَ

استخدم الشاعر تفعيلة (مفاعلتن) وصورتها الفرعية (مفاعلتن) ، ولكنه بدأ السطر بإحدى صور التفعيلة واختتمها في ثلاثة مواضع بأصل التفعيلة محدثاً شكلاً من التنويع الموسيقي الموحد ، وأفرد ثلاث تفعيلات مستقلة كل منها في سطر وذلك للأسباب التالية : التفعيلة الأولى (توحدنا - مفاعلتن) لأن الشاعر يتحدث عن المحاصرة في مكان واحد مرغمين .،

1 - شعر الدكتور المقادمة ، مقاربات نقدية ، ص ٢٦٢ .

2 - فايز أبو شمالة ، رياحين بين مفاصل الصخر ، ص ٤٤٨ .

وجملة (توحدنا) باستقلالية فيها إشارة للمتلقى كنتيجة للحصار . والتفعيلة الثانية (كما كانوا - مفاعلتن) للتببيه على بقاء أهل الكهف نيماً ، وأن الحكام العرب ما زالوا يتفرجون على ما يحدث لفلسطين . والتفعيلة الثالثة (على قصفك - مفاعلتن) أراد فيها الشاعر أن يلفت الانتباه إلى ما غمضت عنه عيون حكام العرب ، فأفرد شبه الجملة وكان بإمكانه أن يلحقها بالجملة التي سبقتها ، ولكن الموقف الذي عبر عنه الشاعر أملى عليه هذا الترتيب^(١) .

د - بحر المتقارب :

البحر المتقارب من البحور التي استخدمها الشعراء الرومانسيون الفلسطينيون للتعبير عن عواطفهم المتعددة من خلال إيقاعه الواضح ، لأنه "من الأوزان المتميزة الإيقاع بالرغم من القصر النسبي لوحدة إيقاعه (فعولن) التي تتكون من مقطع قصير (ف) ومقطعين متوسطين (عو - لن) والسبب الأساسي في تميز إيقاعه هو أن وحدة الإيقاع فيه لا يعرض لها في الحشو من الزحافات سوى نوع واحد هو "القبض" وهو حذف الخامس الساكن"^(٢) .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر المقادمة في قصيدة بعنوان "أحمد"^(٣) :

حَبِيبِي ... أَهَذَا أَنْتَ ؟ تَخْتَلِطُ الصُّورَ
 أَهَذَا أَنْتَ ؟ تَحْتَرِقُ الصُّورَ
 ... تَصَعْقُهُ ، تَمَزَّقَ مَا تَبَقِيَ فِيهِ ، يَحْتَرِقُ الْقَمَرُ
 حَبِيبِي أَحْبَسُ الدَّمْعَاتُ تَحْرِقُنِي
 وَيَحْتَرِقُ الْبَصْرُ .
 حَبِيبِي : أَهَذَا أَنْتَ يَخْذُلُنِي الْعَزَاءُ
 نَمُوتُ كَنَبْتَةِ الصَّحْرَاءِ حَتَّى
 غَرِقْتَ ، وَلَمْ أَمُدِّ إِلَيْكَ يَدًا ...
 أفرُّ إِلَى إِلَهِ الْكُونِ يَمْنَحُنِي الْعَزَاءُ
 ... لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي مُجِيبَ الدُّعَاءِ
 عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ... وَأَنْتَ الرَّجَاءُ
 فَتَبَّتْ فُؤَادِي
 أَعْنِي عَلَى مُجْرِيَاتِ الْقَضَاءِ

¹ - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ١٩٦٧-٢٠٠١م ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

² - د. علي عشري زايد ، موسيقى الشعر الحر ص ١٨١ .

³ - إبراهيم المقادمة ، ديوان (لا تسرقوا الشمس) ، قصيدة "أحمد" ، ص 36 وما بعدها .

فالشاعر يعبر عن عاطفته من خلال نغمة غنائية مناسبة لتجربته وما فيها من عاطفة حادة ، وقد ساعده على ذلك بساطة نغمة المتقارب وسرعته التي توافق التعبير عن العواطف الجياشة ، فالشاعر ينجي ولده الذي اختطفه البحر منه ، وتركه يصارع الأحزان والآلام ، التي زادتها قضبان السجون ، ومفارقة الأحباب .
وعلى بحر المتقارب جاءت قصيدة عثمان أبو غريبة "لعينيك تونس يبقى الحنين" ، حيث يقول (١) :

وبعدَ غيابِ طويلٍ

وبعدَ عناءٍ مريرٍ

وعصفِ الرِّيحِ وَقَسْوَةِ مَلْحِ الْبِحَارِ

وقسوةِ لَفْحِ الْهَجِيرِ

وبعدَ دماءٍ

وبعدَ حروبٍ

وقبلَ حروبٍ

تلوّحَ حيفا بباقاتها

لتونس حيفا تلوّح بالياسمين

هذه القصيدة قالها الشاعر عند عودته للوطن ، وفيها توديع لتونس التي كانت المأوى له ولكثير من الفلسطينيين ، التي جاءت على نسق بحر المتقارب ، وبحر المتقارب يمتاز بسرعته التي توافق التعبير عن العواطف الجياشة (٢) .

هـ - بحر الرجز

اشتهر هذا البحر بأنه مطية الشعراء لسهولة النظم به ، ولأنه يسمح بكثرة التصرف فيه ، فيجوز حذف حرفين من كل جزء فيه ، فتصبح تفعيلاته (مستعلن - متعلن) ، وتدخله العلل والزحافات ، وكذلك استخدمه الشعراء في العصر الحديث ، "وتعددت قصائد الشعر الحر منه ، بما يجعلها وحدها تكاد تعدل في عددها سائر القصائد من سائر البحور الأخرى" (٣) ، وقد أضاف الشعراء العرب المعاصرون إلى أضرب الرجز أشكالاً جديدة منها هذا الشكل (// ه فعل) ، وكذلك لم يلتزم الشعراء العرب المعاصرون عدداً محدداً من التفعيلات يكررونها في كل سطر شعري .

1 - عثمان أبو غريبة ، ديوان عدنا ، ص 28 ، 29 .

2 - انظر : إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل ، ص ١٢٤ ، وموسيقى الشعر ، ص ٨٤ .

3 - د. محمود السمان ، العروض الجديد ، أوزان الشعر وقوافيه ، ص ٥٤ .

ومن أمثلة ما جاء على بحر الرجز قول الشاعر إبراهيم المقادمة^(١):

دَقِيقَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ
لَا تَحْلُمُوا بِغَيْرِهَا
مَا أَعَذَبَ الْعَوَاطِفَ الْمَكْتَفَةَ
دَقِيقَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ
تَكْفِي لِبَثِّ شَوْقِنَا ، وَشَوْقِ دَرِينَا
وَبَدءِ الْعَاصِفَةِ
عَانِقَتُهُ
عَانَقْتُ إِخْوَانِي جَمِيعاً
فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْمَكْلَفَةِ
حَضْنَتُهُ
كَانَ يَحْيِي فِي يَدِيَّ وَكَانَ رَوْحِي
كَانَ شَيْخِي
كَانَ التَّوَاصُلُ يَا صِلَاحُ وَكَانَ قَلْبِي
... كُنْتُمْ بِقَلْبِي يَا أُسُودُ
وَكَانَ قَلْبِي ، فَرّاً مِنْ زَمَنِ بَعِيدِ
رَفَضَ السَّلَاسِلَ وَالْقِيُودَ
وَإِنْسَاحَ فِي شَوْقٍ إِلَى رَبِّ الْوُجُودِ

جاءت القصيدة على وزن بحر الرجز ، واستخدم فيها الشاعر تفعيلة "مستعلن" ، ولم يلتزم في السطر الواحد بعدد محدود من التفعيلات ، معتمداً ما يبرز المعنى ويجاري موجات النفس الموسيقية ، فوحدة الإيقاع الموسيقية (مستعلن) قد جاءت متنوعة الأسطر من حيث العدد ، الأمر الذي مكن الشاعر من التعبير عن خلجات روحه بحرية ، توافق حرية أحاسيسه وأفكاره^(٢) .

و- بحر المتدارك

كثر استعمال الشعراء المعاصرين لهذا البحر ، "ولعله يأتي في المرتبة الثانية في كثرة الاستعمال في الشعر الحر بعد الرجز"^(٣) ، وذلك نظراً لما يحققه تكرار تفعيلة "... فاعلن" من

¹ - إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس . ص 28- 29 .

² - مقاربات نقدية ، شعر الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة ، ص ٢٦٣ .

³ - د. محمود السمان ، العروض الجديد ، ص ٦٥ .

إيقاع واضح . واستخدم الشعراء العرب المعاصرون "فاعلن" مقبوضة - أي حذف الخامس الساكن وضم لام (فاعل) ، وكذلك "غلب على هؤلاء الشعراء كثرة التدوير ، وقد اقتضى ذلك أن يكتبوا قصائدهم على نحو يشبه الكتابة النثرية"^(١) ، وقد عبر إيقاع هذا البحر عن مشاعرهم الحزينة ، وذلك لبطء إيقاعه .. ولعل تدفق الإيقاع من أبرز خصائص هذا البحر ، وأنه صالح للتعبير عن أية عاطفة متدفقة منطلقة"^(٢) ، والنماذج على هذا البحر كثيرة منها قول معاذ الحنفي^(٣):

أَنَا صِرْتُ الْبَحْرَ
وَصَارَ الشَّاطِئُ يَمْتَزِجُ الْمَاضِي وَيَغِيبُ
أَتَفَجَّرُ شِعْرًا
صَارَ نِدَائِي يَقْتَحِمُ الصَّحْرَاءَ يَجُوبُ
يَتَنَاطَرُ نَهْرًا
يَرُوي الْأَرْضَ
يُرَاوِدُهَا
يَتَغَلَّغُلُ فِيهَا ... وَيَذُوبُ

يلاحظ على النص السابق أن الشاعر لم يستخدم التفعيلة الأساسية ، وإنما استخدم مشتقات التفعيلة ، فجاءت في معظمها مخبونة (فعلن) ولحقها التشعيت فصارت (فالن) . وقد حاول أن ينهي التفعيلة مع الوقفة على هيئة (فاعلان) أي أنها مذيلة ، وهذا يعطي القارئ لحظة هدوء وارتخاء ولاسيما أن حرف الروي (الباء) مثل قافية القصيدة وسبقه (المتحرك الساكن) ردفاً ، وبهذا يتكامل الإيقاع المنسجم مع التائي في نهاية السطر رغم سرعة الإيقاع الذي تمثله اشتقاق التفعيلة التي يبتدئ بها .

ويلاحظ أيضاً أن الشاعر وضع جملة (يراودها) في سطر دلالي مستقل ، وأثر استقلالها لأن النهر يراود الأرض قبل أن يتغلغل ويذوب فيها ، فكان موفقاً موسيقياً وشعورياً في ذلك^(٤) .

¹ - مجلة الأعلام العراقية عدد ٣ ص ٨٣ ، عام ١٩٧٥ .

² - د. علي عشري زايد ، موسيقى الشعر الحر ، ص ٢٧٤ .

³ - معاذ الحنفي ، أوراق محررة ، ط١ ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ١٩٩٠م ، ص ٢٠ .

⁴ - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ١٩٦٧ - ٢٠٠١م ، ص ٤٤٣ .

القصيدة ذات البحور المركبة التفعيلات :

وهي بحور تقوم وحدتها الموسيقية على تفعيلتين مختلفتين متعاقبتين ، أي أن الوحدة تأتي في البيت مفردة أو مكررة بأي عدد مقبول . وقد قل استعمال الشعراء لهذه البحور في شعر التفعيلة في أشعار الشخصية الإسلامية ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر نزيه خير على بحر الطويل - وهو بحر مركب ووحدته الموسيقية فعولن مفاعيلن - (١) :

أَنَا لَسْتُ مُتَكِنًا عَلَى جُرْحِي
وَلَا غَرْدًا يَنْوُحُ بِبَابِ طَاقٍ
أَنَا عَاتِبٌ يَشْكُو إِلَى زَمَنٍ يَعِزُّ لَهُ الْفُرَاقُ
عَادَ الْبِرَامِكَةُ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا
فِي عَصْرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ إِلَى الْعِرَاقِ
عَادُوا ... فَأَيْنَ نَبِيْتُ يَا بَغْدَادُ لَيْلَتَنَا
وَأَيْنَ لَنَا لِقَاءُ

وكذلك الشاعرة حنان عواد في قصيدتها "اخترت الخطر" ، التي جاءت على بحر المديد - ووحدته الموسيقية فاعلن فاعلن فاعلن - حيث تقول (٢) :

عَدَّبُونِي ...
مَزَّقُوا أَسْتَارَ خُدْرِي ...
حَقَرُوا ..
فِي زَحْمَةِ الْأَحْقَادِ قَبْرِي
سَلَبُوا مِنِّي ثِيَابِي ...
صَلَبُوا بِالْغَدْرِ وَالسَّجْنِ شَبَابِي

وكذلك قول الشاعر أحمد دحبور في وصف القمر على بحر المقتضب - وتفعيلته هي مفعلات مفتعلن - (٣) :

أَمْسِ بُوغْتَ الْقَمَرِ
لَا نُجُومَ تَخْدِمُهُ
لَا غُيُومَ تَلْزِمُهُ
بَارِدٌ ، يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الظَّلَامُ وَالْحَفَرُ

1 - نزيه خير ، ديوان رائحة المطر ؛ ط ١ ، دار الأسوار ، عكا ١٩٨٩م ، ص ١٥ .

2 - حنان عواد ، ديوان اخترت الخطر ، ص ٥٣ .

3 - أحمد دحبور ، ديوان "جيل الذبيحة" ، ط 1 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن 1999م ، ص 54.

فَارَغْ هُنَاكَ فَلَا هَالَةَ وَلَا صُورَ لَنْ يَكُونَ مَنْزِلُنَا

٢ - القافية :

أ - القافية في القصيدة العمودية :

تعد القافية^(١) الركن الثاني في الموسيقى الخارجية ، وقد أولاها الشعراء اهتماماً واضحاً كعنصر مهم في عملية الإيقاع الموسيقي في الشعر ، وقد شكلت مع الوزن الإطار العام لموسيقى الشعر ، فلا يستقيم أحدهما بدون الآخر ، ويرى الخليل أن القافية هي من آخر حرف في البيت الشعري إلى أول ساكن قبله مع حركة الحرف السابق للحرف الساكن ، وهذا هو الذي اتفق عليه أهل اللغة ، وبناءً على ذلك فقد تكون القافية مكونة من كلمتين أو كلمة واحدة أو بعض كلمة^(٢) . وذهب الأخفش إلى أن القافية هي آخر كلمة في البيت ، بدليل أن الإنسان إذا طلب القوافي لقصيدة ما ذكرت له الكلمة الأخيرة من كل بيت من أبيات القصيدة ، ولم يذكر أكثر أو أقل من ذلك ؛ وأما الجاحظ فيرى أن : "القوافي خواتم أبيات الشعر"^(٣) ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن القافية : "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة ، وتكرارها يكون جزءاً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية ، يتوقع السامع تردها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة"^(٤) .

فالقافية إذاً هي عنصر أساسي في وجود الشعر وتكوينه الموسيقي ، وعليه فإن الشعر العربي يعد أكثر ألوان الأدب العالمي دقة وطرباً ، لما فيه من روعة موسيقية تظهر في التزام الشاعر بقواعد في أجزاء القافية ، فضلاً عن تفعيلات البحر التي ينظم عليها قصيدته ، وهو ما لا يوجد في عروض كثير من الأشعار في آداب اللغات الأخرى .

وقد تعددت أنماط القافية في الشعر العمودي ، من ذلك :

أولاً : القافية المطلقة :

وهي التي يكون فيها حرف الروي متحركاً بالحركات القصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة ، وقد يكون محرراً بالحركات الطويلة المشبعة كالألف والواو والياء ، أو أن تشبع الحركات القصار .

١ - سميت القافية لأنها تقفو أثر كل بيت ، وبمعنى مقفوة ، على اعتبار أن الشاعر يقفوها ، أي يتبعها .

٢ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٤٩م / ١ / ١٢٩ .

٣ - السابق ، ١ / ١٢١ .

٤ - د . إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص ٢٤٦ .

ومن الأمور المسلم بها عند اللغويين والنقاد أن أكثر الشعر في الأدب العربي قديمه وحديثه مختوم بالقافية المطلقة التي يكون فيها حرف الروي متحركاً ، ولعل الشعراء يجدون في تلك الحركات القصار والطوال متنفساً عما يجول في صدورهم من أحزان وأفراح ، وذلك لأن الحركات أصوات مجهورة ، وهي أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الصامتة ، ولأن الهواء معها يخرج من فم الناطق لا يعترض سبيله عائق من أعضاء النطق التي قد تخفف من شدته ووضوحه^(١) .

وقد أكثر الشعراء في دراستنا من الاعتماد على القافية المطلقة ، وخاصة في رثاء الأبطال المجاهدين ومدحهم ، أمثال الشهداء : عبد العزيز الرنتيسي ، والشيخ أحمد ياسين ، ويحيى عياش ، وصلاح شحادة ، وإبراهيم المقادمة ، وعماد عقل ..

ومن أمثلة القافية المطلقة المضمومة قول الشاعر هارون هاشم رشيد على البحر البسيط^(٢):

أُسْطُورَةُ المَجْدِ ، مَا جَادَ الزَّمَانُ بِمَا	جَادَتْ بِهِ طِفْلَةٌ فِي كَفِّهَا حَجْرٌ
أُسْطُورَةُ المَجْدِ ، مَا الخِنْسَاءُ صَابِرَةٌ	فَعِنْدَنَا أَلْفُ خِنْسَاءٍ لَهَا أَثْرٌ
فَهَلْ رَأَيْتُمْ نِسَاءً مِثْلَ نِسَوَاتِنَا	فِي كُلِّ مَا خَلَدَ الكِتَابُ أَوْ ذَكَرُوا
وَعِنْدَنَا أَلْفٌ ... أَلْفٌ مِنْ شَبِيبَتِنَا	تَلَفَّحُوا بِرِدَاءِ المَوْتِ وَأَتَزَرُّوا

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الشاعر في رثاء الرنتيسي^(٣):

تَبْكِي القُلُوبُ عَلَيكَ مُخَنَّةٌ	أَفْجَاءُهَا أَمْ جَاءَكَ الأَجَلُ
بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَيكَ خَاشِعَةً	وَالطَّقْسُ فِي نَيْسَانَ مُعْتَدِلٌ
وَالْحَرْبُ تَطَحَّنُنَا مَطَاحِنَهَا	وَدِمَاؤُنَا كَالغَيْثِ تَنْهَمِلُ
سَاحَاتِ غَزَاةٍ وَدَعْتِكَ عَلَى	أَمَلِ اللِّقَاءِ وَحَبَّذَا الأَمَلُ
سَابِقَتْنَا نَحْوَ العُلَا قُدْمًا	فَسَبَقَتْنَا وَالسَّابِقُ البَطْلُ
مَاضُونَ يَاعْبُدُ العَزِيزَ مَعًا	فِي الدَّرْبِ خَلْفَكَ أَيُّهَا الجَبَلُ
لَمْ يَقْتُلُواكَ وَإِنَّمَا قَتَلُوا	أَوْهَامَهُمْ فَنَجَّاحُهُمْ فَشَلُ
أَسَدٌ لَهُمْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ	شَرَفٌ فَإِنْ قَالُوا فَقَدْ فَعَلُوا
يَارَبَّنَا عَوِضْ خَسَارَتَنَا	فِيهِ فَإِنْ مُصَابِنَا جَلُّ

1 - د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط ٥ ، دار الطباعة الحديثة ١٩٧٩م ، ص ٣٢ .

2 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 9 .

3 - أحمد إسحق الريفى ، ديوان "مواجهات" ، ص 12- 13 .

ومن القافية المطلقة المضمومة ، قول الرنتيسي في مدح الشيخ أحمد ياسين^(١) :

يا طودُ يا بركانُ يا علمُ ما إذا يخطُ لوصفِكَ القلمُ
يا منْ على الآلامِ قد طويتُ منك الضلوعُ وأنتَ مبتسمُ
هذي السواعدُ لا حراكَ لها والصدرُ والساقانِ والقدمُ
لكن همَّك لم يكنْ شللاً كلا ولا أنْ عضَّك الألمُ

ومن أمثلة القافية المطلقة التي يكون فيها حرف الروي محركاً بالكسرة أو الياء قول الشاعر سليم الزعنون في التغزل بمحبوبته وشريكة حياته^(٢) :

حسناً تخطُرُ في لجينِ الماءِ ما عادَ يُعجبُها افتتانُ الرائي
ورقاً تشدُّ بالهديلِ فيرتقي نغماً على شوقِ منْ النجواءِ
يأبى الجمالُ على الجمالِ ترفعاً تتزيّنُ الحسناءُ بالحسناءِ
ورمتْ لحاظَ الحبِّ منْ أجفانها فتوسلتْ أجفاننا ببيكاءِ
ما طاش سَهْمٌ كلُّها في مقتلِ ما عدتْ أفضلُ داءها عنْ دائي

وقول الشاعر إبراهيم قرايين في الغزل^(٣) :

سألتُ: ترى أَيْحسبُ لي صيامي ترى أَيْصحُّ ... ما رأيُ الإمامِ
فبعدَ الظُّهرِ كنتُ أسيرُ ... إذْ بي أفاجاً ... منْ أهيمُ بهِ .. أمامي
أيعقلُ أنْ يُصادفُنِي حبيبٌ ولا أبدي بهِ أيُّ اهتمامِ
رمتني عينُهُ بالسَّهمِ .. ردتْ عيوني بالسَّهامِ على السَّهامِ
فقدنا الوعي... طارَ العقلُ... حياً فمي ... فمه .. بأحسنَ منْ كلامِ
ومرتْ لحظةً لمْ ندرِ ماذا جرى إلا مُبادلةً ابْتِسَامِ
جرى يا شيخُ هذا مثلُ سهوِ يُصابُ بهِ قليلٌ منْ طعامِ
جوابُ الشَّيخِ طمأنني فصومي سيحسبُ بالكمالِ والتَّمامِ

ومرت في ثنايا دراستنا بعض القوافي المطلقة بأنماط أخرى غير السابقة ، وذلك مثل

المطلقة المجردة الموصولة بهاء ساكنة ، مثل قول الشاعر^(٤) :

ولستُ اليومَ والمسرى وحيدةً فهذا الجيلُ قد ألقى قيوده
على أسواركِ الشَّمَاءِ قاموا لتبقى قُبَّةُ الأَقصى فريدةً
تفيضُ دماؤهم نوراً ومسكاً شبابٌ أسعدَ الأَقصى وروده

¹ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، ص 97-98 .

² - سليم الزعنون ، ديوان : "يا أمة القدس" ، ص 160 - 162 .

³ - إبراهيم قرايين ، ديوان : "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ص 114 - 115 .

⁴ - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : حديث النفس ، ص 64 - 65 .

وطوبى للذي في الله يهدي
وهل يشري ديار القدس ظلماً
ولاة الأمر لا تنسوا بأننا
فلن نرضى بغير القدس داراً
والقافية المطلقة المردفة الموصولة بحرف مد أو هاء ساكنة ، مثل قول الشاعر في رثاء
الراحل ياسر عرفات (١) :

فُقدَ العزِيزُ فأجْهَشْتُ عَيْنَايَا
ماتَ المُقدِّى في فرَنسَا لَيْتَهُ
بَكَتُ السَّمَاءُ عَلَيْهِ حَتَّى أَعْرَقْتُ
وَبَكَتْ لِفَقْدِكَ يَاسِرًا كَمَ أُمَّةٍ
نَبِيِّ فِرَاقِكَ قَائِدًا وَمَعْلَمًا
قَدْ عَشْتُ حُرًّا فِي حَيَاتِكَ مَا انْحَنْتُ
يَا يَاسِرَ العِرفَاتِ حَارَتِ هَاهُنَا
كَم نَاحَ طَيْرٍ فِي سَمَاهُ فِرَاقِكُمْ
وَتَلَعَّغْتُمْ لِفِرَاقِهِ شَفَتَايَا
فِي القُدْسِ فَارِقَ كَيْ تَصِلُهُ يَدَايَا
أَرْضُ القُدَّاسَةِ ، مَا خَطَّتْ قَدَمَايَا
فَقَدْتُ نَدَى كَفَيْكَ خَيْرُ عَطَايَا
وَتَحَرَّقْتُ كَمَ أُمَّةٍ وَرَعَايَا
لِلغَدْرِ رَأسِكَ أَوْرُضِيَتِ بِلَايَا
فِيكَ الحُرُوفُ وَأَنهَكَتْ كَفَايَا
وَلَكُمُ بَكَتْكَ حَرَائِرُ وَسَبَايَا

ومن القوافي القصائد العمودية أيضاً نذكر قصيدة الدكتور محمد صيام "سلام الوحوش" التي
جرت على مجزوء الكامل ، وهي من عشرة مقاطع ، كل مقطوعة ستة أبيات ، ومنها (٢):

هَذَا السَلامُ هُوَ الَّذِي
وَبِهِ القِراصنَةُ العُزَا
وَالأغِيَاءُ يَطْبَلُو
وَيُصَدِّقُونَ الأَدْعِيَا
وَالأمْرِيكانُ وَبِوشُ
هَذَا السَلامُ هُوَ الَّذِي
يَدْعُو إِلَيْهِ المَجْرَمُونَ
ةُ - أَمَامَنَا - يَتَبَجَّحُونَ
نُ - لِمِثْلِهِ - وَيُزْمَجِرُونَ
ءَ وَهَمُّ بِهِ يَتَشَدَّقُونَ
كُلُّ الطُّغَاةِ يُبَارِكُونَ
يَسْعَى إِلَيْهِ الفَاشِلُونَ

أنشأ الشاعر قصيدته على قافية النون الساكنة المردوفة بالواو ، ونلاحظ أن هذه النغمة
الموسيقية الرتيبة التي تسيطر على الأبيات تتوازن مع القافية ، وقد اختار الشاعر لمعانيه

¹ - علاء الكريبي ، ديوان : "درر السعداء في واحة الشعراء" ، ص 38 . وقول الرنتيسي في وصف
حفيدته أسماء عندما زارته وهو في السجن ، ديوان حديث النفس ، ص 84 . وقصيدة أحمد الريفي في
مدح المعلم ، أحمد الريفي ، ديوان مواجهات 1 ، ص 103 .

² - الإمام الشهيد أحمد ياسين في عيون الشعراء ، انظر قصيدة "سلام الوحوش" ، ص 95-96 .

القوافي الملائمة القادرة على إيصال فكرته للجماهير ، فالألفاظ ذات شحنات تعبيرية وإيقاعات موسيقية قادرة على إيصال المعاني (١) .

ومن القوافي العمودية القافية المتعددة ، وهي القافية التي تتعدد فيها أحرف الروي بالتتابع ، ويكون ذلك في القصائد العمودية المقطعية والقصائد العمودية غير المقطعية .

ومن شواهد القصائد العمودية المقطعية ذات القافية العمودية المتعددة بانتظام على نظام المربع على طريق التتابع قصيدة مريم العموري "الشيخ في سكناته" على بحر الكامل ، ومنها(٢) :

الشيخُ في سكناتِهِ بحرٌ تهَدَّرَ بالغَضَبِ
وطقوسُ جَبْهَتِهِ عوا لمُ تستنيرُ بِهَا الشُّهْبُ
حرٌّ وإنْ حبسوا الجسدَ حرٌّ أبىُّ لم تحدِّ
سجَّانهم يا شيخُ أن تَ بنورٍ وجهك للأبدِ

جاءت هذه القصيدة في أربعة مقاطع اكتفينا بذكر مقطع منها ، وقد نوعت الشاعرة قوافيها بشكل رباعي على طريق التتابع ، وفي هذه الرباعيات يشترك الشطر الأول والثاني في قافية ، والشطر الثالث والرابع في قافية ، ما عدا المقطوعة الرابعة فقد جاءت على قافية واحدة وهي الراء الساكنة ، وقد شاع هذا النوع من أنواع الرباعيات في الشعر العربي المعاصر .

ثانياً : القافية المقيدة :

وهي التي يكون فيها حرف الروي ساكناً ، وهذا يجعل الشاعر متحرراً من حركات الإعراب في آخر القافية . وقد كثر رواد هذا النوع من القافية في شعر الشعراء على بحر الرمل لما فيه من إيقاع موسيقي وملاءمته للغناء أكثر من غيره ، ثم يليه أبحر الرجز والسريع والمتقارب والطويل ، والكامل ، ورغم الصفة الغنائية والحرية الكاملة التي أعطيت للشاعر في القافية المقيدة ، إلا أن الشعر الوارد عليها قليل في الأدب العربي ، ولعل أكثره جاء في الشعر العباسي لسهولة اللحن في القافية المقيدة وشيوع الغناء إلى حد كبير في زمن العباسيين .

وقد كان مجزوء الكامل وتفعيلاته أكثر البحور وروداً على القافية المقيدة ، من ذلك قول مريم العموري (٣) :

1 - مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، ص ٣٥٢ .

2 - الإمام الشهيد أحمد ياسين في عيون الشعراء ، الجامعة الإسلامية - غزة ، كلية الآداب ، ص 106 .

3 - السابق ، ص 106 .

الشيخُ في سكناهِ بحرٌ تهَدَّرَ بالغَضْبِ
وظقوسُ جبَّتهِ عوا لم تستنيرُ بها الشُّهبُ
حرٌّ وإن حبسوا الجسدَ حرٌّ أبى لم تحدُ
سجَّانهم يا شيخُ أن تَ بنورِ وجهك للأبدِ

ومن أمثلة ذلك أيضا قول الرنتيسي في مدح عياش^(١) :

عياش شمسٌ والشموسُ قليلةٌ بشروقها تُهدى الحياةُ إلى الحياةُ
عياش يحيا في القلوبِ مجدداً فيها دمَاءُ الثَّارِ تعصفُ بالطغاةُ
عياش ملحمةٌ ستذكرُ نظمها أجيالُ أمتنا كأعلى الذكرياتِ
عياش مدرسةٌ تشعُ حضارةً عياش جامعةُ البطولةِ والثباتِ
يا سعدَ أمَّ أرضعتك لبناتها فغدَّتْ بيحيى شامةً في الأمهاتِ
يا فخرَ قريتك التي قد أنجبتُ يحيى فباتتُ غرَّةَ الدنيا (رافات)
عبَّدت درباً للشهادةِ واسعاً ورسمتَ من آي الكتابِ له سماتِ
وغرست أجسادَ الرجالِ قنابلاً وكتبتَ من دمك الزكيِّ لنا عظامِ
هذي الألوفُ أبا البراءِ تعاهدتُ ألاً نجونا إن نجتُ عصب الجناةُ

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر عبد القادر العزة في مدح المرأة المشاركة للرجل^(٢) :

والرفيقاتُ يعمَلنَ بِاسِمَاتِ كاسِرَاتِ مِنْ شَيْخِنَا تَقْلِيدَهُ
كاتبَاتِ عَلَى الزَّمانِ فَخاراً ناشِرَاتِ لِلنَّصرِ أَبهى جَرِيدَهُ
عاجِلاتِ بِخَطوِكُنَّ تَرَكُضنَ طامِحَاتِ إِلَى الأُمُورِ الفَرِيدَهُ
فاتِناتِ لَكُنَّ سِحْرُ القِوافِي وَالتَّرائيمِ وَالْمُنَى وَالنَّشِيدَهُ
خُذنَ عُمري وَعُمْرَ أهلي فِدَاءً يا بَساتينَ زَرَعنا وَحَصِيدَهُ

ب - القافية في شعر التفعيلة :

لم تفقد القافية أهميتها على امتداد تاريخ تطور القصيدة العربية ، لأنها عنصر رئيس مهم في القصيدة . وتعد الموشحات أول ثورة على نظام القافية العمودية المتصلة . ويعرف الدكتور السمان القافية في الشعر الحر "بأنها الحرف الأخير الذي تقوم عليه القصيدة كما في الشعر العمودي أو تقوم عليه بعض أبياتها فقط كما هو الغالب في الشعر الحر"^(٣) .

¹ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 71 . وانظر : ص 80 - 81 .

² - عبد القادر العزة ، ديوان "شموس الصباح والود القديم" ، ص 45 - 46 .

³ - د. محمود علي السمان ، العروض الجديد - أوزان الشعر وقوافيه ، ص ١٠٦ .

والشاعر العربي المعاصر لم يهمل القافية بل نوع هذه القوافي وطورها بما يتلاءم والبناء المعقد للقصيدة الحديثة ، وحقق الشعراء بذلك إيقاعاً عذباً في قصائدهم الحرة .

وقد اكتسبت القافية في الشعر الحر بعداً دلاليّاً منسجماً مع الموقف الانفعالي للشاعر ، مرتبطاً بالمعنى العام للقصيدة ، فلم تعد مهمتها التطريب فحسب بإعادة تكرار ذات الأصوات، بل أصبحت عميقة التداخل والتشابك مع مكونات القصيدة الحديثة ، و"هي عنصر من جملة العناصر الأخرى التي تزيد للمعنى الشعري قوة الوضوح وتعمق تجربة الكشف" (١) .

لقد تخلصت القافية الحديثة من حرف الروي في نهاية الشطرة ، وأصبحت تموج بالحركة الداخلية والخارجية التي تستدعي وقفات انفعالية ، وعليه "لا يجب أن توضع في القصيدة تبعاً لقوانين ، بل تبعاً لإيقاع القصيدة ومضمونها" (٢) ، ومدى اعتمادها على الدفقة الشعورية التي تحدد مكان القافية وإيقاعها الصوتي المتردد بين جنبات القصيدة ككل ، وكأنها الصدى للمشاعر "ولهذا كان لزاماً على القافية بعد أن أصبحت أنسب صوتاً يمكن أن تنتهي عنده الوقفة الانفعالية والانتقال منها إلى دفقة جديدة ، أن تتخلص من مشكلة حرف الروي الذي تحول بدوره إلى أن يكون صوتاً منتقلاً متغيراً أو متفقاً لكنه لا يخضع لتنظيم خارجي مفروض" (٣) .

وإن أهم ما يميز القافية في الشعر الحديث جرسها الموسيقي ، وتآلفها النغمي ، وما تحدثه من تجانس صوتي بين الألفاظ ، يعطي نغمات موسيقية ، تسهم في تشكيل عالم المعنى والصور التعبيرية في القصيدة .

وقد جاءت القافية في شعر الشخصية الإسلامية ، على أنماط ثلاثة هي :

النمط الأول : القافية الواحدة :

ومثال ذلك (٤) : **الوَحْدَةُ نَحْنُ صَنَعْنَاهَا**

بالألمِ والأملِ المفعمُ

والوَحْدَةُ دَرَسٌ نَشْرَحُهُ

للطفْلِ الآتي كي يفهمُ

أن التحريرَ دولتُنَا

١ - أحمد الطريسي ، الرؤيا والفن في الشعر العربي الحديث ، ط ١ ، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ١٩٨٧م ، ص ٧٥ .

٢ - نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص ١٩٢ .

٣ - د. السعيد الورقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، ص ٢٤٢ .

٤ - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، (د . ت) ، ص 86-87 .

قدرٌ ، والباطلُ أن يُهزمَ
الوحدةُ للأقصى حصنٌ
والمهدُ وعيسى يتألمُ

هذا النوع من القافية يقترب كثيراً من الشعر العمودي في تكراره ذات القافية بروي موحد ، مع الفرق أن الشاعر هنا تحرر من قيود الوزن العروضي لنجد القافية الموحدة قد تعانقت أحياناً ، وقد تباعدت أحياناً أخرى ، فجاءت القافية بروي الميم : (المفعم - يفهم - يهزم - يتألم) لتتناغم مع الموقف النفسي للشاعر من الوحدة التي أصبح عليها المجتمع الفلسطيني في ظل الانتفاضة ، ودلل على ذلك دال "الوحدة" الذي كرره الشاعر ثلاث مرات في القطعة السابقة ، وفي بداية الأسطر الشعرية .

نموذج آخر للشاعر أحمد دحبور يقول فيه (1) :

دُنِّي يا ولدي

يا سيدي

يا جدُّ :

هل شاهدتني ، من قبلُ ، مَيِّتاً وتحريّت القيامة ؟
أم أنا العائد من غاشية المنفى إلى برّ السلامة ؟
إن أكنُ عدتُ ، فعبّئْ ذكرياتي الشاغرة
رُدِّ ، من وجهي ، إلى التربةِ ، عُصناً وابتسامه
إنني منها -

فنسبني إليها بعلامة

جاءت القافية موحدة بروي الميم المتنوع بـ "الهاء الساكنة" ، وذلك في كلمات : " القيامة - السلامة - الشاغرة - ابتسامه - علامه" ، وتمثل القافية انسجاماً مع الموقف النفسي الذي نتج عن عودة الشاعر إلى الديار الفلسطينية ، "وتلمح العين في هذا النص إشارات إلى تصاعد الصوت في السطر الأول والثاني والثالث مع تهاوي الدوال على سلم شكلي ، جدلية تخلق أغواء بصرياً وقدحاً لوعي القارئ بين تصاعد الدلالة وتماوج المكان . ثم تستقيم الأسطر التي تضج بسواد التراكيب المتصلة المتوحدة والأسئلة المحتشدة الحائرة ، وينتهي النص ببياض أكثر يقابل صمتاً أطول تلا التراكيب المتصلة المتوحدة والأسئلة المحتشدة الحائرة ، وينتهي النص ببياض أكثر يقابل صمتاً أطول تلا التراكيب (إنني منها) واتصل بها في سطر مستقل ويبدأ في نهايتها (فنسبني إليها بعلامة) ، تداخل وتبادل في المكان ، وتوزيع متقن للدوال

1 - أحمد دحبور ، ديوان هنا وهناك ، ص 80 - ص 85 .

المتصاعدة درامياً وصوتياً جعل من هذا النص نموذجاً جيداً لإيقاع التشكيل البصري" (١) .

النمط الثاني : القافية المقطعية :

وفي هذا النمط يبني الشاعر كل مقطع من مقاطع القصيدة على نظام تقفية معين ، ولا يلتزم بقافية واحدة طوال القصيدة ، بل تتغير القافية بعد كل مقطع محدد الأبيات ، ومن ذلك نموذج المقطوعة ونموذج الرباعية (٢) . ومن شواهد هذا النمط قول الشاعر معاذ الحنفي (٣) :

لست إلا حريقاً
يا عيدُ يا حبي العتيقُ
حلم الطفولة أنت يا عيدُ وآهات المشيبِ
مأعدتَ إلا تملأ الأقداحَ سماً أو لِهيبَ
... لا تقتربُ
من حيث جئتَ ، عُدْ شريدُ
فجزيرة الأحلام تمنح قمرتي شوقاً فريدُ
أملاً فريدُ
عُدْ لا تضعْ (٤)
لا تنسَ موعدنا الربيعُ

جاءت القافية في القصيدة محققة إيقاعاً معنوياً وموسيقياً ، كما وظف الشاعر أصواتاً للدلالة على بشاعة ما اقترفه الاحتلال من جرائم في مجزرة النصيرات .

النمط الثالث : القافية الحرة المتغيرة :

يتجاوز من خلالها الشاعر رتبة الصوت المتكرر ، ويجد فيها متسعاً للتعبير عن شحنات انفعالية تضيق عنها القافية الموحدة ، وفيها نوع من التلوين الموسيقي الذي يكسب القصيدة دلالات إضافية (٥) . وقد ردت في أشعار دراستنا الكثير من المقاطع ذات القافية الحرة

1 - د. عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٣٠٦ .

2 - مؤتمر الشهيد أحمد ياسين ، الجامعة الإسلامية - غزة ، كلية الآداب ، ص ٣٥٤ .

3 - معاذ محمد الحنفي ، ديوان : أوراق محررة ، طبعة عام 1994م ، ص 18- 19 .

4 - (هكذا) .

5 - القافية المتغيرة تعني "توالي الروي على شطرين أو ثلاثة أشطر ثم ينتقل الشاعر إلى روي آخر ليفعل ما فعل مع الروي الأول أو ما يقارب ذلك" . أحمد المعداوي ، البنية الإيقاعية الجديدة للشعر العربي

المعاصر ، مجلة الوحدة ، الرباط ، عدد ٨٢ - ٨٣ ، سنة ١٩٩١م ، ص ٧٣ .

المتغيرة ، وذلك يرجع لطبيعة التجربة والحالة النفسية والشعورية للشاعر ، ومن أمثلة ذلك قول سميح القاسم^(١) :

تقدّموا تقدّموا !
كلُّ سماءٍ فوقكمُ جهنّمُ
وكلُّ أرضٍ تحتكمُ جهنّمُ
تقدّموا
يموتُ منّا الطفلُ والشيخُ
ولا يستسلمُ
وتسقطُ الأمُّ على أبنائها القتلى
ولا تستسلمُ
تقدّموا
بناقلاتِ جنديكمُ
وراجماتِ حقدكمُ
وهددوا
وشردوا
ويتموا
وهدموا
لنْ تكسروا أعمّاقنا
لنْ تهزموا أشواقنا
نحنُ قضاءٌ مُبرّمُ
...تقدّموا
يصيحُ كلُّ حجرٍ مُغتصبٍ
تصرخُ كلُّ ساحةٍ من غضبٍ
يضجُّ كلُّ عصبٍ :
الموتُ .. لا الركوعُ
موتٌ .. ولا ركوعٌ !!

حققت القافية في القصيدة إيقاعاً موسيقياً كما وظف الشاعر حرف الميم للدلالة على القوة وانتصار الحق على الباطل مهما طال الظلم . وكذلك تكرر بعض الحروف والألفاظ مما

¹ - القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، المجلد الثالث ، ص 405-411 .

أضفى على المعنى وضوحاً وتأكيداً للمعنى الذي يريده الشاعر . ومن أنماط القافية الحرة المتغيرة :

١ - القافية المتتالية :

" قافية واحدة تأتي بروي موحد في عدة أسطر من القصيدة ، يتعانق في الروي مع مثيله بشكل ينبه المتلقي ، وليست كالقافية العمودية المحكومة بالبيت الشعري ، فطول وقصر التفعيلة مع ورود نفس القافية يثير الاندهاش والانشداد . ويرجع ذلك إلى وجود لون موحد من الموسيقى وسط غابة متشابكة من الألوان" (١) . ومن أمثلة ذلك في أشعار الشخصية الإسلامية قول عبد الناصر صالح(٢) :

فِي الْبَدْءِ قَدْ كَانَ الْحَجْرُ
بَيْتًا ، إِلَهًا لِلْعِبَادَةِ .
وَالْيَوْمُ قَدْ صَارَ الْحَجْرُ
رَمَزًا لِتَحْقِيقِ السِّيَادَةِ .
طَيْرٌ أَبَابِيلٌ يَطِيرُ كَمَا الْحَمَامُ
وَحَجَارَةٌ السَّجِيلُ تَسْقُطُ كَالسِّهَامُ
حَجْرٌ سَيَّبِنِي دَوْلَةً
وَيُزِيلُ أَنْقَاصَ الْخِيَامِ
حَجْرٌ سَيُنْقَلُ أُمَّةً
لِلنُّورِ
بَعْدَ وُلُوجِهَا عَصَرَ الظَّلَامِ

جاءت القوافي المتقاطعة (السهم ، دولة) و(الخيام ، أمة) لتحدث التنغيم الصوتي المعبر عن جو الشاعر النفسي . ومن ذلك أيضاً قول الشاعر(٣) :

عِيُونَ الْمَهَا أَرْجَعْتِكُ لَهَا
أَمْ رَمَاكَ الْهَوَى مُنْذُ عُلَّقْتَهَا
ثَلَاثُونَ عَامًا .. وَكُلُّ الْجِرَاحِ
وَكَلُّ الرَّمَاحِ النَّوَاهِلِ مِنْكَ
وَمَا زَالَتْ تَحِيَا عَلَى عَهْدِهَا
ثَلَاثُونَ عَامًا ..

1 - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ١٩٦٧م - ٢٠٠١م ، ص ٤٦٠ .

2 - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86 - 90 .

3 - انظر : عبد الكريم السباعوي ، ديوان : متى ترك القطا ، قصيدة "عيون المهة" ، ص 116 - 120 .

هرمت .. انحنيت ..
فزادت صبا وغوى .. ودلت عليك
كأنك بالأمس فارقتها
...وها نحن عدنا معاً
هذه غزوة الملتقى والعناق
... فغزة أول عمري ..
وغزة آخر عمري ..
وغزة لي .. سدرة المنتهى

نوع الشاعر في قافيته ، فالملاحظ أن القافية لم تقتصر على نهاية الشطرة ، بل إنها انتشرت في جسد النص متغلغلة فيه ، فالقافية في الشطرة الأولى كانت (المها - لها) وقافية أخرى في نهاية السطر الثالث وأول السطر الرابع (وكل الجراح ، وكل الرماح) ، وقافية أخرى في وسط السطر الثاني ووسط السطر الثامن ووسط السطر الحادي عشر ونهاية السطر الأخير (الهُوى - غوى - الملتقى - المنتهى) ، ولم أتطرق هنا للقافية في نهاية السطر وهي جزء من الموسيقى ولكنني التفت إلى تغيير في مكان القافية "حيث يصبح التكرير خصيصة نصية أحد عناصرها بالطبع القافية المبنوثة في كل جسد النص الشعري" (١) ، وهذا التكرير لا يأتي بعيداً عن الجو النفسي للشاعر جراء عودته لأرض الوطن ، فهي العودة النهائية أم لا . فلم تقف حدود الموسيقى عن قافية في نهاية السطر ، وإنما تجاوزت معها قوافي أخرى كثيرة داخل النص ، وكأن صوت الشاعر هو صوت المجتمع كله الذي توحد معه في حق العودة للوطن .

٢ - القافية المحورية :

وفي هذا النظام يبني الشاعر قصيدته على قافية أساسية أو أكثر تكون محور القصيدة ، وتكرر طوال القصيدة ، وإلى جانب هذه القافية المحورية توجد مجموعة من القوافي الفرعية تتردد في بعض المقاطع ، بينما تتردد القافية المحورية طوال القصيدة . وفيها من التنغيم الصوتي ما يشبه اللازمة الموسيقية ، ولكن يبقى انشداد المتلقي قائماً للقافية المحورية . ومن شواهد القصائد ذات القافية المتنوعة بغير انتظام ، والمتغيرة على طريق القافية المحورية الأساسية ، قول الشاعر معاذ الحنفي (٢) :

¹ - محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، بنياته وإبدالاتها ، ط ١ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ١٩٩٠م ، ص ١٤٥ .

² - معاذ الحنفي ، أعلق في ليلك الليلك ، ص ٧١ .

نهرٌ بألوان السفرجلُ
لون يقرر أن يغير لونه الوردي
في لون حزين
لون يضاها في بريق الموت
ألوان السنين
لون تأجل
لون سيأتي بعد حين
للقابعين على جدار النهر في تاريخنا
موت ومرجل
وأنا هنا طيرٌ يراوح في القفص
جنية لا تعرف البكاء تعطيني القمص
الصمت ، والوادي المذهب
سوف يخجل
نهرٌ بألوان السفرجلُ

يوصل الشاعر القصيدة الممتدة على مساحة ثلاث صفحات ، حيث يترك المتلقي منتظراً
القافية التي بدأت تشق جدار وجدانه وتتفد للقلب .

لقد تمثلت القافية المحورية بحرف الروي (اللام) فجاء موزعاً كالتالي (السفرجلُ -
تأجلُ - مرجلُ - يخجلُ - السفرجلُ) تسكين القافية هنا يشير إلى الحزم . والتصميم على ما
تجيش به مشاعره من إرادة وصمود ومواجهة مع تكرار ذات القافية المحورية ، وما بين
قافية محورية وأخرى جاءت القوافي الثانوية موزعة على هذا النحو : (حزين ، السنين ،
حين) - (تاريخنا ، هنا) - (قفص ، قصص) .

رغم ما تثيره القافية المتغيرة من وجدان انفعالي يترافق مع حالة الشاعر الأسير وحنه
وتوجهه على العمر ، إلا أن القافية المحورية وهي تنطق بعميق المأساة والتي من خلالها
يسعى الشاعر لتذكير المتلقي بالأساس ، فالقافية المتغيرة تحكي المتغيرات السريعة والقافية
المحورية الأساسية تردنا إلى الجذور والأسباب التي كانت وراء الأحداث المتغيرة ، وكأن
أساس الصراع مع بني صهيون وجذوره لا تقف عند حدود اللحظة من قصف وسجن وقتل ،
إنها أعمق من ذلك . إنه صراع البقاء (١) .

¹ - انظر : فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ١٩٦٧م - ٢٠٠١م ، ص ٤٥٨ .

٣ - القافية المتشابهة :

وفي هذا النظام تتقاطع القوافي وتتشابك وتتداخل ، بحيث يترك الشاعر القافية إلى قافية أخرى ، ثم يعود للأولى ، وربما يستعمل قافية ثالثة قبل أن يعود ، وقد يستعمل الشاعر قافيتين يراوح بينهما بغير انتظام ثم يتركهما إلى قافيتين أخريين وهكذا ، وقد يستخدم الشاعر ثلاث قواف أو أربع يظل يراوح بينهما على طريق التشابك (١) .

والأمثلة على هذا النمط من القوافي كثيرة ، منها قول الشاعر (٢) :

وَدَعْتَنِي وَاسْتَدَارَتْ وَالضَّفِيرَةَ فَوْقَ ظِلِّي
لَنْ أُصَلِّيَ كَيْ تَظَلِّيَ
فِي مَكَانِ الْإِنْفِجَارِ
لَا عَلَيْكَ
أَلْفُ قَبْلِكَ
أَلْفُ بَعْدِكَ
لَيْسَ مَعْنَاكَ انْتِحَارُ
لَا تَظَلِّيَ مِنْ شَبَابِيكَ السَّفَرُ
مَاتَ إِحْسَاسُ الْقَطَارِ
وَأَنْتَهَتْ أَحْلَى الْمَشَاهِدِ وَالصُّورُ
سَالَ بَيْنَنَا السَّتَارُ
وَدَّعَيْنِي يَا قَمْرُ
أَنْتِ لَسْتِ الْإِنْتِظَارُ
لَسْتِ أَوْلَّ قَافِلَهُ
لَسْتِ آخِرَ رَاحِلَهُ
أَلْفُ قَبْلِكَ
أَلْفُ بَعْدِكَ
لَيْسَ مَعْنَاكَ انْتِحَارُ

فلو تأملنا القطعة السابقة لوجدنا شواهد القافية المتشابهة ماثلة في (ظلي - تظلي) ، و(انفجار - انتحار - القطار - الستار - الانتظار) ، و(قبلك - بعدك) ، و(السفر - الصور - قمر) ، و(قافله - راحله) ، فقد تشابكت القوافي مع بعضها لتكون نغمة ولازمة موسيقية اتبعها

١ - مؤتمر الشهيد أحمد ياسين ، الجامعة الإسلامية - غزة ، كلية الآداب ، ص ٣٥٨ .

٢ - أنور شما ، ديوان "القمر" ، ص 77 - 78 .

الشاعر لتضفي جمالا على النص الشعري ، ولتوضح المرامي التي يرمي إليها من وراء هذه اللازمة الموسيقية .

وهكذا فشعر الشخصية الإسلامية مليء بثتى أنماط القوافي ، وقد مثلنا على كل نمط بمثال على سبيل الاستشهاد ، للتعريف بتلك القوافي ووظائفها .

ثانياً : الموسيقى الداخلية :

أ - الموسيقى الداخلية في القصيدة العمودية :

ويمكن تتبع أهم ظواهر الموسيقى الداخلية في القصيدة العمودية لشعراء الشخصية الإسلامية لمعرفة وسائل الشعراء الفلسطينيين التي استخدموها لتحقيق الجرس الموسيقي في قصائدهم .

١ - التصريع :

جعله النقاد القدامى من نعوت القوافي واشترطوا فيها أن تكون عذبة الحروف سلسلة المخرج ، واستحسنوا في التصريع ما كان في أول القصائد ليميز بين الابتداء وغيره ، ويفهم قبل تمام البيت روي القصيدة وقافيتها^(١) ، ويعرف ابن رشيق القيرواني التصريع بأنه : "ما كانت عروض البيت تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"^(٢) ، وهو مأخوذ من "مصراعي الباب ، ولذلك قيل لنصف البيت (مصراع) كأنه باب القصيدة ومدخلها .. ، وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر ، وربما صرع الشاعر في غير الابتداء ، وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرعوا في غير موضع تصريع ، وهو دليل على قوة الطبع ، وكثرة المادة إلا أنه إذا كثر في القصيدة دل على التكلف "^(٣) ، وجعله ابن الأثير في مراتب^(٤) :

- المرتبة الأولى : أعلى التصريع درجة ، وهي أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً في فهم معناه ، غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه ، ويسمى التصريع الكامل . ومن أمثلته في الشعر موضوع الدراسة قول الرنتيسي^(٥) :

أحيوا ضمائركم أما بقيت ضمائر؟! فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر

¹ - قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص ٨٦ . وابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده (د.ت) ، ١٨٠ .

² - العمدة ١ / ١٧٣ .

³ - نفسه ١ / ١٧٤ .

⁴ - ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، ١١٨ وما بعدها .

⁵ - ديوان حديث النفس ، قصيدة التحدي ، ص 69-70 .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر سليم الزعنون في بكاء محمد الدرة^(١) :

يا مَنْ دَخَلْتَ المَجْدَ مِنْ أَبْوَابِهِ وَالكُلُّ مَلْتَمَسٌ خَضِيبٌ ثِيَابِهِ

وكذلك قوله في مدح رسولنا عليه الصلاة والسلام^(٢) :

والشَّمْسُ يَا بِي وَضَعَهَا بِيَمِينِهِ وَالْبَدْرُ يَا بِي وَضَعَهُ بِشِمَالِهِ

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر أحمد الريفى في رثاء عماد عقل^(٣) :

لَيْسَ فِي مَبْدَأِ الجِهَادِ اجْتِهَادٌ مَنْ يَجِدُ بِالدَّمَاءِ فَهُوَ الجَوَادُ

فَاهْتَفِي يَا زُحُوفُ فِي كُلِّ وَادٍ جَادَ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ عِمَاد

وقوله في مدح الرنتيسي^(٤) :

مِنْ نُورٍ وَجْهَكَ أَشْرَقَ الأَمَلُ وَبِصِدْقِ عَزْمِكَ يُضْرَبُ المَثَلُ

وقول صخر أبو نزار في حب القدس^(٥) :

لَكَ الزَّمَنُ الآتِي وَيَوْمُكَ وَالْأَمْسُ فَأَنْتَ ضَمِيرُ الكَوْنِ وَالذَّهْرُ يَا قُدْسُ

- المرتبة الثانية : أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه غير محتاج إلى الذي يليه ، فإذا

جاء الذي يليه كان مرتبطاً به ، ومن أمثله قول الشهيد عبد العزيز الرنتيسي^(٦) :

يا شِعبِي المِغوارِ دَعِ عَنكَ الكَرَى بَزَعِ النَّهَارِ فَهَلْ تَعُودُ القَهْقَرَى

حيث جاء هذا البيت في أول قصيدة "يا شعبي المغوار" ، وقد أضفى تنغيماً موسيقياً جميلاً .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الشاعر محمد صيام عن الانتفاضة الشعبية^(٧) :

نَفْسِي فدى الجِيلِ الذي رَسَمَتْ حِجَارَتُهُ المَسَارَ

وعلى جِيبِ العُرُوبَةِ أَنْبَتَ إِكْلِيلَ غَارِ

بالدِّينِ بالإِسلامِ لا بالعِجْهِيةِ وهي عارٌ

جَرَّتْ على العُربِ التَّرْدِي والتَقَهْقَرِ والدَّمَارِ

1 - ديوان وهكذا نطق الحجر ، ص 66 .

2 - ديوان وهكذا .. نطق الحجر ، ص 22 .

3 - ديوان مواجهات 1 ، ط 1 ، ص 20- 21 .

4 - مواجهات 1 ، ص 12- 13 .

5 - صخر أبو نزار ، ديوان "تشيد الحجر" ، مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع ، (ب.ت) ، ص 55- 58 .

6 - السابق ، قصيدة "شعبي المغوار" ، ص 15 .

7 - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، ص 301- 302 .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول محمد صيام ناصحاً الأمهات المسلمات (١) :
رَبِّي وَلِيْدِكَ وَفَقِ الدِّينِ رَبِّيهِ
فَالدِّينُ مِنْ سَفْهِ الْإِحَادِ يَحْمِيهِ
وقول الشاعر إبراهيم قراعين (٢) :

أنا يا عروبة أشتهي أن تُقلعي
عين العدا يوماً وأن تتجمعي

- المرتبة الثالثة : أن يكون الشاعر مخيراً في وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريح الموجه ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر (٣) :

مَادَا أَقُولُ وَمَادَا يُسَطِّرُ الْقَلَمُ
لَا حَبْرُ عِنْدِي وَلَا دَمْعٌ وَلَا حَلْمٌ

ولم يكتف بعض الشعراء بالتصريح في مقدمات قصائدهم ، بل نراهم يميلون إلى التصريح داخل القصائد ، مثل قول الشاعر (٤) :

نَادَيْتُ صَحْبِي وَخَلَّيْتُ جَمِيعَهُمْ
فَمَا وَجَدْتُ أَعَزَّ النَّاسِ بَيْنَهُمْ

ومن ذلك أيضاً قول الشهيد الرنتيسي حاثاً العراق على الجهاد والوقوف في وجه الغزو الأمريكي (٥) :

ارْفَعْ لَوَاءَ الدِّينِ فِي كُلِّ الْبِلَادِ
وَاصدَعْ بِهَا يَا قَوْمُ حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ

وقد اختلف النقاد حول هذا النوع من التصريح الذي يرد في داخل القصيدة وليس في مطلعها ، ففي حين عدّه ابن رشيق مستكرهاً إذا أكثر منه الشاعر ، يرى بعض الباحثين "أن تكرار التصريح في موضع آخر من القصيدة قد يكون بمثابة التنبيه لأذن السامع ، حيث يستحثه هذا التكرار الموسيقي على الإصغاء إلى ما يستمع إليه ، وبالتالي يرتقي إلى حالة راقية من الطرب والنشوة ، فضلاً عن تأمله للمعاني التي يتلقاها" (٦).

٢ - الجناس : هو ظاهرة موسيقية تعطي اللفظ رونقاً وجاذبية والمعنى عمقاً ، وقد جعل ابن الأثير حدّه : "أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً" (٧) ، وهو يحقق أثراً موسيقياً من خلال الانسجام الحادث بين اللفظين ، لما فيهما من تشابه في الوزن والصوت .

١ - انظر جريدة الرسالة ، ع، 27 مارس 1997 م ، ص 14 ، قصيدة : إلى الأمهات المسلمات .

٢ - إبراهيم قراعين ، ديوان "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ص 78-79 .

٣ - عمر خليل عمر ، ديوان "سنظل ندعوه الوطن" ، ص 97-98 .

٤ - السابق ، ص 97-98 .

٥ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 76 .

٦ - آمال إبراهيم بسيوني ، شعر الخبز أرزي ، دراسة فنية ونقدية ، ص ١٨٦ .

٧ - ابن الأثير ، المثل السائر ، ط ٢ ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة

١٩٧٣ م ، ١ / ٢٦٢ .

والجناس لون من ألوان البديع ، وينقسم الجناس إلى نوعين هما "تام وهو : ما اتفقت فيه الكلمتان المتجانستان في عدد الحروف ونوعها وهيئتها وتركيبها ، وناقص وهو : ما اختلفت فيه اللفظتان في أمر من الأمور الأربعة السابقة"^(١) .

وقد استخدم شعراء الشخصية الإسلامية الجناس بنوعيه في قصائدهم ، فمن الجناس التام قول سليم الزعنون في رثاء أبي جهاد^(٢) :

هذي الحياةُ بكتْ عليه بحرقَةٍ وهو الذي وهبَ الحياةَ جميلاً

لفظة "الحياة" الأولى تعني الناس والشعب ، والثانية تعني الدنيا ومتاعها ، وقد أحدث ذلك نغمة موسيقية جميلة ، إضافة إلى أثره في المعنى .

ومن الجناس التام أيضاً قول الشاعر محمد صيام في رثاء عبد الله عزام^(٣) :

وَالنَّفُوسُ الْمُصَابُ هَزَّ قُورَاهَا وَأَصَابَ النَّفُوسَ خَطْبٌ جَلِيلٌ

فالنفوس الأولى تعني المجاهدين الذين يقاتلون بجواره ، والنفوس الثانية تشير إلى القلوب والمشاعر ، وقد أكسب هذا الجناس المعنى جمالا ، وأحدث إيقاعاً موسيقياً وجرساً يسترعي الانتباه .

ومن الجناس التام قول سليم الزعنون في الغزل^(٤) :

يَأْبَى الْجَمَالَ عَلَى الْجَمَالِ تَرْفَعًا تَتَزَيَّنُ الْحَسَنَاءُ بِالْحَسَنَاءِ

الجمال الأولى تشير إلى زوجة الشاعر ، وتشير الثانية إلى الصفات الجميلة من رقة وعذوبة، وكذلك الأمر في الحسنة ، الأولى التي تشير إلى زوجته ، والثانية إلى الأخلاق والصفات السلوكية الجميلة ، وفي هذا الجناس عذوبة وموسيقى جميلة أضفت على المعنى قوة وورصانة ، وأثارت لدى المتلقي التأمل والتفكير في المعاني .

ومن الجناس الناقص في أشعار الشخصية الإسلامية قول الشاعر عن نساء فلسطين

الماجدات^(٥) :

أُسْطُورَةُ الْمَجْدِ ، مَا جَادَ الزَّمَانُ بِمَا جَادَتْ بِهِ طِفْلَةٌ فِي كَفِّهَا حَجْرٌ

الجناس بين كلمتي (جاد - جادت) حيث جمع الشاعر بينهما بصورة تدل على التناقض بعد نفي الأولى ، ليترك أثراً طيباً عند المتلقي ، ولتتضح الصورة أمامه بصورة موسيقية جميلة .

1 - المصدر السابق ، ١ / ٢٦٣ ، وما بعدها .

2 - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 61 - 67 ، وانظر ديوان "نجوم في السماء" ، 45 - 53 .

3 - السابق ، ص 38 - 40 .

4 - ديوان "يا أمة القدس" ، ص 160 - 162 .

5 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 9 .

ومن الجناس الناقص قول الشاعر في أبطال جنين ، الذين ضحوا بدمائهم^(١) :

حَقِلَ الملائكة الكرامُ بعِرسِكُم فهِناكَ أَطيبُ للكَريمِ وأَكرَمُ
فنجد الجناس في البيت بين ألفاظ : "الكرام - الكريم - أكرم" ، اختلاف وزيادة بين الألفاظ في أكثر من حرف ، وفي ذلك أحدث جرساً موسيقياً جميلاً ، يقصد منه التنبيه لجزاء هؤلاء الشهداء ، فهم عند الكريم مكرمين ، وهم عند الملائكة الكرام محتفى بهم .
وفي مناداته للعرب ، ومناشدته لهم بعدم الخنوع والذلة والانكسار للمحتلين يقول الرنتيسي^(٢) :

عودوا إلى آثارنا آبارنا جئاتنا الغناء في " مرج بن عامر "
هنا جناس ناقص بين : "آثارنا - آبارنا" اختلاف بين حرفين في الصفة والمخرج ، فالثناء صوت رخو مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان ، ومخرجه طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، أما الباء فهو صوت شديد مجهور وهو من الأصوات الشفوية ، أي مخرجه الشفتان . فهذا التناقض بين الحرفين في الصفة والمخرج إيقاعاً موسيقياً عند المتلقي يوضح المعنى ويكسبه قوة .

ومن الجناس الناقص قول الشاعر أحمد الربفي في رثاء عماد عقل^(٣) :

ليسَ في مَبْدَأِ الجهادِ اجْتِهادُ مَنْ يَجِدُ بِالدِّماءِ فَهُوَ الجِوادُ
فاهتَفِي يا زُحوفُ في كُلِّ وادٍ جِادَ بالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ عِماد
فنجد "الجهاد - اجتهاد" ، و "يجد - الجواد" ، و "النفس - النفيس" كلها جناس ناقص ، حيث جمع الشاعر بينها ليحدث زلزلة في المشاعر ، ويوضح مدى المصاب الجلل الذي أصاب الأمة الإسلامية في فقد رمز من رموز المقاومة الإسلامية .

إلى غير ذلك من شواهد الجناس التي لم نسع لحصرها ، والتي تبين مدى الترابط بين الألفاظ والتواصل بينها ، مما يعطي نغمة موسيقية تستحوذ على الأذان ، وتحفز العقول للتفكير بمعانيها ، كما يظهر قدرة الشاعر على التقنن في التشكيل بما يكون نغماً موسيقياً مؤثراً في السامع أو المتلقي .

¹ - المركز الفلسطيني للإعلام . على شبكة الإنترنت .

² - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : حديث النفس ، قصيدة : التحدي : ص 69-70 .

³ - أحمد الربفي ، ديوان : " مواجهات 1 " ، ص 20-21 .

٣ - التكرار :

- نغم التكرار الصوتي ودلالته :

لاشك أن إحساس الشاعر بالقيمة الإيقاعية لتنوع درجات الصوت على مستوى الكلمة هو المعيار النغمي الذي يخلق توازيات صوتية متناسبة داخل السطر الشعري ، ويزداد التوهج الشعري الإيقاعي عندما تتلاءم هذه الأصوات - الحروف - مع روى الوقفات العروضية أو الدلالية وتنسق مع حالات النفس المتموجة .

إن الخصائص الموسيقية للصوت اللغوي ليس لها قيمة بمعزل عن السياق الدلالي للنص الشعري ، والشاعر عندما يشكل الأصوات في إطار علاقاتها التركيبية نحواً وصرفاً ودلالة يتجاوز بها النسق التعبيري المباشر إلى جماليات التشكيلات الإيقاعية الإشارية الموحية التي تشغل حيزاً زمنياً منسجماً متناسقاً ، فيكتسي الصوت بأردية الدلالة ، ويتحلى بمتعة الموسيقى الجميلة^(١) .

ومن أمثلة تكرار الحروف قول الرنتيسي^(٢):

يا شعبي المغوار دَعْ عنكَ الكرى	بَزَغَ النَّهَارُ فَهَلْ تَعُودُ الْقَهْقَرَى
إِنَّ الشُّعُوبَ إِذَا تَرَاهَا اسْتَيْقَظَتْ	رَعَمَتْ أُنُوفُ الظَّالِمِينَ إِلَى الثَّرَى
فَالشُّعْبُ طُوفَانٌ يَدُكَ عُرُوشَهُمْ	وَالشُّعْبُ زَلْزَالٌ إِذَا يَوْمًا حَرَى
وَالشُّعْبُ بِالْإِيمَانِ طَوْدٌ شَامِخٌ	وَالشُّعْبُ بِالْقُرْآنِ يِقْتَحِمُ الذَّرَا
نَمْ وَاكْسِرْ الْأَغْلَالَ يَا ابْنَ عَقِيدَتِي	عِنْدَ الصَّبَاحِ سِيحَمُ الْقَوْمِ السَّرَى

يلاحظ في الأبيات السابقة تكرار عدة حروف ذات صفات صوتية متميزة ؛ وقد أضاف تكرارها الملموس بعداً إيقاعياً ملفتاً يثري الإحساس بالدلالة ، من ذلك تكرار الحروف المجهورة الانفجارية ، والحروف الصامتة المهموسة ، إذ تكرر حرف العين اثنتا عشرة مرة ، وهو من الأصوات الحلقية ، صوت رخو مجهور مخرجه وسط الحلق ، وكذلك تكرار حرف الشين ، وهو صوت صامت مهموس ومخرجه النقاء وسط اللسان أو طرفه بوسط الحنك الأعلى ، وتكرار حرف الباء ، وهو صوت شديد مجهور ، ومخرجه الشفتان . والنقاء أصوات الشين مع العين مع الباء في دال "الشعب" قد خلق إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، يشيع في ثنايا الأبيات ، وخاصة مع تكرار كلمة الشعب وما انشق عنها في بداية الأبيات ، ليؤكد

¹ - د. عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٢٤٥ .

² - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، قصيدة : "شعبي المغوار" ، ص 15.

المعنى ، ويلفت به الانتباه إلى شعبنا الفلسطيني باتخاذ الإسلام منهجاً وطريقاً للتحرير ، بالإضافة إلى النغمة الموسيقية التي أثارها الكلمة في تكرارها ، ورغبة الشاعر في التأكيد عليها .

وكذلك تكرار حرف الراء في قول الشاعر(١) :

نَفْسِي فِدَى الْجَيْلِ الَّذِي رَسَمَتْ حَجَارَتَهُ الْمَسَارَ وَعَلَى جَبِينِ الْعُرُوبَةِ أَنْبَتَتْ إِكْلِيلَ غَارِ
بِالَّذِينَ بِالْإِسْلَامِ لَا بِالْعَنْجَبِيَّةِ وَهِيَ عَارٌ جَرَّتْ عَلَى الْعَرَبِ التَّرْدِيَّ وَالتَّقَهْقَرَ وَالدَّمَارُ

فبتكرار الحرف إحدى عشرة مرة في دوال : "الحجارة ، المسار ، العروبة ، غار ، عار ، العرب ، الترددي ، التقهقر ، الدمار" ، وفي الأفعال "رسمت ، جرت" ، كلها كلمات توفرت على حرف الراء بكل ما يتميز به هذا الحرف من رنين وجرس يثيران أذن المتلقي ، أيضاً تكرار هذا الحرف يؤدي إلى حسن توزيع الصوت في النص ، ويحدث إيقاعاً موسيقياً بين الكلمات ، مما يسبغ على النص موسيقى ظاهرة تتسجم مع لهفة الشاعر الواضحة تجاه وطنه وأهله وجيل الحجارة الذي اتخذ من الحجارة سلاحاً ومن الإسلام منهجاً يسير عليه . ويؤكد الأثر الصوتي للجناس بين كلمتي "غار - عار" العفوية التي تضي جمالاً على موسيقى الشعر(٢) .

ومن أمثلة تكرار الحروف ، قول سليم الزعنون(٣):

لا.. لا.. لمؤتمرٍ يبيعُ ويشترِي شعباً .. نمتهُ .. كرائمِ الأوطانِ
لا.. لا.. لمؤتمرٍ يبيعُ ولم يكن وطنٌ يسامُ بأبخسِ الأثمانِ
لا.. لا.. لمؤتمرٍ يغيبُ فُدسنا فالموتُ أقربُ من جديدِ هوانِ

تكرار حرف النفي "لا" المكون من اللام مع الألف ست مرات ، واللام هو صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ومجهور أيضاً ، ومخرجه اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، وهذا الحرف باتصاله مع الألف ، وتكراره في أول الأبيات السابقة يحدث أثراً في نفس المتلقي بهذا الامتداد المناسب للموقف الشعري ، ولموقف الشاعر من مؤتمر مدريد ، وهو رجل سياسي يرفض هذا المؤتمر الذي يبيع ويشترى - وفي هذا تضاد يؤكد المعنى ويثريه - بالشعب الفلسطيني ، أيضاً جاء تكرار الدال "مؤتمر" ثلاث مرات مع "لا" لتكتمل حلقة الإيقاع الناشئ من توازي الأصوات وتوزيعها بعناية على الأبيات . وفي الأبيات السابقة أيضاً تكرار ألف المد التي يليها حرف النون ، ليختم بها النص ويستحضر دوال "الأوطان - الأثمان - هوان"

1 - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم الشيخ أحمد القطان ، ص 301 - 302 .

2 - وحرف الراء هو صوت مكرر من الأصوات المجهورة أي قوي ، ومتوسط بين الشدة والرخاوة ، ومخرجه طرف اللسان ملتقياً بحافة الحنك الأعلى . د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 66 .

3 - سليم الزعنون ، ديوان "يا أمة القدس" ص 118 .

مرتبة كما يريد الشاعر ، فبيع الأوطان يأتي بالأثمان ، والأثمان هي دلالة على الهوان والضعف .

ومن أمثلة ذلك أيضاً (١):

...يا قدسُ ياخير أرضِ اللهِ يا وِطْني
يا قدسُ يا أملاً يُرجى ويا شرفاً
فألطهرُ أنتِ وأنتِ الحبُّ في خُلدي
يا أفضلَ الخلقِ يا مَنْ تسكنونَ بها
يا قدسُ فيكَ حُرُوفُ القدسِ نُعلِّمُها
والسينُ فيكَ سلامٌ تمنحِهُ
أعطاكِ ربُّكِ كلَّ الخيرِ والنعمِ
يُفدِي ويا وِطْناً يعلو على القممِ
والعهدُ أنتِ وأنتِ العهدُ في الذممِ
يا خيرَ اسمٍ ويا قُدسيَّةَ النغمِ
فالقافُ قَلْبِي وإنَّ الدالَّ فيكَ دمي
أعْطِي الولاءَ لربِّ الكونِ والنسمِ

في الأبيات السابقة تكرار لبعض الحروف ، فنجد حرف السين يجانس لفظاً دالاً ، ومرتكزاً للنص وهو "القدس" ، ويتكرر هذا الحرف في الكلمات (تسكنون ، اسم ، قدسية ، السين ، سلام ، النسم) متجانسة مع دال القدس ، الذي يشكل بؤرة النص الدلالية وبؤرة الحالة الفلسطينية ، فتكرار هذا الحرف خلق إيقاعاً جميلاً يلائم رقة الألفاظ السابقة المحتوية لصوت السين ، وقد صنع كل ذلك نسفاً لحنياً متوازياً وكلياً .

وما يثير الانتباه في المقطع الشعري السابق تكرار بعض الفونيمات مثل : القاف ، والفاء ، والطاء ، والميم ، إذ أن اللعب بمثل هذه الأصوات يولد أنغاماً خفية في القصيدة بالإضافة إلى كونه يزيد الإيقاع الداخلي ثراءً وغنى . إذ جاءت هذه الحروف لتشكل مع السين إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، ووضوحاً في المعنى ، فالقاف صوت شديد مهموس ومخرجه أقصى الحنك ، فهو النقي مع السين في صفة الهمس ، وصوت الفاء رخو مهموس فهو مثل السين ، وبذلك يحدث موسيقى إيقاعية جميلة ، والطاء شديد مهموس ، ويتخذ مع اللسان شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ، ويرجع إلى الوراء قليلاً (٢) .. كل هذه الأصوات جاءت لتتنازر مع السين لإحداث نغمة موسيقية جميلة ، وتوضيح المعنى الشعري الذي يريده الشاعر .

- إيقاعية التردد اللفظي :

سلم معظم النقاد المحدثين بمبدأ التكرار وجعلوه "جوهر الخطاب الشعري ، ويكون على مستوى الأصوات ، وعلى مستوى التركيب النحوي ، وفي المعنى" (٣) .

وتعد "يمنى العيد" التكرار من العناصر التي يجري بواسطتها توقيع الموسيقى لأجل تأدية المعنى والدلالة (٤) . وعلى الشاعر الذي يعتمد إلى تكرار ألفاظ أن يحسن توزيعها على

١ - محمد رمضان البع ، ديوان "أناشيد المقاومة" ، ص 56 - 57 .

٢ - د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 61 - 62 .

٣ - شربل داغر ، الشعرية العربية الحديثة ، ط ١ ، دار توبقال للنشر ، البيضاء ١٩٨٨م ، ص ٣٠ .

جسد النص حتى يتذوق النغم ، وأن يجيد دمج اللفظ المتردد في البنية التعبيرية للنص وإلا جاء مبتذلاً .

وقد برزت هذه الظاهرة الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المعاصر نتيجة كثرة الكلمات الدالة في معجم القضية الفلسطينية ، فيرددون منها ما يمس الجرح الغائر في شرايين الوطن المسلوب ، وتتشكل أنساق تعبيرية غنائية تمثلها نصوص شعرائنا التي نقارب بعضها في محاولة لاستكناه الخاصة بالشخصية الإسلامية لمجتمعنا الفلسطيني^(٢) .

ومن أمثلة ذلك : قول الشاعر هارون رشيد^(٣):

أسطورةُ المجد ، ما جَادَ الزمانُ بما جَادَت بهِ طفلةٌ في كفِّها حجرُ
أسطورةُ المجدِ ، ما الخنساءُ صابرةٌ فَعَدْنَا أَلْفَ خنساءٍ لها أثرُ
فَهَلْ رأيتُم نساءً مثلَ نسوتنا في كلِّ ما خَلَدَ الكُتَابُ أو ذَكَرُوا

لقد أدرك شاعرنا بإحساسه المتميز بالنغم قيمة ترديد الدال الذي يلح عليه ، ألا وهو "أسطورة المجد" المرأة الفلسطينية التي شاركت في الجهاد ، وأضاف إليها تكرار "الخنساء" ليؤكد ما يرمي إليه ليحدث تناغماً موسيقياً جميلاً يدركه المتلقي جلياً ، حيث تغيرت الحالة الإعرابية لكلمة الخنساء فمرة جاءت مرفوعة ، وأخرى مجرورة ليهب بنية الإيقاع حيوية وعمقاً دلاليًا ، وكذلك تكرار (نساء - نسوتنا) ليؤكد المعنى الذي يريده ، ويحدث إيقاعاً موسيقياً .

وفي قصيدة أخرى يقول الشهيد الرنتيسي في رفض ذل وخنوع الزعامات العربية ، وإرشادهم إلى سبل تصحيح المسار حتى ترفع راية الإسلام عالية خفاقة^(٤) :

أحيوا ضمائرکم أما بقيت ضمائر؟! فتجارةُ الأوطانِ من كبرى الكبائرُ
عودوا إلى أطفالِ غزةِ تسمعُوا عن مولدِ الإصباحِ من رَحْمِ الدِّيَاجِرِ
عودوا إلى القسَّامِ يسلخُ من ظلامِ الليلِ بالأكفانِ مجداً للأواخرِ
عودوا إلى المشلولِ ياسينَ العُلا بحماسةٍ دارت على البغيِ الدوائرُ
عودوا إلى الخنساءِ تكظم غيظها لتثور بركاننا يزلزل كل خائر
لجبالنا الشماء ترفع هامها لمروجنا الخضراء تنتظر الحرائر
عودوا إلى آثارنا آبارنا جناتنا الغناء في " مرج بن عامر "
عودوا إلى الرشاش تحضنه اللحى بخنادق الإخوان تزهو صور باهر

1 - يمني العيد ، في معرفة النص ، ط ٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٥م ، ص ٩٨ .

2 - د. عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٢٥٧ .

3 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 9 .

4 - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 69-70 .

عودوا إلى يبننا إلى يافا إلى
 للمجدل " المحزون يسكب في الدجى
 عودوا إلى مرج الزهور لتعلموا
 فلمن فلسطين الرباط؟ ومن له الـ
 ببيسان ترقب من يزف له البشائر
 عبراته الحرى على أطلال " عاقر "
 أن المبادئ لا تنزل لى مكابر
 مسرى؟ وحتى النصر أين؟ وأين ثائر

لقد تردد فعل الأمر "عودوا إلى" في بداية الأبيات السابقة على التوالي ، مشكلاً بعدها جملاً شعرياً تتجانس تركيبياً وتنغيمياً وتتماثل عروضياً ، وقد ألح الشاعر على تكرار وترديد (عودوا إلى) ليرسخ إحياءها ومدلولها في ذهن القارئ ، فأحدث ذلك توالياً نغمياً وانسياباً لحنياً ، وتعدداً في الدلالة ، إذ أشار إلى دوال هامة مثل : (أطفال غزة ، القسام ، المشلول ياسين ، الخنساء ، الآثار والآبار ، الرشاش ، قرى فلسطينية ، مرج الزهور) ، وكلها دوال تآزرت والتحمت لتحدث نغماً موسيقياً مع دلالة واضحة للمعنى ، وإشارات تنبيهية للمتلقى على تلك الدوال لاتخاذها نبراساً وقدوة ، محققاً بذلك التوازن الدلالي ، والتوازن اللحني .

وفي موضع آخر يردد الرنتيسي كلمة "الأقصى" ثم "القدس" فيقول^(١) :

ولست اليومَ والمسرى وحيدةً فهذا الجيلُ قد ألقى قيوده
 على أسوارك الشماء قاموا لتبقى فُبةً الأقصى فريدةً
 تفيضُ دماؤهم نوراً ومسكاً شبابُ أسعدِ الأقصى وروده
 وطوبى للذي في الله يهدي إلى الأقصى بلا جزعٍ وريده
 وهل يشري ديارَ القدس ظلماً سوى من خانَ عن غدرٍ جدوده
 ولاةَ الأمر لا تنسوا بأننا وعدنا القدسَ أن نحيا أسوده
 فلن نرضى بغيرِ القدسِ داراً ولن نرضى لكفرٍ أن يسوده

هذا التردد ليؤكد تمسك الشاعر بالهوية الإسلامية ، والانتماء للقدس والمسجد الأقصى المبارك ، ويجسد عشقه للوطن ، وهذا التردد أضفى إيقاعاً نغمياً ، وخلق اتساقاً شعورياً للأقصى ليرسخ كينونتها الإيحائية في ذهن المتلقي .

وفي مدح (حماس) يقول الشاعر خالد أبو العميرين أحد شعراء الدعوة الإسلامية^(٢) :

وحماسُ وأعرباهُ تصنعُ فجرنا في الخافقين ، فهل لها أنصار
 وحماسُ " للتبليغ " منبرُ دعوةٍ يرتادها الأحبابُ والأطهار
 وحماسُ " للسلفي " منهجُ أحمدٍ كل السرايا " للجهاد " تُثار
 وحماسُ عِزْمَةٌ وسعدٌ جيشُها وابنُ الوليدِ وخلفه عمار

¹ - المرجع السابق ، ص 64- 65 .

² - أحمد بن يوسف ، أحمد ياسين - الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي ، ص 72 .

وحماسُ في دُنْيَا السجُونِ عَرِينُهَا
هَتَكُوا ظَلَامَ هَزِيمَةٍ فَكَأَنَّمَا
وحماسُ تُضْرَبُ فِي الْقُلُوبِ جُدُورُهَا
وحماسُ يَأْتَلِقُ الْخَلِيلُ بِنُورِهَا
وحماسُ يَا جَمْرَ الْعَقِيدَةِ فِي الْوَعَى
وحماسُ مَلْحَمَةُ الْبَطُولَةِ وَالْفِدَى
أَشْبَاهُهَا الصُّوَامُ وَالْأَخْيَارُ
غَنَّتْ لِمَوْكِبِ زَحْفِهِمْ أَطْيَارُ
لِحْنُ الشَّهَادَةِ لِلْمَدَى قِيثَارُ
وَتَضْوَعُ فِي نَابِلِسْنَا الْأَزْهَارُ
صَبَّي شَوَاطِكُ تُسْتَقَادُ النَّارُ
وَلَهَا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ آثَارُ

لقد تردد الدال (حماس) في بداية كل بيت شعري ، الأمر الذي أدى إلى نماء وتصاد حركة اللحن وعلو رنين اللفظ وهيمنته على جو النص ، وخاصة أن الحالة الإعرابية للدال (حماس) متماثلة ، في محل رفع ، وقد أدى هذا التوازن التركيبي إلى توازن في حركة الدلالة وتناسب في البنية الإيقاعية ، وشكل توالياً في النغم ، أيضاً وجود دوال أخرى في الأبيات مثل : "الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعِكرمةً ، وسعد ، وخالد بن الوليد ، وعمار بن ياسر" ليؤكد على أن نهج حماس هو نهج الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونهج الصحابة الكرام ، الذين انتهجوا نهج الدين الإسلامي ، وهذا مما يوضح المعنى ويؤكد ويضفي جواً نغمياً من الموسيقى الداخلية في الأبيات .

وفي مدح يحيى عياش يقول الرنتيسي^(١) :

عِيَّاشُ شَمْسٍ وَالشَّمُوسُ قَلِيلَةٌ
عِيَّاشُ يَحْيَا فِي الْقُلُوبِ مَجْدَدًا
عِيَّاشُ مَلْحَمَةٌ سَتَذَكُرُ نَظْمَهَا
عِيَّاشُ مَدْرَسَةٌ تَشَعُّ حَضَارَةً
بَشْرُوقَهَا تُهْدِي الْحَيَاةَ إِلَى الْحَيَاةِ
فِيهَا دِمَاءُ الثَّارِ تَعْصَفُ بِالطَّغَاةِ
أَجْيَالُ أُمَّتِنَا كَأَغْلَى الذِّكْرِيَّاتِ
عِيَّاشُ جَامِعَةٌ الْبَطُولَةِ وَالنَّبَاتِ

لقد تردد دال (عياش) خمس مرات في أربع أبيات متتالية ليدل على مكانة هذه الشخصية الجهادية ، وجاءت الحالة الإعرابية متماثلة مما أدى إلى تناسب في الحالة الإيقاعية ، وإلى نغم موسيقي موحٍ ، وقد تكررت في الأبيات كلمات أخرى فجذبت الانتباه ، وعملت على إعلاء النغمة الموسيقية ، مثل : شمس ، الحياة ..

ومن ترديد للكلمات تكرار لفظ "الأم" في قول الشاعر عبد القادر العزة في مدحها^(٢) :

الْأُمُّ شَمْسُ الْكُونِ مُشْرِقَةُ الضُّحَى
الْأُمُّ تَاجُ تَزْدَهِي الدُّنْيَا بِهِ
الْأُمُّ تَقْطُرُ مِنْ مَرَّاشِفِهَا نَدَى
وَالْمَجْدُ فِي أَعْطَافِهَا يَتَأَلَّقُ
صِنُوقَ الْكِرَامَةِ فَوْقَ هَامِ تَنْطِقُ
وَكِرَامَةً... فِي النَّاسِ بِنْدٍ يَخْفِقُ

¹ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، قصيدة (الانطلاقة) ، ص 71 .

² - عبد القادر العزة ، ديوان "شموس الصباح والود القديم" ، ص 145 - 146 .

الأمُّ بُسْتَانُ الْحَيَاةِ وَطَيْبُهُ .. وَعَطَاؤُهَا لِلْعُمْرِ دَوْمًا يُغْدِقُ

رسم الشاعر في الأبيات السابقة لوحة بديعة في مدحه للأم ، وذلك بترديد لفظ الأم مستفتحاً بها الأبيات ، مما يؤكد عشقه للأم ، ويؤكد دورها في الحياة . وفي هذا التردد توالي جميل ، متناسق في توزيعه على مساحة الأبيات .

ومن ترديد الألفاظ أيضاً قول الشاعر سليم الزعنون^(١) :

صَبْرٌ عَلَى صَبْرٍ عَلَى صَبْرٍ وَمَا أَقْتَرَبَ الْمُرَادُ

فتكرار وترديد كلمة "صبر" يضيفي على المعنى تأكيداً ، وفيه إيقاع موسيقي يطرب له السامع والمتلقي ، واختلاف الحالة الإعرابية لكلمة "صبر" يضيفي موسيقى جميلة .

٤ - التصدير (رد العجز عن الصدر) :

وهو لون من ألوان البديع الذي يحدث نغمة موسيقية ملحوظة ، ويقصد به "رد أعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخدام قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصفة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ، ويكسوه رونقاً وديباجة ، ويزيده مائية وطلاوة"^(٢) . وقد قسمه ابن المعتز إلى ثلاثة أصناف :

الأول : ما توافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في شطره الأول .

الثاني : ما توافق آخر كلمة من البيت أول كلمة في نصفه الأول .

الثالث : ما توافق آخر كلمة في البيت بعض ما فيه^(٣) .

ومن أمثلة الصنف الأول قول الشاعر^(٤) :

لأنَّ القُدسَ قد أُسِرَتْ وأهلُ القُدسِ قد أُسِرُوا

حيث جاءت اللفظتان (أسرت - أسروا) متجانستان .

وقول سليم الزعنون في رثاء صلاح خلف^(٥) :

وما كانَ إلا بلسماً لجراحنا فكيفَ نرى هاماً علتهُ جراحُ؟

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر^(٦) :

فَدُمْتُ لَنَا مَدَى الْأَيَّامِ نَسْرًا بظُلِّ النَّسْرِ لَا تَفْنَى النَّسْرُ

1 - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 364-365 .

2 - ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ٣ / ٢ .

3 - عبد الله بن المعتز ، كتاب البديع ، تعليق غناطيوس كراتشوفسكي ، دار الحكمة ، دمشق ، (د . ت) ، ص ٤٧-٤٨ .

4 - هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ص 70 - ص 80 .

5 - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 242 ، وديوان نجوم في السماء ، ص 66 .

6 - إبراهيم قرايين ، ديوان "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ص 8 - 9 .

ومن أمثلة الصنف الثاني قول سليم الزعنون في رفضه لمؤتمر مدريد^(١):
خَصْمٌ يَصْرُ بِأَنْ يَفَاوِضَ نَفْسَهُ مَا هَكَذَا يَتَفَاوَضُ الْخَصْمَانِ
 ومن أمثلة الصنف الثالث ما قاله محمد صيام في رثاء صلاح شحادة^(٢) :
فَإِذَا بِهِ سَهْمٌ يُصِيبُ عَدُوَّنَا وَالْيَوْمَ يَنْدُرُ أَنْ تُصِيبَ سِهَامُ
 ومن أمثلة ذلك أيضا قول أحمد الريفى في مدح الرنتيسي^(٣) :
كَمْ غَارَتْكَ فَمَا التَّفَتَّ لَهَا أَفَلَمْ يَكُنْ مِنْ شِعْرِكَ الْغَزْلُ

ب- الموسيقى الداخلية في شعر التفعيلة :

يرى سيد البحراوي أن "عناصر الإيقاع هي الخصائص المتوفرة في كل صوت لغوي على حده ، وفي سياق معين . ولكل صوت لغوي بحسب العوامل المتحركة في نطقه خصائص ثلاثة (المدى الزمني - النبر - التنغيم) تضاف إليها خصائص صوتية أخرى ، تتمثل في قوة التصويت أو الإسماع ، فانتظام كل عنصر من هذه العناصر القائمة موضوعياً في الصوت اللغوي في نسق يشكل عنصراً من عناصر الإيقاع الذي هو بطبيعته نظام إشاري دال"^(٤) ، وعلى ذلك نعتبر الإيقاع وذبذبات الصوت شيئاً واحداً لا يمكن فصلهما ، فالإيقاع كما يعرفه محمد عزام "ترديد ظاهرة صوتية على مسافات زمنية متساوية ، إنه جو القصيدة وروحها المسيطر"^(٥) .

فالإيقاع حركة داخلية تهز المشاعر من خلال وحدات نغمية عميقة ذات حيوية وجدانية متنامية تنتقل إلى المتلقي ليتقاسم مع المبدع الحالة الانفعالية التي أوحى له بالقصيدة . وهو لا ينبع من التفعيلة والقافية فقط ، وإنما من مكونات داخلية أخرى أقرب إلى النفس والوجدان ، ومن هذه المكونات :

١- التضمين / التدوير

يرتبط التضمين بالمعنى الدلالي للألفاظ ويتوزع على أسطر القصيدة ، وحينما يتم الشاعر المعنى الدلالي ولم يتم الوقفة العروضية - الوزن - يكون التدوير ، "فهو أن يستدعي وزن

¹ - سليم الزعنون ، ديوان يا أمة القدس ، ص 118 .

² - انظر : المركز الفلسطيني للإعلام ، رثاء صلاح شحادة ، شبكة الإنترنت .

³ - أحمد الريفى ، ديوان مواجهات 1 ، ص 12-13 .

⁴ - سيد البحراوي ، في البحث عن لؤلؤة المستحيل ، ط ١ ، دار الفكر الجديد ، ١٩٨٥م ، ص ٥١ .

⁵ - محمد عزام ، بنية الشعر الجديد ، دار الرشد الحديثة ، الدار البيضاء ١٩٦٧م ، ص ١١٥ .

البيت أن يكون بعض حروفه كلمة في الشطر الأول داخله في الوزن الثاني" (١) . فالتدوير وقف على الوزن - التفعيلة - ولا يتعداها إلى اللفظة ، لتصبح القصيدة أو جزء منها مع التدوير جملة واحدة . وذلك مثل قول الشاعر عبد الناصر صالح (٢):

فَاعِلَاتِن	اَقْتُلُونِي
فَاعِلَاتِن/فَاعِلَاتِن/فَاع	لَسْتُ أَرْضَى عَنْ تِلَالِ اللُّوزِ
لَاتِن/فَاعِلَاتِن	وَالزَّيْتُونَ وَالتِّينِ اسْتِعَاضَهُ
فَاعِلَاتِن/فَاعِلَاتِن/فَا	وَاسْلُبُوا أَرْضِي إِذَا شِئْتُمْ
عِلَاتِن/فَعِلَاتِن/فَعِلَاتِن/فَع	فَلأَرْضِ نَسِيمِ الجِبَلِ الشَّامِخِ
لَاتِن/فَاع	مَاءِ النَّهْرِ
لَاتِن/فَاعِلَاتِن/ف	أَسْرَابِ العَصَافِيرِ
عِلَاتِن/فَعِلَاتِن/فَعِلَاتِن/فَاعِلَاتِن	وَلنَّسْرِ إِذَا مَا أَرَفَ الصَّبْحُ انْقِضَاضَهُ
فَاعِلَاتِن/ف	فَأَقْتُلُوا النَّسْرَ
عِلَاتِن/فَاعِلَاتِن/فَاعِلَاتِن	وَعَيْثُوا فِي رَوَابِنَا فَسَادًا
فَاعِلَاتِن	لَنْ تَمْرُوا

وزع الشاعر تفعيلة بحر الرمل (فاعلاتن) على ثلاثة محاور وفق الدفقة الشعورية الأولى وهو يتحدث عن الرفض البديل ، فواصل التفعيلة بعد تلال اللوز ليضم لها الزيتون والتين ، وهنا توقفت التفعيلة واكتملت . والثانية لدى حديثه عن الأرض بتفاصيل الجبل والنسيم والماء والعصافير والنسر وتوقفت التفعيلة في نهاية الموقف . والثالثة جاءت للتحدي لنتنقل من النسر ومقتله إلى عيثوا فساداً . ومن ثم اكتملت باقي التفعيلات على السطر .

مثل التدوير إرادة الشاعر المخبأة في وجدانه ، حب الأرض بتفاصيلها ومن يعيش عليها ، فاستحثنا الشاعر لمواصلة القراءة وعدم التوقف عند نهاية السطر الشعري وقد اكتمل المعنى الدلالي . ولكن لدى الشاعر لم يكتمل المعنى الداخلي الوجداني وقد تواصلت مع نفسه كل ما يتعلق بالموضوع المعبر عنه من انفعالات (٣) .

٢ - الوقفات :

تسهم الوقفة في توضيح فضاءات النص ، وتخلق دلالات شعرية مرتبطة بنفسية الشاعر وكيفية التعبير عن الموقف الانفعالي ، بما تعطيه من زمن لالتقاط الأنفاس أو التواصل ، إنها "استراحة تطول أو تقصر لالتقاط الأنفاس وللتخفيف من حدة التدفق

¹ - رجاء عيد ، التجديد والموسيقى في الشعر العربي ، ص ١٤٨ .

² - عبد الناصر صالح ، المجد ينحني أمامكم ، ص ١٠٨-١٠٩ .

³ - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ١٩٦٧-٢٠٠١ ، ص ٤٦٩ .

العاطفي الذي يحدثه عالم الرؤيا" (١) ، ومن نماذج تلك الوقفات التي استوقفتنا في شعر الشخصية الإسلامية نذكر :

- الوقفة العروضية :

وهي عبارة عن نظم الأسطر المستقلة عروضياً دون الالتفات إلى الدلالة بحيث لا يتم تمزيق التفعيلة عن طريق التدوير .

يقول المتوكل طه (٢) :

متفاعلن/فالان	قد قلعوا الأشجارُ...!!
متفاعلن/متفاعلن	سيكون تحت جذورها
متفاعلن/متفاعلن/متفاعلاتن	قبراً لمن قصوا أظافرَها المنارة
متفاعلاتن	قَطَعُوا المياهَ...!!
متفاعلن/متفاعلن/متفاعلن/متفاعلن	ماذا إذا شرب الرجال الظامئِين جراحَهُمْ
متفاعلن/متفاعلاتن	وتَهَلَّلَتْ بِهِمُ الحضارة

نلاحظ أن جميع الوقفات العروضية تامة ، وينتهي بها السطر الشعري رغم عدم اكتمال المعنى بوجود التضمين الواضح بين السطر الثاني والثالث ، وبين الخامس والسادس . فالوقفات العروضية في الفقرة السابقة هي : أشجار / فالان . ت جذورها / متفاعلن . فرها المنارة / متفاعلاتن . قطعوا المياه / متفاعلاتن . من جراحهم / متفاعلن . بهم الحضارة / متفاعلاتن . لقد كانت الوقفات العروضية السابقة أربع وقفات على تفعيلة متفاعلاتن (مرفلة) ، ووقفتان عروضيتان على تفعيلة متفاعلن ، ووقفة على (فالان) ، ولهذا علاقة بفضاء النص الذي يقوم على المفارقة التصويرية بين عدو يقطع الشجر ويقطع الماء وشعب يقاوم ، فكانت الوقفات العروضية بمثابة رد واستجابة لحدثٍ معادٍ حدد أبعاده الشاعر (٣).

¹ - أحمد الطريسي ، الرؤيا والفن في الشعر العربي الحديث في المغرب ، ص ٧٥ .

² - المتوكل طه ، ديوان فضاء الأغنيات ، ص ٢٥-٢٦ .

³ - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ١٩٦٧-٢٠٠١ ، ص ٢٤٢ .

- الوقفة الدلالية :

وبها يتوقف السطر الشعري مع انتهاء الدلالة دون انتهاء التفعيلة التي يكسرها الشاعر بواسطة التدوير أو تتوافق نهاية الدلالة مع نهاية التفعيلة ، وقد رأينا في ثنايا الدراسة أمثلة كثيرة نكتفي بها تجنباً للتكرار .

- وقفة البياض :

وهي وقفة في نهاية السطر أو في وسطه ، تغيب فيها الحروف والكلمات ، أي يغيب فيها صوت الشاعر ويترك لنا الصمت ، إنها "إعلان عن تفاعل الصمت مع الكلام ، وتفاعله البصري مع السمع في بناء إيقاع النص" (١) ، والأمثلة كثيرة في ثنايا الدراسة .

٣ - الجناس :

لجأ شعراء التفعيلة في شعر الشخصية الإسلامية إلى الاعتماد على المحسنات البديعية في توضيح بعض المواقف وتسليط الأضواء عليها ، من ذلك الجناس ، فهو من المحسنات اللفظية التي أفاد منها الشعراء بنوعها التام والناقص كظاهرة موسيقية جذابة ، ويعد من ألوان الإيقاع الموسيقي المهمة لأنه يقوم على تردد الأصوات في الكلام وما يتبع ذلك من أنغام تطرب لها الأذان وتنسجم معها الأسماع (٢) . وقد ذكرنا في موضع آخر من هذه الدراسة العديد من الأمثلة ، ومن أمثلة الجناس أيضاً نذكر قول محمد صيام في رثاء الشقاقي (٣) :

قالوا : القضيّة فاندفعت تجودُ بالدمِّ للقضية

لا ترهبُ الأعداءَ في الهيجا ، ولا تخشى المنية

فقد جانس الشاعر بين (القضية - للقضية) ، وكان معنى الأولى المسألة ، والثانية بمعنى فلسطين ، وقد أضفى هذا الجناس التام نغمة موسيقية جميلة موحية ، وجاء السطر الثاني مسانداً للسطر الأول .

ومن الجناس الناقص أيضاً نذكر قول الشاعر عثمان أبو غريبه (٤) :

أملٌ تناثرَ في الربيعِ كسنبلةٍ

لا تصعدُ الأيامَ وحدكَ

لا تفرشُ الأوهامَ وردكَ

لا تغلقُ الميدانَ قبل مجيء لؤلؤة المدائن

1 - محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، ص ١٢٧-١٢٨ .

2 - د. محمد عوان ، د. نعمان علوان ، من بلاغة القرآن ، ص ٢٧١ وما بعدها .

3 - انظر: موقع : إسلام أون لاين على شبكة الإنترنت .

4 - عثمان أبو غريبة ، ديوان عدنا ، ص 95-97 .

فالشاعر في الفقرة السابقة استخدم الجناس الناقص للتأكيد على المعنى المراد ، وهو رفض مؤتمر أوسلو ، الذي طوّح بآمال الفلسطينيين ، أيضاً جاء هذا الجناس لإضفاء نغمة موسيقية يرتاح إليها المتلقي ، فجاء الجناس في : (وحدك - وردك) ، و(الميدان - المدائن) .
إن شعراء الشخصية الإسلامية وفقوا في إضفاء لمسات موسيقية داخلية شجية من خلال استخدام طاقات المحسنات البديعية وعلى رأسها الجناس .

٤ - التكرار :

أ- نغم التكرار الصوتي ودلالته :

للصوت اللغوي دلالة واضحة في موسيقى الشعر ، وخاصة عندما يتردد في النص ، فقد حرص شعراء الشخصية الإسلامية على شحن نصوصهم بطاقات النغم الصوتي بترديد حروف معينة أو متسقة أو متزاوجة تنسجم حركتها مع حركة المعنى ، فتأليف الكلمات يعتمد على أصوات الحروف ، كما العلاقة وثيقة بين الصوت المتكرر من حرف ما وبين الموقف الذي يعبر عنه الشاعر . وقد رأينا شواهد كثيرة للتكرار بأنواعه في أثناء الحديث عن الظواهر الأسلوبية ، لذلك نكتفي في هذا المقام بذكر أنموذج أو اثنين من كل نوع ، والتعرف على دوره في إنتاج الموسيقى الداخلية ، من ذلك يقول عبد الناصر صالح (١) :

وَتَكْبُرُ أُغْنِيَتِي

تَكْبُرُ، تَكْبُرُ

وَتَفْجَرُ أَغْلَالَ الْعُمُرِ الْجَائِمِ

تُشْعِلُ قَنْدِيلَ الصَّحْوَةِ

وَيَصِيرُ اللَّحْنَ سَنَابِلُ

وَالصَّوْتُ مَقَاصِلُ

وَالْحَجَرُ بِأَيْدِي الْأَطْفَالِ قَنَابِلُ

الشَّجَرُ يُقَاتِلُ

وَالْحَجَرُ يُقَاتِلُ

وَمَتَارِسُ الصَّخْرِ تُقَاتِلُ

وَإِطَارَاتُ السِّيَّارَاتِ

تُقَاتِلُ

يَتَفَجَّرُ نَهْرُ النَّوْرَةِ فِي عُمُقِ

الْأَرْضِ جَدَاوِلُ

¹ - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 162 - 176 .

غلب على هذه القطعة الصوت المجهور للحرف (ل) ، وقد وردت في القطعة ستاً وعشرين مرة ، وحرف (الراء) ورد سبع عشرة مرة ، وحرف (القاف) ثمان مرات ، و(الجيم) سبع مرات ، وذلك يرجع لحالة الشاعر الذي يعيش معركة مع العدو ، إنه يدير الأحداث ويوجه المقاتلين .. ، فجاءت الحروف لها دلالة صوتية متجاوبة مع المعاني والموقف الانفعالي للشاعر .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الشهيد المقادمة(١):

عائِدٌ من ثناباً غُرْبِي السَّوْداءِ عائِد
عائِدٌ مثل فجِّ النُّورِ في قلبِ المِجَاهِد
عائِدٌ مثلما حقي لباظلمهم يُطارِد
عائِدٌ رُوحِي على كَفِّي وللعلياءِ صاعِد

أجاد الشاعر في الفقرة السابقة في توظيفه للأصوات الهوائية وخاصة خصائصها الصوتية المجهورة مع الأصوات المجهورة الأخرى للتعبير عن غضبه وثورته ، وإيمانه بحقه في الدفاع عن أرضه ووطنه وبعودته لوطنه رغم غربته ، فيجهر بصوت عال معلناً تحديه وصموده ، موظفاً الأصوات المجهورة وصفاتها في كلمة "عائد" ، بل إن تكريره لهذه الكلمة خمس مرات ومفتحاً بها أبياته دليل على ثباته وإصراره على الصمود ، كما أن إكثاره من الحركات الطوال "الصوائت" بشكل لافت للنظر ، حيث وردت ستاً وعشرين مرة في ست وعشرين كلمة ضمن أربعة أسطر شعرية فقط . وكانت الألف أوفرها حظاً وأكثرها تكراراً في ثلاثة عشر موضعاً لاتساع مخرجها وخفة نطقها وامتداد الصوت معها إلى أبعد مدى ، تليها الهمزة في سبعة مواضع ، ثم الياء في أربعة ، والواو في موضعين .

لقد تجلت قدرة الشاعر المقادمة على توظيف الأصوات المجهورة مع الحركات الطوال توظيفاً يفي بالغرض الذي يسعى إليه كما هو واضح في إكثاره منها وتكراره لكلمة بعينها ، واختياره للقوافي الشعرية في قصيدته ، وهي الدال واللام والباء والقاف ، وكلها أصوات مجهورة انفجارية معبرة عن غرضه ، وهذا له دلالة واضحة تحمل معاني التحدي والإصرار وشدّة التأكيد على ما يطلبه الشاعر ويصبوا إليه(٢) .

ب- إيقاعية التردد اللفظي :

برزت ظاهرة التردد اللفظي أو تكرار الألفاظ في شعر الشخصية الإسلامية بصورة كبيرة - كما لاحظنا في مبحث سابق - ، حيث راحت تشكل هذه الألفاظ المكررة لوازم

١ - إبراهيم المقادمة ، ديوان " لا تسرقوا الشمس " ، ص 53.

٢ - مقاربات نقدية في شعر المقادمة ، ص ١٠٣ .

موسيقية ونغمات أساسية تخلق جواً نغمياً ممتعاً ، من ذلك قول سميح القاسم⁽¹⁾:

تقدّموا تقدّموا !
كلُّ سماءٍ فوقكمُ جهنّمُ
وكلُّ أرضٍ تحتكمُ جهنّمُ
تقدّموا
يموتُ منّا الطفلُ والشيخُ
ولا يستسلمُ
وتسقطُ الأمُّ على أبنائها القتلى
ولا تستسلمُ
تقدّموا
بناقلاتِ جنديكمُ
وراجماتِ حقدكمُ
وهددوا وشرّدوا ويتموا وهدّموا
لنْ تكسروا أعماقنا
لنْ تهزموا أشواقنا
نحنُ قضاءٌ مُبرمٌ
... تقدّموا
يصيحُ كلُّ حجرٍ مُغتصبٍ
تصرخُ كلُّ ساحةٍ من غضبٍ
يضجُّ كلُّ عصبٍ :
الموتُ .. لا الركوعُ
موتٌ .. ولا ركوعٌ !!

تفيض بنية التردد في هذا النص بالإيحاءات الدلالية والإشعاعات اللحنية ، وخاصة قوة وعمق الرنين المنبعث من الفعل المتردد الإيجابي (تقدموا) ، ثم فعل النضال السلبي (لا يستسلم) ، ولقد أحدث التوازي بين التراكيب (بناقلات جنديكم وراجمات حقدكم) توازياً إيقاعياً ، ثم توالي الأفعال المتماثلة صرفياً والمرتبطة بواو العطف (وهددوا وشرّدوا ويتموا وهدّموا) ، إنها متواليات تركيبية عالية الإيقاع تعكس إرادة التحدي مهما كانت التضحيات .
ثم تأتي النتيجة الدلالية المتسقة التركيب والنغم في الجملتين (لن تكسروا أعماقنا ، لن

¹ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، المجلد الثالث ط1 ، ص405-411.

تهزموا أشواقنا) ، ثم يتبع هذا التجانس التركيبي الموقع عودة إلى اللفظ المتردد المهيم على جو النص (تقدموا)(^١) .

أيضا من الأمثلة على التريديد اللفظي قول الشاعر إبراهيم المقادمة(^٢):

خُدُوا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَسْرِقُوا الشَّمْسَ مِنَّا

خُدُوا القمَحَ لَكِن ...

خُدُوا النَفْطَ لَكِن ...

خُدُوا الرُّوحَ لَا بِأَسَ

لَا تَسْرِقُوا الشَّمْسَ مِنَّا

نَخَافُ عَلَيْهَا ظِلَامَ المَحِيطِ وَبَرْدَ الجَلِيدِ

وَأرواحكم

فلا تسرقوها

خُدُوا كُلَّ شَيْءٍ .. وَلَكِن دَعُوا شَمْسَنَا

لقد جاءت بنية التريديد في هذه القصيدة عنواناً للقصيدة "لا تسرقوا الشمس" إضافة إلى استغراقها في ثناياها ، وذلك لتؤكد البعد الدلالي الذي يقلق الشاعر وهو التقريط في الإسلام ، وقد تردد فعل "تسرقوا" المسبوق بالنهي "لا" ليظهر خوف الشاعر على الدين وحرصه على الدعوة ، لأنها هدي سماوي ، ومصالحة بشرية ، ثم استخدم الشاعر بنية التريديد "خذوا" حيث كررها خمس مرات لتعطي بعداً دلالياً ، فالدال يأتي "بمعنى ثم يتردد في المرة الثانية مضافاً إليه هوامش تجعله ثنائي الإنتاج بين المعنى الأول والثاني"(^٣) ، كما أعطى التريديد "خذوا" عمقاً معنوياً يوحى بتقريط الشاعر بمحض إرادته بكل شيء ، في دلالة على هوان كل الثروات من قمح ونفط وحتى الروح أمام شمس الهداية ، وقد جاء التشكيل الكتابي (...). المسبوق بـ "لكن" مرتين ، وكأن الشاعر لا يريد أن يصرح بمخاوفه مباشرة فيترك للقارئ فرصة لكي يردد في وجدانه عبارة "لا تسرقوا الشمس" لتأخذ مكانها في أعماقه وتحقق مدلولها المعنوي وبعدها الدلالي . ثم يعود الشاعر ويصرح بهذا التريديد الذي أخفاه في داخله ، وترك لنا فرصة تريديه في داخلنا ليؤكد خوفه ويبرزه في قوله "نخاف عليها ، نخاف علينا" ، ليوحى بعظم التحديات التي تواجه الإسلام(^٤) .

١ - عبد خالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

٢ - إبراهيم المقادمة ، ديوان "لا تسرقوا الشمس" ، ص ٢٢ .

٣ - محمد عبد المطلب ، هكذا تكلم النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٠٥ .

٤ - مقاربات نقدية ، شعر الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة ، ص ١٦٠-١٦١ .

ج - تكرار الجملة :

عمد الكثير من شعراء الشخصية الإسلامية إلى تكرار بعض العبارات في مواضع عدة ، حيث تشكلت بهذه العبارات ألحان موسيقية لازمة ، منها ما كان مطلعاً لكل مقطع ، ومنها ما كان صدى يختم به القصيدة ، ومنها ما تكرر في ثنايا القصيدة كنغمة مكررة لها أهميتها المعنوية ، والأمثلة على ذلك كثيرة في دراستنا ، منها قول الشاعر معاذ الحنفي^(١) :

تتراكمُ السنواتُ

كم عمراً يثورُ ويشعلُ الأشواقَ ؟

كم عاماً توزعُ للورودِ ؟

كم عاماً ستهدي للمخيمِ ؟

كم ربيعاً تطحنُ السنواتُ ؟

كم

لم تفد (كم) الاستفهامية المتكررة خمس مرات السؤال ، ولم ينتظر الشاعر منا جواباً ، بل أراد أن يوجه عنايتنا إلى زميله الذي أمضى عشرين عاماً في السجن ، محملاً تكرار الجملة الاستفهامية كشف حساب للمعاناة الإنسانية ، ساعياً إلى التنديد بالواقع المعاش ، والتحريض على الرفض والثورة ، ويتركنا الشاعر بعد (كم) الخامسة أمام وقفة البياض لنعبي ما نشاء ، ونفهم قيمة الزمن المهدور خلف القضبان .

أيضاً من أمثلة تكرار الجمل والعبارات ، قول الشاعر يونس أبو جراد^(٢) :

خُسِفَ الْقَمَرُ

خُسِفَ الْقَمَرُ

هَيَّا اهرَعُوا

صَلُّوا لَوَجْهِ اللَّهِ ،

مَنْ غَرَسَ الْقَمَرَ

هَيَّا اهرَعُوا

لَتَزُولَ سَاعَاتِ الْخَطَرِ

خُسِفَ الْقَمَرُ

أَيُّ احْتِضَارٍ فِي فُؤَادِ الْكَوْنِ

أَمْ أَيُّ انْتِحَابٍ لِلْقَدَرِ ؟

¹ - معاذ الحنفي ، أعلق في ليلك الليلك ، ص ٥٨ - ٥٩ .

² - أنفاس المصاييح لنازفة ، منشورات النادي الأدبي للشعراء الأحرار ، نشرة ثقافية دورية ، ص 4 - 5 .

خُسْفَ الْقَمَرِ
مَلِيُونُ بُشْرَى تَخْتَفِي
إِذْ يَخْتَفِي نُورُ الْقَمَرِ
...خُسْفَ الْقَمَرِ
أَيَّامَ قَمَرٍ
قَمَرُ الْمَلَايِينِ السَّجِينَةِ فِي الْأَسَى
قَمَرُ النَّكَالِي فِي حَيَاةٍ مِنْ سَقَرٍ
...قَمَرُ الزَّرْعَامَاتِ الْحَكِيمَةِ
مِنْ صَلَاحِ أُمِّ عُمَرَ؟
... خُسْفَ الْقَمَرِ

جاء تكرار السطر الشعري "وخسف القمر" كجرس موسيقي منبه يثير أحاسيس المتلقي ،
وخسوف القمر هو ظاهر طبيعية رمز بها إلى الاحتلال وجرائمه المتكررة في شتى أرجاء
فلسطين ، كما جاء تكرار السطر الشعري "هيا اهرعوا" لإثراء المعنى وتدعيمه ، والتواصل
الوجداني مع القصيدة ، ونحن نبحث عن تلك الجرائم التي يقترفها الاحتلال ، وحتى يعطينا
هذا التكرار أخذ الحيلة والحذر عند كل ملمة تصيب شعبنا الفلسطيني !!.

ثالثاً : الصورة الشعرية :

تتوجه الدراسة النقدية الحديثة للنص الشعري وتحليله بوصفه عملاً إبداعياً إلى الصورة الشعرية ، وقلما "يتبلور مذهب نقدي جديد ، أو اتجاه شعري جديد ، دون أن يسند إلى الصورة الشعرية دوراً أساسياً في عملية الخلق الشعري"^(١) .

وفي هذا السياق يقول الدكتور عبد الفتاح صالح : "أصبحت الصورة التي تبرز العمل الفني أو الصورة التي تنقل الفكر والعاطفة من خلال العمل الفني أكثر ما تتجه إليه أنظار النقاد والدارسين في العصر الحديث"^(٢) ، ويرى بعض النقاد أن علاقة عالم الشعر بالصورة علاقة أزلية "فالشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم"^(٣) .

تسهم الصورة الشعرية بقدر كبير في إنشاء الفن الشعري ، لذلك "صرح هوراس بأن الشعر كالرسم ، وقبله قال سيمونيدس : الرسم شعر صامت ، والشعر صورة ناطقة"^(٤) ، ويرى الجاحظ أن "الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"^(٥) ، كما أن الصورة عند قدامة بن جعفر هي الشكل المحسوس الذي يجسد به الشاعر أفكاره المجردة التي تدرك عن طريق العقل ، يقول : "إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر فيها كما الصورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شئ موضوع يقبل تشكيل الصورة منها ، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة"^(٦) .

ومن هنا يتضح أن مفهوم الصورة عند هؤلاء النقاد كان محصوراً ضمن إطار الرؤية الحسية ، أي مجموعة الملامح المرئية التي يجسد الشاعر من خلالها معانيه المجردة ، وقد أفردت مساحة واسعة من دراسات النقاد والبلاغيين القدامى للصورة الشعرية ، لقد كانت تستحوذ على إعجاب القراء بما فيها من جمال "مع أن المحتوى الحسي للصورة ليس من قبيل النسخ للمدركات السابقة ، إنما هو إعادة تشكيل لها ، وطريقة فريدة في تركيبها إلى الدرجة

١ - كمال أبو ديب ، في الشعرية ، ط ١ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ١٢٩ .

٢ - عبد الفتاح صالح نافع ، الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان ١٩٨٣م ، ص ٥ .

٣ - إحسان عباس ، فن الشعر ، ط ٤ ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ١٩٣ .

٤ - المرجع السابق ، ص ١٦ .

٥ - الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ ، المجمع العربي الإسلامي ، بيروت ١٣٨٨هـ ، ٣ / ١٣١ .

٦ - قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق محمد خفاجة ، ص ٦٥ .

التي تجعل الصورة قادرة على تجميع الإحساسات المتباينة وتمزجها وتؤلف بينها في علاقات لا توجد خارج حدود الصورة"^(١) .

وقد كانت الصورة تقوم في الشعر العربي القديم على التشبيه والعلاقات الحسية القريبة والمتباعدة ، والصور قديمة قدم الشعر ، ولكنها تتغير من زمن لآخر ومن بيئة لأخرى ومن اتجاه لآخر .

ويمكن بلورة مفهوم الصورة الفنية الشعرية من خلال القول إنها جزء مهم من التجربة الشعرية ، وتجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكل حسي ؛ وأن الخيال عنصر هام من عناصر إنتاجها ؛ وأنها كما تعتمد المجاز وغيره من مقومات البلاغة العربية - التشبيه والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير ... - يمكن أن تعتمد الوصف الحسي لكي توصل إلى خيالنا شيئاً يتجاوز الحقيقة الخارجية للأشياء ، وذلك من خلال اعتمادها على طاقات اللغة وإشعاعاتها الوجدانية لتجسيد عاطفة الشاعر وفكرته في ألفاظ ذات دلالة حقيقية . ويكمل جمالها بتفاعلها مع العناصر الأخرى ، ومما يسهم في التقليل من فاعليتها الوقوف عند التشابه الحي بين الأشياء دون ربط ذلك بالشعور المخيم على الشاعر في أثناء تجربته ، فالنقد الحديث يتعامل مع الصورة بشكل متكامل قائم على ظهور معانٍ جديدة تنبثق من التداخل بين طرفي الصورة بعيداً عن اشتراط تقارب المشبه والمشبه به وواقعيتهما ، أو وجود شبه حقيقي بينهما . وقد برز في شعر الشخصية الإسلامية استخدام التشبيه والاستعارة والكناية ، وذلك لأن الشعراء وجدوا في الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية التي يتعايشون معها يوماً مادة خصبة ساعدتهم على التجديد والإبداع في تصوير تلك الأحداث ومجرياتها . وقد وظف الشعراء نوعين من الصور وفق بنائها ، هما الصورة المفردة الجزئية ، والصورة المركبة ، ولعل هذا التقسيم يمنحنا القدرة على استقصاء بعض صور الشعراء .

١ - الصورة المفردة الجزئية :

تمتلك الصورة المفردة أهمية واسعة في التعبير عن تجربة الشاعر ، وإن كانت غير منعزلة عن باقي صور القصيدة ، فما الصور المركبة الكلية إلا صوراً جزئية متجمعة ، تكاملت من خلال تلاحمها ، وهي تبنى بعدة أساليب ووسائل منبثقة من وجدان الشاعر وأفكاره وأحاسيسه وألفاظه وموسيقاه ، وفيما يلي استعراض وتحليل لأهم الوسائل البنائية للصور المفردة لشعراء الانتفاضة :

^١ - د. جابر عصفور ، الصورة الشعرية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ط ٣ ، المركز الثقافي

العربي ، بيروت ١٩٩٢م ، ص ٣٠٩ .

- التشبيه :

ذكر العلماء تعريفات عدة للتشبيه منها ما ذكره المبرد بقوله : "واعلم أن للتشبيه حداً ، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه ، وإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع" (١) .
كما عرفه ابن رشيق القيرواني بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه (٢) ، وقد عني العلماء بالتشبيه عناية كبيرة لأنه يعمل عمل السحر في تقريب الأشياء المتباينة ، وإبراز المعنى في صورة أشخاص ماثلة ، وهو يجمع بين الأضداد ، فيأتي بالماء والنار مجتمعين ، والموت والحياة مجموعين (٣) .

وقد أكثر شعراء الشخصية الإسلامية من التصوير بالتشبيه ، وأعطوه عناية كبيرة حيث تضمنت أشعارهم كل أنواع التشبيه التي تقوم على المدركات الحسية والمعنوية ، ومن أمثلة ذلك ، قول عبد الناصر صالح (٤) :

فِي الْبَدءِ قَدْ كَانَ الْحَجَرُ

بَيْتاً ، إِلَهَا لِلْعِبَادَةِ .

وَالْيَوْمُ قَدْ صَارَ الْحَجَرُ

رَمْزاً لِتَحْقِيقِ السِّيَادَةِ .

طَيْرٌ أَبَابِيلٌ يَطِيرُ كَمَا الْحَمَامُ

وَحِجَارَةٌ السَّجِيلِ تَسْقُطُ كَالسَّهَامِ

جمعت القطعة السابقة في طياتها عدة صور للتشبيه ، نجد التشبيه المتعدد حيث يشبه الشاعر الحجر بأنه بيتاً ، إلها للعبادة ، وهنا أيضاً تشبيه بليغ حيث شبه الحجر بالآلهة التي تعبد ، حيث حذف الأداة ووجه الشبه ، وهذا النوع أكد في المعنى ، لأنه يوحد بين المشبه والمشبه به ويجعله متطابقاً .

ثم يأتي بصورة تشبيهية أخرى للحجر : طير أبابيل كالحمام ، حجارة السجيل كالسهام ، وهنا تشبيه مفصل ، وهو ما ذكر فيه أداة التشبيه ووجه الشبه (٥) . فقد شبه الشاعر الحجر بالطير الأبابيل كالحمام ، وكالسهام ، ويلاحظ أن هذا التشبيه قد اكتملت عناصره ، من مشبه

١ - المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة المعارف ، بيروت ٢ / ٧٦٦ .

٢ - العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨١م ، ١ / ٢٦٨ .

٣ - انظر عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمود شاكر ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩١م ، ص ١٣٠ وما بعدها .

٤ - عبد الناصر صالح ، ديوان المجد ينحني أمامكم ، ص 86-90 .

٥ - د. بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، ط ١ ، منشورات جامعة طرابلس ، ليبيا ١٩٧٥م ، ٢ / ٦٥٨ .

ومشبه به ، والأداة ووجه الشبه ، ومن جانب آخر العلاقة بين هذه الصور والحجر هي علاقة التواصل مع زمن أبرهة عندما قذفته حجارة السجيل ، واليوم حجارة الانتفاضة أصبحت كحجارة السجيل ، كل ذلك يعطينا إيحاءً ودلالةً على قداسة هذا الحجر .

ومن الصور التشبيهية الموظفة في تجارب شعرائنا صورة أم محمد فرحات وهي

تودع ابنها الشهيد (١) :

مَرَحَى بُنَيَّ
بُورِكْتَ مِنْ وَالدِ تَقِيَّ
يَا مُهْجَتِي
يَا أَعْلَى مِنْ رُوحِي إِلَيَّ
...لَنْ أُرْتَدِي يَا مُقْلَتِي
ثُوبَ الْحِدَادِ
...فَاهْتَأُ بِجَنَاتٍ
وَحُورٍ وَيَعَمُ
فَلَكَ الْعُلَا
ولنا الكرامةُ والحلمُ

تتاجي الأم ابنها ، تقطر حبا وتحنانا نقول له : [مرحى بني ، بُورِكْتَ مِنْ وَالدِ تَقِيَّ ، يَا مُهْجَتِي ، يَا أَعْلَى مِنْ رُوحِي إِلَيَّ ، يَا مُقْلَتِي] صور تشبيهية متعددة توحى بمدى الفرحة باستشهاد ابنها ، وهي التي حثته على ذلك بقولها(٢) :

كُنْ وَاثِقًا وَاهْجُمْ كَأِعْصَارِ وَنَارِ
.. وَاثْبُتْ هُنَاكَ وَلَا تَعُدْ إِلَّا شَهِيدًا وَانْتِصَارًا

هنا أيضاً تشبيه تمثيلي ، إذ قال الشاعر على لسان الأم (واهجم) أي هجوم الشهيد على الأعداء كالإعصار والنار ، فهي صور متدفقة متوالية ، تستمد مفرداتها من الطبيعة ، فالمشبه هو الهجوم ، والمشبه به الإعصار والنار ، ووجه الشبه بينهما الثبات والقوة ومقارعة المحتل فإما الشهادة أو النصر .

ومن أمثلة التشبيه التمثيلي قول إبراهيم المقادمة(٣) :

عَائِدٌ مِثْلَ فِجِّ النُّورِ فِي قَلْبِ الْمَجَاهِدِ
عَائِدٌ مِثْلَمَا حَقِي لِبَاطِلِهِمْ يُطَارِدُ

1 - انتفاضة ثقافية ، جمعية الثقافة والفكر الحر ، ص 58 .

2 - السابق ، ص ٥٨ .

3 - إبراهيم المقادمة ، ديوان لا تسرقوا الشمس ، ص ٥3 .

شبه الشاعر عودته بالنور الذي يشع في قلب المجاهد ، وبالحق الذي يطارد الباطل ، فهنا العودة المنشودة للشاعر لوطنه منتزعة من إيمانه بحق العودة لبلاده واستردادها ، ومن الحق الذي ينتزع من الباطل .

ومن التشبيه قول الشاعر عبد الكريم العسولي^(١) :

أبناء صهيون تفجّر حقدُهم
داسوا الكرامة واستباحوا المعبدَا
جدّوا النخيلَ وأقبروا بيارَة
بقرّوا الحقولَ وأعدموا زهرَ الندَى

شبه أبناء صهيون بالبركان الذي ينفجر ، فحذف الأداة ووجه الشبه ، على سبيل التشبيه البليغ. ويبدو أن حذف أداة التشبيه قد أدى إلى نوع من المطابقة بين المشبه والمشبه به ، وهذا يؤكد في المعنى ، حيث وحد الشاعر بين أبناء صهيون وحقدهم المتفجر ، وأكد هذا التشبيه توالي الشاعر في تشبيههم قائلاً : داسوا الكرامة ، حيث شبه أرض الأقصى بالكرامة التي تَداس - تشبيه بليغ - ، واستباحوا ساحة المصلى - تشبيه البليغ - ، وجدّوا النخيل أي قطعوها ، والمقصود هنا قتلوا أبناء القدس الذين احتجوا على زيارة خنزيرهم ، وأقبروا بيارَة ، والبيارة لا نقبر ، بل الذي يقبر هو جثث القتلى الذين راحوا ضحية تدنيس مجرمهم باحة الأقصى ، وبقرّوا الحقول ، وهو استدعاء لجريمة دير ياسين حيث بقروا بطون الحوامل ، وأعدموا زهر الندى حيث شبه الأطفال الصغار بزهر الندى الفواح ، كل ذلك دلالة على رفض جريمة استباحة ساحة الأقصى .

ومن التشبيه المقلوب قول عبد الخالق العف في رثاء الياسين^(٢):

قَدْ سِرْتَ نَحْوَ الشَّمْسِ تَمَنُّحَهَا السَّنَا وَالشُّهْبُ تَدُنُّو مِنْ ضِيَاكَ وَتَعْتَدِي

فنور الشمس مسروق من نور جبينه ، والشهب تقترب وتدنو من وجهه لتأخذ وتستمد النور والضياء منه ، وهو أراد بهذا التشبيه أن ينزل الشيخ منزلة الأصل الذي يستمد منه الضياء .

وفي مشهد تصويري لاستشهاد الياسين يستثمر خضر أبو الجحجوح التشبيه قائلاً^(٣):

دَمُكَ الطَّهْوَرِ وَقُودُ ثَوْرَتِنَا الَّتِي سَيَذُوقُ مِنْهَا رُغْبَهَا الْأَشْرَارُ

يشبه دمه الطهور بالوقود ، وهذا الوقود هو الذي يعطي الاستمرارية لاشتعال نيران الثورة وهو الذي يمدّها بالبقاء ، ومن هذه النيران سيدوق المحتل الغاصب الرعب والخوف ، وبه

¹ - عبد الكريم العسولي ، ديوان النار والحجر ، ص 99 - 103 .

² - د. عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص ٨٥ .

³ - الإمام الشهيد في عيون الشعراء ، خضر أبو جحجوح ، قصيدة وسام على جبين العز ، ص ٣٤ .

يكون هلاكه ، والاستمرار يكون بما غرسه الإمام في أبناء شعبه وحركته من قيم الجهاد وحب الاستشهاد ، ولذلك لا يقف الزحف بل يستمر المسير ، ولهذا أكمل الشاعر حتى يبين هذه المعاني إذ يقول (١) :

هِيَ ذِي الْقِيَادَةِ كُلُّهَا بِيَقِينِهَا قَزَمَ أَمَامَ شُمُوحِهَا الطَّيَّارُ
فَالضَّيْفُ يَعْتَقُ مَوْتَهُ وَيَغِيظُهُمْ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَخَلْفَهُ الزَّهَّارُ
وَأَخِي إِسْمَاعِيلُ يَشْمَخُ صَابِرًا فِي مَقَلَّتَيْهِ مَرَابِعٌ وَبِحَارُ
وَالْبَحْرُ أَحْمَدُ وَالسَّعِيدُ وَمِشْعَلُ وَأَبُو أُسَامَةَ قَبْلَهُمْ وَبِرَارُ
يَتَأَلَّقُونَ كَمَا النُّجُومُ تَهَابُهُمْ زُمَرُ الْيَهُودِ ، وَتَكْتَوِي الْأَحْبَارُ

لقد استطاع شاعرنا في الأبيات السابقة أن يظهر مجموعة من القيم من خلال التشبيه المتعدد ، حيث يعدد قيادات حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ، وتلاميذ الشيخ أحمد ياسين رحمه الله في داخل فلسطين وخارجها فكلهم سواء لأنهم يرتوون من معين واحد وقائدهم واحد وحركتهم واحدة ، ولذلك فهم يعشقون الشهادة وشهاداتهم هذه تغيب المجرم الجلاد ، ولذلك أجاد الشاعر حينما عددهم ثم يشبههم جميعاً بالنجوم في علو الرفعة والمكانة من جانب ، وهم المصابيح التي بها يهتدي ويقتدي . وهذا دلالة على التساوي في المنزلة والدرجة ولا يوجد فرق بينهم على الإطلاق . ولعل نوع التشبيه ساهم مساهمة كبيرة في تحقق هذه المعاني إذ أنه تشبيه تسوية يتعدد فيه المشبه والمشبه به واحد ، فتعددت المشبهات : الضيف ، وعبد العزيز ، والزهار ، وإسماعيل و... والمشبه واحد وهو النجوم وعليه يكون وجه الشبه واحد تساوت فيه كل المشبهات ، وهو علو المكانة ، النور ، الاهتداء ، فهي البوصلة التي ترشد الضال فلا يتيه ولا يضل فهكذا هم جميعاً^(٢).

ومن التشبيه أيضاً قول الشهيد الرنتيسي في وصف حفيدته أسماء عندما زارته في السجن^(٣):

رَأَيْتُ النُّورَ يَضْحَكُ فِي ضُحَاهَا وَيَسْطَعُ فِي دَجَى الدُّنْيَا سِنَاهَا
في هذا البيت صورتان للتشبيه : الأولى : "رَأَيْتُ النُّورَ يَضْحَكُ فِي ضُحَاهَا" ، هنا تشبيه بليغ شبه حفيدته بالنور الذي يأتي في الضحى ، فحذفت الأداة ووجه الشبه ، وحذف الأداة هنا ينبئ عن التطابق بين الطرفين ، وحذف الوجه ينبئ عن الشمول في الصفات ، فقد اجتمع فيه القوتان^(٤) .

١ - السابق ، ص ٣٤ .

٢ - مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، ج ١ ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية مارس ٢٠٠٥م ، ص ١٨٢ .

٣ - د. عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص ٨٤ .

٤ - د. عبد القادر حسين ، القرآن والصورة البيانية ، دار المنار ، القاهرة ١٩٩٢م ، ص ٨١ .

والصورة الثانية : "يسطع في دجى الدنيا سناها" ، شبه مطلع حفيدته نورها البراق بأنه يسطع ويشرق في ظلام هذه الدنيا الدامس على سبيل التشبيه البليغ . واجتماع الصورتين في هذا البيت ، يدل على معزة الحفيدة الكبيرة عند شهيدنا الرنتيسي .

- الاستعارة :

لقد ذكر العلماء تعريفات عدة للاستعارة كلها تدور في فلك واحد وإن اختلفت في اللفظ والتعبير ، فذكر ابن المعتز أن الاستعارة هي "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف" (١) .

وعرفها القاضي الجرجاني بقوله : "إنما الاستعارة ما اكنفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر" (٢) ، وللاستعارة قيمة فنية تنبئ إليها القدامى والمحدثون ، يقول أبو هلال العسكري : "إن الاستعارة هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه .." (٣) .

كما فطن عبد القاهر الجرجاني للقيم الجمالية للاستعارة في قوله "إنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليلة .." (٤) . وقد حظيت الاستعارة باهتمام واضح لدى النقاد المعاصرين ، من ذلك قول الدكتور أحمد الصاوي في أهمية الاستعارة ووظيفتها : "إن وظيفة الاستعارة لا تقف عند مجرد التزيين والتحلية ، كما أنها ليست شرحاً ولا توضيحاً ، وليست تقوية ولا تدعيماً لمعنى نثري ، وإنما تبدو قيمتها في الحقيقة في أنها وسيلة اكتشاف العالم الداخلي للشاعر ، بكل ما فيه من خصوصية وتفرد وتميز ، لا تستطيع اللغة العادية التجريدية أن تعبر عنه أو توصله إلى القارئ" (٥) ، فالاستعارة هي فن التعبير عن إحساس الشاعر والكشف عما بداخله من أفكار .

١ - ابن المعتز ، ط ٣ ، تحقيق : كراتشوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٢ .

٢ - علي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق هاشم الشاذلي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٣٧ .

٣ - أبو هلال العسكري ، الصنائع ، تحقيق محمد علي الجباري ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٢٧٤ .

٤ - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص ٤٣ .

٥ - د. أحمد عبد السيد الصاوي ، فن الاستعارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٣٤٤، ٣٤٥ . وانظر أيضاً : الولي محمد ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ص ٢٥٧ .

وقد تباينت وظيفة الاستعارة بين القديم والحديث ، فبينما كانت تبنى في القديم على أساس استعمال اللفظ في معنى غير المعنى الذي وضع له ، أصبحت تدل حديثاً على عملية تبادل وتأثير وتفاعل بين كلمتين وهذه "العملية المزدوجة والتأثير المتبادل بين طرفي الصورة يجعلهما يتأرجحان كل واحد على حده بين الالتزام بالمعنى الاصطلاحي أو الوظيفي ، وبين الانسلاخ عن هذا المعنى ليتخذ له معنى جديداً ، يستقي من معنى الكلمة المجاورة ، هذا التكوين الذي يضيفه كل طرف على الآخر هو جوهر العملية الاستعارية"^(١) .

وقد قسم البلاغيون القدماء الاستعارة أقساماً ، تختلف باختلاف الأساس الذي بنى عليه كل منهم تقسيمه ، فمن نظر إليها بحسب الوظيفة قسمها إلى : مفيدة وغير مفيدة ، ومن نظر إليها باعتبار الطرفين قسمها إلى : مكنية وتصريحية ، ومنهم من قسمها باعتبار الخارج إلى : مجردة ومرشحة ومطلقة .. إلى غير ذلك من التقسيمات^(٢) .

ولم تكن الاستعارة بعيدة عن صور شعراء الشخصية الإسلامية ، فقد شغلت مساحة واسعة من أشعارهم ، حيث تمكن العديد من الشعراء من تشخيص المادي وتجسيد المعنوي في صور حسية جميلة مضمين عليها كثيراً من الصفات الإنسانية ، مما جعلها أكثر حيوية وحركة وتأثيراً .

ومن أمثلة الاستعارة المكنية^(٣) قول سميح القاسم^(٤):

لَنْ تَكْسِرُوا أَعْمَاقَنَا

لَنْ تَهْزَمُوا أَشْوَاقَنَا

نَحْنُ قُضَاءٌ مُبْرَمٌ

... تَقَدَّمُوا

يَصِيحُ كُلُّ حَجْرٍ مُغْتَصَبٍ

تَصْرُخُ كُلُّ سَاحَةٍ مِنْ غَضَبٍ

حيث شخص الشاعر الأعماق ، والأشواق بإنسان يكسر ويهزم ، وزاد الصورة جمالا عندما أكد ذلك بتجسيده للحجر والساحة ، فالحجر يصيح كالإنسان ، والساحة كذلك ، على سبيل الاستعارة المكنية ، حيث حذف المشبه به (الإنسان) ، وبقيت صفة من صفاته ، وهذا يدل

¹ - الولي محمد ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ص ٢٣٦ .

² - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص ٢٢ وما بعدها .

³ - وهي ما حذف منها المشبه به (المستعار منه) ، وبقيت صفة من صفاته ، أو لازمة من لوازمه . دراسات في البلاغة العربية ، من بلاغة القرآن ، ص ٢١٦ .

⁴ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، ص 405-411.

على المقاومة الشرسة لأبطال الانتفاضة ، وعلى الانتماء لهذه الأرض ، وتؤكد الحق الفلسطيني على هذه الأرض .

ومن أمثلة الاستعارة الجميلة قول الشاعرة فدوى طوقان (١) :

... هَجَمَ الموتُ وشرَعَ فيهم منجَلَهُ

في وجه الموتِ انتصبوا

احتوى المقطع السابق على ثلاث صور ، الأولى (هجم الموت) ، حيث شخصت الشاعرة الموت بإنسان يهجم ، فحذفت المشبه به - الإنسان - وأتت بلازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية . والثانية : (وشرع فيهم منجله) جاءت الصورة هنا على سبيل الاستعارة التصريحية (٢) ، حيث حذف فيها المشبه (المستعار له) وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه) ، فجاء لفظ (المنجل) بدلاً من الأسلحة الفتاكة التي يحملها جنود الاحتلال ، وهذا دلالة على جرائمهم الكبيرة . والصورة الثالثة : (في وجه الموت انتصبوا) حيث جعلت الموت إنساناً ، على سبيل الاستعارة المكنية فحذفت المشبه به ، وأبقت صفة من صفاته .

ومما يميز هذه الاستعارات استعمال الشاعرة للأفعال الماضية التي لا تستعمل إلا للمعاقل (هجم - شرع - انتصبوا) ، فهي تبعث الحياة للموت ، وهذا ما نسميه بالتشخيص ، والقيمة من هذه الاستعارات ، الوقوف في وجه الأعداء والذود عن مسرى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وبيان مدى جبروت وطغيان الاحتلال .

ومن أمثلة الاستعارة قول خضر أبو ججوح في رثاء الشيخ أحمد ياسين (٣) :

الْقُدْسُ تَبْكِي الْيَوْمَ فَارِسَهَا دَمًا وَحِجَارَةُ الشُّطْرَانِ وَالْأَغْوَارُ
وَشَوَارِعُ الْوَطَنِ الْحَزِينِ كَنِيْبَةً وَالْعَسْقَلَانُ يَلْفُهَا أَكْفَهْرَارُ
وَالشَّاطِئُ الْمَكْلُومُ دَمْعَةً حُرْقَةً نَزَفَتْ عَلَى خَدَيْكَ يَا أَمْصَارُ

فالأبيات مليئة بالصور الاستعارية التي أنطقت الحجارة والشوارع والشطآن والأغوار والأمصار .

فالأولى : في قوله : (الْقُدْسُ تَبْكِي الْيَوْمَ فَارِسَهَا دَمًا) إذ شبه الشاعر القدس بالإنسان الذي تذرف عيونه دماً على فقدان حبيب ، إلا أن الدمع هنا اختلط بالدم من شدة

¹ - فدوى طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة ط1 ، دار الفارس ، عمان 1993م ، ص540 - 542.

² - يعرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة التصريحية بقوله : "أن تأخذ اسماً وتنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم ، فتجربه عليه ، وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف ، وذلك قولك : رأيت أسداً .. فالاسم كما تراه متناولاً شيئاً معلوماً ، يمكن أن ينص عليه ، فيقال إنه عني بالسم وكنى عنه ، ونقل عن مسماه الأصلي ، فجعل له اسماً على سبيل الاستعارة ." أسرار البلاغة ، ص ٣٤ .

³ - الإمام الشهيد في عيون الشعراء ، خضر أبو ججوح ، قصيدة : وسام على جبين العز ، ص ٣٤ .

الحزن على فراق المحبوب ، ثم حذف المشبه به ، وأبقى صفة من صفاته وهي البكاء على سبيل الاستعارة المكنية ، وهنا يتجلى عنصر التشخيص الذي أنطق الجمادات وأبكاها نتيجة الحدث المفزع ، وهكذا الحال بالنسبة للحجارة والشيطان والأغوار .

والثانية : في قوله : (**وَشَوَارِعُ الْوَطَنِ الْحَزِينِ كَنَيْبَةً**) فشوارع الوطن شبهت بالإنسان بجامع الأثر الناتج وهو فقدانها للإمام الشهيد ، وحذف المشبه به وأبقيت صفة من صفاته وهي الحزن والكآبة على سبيل الاستعارة المكنية .

والثالثة : في قوله : (**وَالشَّاطِئُ الْمَكْلُومُ دَمْعَةٌ حُرْقَةٌ**) إذ إنه شبه الشاطئ بالإنسان المكلوم بجامع الإصابة في كل ، ولعله قصد بالشاطئ هنا معسكر الشاطئ الذي عاش فيه الإمام بعد الهجرة من عسقلان ، وهكذا الأمصار التي شبهت الفتاة التي ذرفت الدموع على خديها .

وقد أجاد الشاعر حينما جمع هذه الصورة التي لم تدع أحداً ولا شيئاً حتى تجاوزت الإنسان إلى الجمادات ، فالقدس التي استشهد الإمام من أجلها وأجل تحريرها ، وحجارة الشيطان ، والأغوار ، وكأن الشاعر يرسم في هذه الصورة فكر الإمام الشهيد وتعامله مع قضية فلسطين على أن حدودها من البحر إلى النهر ، فالشيطان يعني بها حدود فلسطين الغربية ، والأغوار حدودها الشرقية وهي شرق نهر الأردن ، ثم ذكر في تصويره ما بينهما من بلدة عسقلان وهي بلدة الإمام الأصلية ، وهكذا الشوارع والشاطئ بمعسكره والأمصار كلها(١) .

ومن أمثلة الاستعارة قول شهيدنا عبد العزيز الرنتيسي(٢) :

أَنِّي التَّقْتُ وَجَدْتُ أَنَّ اللَّيْلَ آدَنُ بِالرَّحِيلِ

فقد استعار الشاعر "الليل" للدلالة على الاحتلال الصهيوني ، حيث شبه الاحتلال بالليل وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو الليل للدلالة على ما يقوم به ذلك الاحتلال من شر وأذى تجاه بلادنا وشعبنا في فلسطين . أيضا من الاستعارة قول الرنتيسي(٣) :

**وَالْفَجْرُ وَصُوصَ مِنْ قَرِيبٍ يَرْقُبُ الصُّبْحَ الْجَمِيلَ
وَالْبَدْرُ يَحْكِي فِي الْعُلَا شَمَمًا بِطُولَاتِ الرَّعِيلِ**

في الفقرة السابقة صورتان ، في الأولى شبه الفجر بإنسان ينظر ويرقب الصبح الجميل ، فحذف المشبه به (المستعار منه) ، وبقت صفة من صفاته ، أو لازمة من لوازمه ، على سبيل

¹ - محمد شعبان علوان ، القيم البلاغية للصور البيانية في شعر رثاء النياسين ، مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، ج ١ ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية مارس ٢٠٠٥م ، ص ١٨٧-١٨٨ .

² - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان "حديث النفس" ، ص 66 .

³ - السابق ، ص ٦٦ .

الاستعارة المكنية ، فحذف الإنسان وأبقى صورة من صورته وهو : النظر ، الرقابة . وفي الصورة الثانية شبه البدر بإنسان يحكي ، فحذف المشبه به الإنسان ، وأبقى لازمه من لوازمه وهي الحكي على سبيل الاستعارة المكنية .

ومن أمثلة الصور الاستعارية أيضاً قول المتوكل طه(١):

أَكْتُبُ مِنْ نَرَجِسِ الْقَلْبِ
آيَةَ حُبِّي الْكَبِيرِ إِلَيْكَ
وَأُهْدِي إِلَيْكَ السَّلَامَ
وَأَسْأَلُ عَنْ مَهْرَةٍ قَبْدُومَهَا
وَعَنْ غَيْمِ عَيْنَيْكَ ، أَسْأَلُ
وَعَنْ دَمْعَةٍ فِي الْمَسَاءِ

فقد استعار الشاعر المهرة المقيدة للدلالة على المناضلة الفلسطينية السجينة حيث شبه المناضلة السجينة بمهرة وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهي المهرة للدلالة على حيويتها ونضارتها وقدرتها على العطاء ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية حيث يتم حذف المشبه فيها (المستعار له) وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه) .

وفي ظل الاستعارة التصريحية يقول الشاعر محمود مفلح في مدح جيل الانتفاضة(٢):

... يا خمير الأرض ... يا طَلْقَ الْوَلَادَةِ
ها أنت كالينبوع تدفق في صحارينا ...
... وتمنحنا الوثيقة والشهادة ...
... أنت الذي سيبدل الأوزان والأحزان
... يزرع في العيون نخيلها

فَلَكُمْ تَبَاطُأً فِي الرَّحِيلِ عَنِ الْقَرْيِ عَامُ الرَّمَادَةِ

تعددت صور الاستعارات التصريحية في القطعة السابقة ، من ذلك :

- يخاطب الشاعر الجيل بقوله "يا خمير الأرض" ، ومرة بـ "يا طلق الولادة" ، مستعيراً هذه الألفاظ للدلالة على جيل الانتفاضة ، وجيل الصحوة ، حيث شبه جيل الصحوة ، والجيل المحصن بالعقيدة بخمير الأرض ، وبطلق الولادة ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو خمير الأرض ، طلق الولادة للدلالة على الجيل الجديد المحصن بالعقيدة جيل الانتفاضة الذي

¹ - المتوكل طه ، ديوان زمن الصعود ، ص ٣٣ .

² - محمود مفلح ، ديوان "إنها الصحوة .. إنها الصحوة" ، ص 37 .

سيكون كالينبوع يتدفق في صحارينا ، والذي سيمنحنا الوثيقة والشهادة ، وسيبدل الأوزان والأحزان ، كما قال الشاعر .

- "يزرع في العيون نخيلها" ، أيضا صورة استعارية تصريحية جميلة حملت في طياتها صورة لهذا الجيل الباني ، الذي سيعيد كل شيء من جديد ، فقد استعار الشاعر لفظ العيون بدلاً من الأرض ، حيث شبه الأرض بالعيون ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو العيون للدلالة على العطاء الذي لا ينقطع في حركة مستمرة ، ودلالة على الخير والنماء القادم .

- "فَلَكَمْ تَبَاطَأَ فِي الرَّحِيلِ عَنِ الْقَرْيِ عَامُ الرَّمَادَةِ" صورة استعارية على سبيل الاستعارة التصريحية حيث رمز للاحتلال بعام الرمادة ، فقد استعار الشاعر "عام الرمادة" للدلالة على الاحتلال حيث شبه الاحتلال بعام الرمادة ، ذلك العام الذي عُرف عنه بالقطط والفقر الذي أصاب المسلمين إبان خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ، فحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو "عام الرمادة" ، للدلالة على الفقر والفاقة التي أصابت الناس في ظل الاحتلال ، وما يقومون به من حصار وإغلاق وتحجيم اقتصاد ودخل شعبنا في فلسطين .

ومن الصور الاستعارية في شعر الغزل قول الشاعر علي أبو مريحيل (1) :

حَبِيبَتِي
يَا شُعْلَةَ مِنَ الْحَيَاءِ
تَوَقَّدَ فِي قَلْبِي الْأَمَلُ
تَدَلِّي
فَإِنَّ أَجْمَلَ النَّسَاءِ
مَنْ تَرْتَدِي
ثَوْبَ الْخَجَلِ !

حملت القطعة السابقة عدة صور للاستعارة ، من ذلك :

- الصورة الأولى : "يَا شُعْلَةَ مِنَ الْحَيَاءِ" ، ينادي الشاعر على حبيبته ، فيستعير للدلالة عليها (شعلة من الحياء) ، حيث شبه حبيبته بشعلة من الحياء ، فحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو شعلة من الحياء للدلالة على حياء والأخلاق التي تتمتع بها حبيبته ، على سبيل الاستعارة التصريحية .

- الصورة الثانية : "تَوَقَّدَ فِي قَلْبِي الْأَمَلُ" ، فقد استعار الشاعر "الأمل" للدلالة على الحب العفيف حيث شبه الشاعر الحب العفيف بالأمل ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو الأمل للدلالة على الحب العفيف ، ويؤكد ذلك بقوله :

¹ - انظر : أنفاس المصاييح النازفة ، " نشرة ثقافية دورية " ، العدد (1) ، ص 8 .

- "فَإِنَّ أَجْمَلَ النِّسَاءِ ، مَنْ تَرْتَدِي ، ثُوبَ الْخَجْلِ !" صورة على سبيل الاستعارة التصريحية ، حيث قرن جمال المرأة بمن ترتدي ثوب العفة والشرف والكرامة ، حيث استعار كلمة "الخجل" ، للدلالة على العفة والشرف ، حيث شبه عفة المرأة وجمالها بثوب الخجل ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو ثوب الخجل .

ومن صور الاستعارة ، قول إبراهيم قراعين^(١) :

الْقَلْبُ يَأْمُرُنَا ... وَالْعَقْلُ يَنْهَانَا
لَكِنَّا فِي الْهَوَى ... نَهَوَى خَطَايَانَا

شخص القلب والعقل بصورة إنسان يأمر وينهى على سبيل الاستعارة المكنية ، وصورة أخرى شبه فيها الحب بالخطايا التي يقترفها ، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو الخطايا .

- الكناية :

والكناية من الصور البيانية التي كان لها حضور بارز في قصائد شعر الشخصية الإسلامية ، إذ جعلها الشعراء عنصراً مهماً في تشكيل صورهم الفنية لتحقيق أغراض متعددة. والكناية هي : "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك"^(٢) ، وتتأتى الكناية عندما يريد "المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى تاليه ، وردفه في الوجود فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه"^(٣) ، وهذا يدل على أن للكناية دالتان : " دلالة اللفظ نفسه ، وهي الدلالة الحقيقية لكنها غير مقصودة ، ودلالة ما وراء اللفظ ، وهي الدلالة المجازية المقصودة"^(٤) . وتبرز قيمة الكناية في أنها "يستعان بها على رسم الصورة البيانية ، ومنح التعبير جمالاً ، والمعنى قوة ورسوخاً في الذهن ، وذلك لما فيها من الخفاء اللطيف"^(٥) ، كما أنها تأتي تلميحاً لا تصريحاً ، وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح"^(٦) .

1 - إبراهيم قراعين ، ديوان "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ص 117 - 118 .

2 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٨٩ .

3 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط ٣ ، مطبعة المدني ، جدة ١٩٩٢م ، ص ٥٢ .

4 - إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، الصورة الشعرية في الشعر العربي ، ط ١ ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٦٢ .

5 - السابق ، ص ١٦١ .

6 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ٥٥ .

وقد قسم البلاغيون الكناية إلى ثلاثة أقسام هي :

- الكناية عن الموصوف :

وهي "الكناية المطلوب بها نفس الموصوف"^(١) ، ومن أمثلتها قول عبد الكريم

السبعائي^(٢) : **بل أطلقهم طيوراً أبابيل**

يقصفون العدو المدجج خلف السرابيل

بالحجار السجاجيل

يشتمل النص السابق على صورتين للكناية ، الأولى في قوله : (بل أطلقهم طيوراً أبابيل) ، حيث كنى الشاعر عن أطفال الحجارة بقوله "طيوراً أبابيل" ، كناية عن قدرة هؤلاء الأطفال في صد الاحتلال ومقاومته كأنهم الطيور التي قصفت جنود أبرهة الحبشي .
والثانية في قوله : (العدو المدجج خلف السرابيل) كناية عن الأسلحة الحديثة المطورة التي يمتلكها الاحتلال ، والقدرة الفائقة لجنود الاحتلال وأسلحتهم الفتاكة ، التي استخدموها لكبح جماح ثورة الانتفاضة .

ومن ذلك أيضاً قول سميح القاسم^(٣) :

...تقدموا

يصيح كل حجر مُعْتَصَب

تصرخ كل ساحة من غضب

يضج كل عصب :

الموت .. لا الركوع

موت .. ولا ركوع !!

فقد كنى الشاعر عن أبطال الانتفاضة من أبناء شعبنا بقوله : "يصيح كل حجر" ، و"تصرخ كل ساحة" ، و"يضج كل عصب" ، كناية عن صمود هؤلاء الأبطال في وجه الهمجية وعدم أدمية الاحتلال الصهيوني الغاشم .

¹ - بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، ٢ / ٧٧٩ .

² - عبد الكريم السبعائي ، ديوان متى ترك القطا ، ص 93 .

³ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، ص 405-411 .

ومن الكناية عن الموصوف قول الشاعر كمال غنيم عن السجن (١) :

هَذَا النَّقْبُ

هَذَا مَوْجٌ وَلَا صَخَبٌ

هَذَا الصَّحْرَاءُ يَا وَطَنِي

هَذَا بَحْرٌ بِلَا مَاءٍ عَلَى الْأَشْوَاكِ يَنْتَحِبُ

فقد كنى الشاعر هنا عن السجن الموجود في النقب بقوله : "موج ولا صخب" ، و"الصحراء يا وطني" ، و"بحر بلا ماء على الأشواك ينتحب" ، وعن السجناء يقول (٢) :

وَنَحْنُ هُنَا سُرَاةٌ فِي دِيَاجِيرِ

كناية عن الحياة السيئة التي يحيها السجناء في سجن النقب . وقال في السجناء (٣) :

وَلَيْلٌ أَصْفَرٌ يَجْتَاخُ غُرْبَتَنَا

وَرِيحُ الْمَوْتِ تَنْسَكِبُ

وَإِعْصَارٌ خَرِيفِيٌّ يَحَاصِرُنَا وَلَا هَرْبَ

حيث كنى الشاعر عن هؤلاء السجناء بـ "ليل أصفر" ، و"ريح الموت" ، و"إعصار خريفي" ، وذلك للتعبير عن بشاعة السجناء .

- الكناية عن صفة :

وهي "الكناية المطلوب بها نفس الصفة" (٤) ، ومن أمثلة الكناية عن صفة نكر قول

الشاعر محمد صيام (٥) :

وبنو العروبة سادرون فلا يرون ولا يعون

وجيوشنا ضجت من الذل الذي يتجرعون

يا خيبة العرب الذين رعوسهم سيطأئون

وغداً - لطاولة التفاوض والحوار - سيجلسون

فقد كنى الشاعر عن ذل العرب وهوانهم بقوله : "سادرون فلا يرون ولا يعون" ، وهي كناية عن صفة الذل والهوان التي اتصف بها العرب ، وقد أكد هذه الصفة بقوله : "وجيوشنا ضجت

1 - كمال أحمد غنيم ، ديوان "شروخ في جدار الصمت" ، ص 171 - 175 .

2 - السابق ، ص 171 .

3 - السابق ، ص 171 .

4 - بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، ٢ / ٧٧٩ .

5 - الإمام الشهيد أحمد ياسين في عيون الشعراء ، ص 95-96 .

من الذل الذي يتجرعون" ، و"يا خيبة العرب الذين رعوسهم سيطأطئون" ، و"وغداً - لطاولة
التفاوض والحوار - سيجلسون" .

ومن أمثلة الكناية عن صفة قول الشاعر عمر فروانة(١):

...يَأْيُهَا الْعِصَابَةُ

فَإِنْ لَحْمَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ شَعْبِنَا

أَقْوَى مِنَ الدَّبَابَةِ

فقد كنى الشاعر عن صمود أطفال فلسطين في مواجهاتهم مع الاحتلال في انتفاضة الأقصى
بقوله "أقوى من الدبابه" ، وهي كناية عن صفة الشجاعة والبطولة والصمود والإصرار التي
اتصف بها الأطفال في مواجهة الاحتلال .

ومن أمثلة الكناية عن صفة علو المكانة والرفعة قول الشاعر عبد الخالق العف في الشيخ
أحمد ياسين(٢):

وَصَعَدَتْ فِي دَرَجَاتِهَا حَتَّى إِذَا جِئْتَ النُّجُومَ نَزَلْتَ فَوْقَ الْفِرْقَدِ

وفي بكاء محمد الدرة يقول الشاعر سليم الزعنون(٣) :

يَا مَنْ دَخَلْتَ الْمَجْدَ مِنْ أَبْوَابِهِ وَالْكَلُّ مَلْتَمَسٌ خَضِيبَ ثِيَابِهِ

وَالنَّعْشُ مَتَجَةٌ لِأَكْرَمِ حَفْرَةٍ وَالرُّوحُ تَصْعَدُ فِي رَفِيعِ سَحَابِهِ

فقد كنى الشاعر عن منزلة الشهيد محمد الدرة العالية بقوله "والروح تصعد في رفيع سحابه" ،
وهي كناية عن المنزلة التي سما إليها الدرة ، وهي صعود الروح عند البارئ سبحانه وتعالى ،
وقد سبق ذلك قول الشاعر "يا من دخلت المجد" ، و"والنعش متجة لأكرم حفرة" .

- الكناية المطلوب بها نسبة :

وهي الكناية "المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف"(٤) ، وقد عبر عنها ابن
الزملكاني بقوله : "أن يأتوا بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل عليه من هي له حقيقة"(٥) ، وفيه
يصرح بالصفة والموصوف ، ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع أنها هي المرادة . فالشاعر

١ - صالح عمر فروانة ، ديوان مفردات فلسطينية 86/١ .

٢ - عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، ص 85 .

٣ - سليم الزعنون ، ديوان وهكذا نطق الحجر ، ص 66 .

٤ - بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، ٢ / ٧٨٠ .

٥ - ابن الزملكاني ، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، تحقيق د. أحمد مطلوب ، خديجة الحديثي ،

مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٤م ، ص ١٠٥ .

أحيانا يحشد أكثر من كناية لإكمال صورته الفنية ، ومن أمثلة ذلك قول فدوى طوقان في مدح أطفال الحجارة (١):

لن يمسك الموتُ الخوونُ قلوبَهُمُ
فالبعثُ والفجرُ الجديدُ
رؤيا تراقفُهُمُ على دربِ الفدا
انظر إليهم في انتفاضتِهِمُ صقورا
يربطون الأرض والوطن المقدس بالسماء

فقد كُنَّتْ الشاعرة عن قوة إرادة أطفال الحجارة وعزيمتهم بقولها " لن يمسك الموت الخوون قلوبهم" ، وعن قوتهم وسرعة حركتهم وتطلعهم إلى الحرية والنور بقولها "صقورا" ، حيث أضفت هذه الصفات على الطفل المناضل القوة والإصرار .
ومن أمثلة الكناية عن النسبة قول الشاعر صالح فروانة يصف فيها فتاة فلسطينية بالشرف والعفة والحياء (٢):

صَبِيَّةٌ فَتِيَّةٌ تَرْفُلُ بِالْحِيَاءِ
تَرْفَعُ كَفِّيْهَا إِلَى السَّمَاءِ
بَاحِثَةً فِي هَيْكَلِ خَرْبِ
عَنْ بَذْرَةٍ لِمُعْتَصِمِ
يَسْتَنْهَضُ الْعَرَبَ
وَبَعْدَمَا تَفَجَّرَتْ عِيُونُهَا
تَفَجَّرَ الْبُرْكَانُ بِالْغَضَبِ

كنى الشاعر عن العفة والطهارة ، فأراد الشاعر أنة يخص تلك الصبية بالعفة والطهارة ، وذلك في قوله : "وَبَعْدَمَا تَفَجَّرَتْ عِيُونُهَا" ، فبعد رفضها نزع الحجاب ، أفقدها الاحتلال نور عينيها ، فهنا صرح الشاعر بالصفة والموصوف ، ولم يصرح بالنسبة الموجودة .

٢ - الصورة الكلية :

إن الإبداع الحقيقي للشاعر في السيطرة على مجموعة الصور الجزئية في القصيدة ، بحيث تعكس صورة كلية معبرة عن الإحساس العام لأن "أي صورة داخل العمل الفني إنما تحمل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤديه الصورة الجزئية الأخرى المجاورة لها ، ومعنى هذا أن التجربة الشعرية التي يقع تحت تأثيرها الشاعر ، والتي يصدر فيها عن

¹ - فدوى طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٥٤٢ .

² - صالح عمر فروانة ، ديوان "مفردات فلسطينية" ، ص 29- 30 .

عمل فني ليست إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية" (١) ، تلك الصورة التي تتشكل من "تلاحم الصور الجزئية في علاقات متكاملة ، لها جمالياتها الخاصة ، التي تتبع من ذاتها ويكون للصورة الكلية القدرة على منح المتلقين تأثيراً فريداً ، يختلف عن تأثير الصورة الجزئية المنفردة" (٢) ، فالصورة المركبة مجموعة من الصور الجزئية المترابطة ، يستخدمها الشاعر ليعبر بها عن عاطفته وفكرته بصورة متكاملة ، وقد شغلت هذه الصور مساحة كبيرة في شعر الشخصية الإسلامية .

وقد تنوعت أساليب بناء الصورة الكلية لدى الشعراء ، وذلك تبعاً لما ينسجم مع رؤية الشاعر وتجربته الشعرية ، من ذلك :

أ- المفارقات التصويرية :

المفارقة التصويرية أحد الأساليب التي استخدمها الشعراء ، وهي "تكنيك فني يستخدمه الشاعر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض ، وهي تختلف عن الطباق والمقابلة ، سواء من ناحية بنائه الفني ، أو من ناحية وظيفته الإيحائية لأنها تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ، هذا التناقض الذي قد يمتد ليشمل القصيدة برمتها ، فتقوم كلها على مفارقة تصويرية كبيرة" (٣) ، فالمفارقة لا تقوم على مجرد التضاد بين الكلمات والجمل فقط ، ولكن تقوم أيضاً على المواقف المتناقضة ، وقد أكثر شعراء الشخصية الإسلامية من استخدام هذه الصور التي تقوم على المفارقة في أشعارهم ، ومن ذلك قول المتوكل طه (٤) :

هَدَمُوا ..!

وَمَا هَدَمُوا سِوَى بَيْتِ

سَعْيِي سَقْفَهُ أَيْدِي الطُّفُولَةِ وَالْحِجَارَةِ

سَجَنُوا ..!

قَدْ أَصْبَحَتْ كُلُّ السُّجُونِ

مَنَارَةً تَلُو المَنَارَةَ

قَتَلُوا ..!

¹ - محمد زكي العشماوي ، " قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث " ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ١٠٨ .

² - علي أبو زيد ، الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٤٠٣ .

³ - علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ط ٤ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٥م ، ص ١٤٧ .

⁴ - المتوكل طه ، فضاء الأغنيات ، ص ١٥ .

وَمَاذَا إِنَّ غَسَلْنَا أَرْضَنَا بِدِمَانِنَا
فليقتلوا...!
أعراسنا ارتفعت وقد نلنا البشارة

تحدي الهدم والسجن والقتل الذي يمارسه المعتصب يقابله البناء والحريّة وإعادة صياغة الحياة، موقفان قائمان متناقضان في حياتنا ، الأول يمثله المحتل الغاصب وممارساته الوحشية العدوانية القائمة على التجريف والهدم والقتل والسجن والطرْد .. ، والثاني يمثله الشعب المقاوم الراض للخضوع والاستسلام . فجاءت تصاوير الشاعر تعبيراً عن هذا الواقع الذي يحتم التحدي بمقابلة كل ممارسة من الغاصبين بما ينقضها ويعزز النقيض لها . فكانت الصورة الجزئية الأولى (هدم) تقابلها الصورة الجزئية المناقضة (بناء) ، والسجن المظلم تنقضه (المنارة) إشارة للتعليم والاستفادة من الوقت ، وهكذا لتشكل في النهاية مجموع الصور الجزئية الصورة الكلية التي عكستها التجربة الشعرية للشاعر وهو يفعل مع الموقف الوجداني الذي حرك مشاعره^(١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الشاعر عبد الناصر صالح^(٢):

اقْتُلُونِي
لَسْتُ أَرْضَى عَنْ تِلَالِ اللُّوزِ
وَالزَّيْتُونَ وَالتِّينِ اسْتِعَاضَهُ
وَاسْلُبُوا أَرْضِي إِذَا شِئْتُمْ
فَلأَرْضِ نَسِيمِ الجِبَلِ الشَّامِخِ
مَاءُ النَّهْرِ
أَسْرَابُ العَصَافِيرِ
وَللنَّسْرِ إِذَا مَا أَزْفَ الصَّبْحُ انْقِضَاضَهُ
فَاقْتُلُوا النَّسْرَ
وَعَيْثُوا فِي رَوَابِينَا فَسَادًا
لَنْ تَمُرُّوا
جَسَدِي العَاشِقُ لِلثُّورَةِ جِسْرُ
وَأَنَا العَاصِي عَلَى القَتْلِ

¹ - فايز أبو شمالة ، السجن في الشعر الفلسطيني ، ص ٣٨٦-٣٨٧ .

² - عبد الناصر صالح ، المجد ينحني أمامكم ، ص ١٠٨-١٠٩ .

مفارقات تصويرية تبدأ بتحدي وحشية القتل الذي تمارسه القوات العسكرية المحتلة للأرض الفلسطينية ، بصورة جزئية تبدأ بفعل الأمر [اقتلوني] إذا كان بقائي مشروطاً بالتخلي عن تلال اللوز والزيتون ، الشاعر هنا يتحدى القتل ، وقتل الوطن يعني استمرار السيطرة على الأرض، هذا المشهد التصويري الذي يمثله المحتلون الغاصبون ، يقابل ذلك ما يبذله الشاعر من مسعى وتضحية للتمسك بالأرض . القتل إبعاد عن الأرض ، والتين والزيتون وتلال اللوز شواهد على البقاء وتأكيد على الرسوخ في الأرض والنماء معها بدلالات نفسية لا تقف عند حدود الظاهر المرئي من الطبيعة .

بالقوة يمكن السيطرة على الأرض وسلبها مؤقتاً ، هذا المشهد التصويري يقابله ما تشهد به الأرض من خلال الصور التي رسمها الشاعر على ملكية أصحابها ، وأن السلب لها زائل ما دامت هذه الشواهد باقية [نسيم الجبل ، ماء النهر ، أسراب العصافير ..] .

كذلك مشهد النسر المستهدف بالقتل ، لكنه قادر على الانقراض في صورة أخرى مقابلة ، لقد صور جسده بالجسر الذي تعبر فوقه قوافل الثوار إلى المواجهة ، إنه عصي على القتل والتذويب والإنهاء .

ومن المفارقات الجميلة في شعر الشخصية الإسلامية قول الشاعر(١):

مَنْ بَازَلَ قَذَفُوا فِي الْقَدْسِ قُنْبُلَةً وَلَا يَزَالُ حَرِيْقُ الْقَدْسِ مُسْتَعْرَا
عَبْدُ الْحَمِيدِ وَمَهْمَا قَالَ شَانُهُ مَا خَانَ يَوْمًا فَلِسْطِينًا وَلَا غَدْرًا
لَاقَى هَرْتَزْلُ سُلْطَانًا يَمُوتُ وَلَا يَبِيْعُ أُنْمَلَةً مِنْهَا وَلَا ظُفْرًا
...وَحَطَّ بَلْفُورٌ صَكَآ كَانَ مِقْصَلَةً فَقَطَّرَ رَأْسَ فِلِسْطِينَ وَمَا شَعْرَا
مَنْ يَسْمَعُ الْقَدْسَ؟ مَنْ يُصْغِي لِصِيْحَتِهَا؟ يَاوَيْلَتَا! وَأَبَا بَكَرَاهِ! وَأَعْمَرَا
مَا لِلْحُدُودِ حَوَالَيْنَا مُغْلَقَةً لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهَا وِرْدًا وَلَا صَدْرَا
لَوْ تَجَعَلُ السَّدَّ يَا مَوْلَايَ طَوْعَ يَدِي أَلْفَيْتَ مَلِيُونَ شَارُونَ قَدِ انْدَحْرَا

يصور الشاعر في الأبيات السابقة مفارقة جميلة وجهها الأول هو الإسرائيليون وزعاماتهم ، ومن وافق على إقامة وطن مزعوم لهم في فلسطين ، ووجهها الثاني زعامات إسلامية لم تفرط بشبر واحد من أرض الإسراء والمعراج ، فسيدينا عمر رضي الله عنه جاء إلى أرض الإسراء والمعراج فاتحاً ، معلناً أنها أرض إسلامية لا يمكن التقريط بها إطلاقاً ، وهذا السلطان عبد الحميد الثاني يعرض عليه زعيم اللوبي الصهيوني "هرتزل" المال والذهب من أجل التنازل عن أرض فلسطين ، ولكن الزعيم المسلم ، لم يكن متخاذلاً ، ولا ذليلاً ، بل قاوم إغراءات الصهاينة ، وأعلنها صريحة : بأنه لا يمكن التقريط ولو بشبر واحد من أرض الإسلام فهي أرض وقف إسلامي ، لا يجوز التقريط بها .

¹ - المركز الفلسطيني للإعلام ، شبكة الإنترنت ، قصيدة (أطلق يدي) ، عبد الرحمن بارود ،

2001/4/17م .

ويميل الشعراء إلى استخدام أسلوب المفارقة التصويرية ؛ للكشف عن الواقع المتناقض الذي تعيشه الأمة العربية في ظل الصمت وانتهاك العرض ، وواقع الاحتلال الذي

يعيثُ فساداً في الأرض ، والزعامات الإسلامية التي لم تدخر جهداً وبذلاً وعتاءً في تحرير المقدسات وعلى رأسها القدس الشريف ، من ذلك قول الشاعر عبد العزيز الرنتيسي(١):

يا طائرَ الدُّوحِ بَلِّغْ أُمَّةَ العَرَبِ
يا للهوانِ فَعَرِّضْ العَرَبِ مُنْتَهَكُ
هَذِي فِلِسْطِينُ يا ابنَ العَرَبِ في نَصَبِ
والقدسُ تصرُخُ بالإسلامِ نصرُكُمُ
هذا الرسولُ بجنحِ الليلِ شرفني
وذا الخليفةُ عندَ البابِ يطرُقهُ
من لي بِخالِدِ سيفِ اللهِ مسلولِ
من لي بِحِطِّينِ تُحْيِي مَجْدَ أُمَّتِنَا
أبو عبيدةَ في عمواسَ يحرسني
فأين أمثالُهُمُ مني وليتَهُمُ
فالمجدُ ضاعَ وباتَ الذُّلُّ يَخْلِفُهُ
أني كَفَرْتُ بهذا الصمتِ واللَّعبِ
والشَّعْبُ باتَ أسيرَ الزَيْفِ والكُذْبِ
والكفرُ يَعْتُو بِتُرْبِ القدسِ والنقبِ
لا بالطبولِ وبُحِّ الصوتِ في الخُطْبِ
على البراقِ يَغْدُ السَّيرَ في طَلْبِي
يُحَرِّرُ البيتَ مِنْ رِجْسٍ لمغْتَصِبِ
مَنْ لي بِحِمزَةٍ والقَعْقاعِ للنَّدْبِ
كَي يَنْشُرَ الأَمْنَ في الوُدَيانِ والهَضْبِ
وذا معاذُ يَعودُ الصَّحْبَ كالشُّهْبِ
ما فارَقُوا صخرتي في المسجدِ الرَّحْبِ
يومَ التَّقْيِينَا لجمعِ المالِ والذَّهْبِ

يهدف الشاعر في هذه الأبيات إلى إبراز التناقض بين زعامات العرب والإسلام في الحاضر الذين رضوا بالذل والاستسلام لعدوهم ، وعشقوا الصمت واللعب ، وعشقوا متع الحياة الدنيا ، وتكالبوا للوصول إلى الحكم ، والزعامات العربية الإسلامية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ومن جاء بعده من الزعامات الخالدة وصولاً إلى بطل عمواس الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح ، ثم البطل صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ، وجاء توظيف المفارقة التصويرية وسيلة إichائية للكشف عن واقع الأمة العربية ، وتخاذل حكامها عن الجهاد في سبيل إنقاذ الأوطان .

ومن ألوان المفارقة التصويرية التي تشكلت في شعر الشخصية الإسلامية ، استخدام الألوان في تشكيل الصور الكلية ، فشاعرنا عثمان أبو غربية في ديوانه "عدنا" ، لعب اللون دوراً مميزاً في تشكيل صورة المتنوعة ، وأضفى عليها أبعاداً نفسية عميقة ساهمت في تشكيل الدلالة وتوضيح الرؤية والموقف الذي يسعى الشاعر لنقله ، وقد مكن الشاعر - غالباً - من

¹ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان حديث النفس ، ص 11 .

قول ما يريد قوله دون أن يسمى الأشياء بمسمياتها معتمداً على رمزية اللون ومساراتها الدلالية . ومن أمثلة ذلك قوله في إدانة الاعتراف بالكيان الصهيوني (١) :

الشَّمْسُ تَسْتَلْقِي عَلَى طَرْفِ الْغِيَابِ
الْغَيْمَةُ الْبَيْضَاءُ تَسْتُرُ ظِلَّهَا
لِتَصِيرَ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ
اللونُ الْأَحْمَرُ أَرْجَوَانِي وَيَرَسُمُ نَجْمَتَيْنِ عَلَى الْجَبِينِ
الهَالَةُ الْحَمْرَاءُ تَصْنَعُ شَعْرَهَا
وَالْوَجْهَ يَطْفَحُ بِاصْفَرَارِ الْأَفْحْوَانِ

يصور الشاعر في المقطع السابق متناقضين ، بطولة الشهداء وتضحياتهم ، والتواطؤ الدولي والتخاذل العربي ، والاستسلام الفلسطيني الذي أفرز الاعتراف بالكيان الصهيوني ، فنرى المناضل على هيئة الشمس خرج من الميدان مستلقيا على ظهره ، والغيمة البيضاء كفنا يسعى به إلى بحر الظلام ، وقد عم المشهد اللون الأحمر الأرجواني ، ورائحة الموت لرسم نجمتين على الجبين ، فكان للون هنا دلالة رمزية هامة ، فالأبيض يدل على نور الحرية المنشودة ، والأحمر جسد للعيان حجم التضحيات التي لازمت النضال الفلسطيني (٢) .

ومن المفارقات التصويرية الجميلة في شعر الشخصية الإسلامية ، قول الشاعر في

مدح الرنتيسي ، حيث المفارقة بينه وبين بني يهود (٣) :

أَنْتُمْ رَمَزُ الْإِبَاءِ وَالصَّوَابِ
وَبَنُو يَهُودَ رَمَزُ الْوِبَاءِ وَالْخَرَابِ
أَنْتُمْ رَمَزُ الْعَطَاءِ وَالْإِهَابِ
وَهُمْ رَمَزُ أَشْلَاءِ وَأَنْيَابِ

يقابل الشاعر بين صورة الشهيد البطل الرنتيسي وصورة الصهاينة ، فهم رمز الوباء والخراب ، وشهيدنا رمز الإباء والرفض لكل حصار واغتراب وذل ومهانة ، ورمز أيضاً إلى بني صهيون بالأشلاء والأنياب ، فهم مصاصو الدماء ، محبو الأشلاء ، أشلاء الشهداء ..
والواقع أن الشعراء قد تبنوا أسلوب المفارقة التصويرية في إبراز ملامح الشخصية الإسلامية في مجتمعنا ، حيث وظفوها للتعبير عن تجاربهم الشعرية ومواقفهم الفكرية.

١ - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ص ٣٨-٣٩ .

٢ - انظر : د. نبيل أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

٣ - قصيدة "يا أسد الكفاح" ، عبد الباسط "أبو محمد" ، موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الإنترنت .

ب - أسلوب البناء التوقيعي :

وهو أحد أنماط القصيدة القصيرة المعاصرة ، ويتم بناء الصورة الكلية للقصيدة فيه من خلال أكبر قدر من التركيز والتكثيف ، "واستخدام البناء التوقيعي هنا لشبهه القصيدة نتيجة قصرها واكتنازها العاطفي والمعنوي بما عرف في أدبنا العربي بأدب التوقعات الذي يتمثل في صياغة الحكام وآراءهم وتوجيهاتهم في صورة شديدة الاختصار ومكتنزة المعنى في ذات الوقت" (١) .

وهذا يتطلب قدرة متميزة للشاعر على انتقاء الموقف والمفردات اللغوية والصور الجمالية ، ومن ذلك قول الرنتيسي (٢) :

أحيوا ضمائرکم أما بقيت ضمائر؟!
عودوا إلى أطفال غزة تسمعوا
عودوا إلى القسام يسلخ من ظلام
عودوا إلى المشلول ياسين العلاء
عودوا إلى الخنساء تكظم غيظها
عودوا إلى الرشاش تحضنه اللحي
عودوا إلى بينا إلى يافا إلى
للمجدل " المحزون يسكب في الدجي

فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر
عن مولد الإصباح من رحم الدياجر
الليل بالأكفان مجداً للأواخر
بحماسة دارت على البغي الدوائر
لتثور بركاننا يزلزل كل خائر
بخنادق الإخوان تزهو صور باهر
بيسان ترقب من يزف له البشائر
عبراته الحرى على أطلال " عاقر "

إن رؤية الشاعر الخاصة وعواطفه قد سيطرت على جميع الصور ، بل تداخلت في كل حركاتها وسكناتها ، حيث أضحت كل صورة كالتوقيع أو الومضة شديدة الإضاءة ، كثيفة الدلالة ، فتخاذل العرب وكل ما ينطوي تحته من دلالات يكتفه قوله "أحيوا ضمائرکم" ، ثم يوجه الدلالات ويعمقها قوله : "فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر" ، وفي تصوير بطولات أطفال الحجارة يوجز الشاعر ما يحتاج إلى مطولات فيقول "مولد الإصباح من رحم الدياجر" ، وفي حث الزعماء على الاقتداء بالمجاهدين المخلصين نجده يستحضر صورة القسام ويكثف معانيها ودلالاتها في قوله "يسلخ من ظلام الليل بالأكفان مجداً للأواخر" ، وكذلك صورة شيخ الانتفاضتين الجسمية "المشلول" وقوة إرادته التي يكتفها قوله "بحماسة دارت على البغي الدوائر" ، إلى آخر الصور التوقيعية التي يشتمل عليها النص .. ، حتى أصبحت رؤية الشاعر ورؤيتنا كمتلقين شيئاً واحداً ، يثير فينا تجارب خاصة ، لكنها متعددة بتعددنا نحن القراء ،

1 - صالح أبو إصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين ، ص ٩٦ .

2 - عبد العزيز الرنتيسي، ديوان حديث النفس ، ص 69-70 .

ومتنوعة بتنوع تجاربنا ، وهكذا أصبح كل منا شريكاً في استلهام المعنى ، وترتيب عناصره وتشكيل علاقاته ، وتمثل أبعاده^(١) .

ومن أمثلة البناء التوقيعي أيضاً قول الشاعر^(٢):

يَا يَهَا الْبَرَابِرَةُ
عَزَائِمُ الرَّجَالِ لَا تُحَاصِرُ
إِصْرَارُ شَعْبِنَا عَلَى الْبَقَاءِ
لَا يُقَاوِمُ
...لَنْ تَكْسِرُوا صُمُودَنَا
أَوْ تَمْنَعُوا صَبِيَّةً لَمْ تَبْلُغِ الْحُمَّ
يَقِلُّ عُمَرَاهَا
عَنْ عُمَرِ (آيَاتِ) الْبُطُولَةِ
...يَأْيُهَا الْعِصَابَةُ
فَإِنْ لَحْمَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ شَعْبِنَا
أَفْوَى مِنَ الدَّبَابَةِ
... لَا تَقْلُقُوا يَا سَادَةَ الْعَرَبِ
فَإِنَّا بِدُونِكُمْ سَنَنْتَصِرُ

وفي النص السابق استطاع المبدع أن ينتقي ويطور من صورهِ الجزئية المعبرة والموحية لتتنامي في صورة كلية ، حيث بدأت مفردات الصورة بمفردات بمثابة الإشارات الانفعالية التي تختزن في داخلها تجارب ومواقف متعددة ، كثفت دلالتها مجموعة من الصور الفنية المبنية بناءً تسلسلياً تشكل في النهاية الصورة الكلية ، فبدأ بالحديث عن مقاومة المحتل ، وصمود شعبنا في وجه المحتل ، ثم انتقل إلى آيات الأخرس الاستشهادية ، ويوجه الخطاب إلى الزعامات العربية المتخاذلة واثقاً من النصر بدون مساعدة أحد ، ويلاحظ أن الشاعر قدم صورة جميلة من خلال ما بها من اكتناز عاطفي ومعنوي ، وما خفي وراءها من تداعيات صور النضال والتحدي والإصرار على تحقيق النصر وكل ذلك بكلمات وألفاظ موحية ، لا يمكن حذف أحدها ، حتى لا يختل المعنى الذي يريده الشاعر ويريده المتلقي ، حيث يشارك المتلقون بتنوعاتهم الفكرية الشاعر في نوازه وأفكاره .

¹ - عبد القادر الرباعي ، جماليات المعنى الشعري ، ص ٢٣ .

² - صالح عمر فروانة ، ديوان مفردات فلسطينية ٨٦/١ - ٨٧ .

ج - أسلوب البناء الدائري

يقصد بالبناء الدائري "ابتداء القصيدة بموقف معين أو لحظة نفسية ثم العودة مرة أخرى إلى الموقف نفسه ليختم الشاعر به قصيدته ، وقد يلجأ الشاعر لتحقيق ذلك إلى تكرار الأبيات التي ابتدأ بها ، أو تكرار مضمون الفكرة التي ابتدأ بها"^(١) . ويُعبر هذا التعريف عن البناء الدائري المغلق حيث يجعل الشاعر القصيدة "وكأنها دائرة مغلقة تنتهي حيث تبدأ"^(٢) ومن أمثلة ذلك قول الشاعر^(٣) :

لِلوَرْدَةِ ثَوْرٌ أَسْوَدٌ
يَطْلُعُ فِي اللَّيْلِ
عِنْدَ الْأَسِجَةِ
وَيَضْرِبُ بِقَرْنَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ مُعْتَمَةً
لِلوَرْدَةِ ثَوْرٌ أَسْوَدٌ
الدَّمُ الْمَهْدُورُ عَلَى قَرْنَيْهِ
دَمُ الْعَابِرِينَ
الَّذِينَ بِلَا دِرْعٍ أَوْ زَرْدٍ
لِلوَرْدَةِ ثَوْرٌ أَسْوَدٌ
يَطْلُعُ فِي اللَّيْلِ
وَيَكْمُنُ ظِلًّا عِنْدَ سَاقِهَا فِي النَّهَارِ
فَكُنْ حَذْرًا إِنْ قَطَفْتَ الْوَرْدَةَ
كُنْ حَذْرًا
وَخُذْ بِيَدِكَ الْخَنْجَرَ
كَيْ تَنْحَرَّ ثَوْرَ الرَّعْبِ
الَّذِي يَرْفُدُّ مُجْتَرًا تَحْتَهَا

لقد بدأ الشاعر قصيدته بقوله : "للوردة ثور أسود" ، ثم قام بتكرارها في القصيدة ، وذلك ليعبر بصور مختلفة عن ذلك المحنل الذي رمز إليه بالثور الأسود .

¹ - صالح أبو إصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحنلة ، ص ٩٣ .

² - د. عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ص ٢٥٢ .

³ - زكريا محمد ، ديوان "الجواد يجتاز أسكار" ، ص 15-16 .

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر يونس أبو جراد (١) :

خُسِفَ الْقَمَرُ
خُسِفَ الْقَمَرُ
هَيَّا اهْرَعُوا
صَلُّوا لَوَجْهِ اللَّهِ ،
مَنْ غَرَسَ الْقَمَرَ
هَيَّا اهْرَعُوا
لَتَزُولَ سَاعَاتِ الْخَطَرِ
خُسِفَ الْقَمَرُ
أَيُّ احْتِضَارٍ فِي فُؤَادِ الْكُونِ
أَمْ أَيُّ انْتِحَابٍ لِلْقَدَرِ ؟
خُسِفَ الْقَمَرُ
مَلِيُونُ بَشْرِي تَخْتَفِي
إِذْ يَخْتَفِي نُورُ الْقَمَرِ
... خُسِفَ الْقَمَرُ
أَيَّمَا قَمَرٍ
قَمَرُ الْمَلَائِكِ السَّجِينَةِ فِي الْأَسَى
قَمَرُ النَّكَالِي فِي حَيَاةٍ مِنْ سَقَرٍ
.. قَمَرُ الزَّعَامَاتِ الْحَكِيمَةِ
مَنْ صَلَاحٌ أَمْ عَمْرٌ ؟
... خُسِفَ الْقَمَرُ

يصف الشاعر هنا ظاهرة خسوف القمر ، حيث رمز للواقع المعيش ، وممارسات الاحتلال التي لم تنقطع بانخساف القمر ، أي اختفاء النور ، وحل الظلام بدلاً منه ، فبدأ بـ "خسف القمر" ، ثم كررها عدة مرات قبل أن يختم بها نصه ، ساعياً إلى تكثيف تجربته ورأيه في الواقع المعيش تحت الاحتلال ، حيث يرسم صوراً جزئية ، لتتكاثف وتكون الصورة الكلية .

¹ - أنفاس المصابيح النازفة" ، ، العدد "1" الشهر (2 / 2005) ، ص 4 - 5 .

ومن الصور الكلية التي احتوت على أسلوب البناء الدائري قول الشاعر عبد لناصر صالح في وصف السجن^(١) :

هُوَ السَّجْنُ مَدْرَسَةٌ لِلنَّضَالَاتِ
إِضْبَارَةٌ لِلْعَلَاقَاتِ
شَمْسٌ تُخَلِّفُ أَجْسَادَنَا مُضْغَةً لِلسَّوَادِ
عَذَابٌ وَمَلْحٌ عَلَى الْجُرْحِ يَطْفُو
وَمَاءٌ أُجَاجٌ

.....

هُوَ السَّجْنُ
عُمْرٌ مِنَ الْإِتْفَاضَةِ مَا بَيْنَنَا
ذِكْرِيَاتٌ مِنَ الْجُوعِ وَالْحُزْنِ
رِحْلَتُنَا الْأَبَدِيَّةُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ
يَكْتَشِفُ الْغُصْنَ فِيهَا الْجُدُورَ
حُدُودَ الْيُنَابِيْعِ ، فَلَسْفَةَ الْأَنْبِيَاءِ

.....

هو السجن محكمة
والقضاة بها يستريحون كل القوانين
يمتلكون فنون التواعد والاتهام

.....

هُوَ السَّجْنُ
جَمْعٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ التَّقْوَا بَغْتَةً
وَأَحَادِيثٌ تَقْفُزُ عَنْ ذِكْرِيَاتِ الطَّفُولَةِ
حِينَ النَّهَارِ اسْتِرَاحَ عَلَى عَتَبَاتِ الْمَخِيْمِ

يشتمل النص على عدة صور جزئية للسجن نضحها الشاعر من تجربته الاعتقالية ، وأكد معاشيتها في تكرار قوله "هو السجن" ، فكانت الصورة الأولى تصويراً لحياة السجن وعذاباته ، وكانت الثانية تصويراً للماضي الذي كان وراء المشاركة في الثورة وتحمل أوجاع السجن ، والصورة الثالثة تمثل السجن المتحكم بحياة ومصير السجناء ، والصورة الرابعة رسمت آفاق المستقبل والوجه الآخر لهذه الحياة القاسية ...

¹ - عبد الناصر صالح ، ديوان "المجد ينحني أمامكم" ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، الحمد لله الذي أنعم علينا بنهاية البحث ، وهذه الرحلة في بساتين الشخصية الإسلامية ، التي استغرقت منا جهداً ، ولكنها رحلة جميلة ، ولا زلت أنتسم في كل بستان الرائحة الزكية التي تفوح منها ، وأتوق بشغف لمتابعة الترحال في ملامح الشخصية الإسلامية لمجتمعنا الفلسطيني ولكنها النهاية التي وضعت لنا حداً للوقوف في آخر بستان . والحقيقة أن هذه النهاية لهذه الدراسة لم تبلغ حد الكمال ، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، وتحتاج للكثير من الرحلات والغوص في مكامن الشخصية الإسلامية لاستكشاف الجديد .

وقد اقتضت الرحلة وعملية الكشف عن ملامح الشخصية الإسلامية أن نخوض في محطات رئيسة ثلاث :

كانت الأولى الكشف عن العوامل المؤثرة في الشخصية الإسلامية ، والثانية الكشف عن ملامح الشخصية الإسلامية وآثارها في فنون الشعر ، السياسي ، الرثاء ، الوصف ، المديح ، الغزل ، وكانت الثالثة في الدراسة الفنية والتي تتضمن اللغة الشعرية ، الإيقاع الموسيقي ، الصورة الشعرية ، وفق المنهج التكاملي النقدي الذي ينهل من جميع المناهج النقدية الإجرائية المعاصرة .

- ففي المحطة الأولى خُصَّ الباحث لعدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي :

- إن الشخصية الإسلامية لمجتمعنا الفلسطيني قد أثبتت وجودها وبرزت على السطح ، لتؤكد من جديد أنها الأولى في قيادة المجتمع الفلسطيني ، وهذا ما جسدهت العوامل المؤثرة في تشكيل الشخصية الإسلامية ، العامل الديني حيث كان سقوط الشعارات والفلسفات المادية ، وبروز الصحوة الإسلامية المعاصرة ، ونشوء حركات إسلامية كان لها بالغ الأثر في بروز الشخصية الإسلامية ، مثل حركة المقاومة الإسلامية " حماس " ، وحركة الجهاد الإسلامي التي ظهرت في ثوبها الجديد منذ انطلاقة انتفاضة ١٩٨٧م ، وما يتبع هاتين الحركتين من مؤسسات إسلامية لها فعاليات وأنشطة ، ساهمت في تجسيد الشخصية الإسلامية واقعا ملموساً ، وكان للعامل السياسي أيضاً دور فاعل في رسم الهوية الإسلامية في شخصية المجتمع الفلسطيني وذلك جسده : الاحتلال وممارساته الإجرامية ، وأوسلو وقيام السلطة الوطنية ، وكذلك العامل الاجتماعي والاقتصادي الذي أفرز المجتمع الإسلامي من خلال سلوكيات ومظاهر إسلامية .

- وفي المحطة الثانية : ملامح الشخصية الإسلامية وآثارها في فنون الشعر ، خلص الباحث لنتائج هامة من خلال الشعر السياسي ، وشعر الرثاء ، وشعر الوصف ، وشعر المديح ، وشعر الغزل ، كان لها أكبر الأثر في بروز الشخصية الإسلامية لمجتمعنا الفلسطيني ، وتمثلت فيما يلي :

- الصحوة الإسلامية للمجتمع الفلسطيني ، التي في ظلها شب جيل الانتفاضة ، الذي صنع ملحمة البطولة والفداء والتضحيات ، الذي جعل جميع أفراد الشعب في خندق الجهاد والاستشهاد ، فكانت البداية الحجر الذي أضحى سلاحاً فتاكاً في أيدي المؤمنين المجاهدين ، يدك به أسلحة الكيان الصهيوني المتطورة من طائرات ومجنزرات ودبابات حديثة .
فكانت البطولات ، وبدأت ببطولة أطفال الحجارة سنة ١٩٨٧م الذين قصفوا العدو بحجارة من سجيل ، فلم ترهب هؤلاء الأطفال عنجبية الاحتلال الصهيوني ، وذل الأمة العربية والإسلامية وهوانها ، فكانت روح التضحية ، والإصرار على المقاومة ، وعدم الاستسلام والخنوع ، فإما الشهادة وإما النصر ، فدفع هؤلاء الأطفال الضريبة لنضالهم وصحتهم ، حيث نالت يد الغدر الكثير من الأطفال ، فلا يمكن نسيان يد الغدر التي طالت محمد الدرة .

- اتحاد جميع فئات الشعب تحت مظلة " الإسلام هو الحل " ، وما تبع ذلك من التوحد التي أظهرته مخيمات الوطن مع مخيم جباليا التي نبعت منه انتفاضة ١٩٨٧م ، وما كادت الانتفاضة تتفجر في مخيم جباليا حتى انتقلت إلى جميع المخيمات الفلسطينية داخل وطننا محتل ، وتحولت إلى بؤرة لمواجهة العدو ومقاومته .

- برز دور المرأة الفلسطينية في جميع الانتفاضات منذ ١٩٨٧م ، حيث شاركت المرأة الفلسطينية في مقاومة الاحتلال فكان لها دور هام في الانتفاضة الأولى ثم انتفاضة الأقصى ، وحتى وقتنا الحالي ، فلم تعد رهينة المنزل ، بل خرجت ساندت أبناءها في انتفاضتهم ، وأخذت تحرض أبناءها على الجهاد والاستشهاد ، وكانت الأمثلة كثيرة منها ، تحرض أم محمد فرحات ابنها لنيل الشهادة ، وقد نالها .

- العمليات الاستشهادية ومشاركة المرأة في القتال كما فعلت نساء العرب السابقات ، فهذه الشهيذة "آيات الأخرس" ، كمثال ضحت بروحها ونفسها ، لتعبر المرأة والفتاة الفلسطينية عن مشاركتها في ملحمة الانتفاضة ونضال الشعب الفلسطيني ، ومشاركة المرأة الرجل في العمل وفي الكتابة وفي الجهاد في سبيل الله ، وفي جميع مناحي الحياة ، كما كان السلف الصالح من النساء الماجدات ، وكذلك العمليات الاستشهادية والمعارك التي خاضها أبطالنا المجاهدون ضد الصهاينة ، وحب الاستشهاد في سبيل الله .

- صمود السجناء من الأطفال والنساء والرجال في وجه بني صهيون ، وتحديدهم لهم ، نجد

المرأة الفلسطينية نالت هي الأخرى معاناة السجن والسجان ، واعتقلت في سجون الاحتلال ، وكذلك تعرض مجاهدينا للسجن والسجان ، ومعاقبتهم لأنهم صدحوا بالحق ، قاوموا المحتل ، وقالوا كلمتهم التي تتركز في محورها : أن الجهاد في سبيل الله هو أسمى أمانى المؤمن ، فهو الطريق إلى الجنة .

- لا يجوز التفريط بأرض فلسطين ، أرض الإسراء والمعراج ، أرض الأقصى ، فهي أرضٌ وقْفٌ إسلاميَّةٌ ، فيجب شرعاً استردادها . ولأنها أرض إسلامية خالصة يجب الدفاع عنها ، والعودة إليها ، فما أخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة ، وتحقيق الحلم بالعودة لكل المغتربين على ثرى أرض فلسطين الحبيبة .

- أن الأمل في المستقبل ، وفي الجيل الجديد من الأولاد ، الأمل في المرأة الولود التي تلد وتربي الأجيال وترزع في نفوسهم قتال الأعداء ، وذلك للرد على مقتل الأطفال ، والرجال والنساء والشيوخ ، حيث يكون التكاثر رداً ومقاومةً للمحتل ، فكان التغني بالمرأة الولود .

- برزت الشخصية الإسلامية للمجتمع الفلسطيني ، من خلال الاهتمام بنجدة الشعوب الإسلامية مثل أفغانستان ، والشعوب العربية مثل العراق ، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم ، وفي جهادهم ضد الاحتلال والغزو الصليبي والصهيوني .

- كان للشخصية الإسلامية بروز واضح في رفض التفاوض مع الكيان الصهيوني ، ورفض مؤتمرات السلام ، التي في طياتها لا تتحدث عن السلام ، ونابعة من مصادر وضعية لا تمت للإسلام .

- الاحتفاء بالأبطال والمجاهدين من جميع الحركات الوطنية والإسلامية الذين دفعوا ضريبة جهادهم وبطولاتهم ضد الاحتلال ، ودفاعهم عن المقدسات الإسلامية مثل : الشيخ أحمد ياسين ، الرنتيسي ، إبراهيم المقادمة ، صلاح شحادة ، فتحي الشقاقي ، ياسر عرفات ، خليل الوزير ، أبو علي مصطفى ، وغيرهم الكثير .

-إن الشخصية الإسلامية ظهرت في مناحي الحياة العامة ، وخاصة في إلتزام المرأة بزي الحشمة والوقار ، وصون الشرف ، والمحافظة على الحياء ، والتخلق بأخلاق الإسلام ، وفي احترام الوالدين

وجاءت المحطة الثالثة من الدراسة ، ألا وهي الدراسة النقدية ، فقد خلص الباحث إلى ما يلي :

- اتسمت قصائد شعر الشخصية الإسلامية - في أغلبها - بالتلقائية والعفوية ، ومالت إلى البساطة والسلاسة والبعد عن التعقيد أو الإلغاز ، وتجنب العمق الفكري والفلسفي ، تميز كثير منها بخلوه من الصنعة اللفظية .

- استخدم شعراء الشخصية الإسلامية مختلف الأشكال الفنية من شعر القصيدة العمودية إلى شعر التفعيلة ، غير أن أكثر ذلك الشعر جاء على نمط شعر التفعيلة ، وذلك أمر طبيعي لأن هذا الشكل أصبح الشكل الأبرز حضوراً في الشعر العربي المعاصر عامة .
- لجأ شعراء الشخصية الإسلامية إلى استخدام اللغة الشعرية الواضحة والسهلة والسلسلة ، والاقتراب من لغة الحديث اليومي والابتعاد عن الغموض والتعقيد واستخدام الألفاظ الحوشية الغريبة .
- تفاعل اللغة الشعرية مع الروح والقيم الإسلامية وذلك بذكر الله ومناجاته ، الصبر ، الصمود ، والتحدي والجهاد ، الدعوة إلى الاتحاد وحرص الصفوف ، طلب الشهادة وشرف نيلها .
- أيضاً من النتائج توظيف الرموز والرموز الإسلامية في اللغة الشعرية ، وتوظيف ظاهرة التكرار في اللغة الشعرية ، حيث نجح شعراء الشخصية الإسلامية من خلال ظاهرة التكرار في إنتاج بنى متماسكة وتكوينات تشكيلية أشبعت دوائر الخطاب دلاليًا وإيقاعياً ودرامياً وإحاحاً على سياقات معنوية خاصة . وتوظيف ظاهرة الاشتقاق ، وتوظيف التضاد والمخالفة في اللغة الشعرية ، وذلك بهدف إثراء المعنى الذي قصده الشعراء وتعميقه .
- زخر كثير من أشعار الانتفاضة بطواهر أسلوبية عديدة ، هدف الشعراء من ورائها تقوية معاني النصوص ، وتغذية النصوص بالجمال الفني والإيقاعي . ومن تلك الطواهر:
- توظيف المضمون الديني والمضمون التراثي : النص القرآني ، وتوظيف أسماء السور القرآنية ، وتضمين التراث التاريخي ، تضمين الحديث النبوي ، تضمين التراث الأدبي . فقد أعطت المتناسقات التراثية زخماً تعبيرياً للمعنى نتج من تزامن البنيات مهما اختلف سياقها الزمني فأثرى ذلك الطاقة التأثيرية في المتلقي .
- وظف شعراء الشخصية الإسلامية أسلوب السرد ، حيث يحتوي على : ضمير الغائب ، ضمير المخاطب ، ضمير المتكلم . وإن أبرز تداعيات الضمائر خروج " الأنا الذاتية " عند شعراء الشخصية الإسلامية إلى " الأنا الجماعية العليا " .
- وظف شعراء الشخصية العديد من الأساليب ، منها : أسلوب النداء ، و أسلوب النفي ، و أسلوب الاستفهام ، و أسلوب الأمر ، و أسلوب النهي ، و أسلوب الحذف والإضمار ، و أسلوب القصة الشعرية ، و أسلوب المطولات الشعرية ، و أسلوب المقطوعات . كل هذه الأساليب جاءت لتثري المعنى وتحدث فيه تمكناً وثبتاً لملاح الشخصية الإسلامية ، وتأكيدياً لتلك الملاح .

- اهتم شعراء الشخصية الإسلامية بموسيقى أشعارهم ، سواء أكانت موسيقى داخلية أم خارجية ، واستطاعوا أن يوظفوا ألفاظ اللغة وأدواتها ، وكثيراً من وسائلها الجمالية لإثراء الجانب الموسيقي وإحداث نغمات عذبة تشد آذان المتلقين واهتماماتهم . وخاصة من حيث الأوزان ، والقافية حيث تعامل شعر الشخصية الإسلامية مع مختلف أنواع القوافي .

- أما عن الموسيقى الداخلية :

- تعامل الشعر الفلسطيني مع الموسيقى الداخلية بشتى الظواهر الموسيقية ، ففي القصيدة الخليلية تعامل الشعراء مع ظواهر عدة : ظاهرة التصريع وظاهرة الجناس ، و ظاهرة التردد اللغوي ، وظاهرة التصدير (رد العجز عن الصدر) ، كظاهرة موسيقية جذابة في الموسيقى الداخلية وهو لون من ألوان البديع الذي يحدث نغمة موسيقية ملحوظة .

- أما عن الموسيقى الداخلية في شعر التفعيلة :

- تعامل شعراء الشخصية الإسلامية ، مع ظاهرتي التضمين / التدوير ، ظاهرة الوقفات : الوقفة العروضية ، والوقفة الدلالية .

- وفي مجال الصورة الشعرية :

نوع الشعراء في وسائل تشكيل الصورة الفنية في أشعارهم حيث الصورة المفردة الجزئية واشتملت على : التشبيه والاستعارة والكناية ، وغذوها ببعض الصور الكلية التي هي في جوهرها تفاعل صور مفردة ، وكانت في مجملها تعكس تجاوب الشعراء مع واقعهم ، ومع ملامح الشخصية الإسلامية التي ظهرت بقوة منذ ١٩٨٧م .

- تعددت أنماط تشكيل الصورة الكلية ؛ إذ رأينا كيف عني الشعراء بتوظيف المفارقات التصويرية ، و توظيف أسلوب البناء التوقيعي ، أسلوب البناء الدائري .

وبقي لنا في هذه الخاتمة أن نوصي بتوصيات تقدم المزيد من الدراسات الأدبية التي تثري المكتبة الفلسطينية والعربية والإسلامية :

- إن شعر الشخصية الإسلامية بحاجة إلى كثير من الدراسة والتقيب في دواوين الشعراء التي تزخر بالكثير من الملامح للشخصية الإسلامية ، فنحن استقصينا بعض الملامح ، ولا ندعي الإحاطة بجميع تلك الملامح للشخصية الإسلامية .

- دراسة دواوين شعراء الشخصية الإسلامية مثل : الشاعر محمود مفلح ، والشاعر خالد أبو العمرين ، والشاعر كمال غنيم ، والشاعر عبد الناصر صالح ، والشاعر أحمد إسحق الريفي ، والشاعر أحمد دحبور ، والشاعر رفيق أحمد علي ، والشاعر عبد الخالق العف وغيرهم ، دراسة نقدية متعمقة .

- كان في دراستنا نصيب لأدب المرأة ، وعلى ذلك نوصي بدراسة أدب المرأة والتعمق فيه لأن فيه جوانب موضوعية هامة ، وجوانب فنية راقية تصقل الجوانب الموضوعية ، وخاصة الشعر .

نسأل الله عز وجل أن يجعل عمنا هذا خالصا لوجهه الكريم وخدمة للمكتبة الفلسطينية والعربية والإسلامية ، وإضافة نوعية للدراسات النقدية التحليلية للأدب الإسلامي وللشعر الفلسطيني الحديث منذ ١٩٨٧م وحتى وقتنا الحالي .

قال تعالى: " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" . صدق الله العظيم (التوبة : ١٠٥) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع .

١ - المصادر

أ- المصادر القديمة .

ب- الدواوين الشعرية .

٢- المراجع .

ثانياً: الرسائل العلمية .

ثالثاً: الصحف والمجلات .

رابعاً: التقارير والنشرات .

خامساً: مواقع إنترنت .

أولاً: المصادر والمراجع :

١ - المصادر:

أ- المصادر القديمة :

- ١- ابن الأثير ، أبو الفتح ، ضياء الدين ، نصرالله بن الأثير (ت : ٦٣٧هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ط ٢ ، تحقيق : أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٢- ابن جني ، أبو الفتح ، عثمان بن جني الموصلني (ت : ٣٩٢ هـ) : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٢ ، دار الهدى ، بيروت (د.ت) .
- ٣- ابن رشيق القيرواني ، - الحسن بن رشيق القيرواني - (ت : ٤٥٦ هـ) : العمدة ، في محاسن الشعر وأدبه ونقده ، دار الجيل ، بيروت 1972 م .
- ٤- ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريح أو جورجيس الرومي ، (ت : ٢٨٣ هـ) : الديوان ، شرح مجيد طراد ، المجلد الأول ، ط ١ ، دارالجيل ، بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٥- ابن الزمלקاني ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم (ت : ٦٥١ هـ) : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، تحقيق د. أحمد مطلوب ، خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٤ م .
- ٦- ابن سنان ، أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت : ٤٦٦ هـ) : سر الفصاحة ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده (د.ت) .
- ٧- ابن طباطبا العلوي ، أبو الحسن ، محمد بن أحمد (ت : ٣٢٢ هـ) : عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز ناصع المانع ، ط دار العلوم ، الرياض 1985 م .
- ٨- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦ هـ) : الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 3 دار المعارف المصرية 1977 م .
- ٩- ابن منظور ، جمال الدين ، محمد بن مكرم الأنصاري (ت : ٧١١ هـ) : لسان العرب ، ط 2 ، دار صادر ، بيروت 1992 م .
- ١٠- ابن هشام ، أبو محمد ، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت : 761 هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، حققه وعلق عليه د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، راجعه سعيد الأفغاني ، ط ٦ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٥ م .
- ١١- ابن هشام ، أبو محمد ، جمال الدين ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت : ٢١٣ هـ) : السيرة النبوية ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، طبعة دار التراث العربي ، القاهرة ١٩٧٩ م .

- ١٢ - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت : ٣٩٥ هـ) : الصناعتين ، تحقيق : محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ١٣ - أبي فراس الحمداني ، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي (ت:٣٥٧هـ) :الديوان ، شرح وتعليق : عباس إبراهيم ، ط ١ ، دار الفكر العربي ،بيروت ١٩٩٤ م .
- ١٤ - الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥ هـ) :
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ١٩٤٩ م ، ١ / ١٢٩ .
- ١٥ - _____ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ ،المجمع العربي الإسلامي بيروت ١٣٨٨ هـ ، ٣ / ١٣١ .
- ١٦ - الزمخشري - محمود بن عمر بن محمد - (ت ٥٣٨ هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل ، دار المعرفة للطباعة والنشر (د.ت) .
- ١٧ - السكاكي ، أبو يعقوب ، سراج الدين يوسف بن أبي بكر (ت : ٦٢٦ هـ) :
مفتاح العلوم ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ١٨ - عبد القاهر الجرجاني ،أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت:٤٧١هـ) :
أسرار البلاغة ، تحقيق : محمود شاكر ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩١ م.
- ١٩ - _____ ، دلائل الإعجاز ،تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط ٣ ،مطبعة المدني ، جدة ١٩٩٢ م.
- ٢٠ - عبد الله بن المعتز ،أبو العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ت:٢٩٦هـ): كتاب البديع ، تعليق : غناطيوس كراتشوفسكي ، دار الحكمة ، دمشق ، (د . ت) .
- ٢١ - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن مهram التميمي أبو محمد الدارمي ،(ت:٢٥٥هـ) : سنن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي آخر ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
- ٢٢ - علي عبد العزيز الجرجاني ، أبو الحسن (ت : ٣٩٢ هـ) :
الوساطة بين المنتبي وخصومه ، تحقيق هاشم الشاذلي ، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٨٥ م .
- ٢٣ - الفيروز أبادي ، أبو طاهر ، مجد الدين الشيرازي ، محمد بن يعقوب (ت : ٨١٧ هـ) :
القاموس المحيط ، ط ٣ ، الأميرية ، سنة ١٣٠٢ هـ ، ٤ / ٣٧٢ .
- ٢٤ - قدامة ابن جعفر ، أبو الفرغ (ت : ٣٣٧ هـ) :
نقد الشعر ، تحقيق محمد خفاجي ، ط ١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة 1979 م .
- ٢٥ - المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد (ت : ٢٨٦ هـ) : الكامل في اللغة والأدب ، مكتبة المعارف ، بيروت (د.ت) .
- ٢٦ - محمد بن سلام الجمحي ، أبو عبد الله (ت : ٢٣٢ هـ) : طبقات فحول الشعراء ،تحقيق محمود محمد شاكر ،مطبعة المدني، القاهرة (د.ت) .

- ٢٧- محمد مرتضى الزبيدي ، أبو الفيض ، محمد بن محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥هـ) :
تاج العروس من جواهر القاموس ، مج4 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1986م .
- ٢٨- النووي ، الإمام ابن زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: 631هـ) : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، آفاق للطباعة والنشر ، غزة ٢٠٠٢م .

ب- الدواوين الشعرية :

- ٢٩- إبراهيم طوقان ، الديوان ، ط١ ، دار الشروق الجديد ، بيروت ١٩٥٥م .
- ٣٠- إبراهيم قراعين ، ديوان : "وتعود أمواج البحار إلى البحار" ، ط١ ، مطبوعات دار العودة المقدسية ١٩٩٨م .
- ٣١- إبراهيم المقادمة ، ديوان " لا تسرقوا الشمس " ، من إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية ، محرم 1425هـ - مارس 2004م .
- ٣٢- أحمد أبو بكر ، ديوان : الوداع المر في رثاء شهيد الأمة عبد الله عزام ، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ، ط 1990م .
- ٣٣- أحمد إسحاق الريفي ، ديوان : "مواجهات 1" ، ط1 ، من إصدارات منتدى أمجاد الثقافي ، الناشر : مكتبة آفاق 2004م .
- ٣٤- أحمد دحبور ، ديوان : "جيل الذبيحة" ، ط1 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن 1999م .
- ٣٥- _____ ، ديوان : "هنا وهناك" ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، رام الله ١٩٩٧م .
- ٣٦- أحمد محمود عبد الحفيظ الديرأوي ، ديوان "بلادنا جنة الجنات" ، دائرة المطبوع والنشر ، الأردن 1991-1992م .
- ٣٧- الإمام الشهيد أحمد ياسين في عيون الشعراء ، كلية الآداب الجامعة الإسلامية - غزة ، ط١ ، شوال ١٤٢٥هـ - ديسمبر ٢٠٠٤م .
- ٣٨- أنور شما ، ديوان : "القمر" ، ط1 ، إصدار الاتحاد العام للمراكز الثقافية ، غزة 1998م .
- ٣٩- جهاد إبراهيم درويش ، ديوان : "أقمار الخيمة" ، ط1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ٢٠٠٤م .
- ٤٠- حنان عواد ، ديوان اخترت الخطر ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ١٩٨٨م .

- ٤١ - خالد أبو العمرين ، ديوان : " في القدس قد نطق الحجر " ، ط 1 ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت 1408 هـ = 1988م .
- ٤٢ - ربحي محمود ، ديوان : " البوح المؤجل " ، ط 1 ، عناية للطباعة والنشر، رام الله - فلسطين 2004م .
- ٤٣ - رفيق أحمد علي ، ديوان النقش على الهواء ، ط اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1999م .
- ٤٤ - زكريا محمد ، ديوان : " الجواد يجتاز أسكدار " ، ط 2 ، مطبوعات وزارة الثقافة 1997م .
- ٤٥ - سلافه حجاوي ، ديوان : " سفن الرحيل " ، ط 1 ، مطبوعات وزارة الثقافة ، السلطة الوطنية الفلسطينية 1998م .
- ٤٦ - سليم الزعنون ، ديوان : " يا أمة القدس " ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1995م .
- ٤٧ - _____ ، ديوان : " نجوم في السماء " ، ط ١ ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠١م .
- ٤٨ - _____ ، ديوان : " وهكذا ..نطق الحجر " انتفاضة الأقصى ، ط 1 ، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان 2001م .
- ٤٩ - سميح القاسم ، القصائد ، عن ديوان سبحة للسجلات ، المجلد الثالث ط 1 ، دار الهدى- شعفاط ، القدس ١٩٩١م .
- ٥٠ - شهاب محمد ، ديوان : وثبة للغزال قبله للقمر ، ط 1، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 2001م .
- ٥١ - صالح عمر فروانة ، ديوان :مفردات فلسطينية (انتفاضة الأقصى) (الجزء الأول) ، ط ١ ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، 2004م .
- ٥٢ - صباح القلازين ، ديوان : " نوافذ " ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 2002م .
- ٥٣ - _____ ، ديوان: "إعترافات متوهجة " ، ط 1 ، منشورات الاتحاد العام للمراكز الثقافية ، غزة 1998م .
- ٥٤ - صخر أبو نزار ، ديوان : " نشيد الحجر " ، مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع ، (د . ت) .
- ٥٥ - صلاح الدين الريماوي ، ديوان : " من محاسن الطبيعة " ، منشورات المركز الثقافي اليوناني " مقدونيا " ، فلسطين ، رام الله 2000م .
- ٥٦ - عبد البديع عراق ، ديوان : " إبداع الحجر " ، شركة الفجر للطباعة ، العاشر من رمضان ، القاهرة ١٩٨٨م .
- ٥٧ - عبد الخالق العف ، ديوان شدو الجراح ، تقديم :أ.د. نبيل خالد أبو علي ، الناشر مكتبة آفاق ، (د.ت) .
- ٥٨ - عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د.ت) .

- ٥٩ - عبد العزيز الرنتيسي ، ديوان : حديث النفس ، من إصدارات منتدى أمجاد الثقافي ، الناشر مكتبة آفاق ٢٠٠٥ م .
- ٦٠ - عبد القادر العزة ، ديوان : " شمس الصباح والود القديم " ، ط1 منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٨٩ م .
- ٦١ - فيصل قرظي ، ديوان : "سجدة الحناء" ، ط ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس 1997م .
- ٦٢ - عبد الكريم السبعوي ، ديوان : متى ترك القطا ، ط1 ، دار النورس ، غزة 1996م .
- ٦٣ - عبد الكريم العسولي ، ديوان : النار والحجر ، الناشر مكتبة النور ، خانيونس ط 2001م .
- ٦٤ - عبد اللطيف عقل ، ديوان بيان العار والرجوع ، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين القدس ١٩٩٢ م .
- ٦٥ - عبد الناصر صالح ، ديوان : " المجد ينحني أمامكم " ، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، 1989م .
- ٦٦ - _____ ، ديوان : "فاكهة الندم " ، المركز الثقافي الفلسطيني (بيت الشعر) 1999م .
- ٦٧ - _____ ، ديوان : "نشيد البحر "، منشورات دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر، القدس 1991م .
- ٦٨ - عثمان أبو غربية ، ديوان عدنا ، ط3 ، منشورات دائرة الإعلام في هيئة التوجيه السياسي، رام الله (د.ت) .
- ٦٩ - عز الدين المناصرة ، الأعمال الشعرية ، ديوان يتوهج كنعان ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1994م .
- ٧٠ - علاء الغول ، ديوان : "بَهْباي مغارة وبحيرة ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة 1997م .
- ٧١ - علاء الكريري ، ديوان : "درر السعداء في واحة الشعراء "، من إصدارات منتدى أمجاد الثقافي ، الناشر مكتبة آفاق، ديسمبر 2004م .
- ٧٢ - علي الخليلي ، ديوان : "سبحانك سبحاني من طينك طوفاني "، ط1 ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1991م .
- ٧٣ - عمر خليل عمر ، ديوان: "سنظل ندعوه الوطن " مطابع مركز رشاد الشوا الثقافي - بلدية غزة ٢٠٠١م .
- ٧٤ - فارس مشتهى ، ديوان: "نبضات قلب من أرض الرباط، مكتبة ومطبعة دار الأرقم، 1425 = 2004م .
- ٧٥ - فايز أبو شمالة ، رياحين بين مفاصل الصخر ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين (د.ت) .
- ٧٦ - فدوى طوقان ، الأعمال الشعرية الكاملة ط1 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان 1993م .
- ٧٧ - كمال أحمد غنيم ، شروخ في جدار الصمت ، ديوان شعر ، ط2 ، مكتبة مدبولي ، 1997م .

- ٧٨- ماجد الدجاني ، ديوان : " قمر على شباكنا " ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1999م .
- ٧٩- المتوكل طه ، ديوان " فضاء الأغنيات " ، إصدار دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر والتوزيع ، تقديم : جمال صالح حماد " الديك " معتقل أنصار "٣" "كتسعوت" - النقب ، آب ١٩٨٩م .
- ٨٠- _____ ، ديوان "الرمح على حاله" ، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة ، رام الله ٢٠٠٤م .
- ٨١- _____ ، ديوان "رغوة السؤال" ، ط 1 ، منشورات دار الكاتب ، القدس 1992م .
- ٨٢- _____ ، ديوان : " زمن الصعود " ، ط ١ ، اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين ١٩٨٨م .
- ٨٣- مجموعة باحثين ، نصوص شعرية لشاعرات فلسطينيات، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين بالتعاون مع المركز الثقافي البريطاني ، غزة 1998م .
- ٨٤- محمد حمزة غنایم ، ديوان : " الغرائبي " ، ط 1 ، مطبوعات وزارة الثقافة 1997م .
- ٨٥- محمد رمضان محمود البع ، ديوان : أناشيد المقاومة ، (د . ت) .
- ٨٦- محمود الغريايوي ، الفجر والقضبان ، ط 1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، (د.ت) .
- ٨٧- محمود درويش ، الديوان ، المجلد الثاني ، ط 1 ، دار العودة ، بيروت 1994م .
- ٨٨- محمود دسوقي ، ديوان زغاريد الحجارة ، دار الفكر الحديث ، القاهرة 1993م .
- ٨٩- محمود مفلح ، ديوان : " إنها الصحوة...إنها الصحوة " ، ط 1، دار الوفاء ، القاهرة 1988م .
- ٩٠- مروان برزق ، ديوان : " رحيل مفاجئ " ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 2003م .
- ٩١- معاذ الحنفي ، ديوان " أوراق محررة " ، ط ١ ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ١٩٩٠م
- ٩٢- _____ ، ديوان : " أعلق في ليك الليلك "، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1998م.
- ٩٣- نزيه خير ، ديوان رائحة المطر ، ط ١ ، دار الأسوار ، عكا ١٩٨٩م .
- ٩٤- هارون هاشم رشيد ، ديوان ثورة الحجارة ، ط 1، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٨٨م .

٢- المراجع :

- ٩٥ - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط ٥ ، دار الطباعة الحديثة ١٩٧٩ م .
- ٩٦ - _____ ، موسيقى الشعر ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ م .
- ٩٧ - إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ، الصورة الشعرية في الشعر العربي ، ط ١ ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٦ م .
- ٩٨ - إبراهيم الجندي ، اللاجئين الفلسطينيون بين العودة والتوطين ، دار الشروق ، عمان 2001 م .
- ٩٩ - إبراهيم جوهر ، المتوكل طه ، الثقافة والانتفاضة ، ط 1 ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين (د . ت) .
- ١٠٠ - إبراهيم مصطفى رجب ، البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبد الناصر صالح ، ط ١ ، 2004 م .
- ١٠١ - أبو الخوالد الحسن ، الحركة الإسلامية في فلسطين ، دراسة تاريخية لجذور حركة المقاومة الإسلامية " حماس " ، (د . ت) .
- ١٠٢ - أبو ستة ، سجل النكبة ١٩٤٨ ، مركز العودة الفلسطيني ، لندن ١٩٤٨ .
- ١٠٣ - إحسان عباس ، فن الشعر ، ط ٤ ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٧ م .
- ١٠٤ - أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، ط 5 ، دار القلم ، بيروت 1976 م .
- ١٠٥ - أحمد الطريسي ، الرؤيا والفن في الشعر العربي الحديث ، ط ١ ، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ١٩٨٧ م .
- ١٠٦ - أحمد بن يوسف ، أحمد ياسين - الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي ، المركز العالمي للبحوث والدراسات . (د . ت) .
- ١٠٧ - أحمد سيد محمد ، الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي ، ط 2 ، دار المعارف بالقاهرة 1992 م .
- ١٠٨ - أحمد عبد السيد الصاوي ، فن الاستعارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- ١٠٩ - أحمد عز الدين ، حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين ، دار التوزيع الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٩ م .
- ١١٠ - أحمد عمر شاهين ، كتاب فلسطين في القرن العشرين ، ط ٢ ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ٢٠٠٠ م .
- ١١١ - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ م .
- ١١٢ - أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ط 9 ، دار المعارف ، القاهرة 1985 م .

- ١١٣- إسماعيل عبد اللطيف الأشقر ، مؤمن محمد غازي بسيسو ، الاغتيالات الصهيونية ضد رموز الشعب الفلسطيني ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، والحجة /١٤٢٤هـ- فبراير ٢٠٠٤م .
- ١١٤- _____ ، المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني ، ج4 ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، غزة 1425هـ- 2004م .
- ١١٥- إلياس خوري ، دراسة في نقد الشعر ، ط١ ، دار ابن رشد ، ١٩٧٦م .
- ١١٦- إليزابيث درو ، الشعر : كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة : د.محمد إبراهيم الشوش ، بيروت: منشورات مكتبة منيمنة ، (د . ت) .
- ١١٧- إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م .
- ١١٨- أمين عبد الله سالم ، عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد، ط١، مطبعة منجد ، بنها ١٩٨٥م .
- ١١٩- أمين هويدي ، كيف يفكر زعماء اليهودية، دار المعارف المصرية، القاهرة 1974.
- ١٢٠- إياد البرغوثي ، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، ط1 مركز الزهراء بالقدس 1990م .
- ١٢١- إياد السراج ، و رغبة سابا ، واقع الطفل الفلسطيني في ظل الانتفاضة ، ط1 ، برنامج غزة للصحة النفسية 1991م .
- ١٢٢- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية ، ط١ ، منشورات جامعة طرابلس ، ليبيا ١٩٧٥م .
- ١٢٣- بسيم عبد العظيم ، شعر الأسر والسجن في الأندلس ، ط٢ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٦م .
- ١٢٤- بشرى عليطي وآخرون ، البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة ، ط١، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٩٨م .
- ١٢٥- بشرى موسى صالح ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٤م .
- ١٢٦- تيسير جبارة ، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان 1992م .
- ١٢٧- _____ ، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، ط1 مطبعة الرائد الحديثة شعفاط ، 1985م .
- ١٢٨- ثيودور هرتسل ، الدولة اليهودية ، (د . ت) .
- ١٢٩- جابر عصفور ، الصورة الشعرية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٢م .

- ١٣٠ - _____ ، مفهوم الشعر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨ م .
- ١٣١ - جواد الحمد ، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية ، ط 1 ، دراسات الشرق الأوسط ، عمان 1995 م .
- ١٣٢ - جودت الركابي ، في الأدب الأندلسي ، ط دار المعارف بمصر 1980 م .
- ١٣٣ - حسام جلال التميمي ، صورة اللاجئ الفلسطيني في الشعر الفلسطيني الحديث ، 1967م 1990م ، ط 1 ، جمعية العنقاء الثقافية - الخليل 2001 م .
- ١٣٤ - حسن خليل حسين ، قراءة في شعر سليم الزعنون ، دراسة تحليلية نقدية ، ط 1 ، دار الكرمل ، عمان 1996 م .
- ١٣٥ - حسن عبد الله ، النتاجات الأدبية الاعتقالية ، ط ١ ، مركز الزهراء للدراسات والأبحاث القدس ١٩٩٣ م .
- ١٣٦ - حسين محمد مخلوف ، كلمات القرآن الكريم ، (د . ت) .
- ١٣٧ - خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت (د.ت) .
- ١٣٨ - خير الدين الزركلي ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ م .
- ١٣٩ - داعس أبو كشك ، النهوض الوطني للحركة النقابية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، ط ١ ، إصدارات منشورات الوحدة 1986 م .
- ١٤٠ - درعان برجس الوحيدي ، التراث البدوي أصالة وتاريخ ، ط ١ ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ٢٠٠٥ م .
- ١٤١ - درويش الجندي ، الرمزية في الأدب العربي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ت) .
- ١٤٢ - _____ ، ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، ط دار نهضة مصر 1969 م .
- ١٤٣ - راجي نصر الله ، ملف الانتفاضة ، تقديم : الشيخ أحمد القطان ، دار الاعتصام 1989 م .
- ١٤٤ - رجاء عيد ، التجديد والموسيقى في الشعر العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ م .
- ١٤٥ - رفيق حبيب ، الشخصية المصرية " التطور النفسي في خمسين قرنا " ، ط مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر ، المعادي ١٩٩٧ م .
- ١٤٦ - ريموندا حوا الطويل ، سجينات الوطن السجين ، دار الأسوار عكا 1988 م .
- ١٤٧ - سعد جلال ، المرجع في علم النفس ، القاهرة 1971 م .
- ١٤٨ - السعيد الورقي ، لغة الشعر العربي الحديث ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م .

- ١٤٩- سلافه حجاوي ، فلسطين المكان (الجزء الأول) ، ط١ ، فلسطين ٢٠٠٠ م .
- ١٥٠- سلمان أبو ستة ، اللاجئين الفلسطينيون . الواقع الراهن والحل .. في إطار حق العودة ، ط١ ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة 2001م .
- ١٥١- سلمان جاد الله ، أدب الحركة الأسيرة الوطنية ، ط١ ، جمعية الأسرى والمحربين ، غزة ٢٠٠٠ م .
- ١٥٢- سيد البحر اوي ، في البحث عن لؤلؤة المستحيل ، ط١ ، دار الفكر الجديد ، ١٩٨٥ م .
- ١٥٣- سيد قطب ، المستقبل لهذا لدين ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت 1981م .
- ١٥٤- شربل داغر ، الشعرية العربية الحديثة ، ط١ ، دار توبقال للنشر ، البيضاء ١٩٨٨ م .
- ١٥٥- شوقي أبوخليل ، الإسلام وحركات التحرر، دار الفكر ، دمشق 1981م .
- ١٥٦- شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر 1986م .
- ١٥٧- _____ ، العصر العباسي الأول ، ط١٤ ، دار المعارف بمصر 1996م .
- ١٥٨- _____ ، العصر الجاهلي ، ط٧ ، دار المعارف بمصر 1976م .
- ١٥٩- صائب عريقات ، الانتفاضة والتغييرات ، ط١ ، دار العودة للدراسات والنشر ، القدس 1990م .
- ١٦٠- صابر عبد الدايم ، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ط٣ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٣م .
- ١٦١- صالح أبو أصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1979م .
- ١٦٢- صالح الرقب ، واقعا المعاصر والغزو الفكري ، ط٤، مطبعة الرنتيسي للطباعة والنشر ، غزة ٢٠٠٢م .
- ١٦٣- صفوت العالم ، الشعارات والرموز الانتخابية ، ط١ ، القاهرة 1989م .
- ١٦٤- صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ط٢ ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ١٦٥- صلاح فضل ، شفرات النص ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة 1995م .
- ١٦٦- _____ ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م .
- ١٦٧- _____ ، مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية ، (د. ت) .
- ١٦٨- الطاهر أحمد مكي ، الشعر العربي المعاصر، روائعه ومدخل لقراءته ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة 1983م .

- ١٦٩ - عائشة عبد الرحمن ، نوابغ الفكر العربي ، الخنساء ، ط5 ، دار المعارف 1970م .
- ١٧٠ - عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، القاهرة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 1998م .
- ١٧١ - عاطف عدوان ، أيام لانتسى ، الأيام العصيبة الأولى ، مذكرات مرج الزهور، الجزء الأول ، دار النشر والطباعة والتوزيع ، غزة 1993م .
- ١٧٢ - عبد البديع عراق ، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1 ، مؤسسة الأسوار- عكا ٢٠٠٢م .
- ١٧٣ - عبد الخالق العف ، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1 ، مطبوعات وزارة الثقافة ، السلطة الوطنية الفلسطينية ، 2000م .
- ١٧٤ - عبد العزيز الدسوقي ، تطور النقد العربي في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م
- ١٧٥ - عبد العزيز الرفاعي ، الطابع القومي للشخصية المصرية بين الإيجابية والسلبية ، القاهرة 1971م .
- ١٧٦ - عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٤م .
- ١٧٧ - عبد العزيز نبوي ، الإطار الموسيقي للشعر ، ملامحه وقضاياها ،الصدر لخدمات الطباعة ، القاهرة ١٩٨٧م .
- ١٧٨ - عبد الفتاح صالح نافع ، الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان ١٩٨٣م .
- ١٧٩ - عبد القادر الرباعي ، جماليات المعنى الشعري ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٨م .
- ١٨٠ - عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، مكتبة الشباب ، بالقاهرة 1986م .
- ١٨١ - عبد القادر حسين ، القرآن والصورة البيانية ، دار المنار، القاهرة ١٩٩٢م .
- ١٨٢ - عبد القادر ياسين ، حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ، ط1 ، سينا للنشر ، القاهرة 1990م .
- ١٨٣ - _____ ، مجتمع الانتفاضة ، كتاب الأهالي رقم 41 / مايو 1992م .
- ١٨٤ - عبد الله الحوراني ، اللاجئون : قضية وموقف ، ط1 ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة - فلسطين (د.ت) .
- ١٨٥ - عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1990م .
- ١٨٦ - عدنان حسين قاسم ، لغة الشعر العربي ، ط1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت 1989م .

- ١٨٧- **عدنان علي رضا النحوي** ، فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع ، ط 1 ، دار النحوي للنشر والتوزيع 1992م .
- ١٨٨- _____ ، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ، ط 1 ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، 1419هـ = 1999م .
- ١٨٩- _____ ، الصحوة الإسلامية إلى أين...؟! ، ط 1، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض 1991م .
- ١٩٠- **عز الدين إسماعيل** ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1412هـ=1992م .
- ١٩١- _____ ، الشعر العربي المعاصر ، ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ١٩٦٥م .
- ١٩٢- **علي أبو زايد** ، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، ط ١، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م .
- ١٩٣- **علي بسام الجرباوي** ، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1989م .
- ١٩٤- **علي رضا** ، المرجع في اللغة العربية ، نحوها وصرفها ، دار الفكر (د.ت)
- ١٩٥- **علي عشري زايد** ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ط ٤ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٥م .
- ١٩٦- **غسان دوغر** ، عماد عقل أسطورة الجهاد والمقاومة ، ط 2 ، منشورات فلسطين المسلمة ، لندن ١٩٩٤م .
- ١٩٧- **غسان هرماس** ، حكايتي مع الشيخ أحمد ياسين ، رواية رائد البلبول ، مطبعة النبراس الفنية ، بيت لحم ٢٠٠٤م .
- ١٩٨- **فؤاد كامل** ، الفرد في فلسفة شوبنهاور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1991م .
- ١٩٩- **فاطمة حسين المصري** ، الشخصية المصرية ، الهيئة العامة للكتاب ، 1980م .
- ٢٠٠- **فايز أبو شمالة** ، السجن في الشعر الفلسطيني 1967م - 2001 ، طبعة أولى ، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي ، رام الله 2003م .
- ٢٠١- **فتحي رضوان** ، وآخرون ، في أبعاد الشخصية المصرية بين الماضي والحاضر ، ط 1، الهيئة العامة للكتاب 1999م .
- ٢٠٢- **فتحي يكن** ، حركات ومذاهب في ميزان الإسلام ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م .
- ٢٠٣- **فتحية صرصور ومي نايف** ، صالون نون ، محاضرات في أدب المرأة ، ط ١ ، غزة ٢٠٠٥م .

- ٢٠٤ - كمال أبو ديب ، في الشعرية ، ط ١ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨٧ م .
- ٢٠٥ - كمال أحمد غنيم ، الأدب الفلسطيني (أوراق في الأدب والنقد) ، ط 1، مكتبة الطالب الجامعي ، الجامعة الإسلامية 2004 م .
- ٢٠٦ - كمال قاسم فرهود ، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، ط ٢ ، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر ، شفا عمرو ١٩٩٤ م .
- ٢٠٧ - لطفي الخولي ، الانتفاضة والدولة الفلسطينية ، ط 1 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1988 م .
- ٢٠٨ - لوسيان فيفر ، الأرض والتطور البشري ، ترجمة محمد السيد غلاب ، القاهرة 1973 م .
- ٢٠٩ - مجموعة باحثين ، جهاز الاعلام والتنقيف المركزي ، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، الصحة تحت الاحتلال ، ط ١ ، منشورات جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ١٩٨٨ م .
- ٢١٠ - مجموعة باحثين ، فافو (معهد العلوم الاجتماعية التطبيقية / النرويج) ، المجتمع الفلسطيني خلاصة دراسة الظروف المعيشية في قطاع غزة ، الضفة الغربية والقدس العربية ، 1993 م .
- ٢١١ - مجموعة باحثين ، مؤتمر الإمام الشهيد أحمد ياسين ، كلية الآداب الجامعة الإسلامية ، ٢١-٢٢ - ٢٣ مارس ٢٠٠٥ م ، كتاب المؤتمر (الجزء الأول ، الجزء الثاني) .
- ٢١٢ - مجموعة باحثين ، اقتصاد العائلة الفلسطينية في قطاع غزة في ظل الانتفاضة الشعبية ، مؤسسة غزة للدراسات والأبحاث العربية والخدمات الصحفية ، 1991 م .
- ٢١٣ - مجموعة باحثين ، اتفاق المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي ، الصهيوني ، مواجهة أم مصالحة ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٩٣ م .
- ٢١٤ - مجموعة باحثين ، النكبة الفلسطينية ، مركز التخطيط الفلسطيني ، 1947-1948 م ، مايو 1998 م .
- ٢١٥ - مجموعة باحثين ، حملة الدفاع عن حقوق اللاجئيين الفلسطينيين ، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين ، بيت لحم أيار 2001 م .
- ٢١٦ - مجموعة باحثين ، الموسوعة الفلسطينية ، ط ٢ ، دار الأسوار ، عكا ١٩٨٦ م .
- ٢١٧ - مجموعة مؤلفين ، انتفاضة ثقافية من فكرة المتراس .. إلى فضاء الكلمة . جمعية الثقافة والفكر الحر ، خان يونس ٢٠٠٢ م .
- ٢١٨ - مجموعة مؤلفين ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كلمات مضيئة في الذكرى الثانية لاستشهاد أبو علي مصطفى ، ط ١ ، غزة ٢٠٠٣ م .
- ٢١٩ - مجموعة مشاركين ، الندوة الفكرية السياسية ، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، ط 1 ، غزة [٢-٤] / حزيران 2000 م .

- ٢٢٠ - محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (1917-1948) ، ط2 ، مكتبة الفلاح ، الكويت 1989م .
- ٢٢١ - محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ط2 ، دار القلم ، دمشق - بيروت 1400هـ - 1980م .
- ٢٢٢ - محمد اليافوي ، أحمد ياسين ، عظمة العطاء وروعة الشهادة ، ط١ ، دار الإباء للنشر والتوزيع ، القدس ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- ٢٢٣ - محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، بنياته وابدالاتها ، ط١ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ١٩٩٠م .
- ٢٢٤ - محمد حسن بريغش ، في الأدب الإسلامي المعاصر ، ط2 ، مكتبة دار المنار الأردن ، الزرقاء 1985م .
- ٢٢٥ - محمد حسين عبد الله ، مفاهيم إسلامية (الروح . الإدراك . الغرائز . العمل . الشخصية) ، ط1 ، 1405هـ - 1987م .
- ٢٢٦ - محمد زكي العشماوي ، " قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث " ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ١٩٩٨م .
- ٢٢٧ - محمد سعادة عودة ، " تيسير خالد " ، الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ، الأبعاد الاقتصادية ، الاجتماعية ، ط1 ، دار ابن خلدون ، بيروت 1989م .
- ٢٢٨ - محمد سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، ط منشأة المعارف بالإسكندرية ، (د.ت) .
- ٢٢٩ - محمد سلامة النحال ، فلسطين أرض وتاريخ ، دار الجليل للنشر ، عمان ، ط1 ، ١٩٨٤م .
- ٢٣٠ - محمد سليمان ، المستوطنون والانتفاضة ، ط1 ، إصدارات مؤسسة بيسان للصحافة والنشر 1990 .
- ٢٣١ - محمد شحادة ، إبداعات الحجر ، صلوات في محراب الانتفاضة ، (د.ت) .
- ٢٣٢ - محمد شعبان علوان ، نعمان شعبان علوان ، من بلاغة القرآن ط2 ، الدار العربية للنشر والتوزيع 1998م .
- ٢٣٣ - محمد عبد الله عطوات ، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1998م .
- ٢٣٤ - محمد عبد المطلب ، هكذا تكلم النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997م .
- ٢٣٥ - محمد عزام ، بنية الشعر الجديد ، دار الرشد الحديثة ، الدار البيضاء ١٩٦٧م .
- ٢٣٦ - محمد عماد الدين إسماعيل ، الشخصية وقياسها ، القاهرة ١٩٥٩م .
- ٢٣٧ - محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م .
- ٢٣٨ - محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الجيل بيروت ، (د.ت) .

- ٢٣٩ - محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨م .
- ٢٤٠ - محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، ط 1 ، دار الوطن للنشر ، الرياض 1991م .
- ٢٤١ - _____ ، مذاهب فكرية معاصرة ، ط 1 ، دار الشروق ، بيروت والقاهرة 1983م .
- ٢٤٢ - محمد هاشم ريان ، المنهاج التربوي من منظور إسلامي ، ط 1 ، دار اليقين ، القدس 2002م .
- ٢٤٣ - محمود الربيعي ، مقالات نقدية ، مكتبة الشباب ، القاهرة 1983م .
- ٢٤٤ - محمود السمان ، العروض الجديد ، أوزان الشعر وقوافيه ، دار المعارف ١٩٨٣م .
- ٢٤٥ - محمود عباس - أبو مازن - ، طريق أوسلو ، ط 1 ، بيروت 1994م .
- ٢٤٦ - مدحت الجيار ، موسيقى الشعر العربي - قضايا ومشكلات - ، ط ٣ ، دار المعارف ١٩٩٥م .
- ٢٤٧ - مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، القسم الأول ، إصدار دار الهدى ، كفر قرع ، ط 1991م .
- ٢٤٨ - مصطفى ناصف ، مشكلة المعنى في النقد الحديث ، مكتبة الشباب ، القاهرة 1965م .
- ٢٤٩ - محمد علوان وآخرون ، مقاربات نقدية ، شعر الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة / من إصدارات منتدى أمجاد الثقافي ٢٠٠٤م .
- ٢٥٠ - ممدوح نوفل ، قصة اتفاق أوسلو ، الرواية الحقيقية الكاملة ، ط 1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن 1995م .
- ٢٥١ - منير البعلبكي ، المورد ، ط 18 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1984م .
- ٢٥٢ - نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1974م .
- ٢٥٣ - ناهض زقوت ، انعكاس الإرهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية ، دراسة نقدية ، ط ١ ، منشورات اتحاد الكتاب ٢٠٠٤م .
- ٢٥٤ - _____ ، وثائق القضية الفلسطينية ، الجزء الأول ، من ٦٣٧ إلى ١٩٣٥م ، ط ١ ، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ٢٠٠٣م .
- ٢٥٥ - نبيل بدران ، التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ، ج ١ ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، أغسطس ١٩٦٩ .
- ٢٥٦ - نبيل خالد أبو علي ، في نقد الأدب الفلسطيني ، ط ١ ، دار المقداد للطباعة ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة ٢٠٠١م .
- ٢٥٧ - _____ ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ط 1 إصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس 1999م .
- ٢٥٨ - _____ ، في مرآة الثقافة الفلسطينية ، مقالات في الأدب والمسرح والتلفزيون ، ط 1 ،

- دار المقداد للطباعة ، غزة 2004م .
- ٢٥٩ - **نظمي بركة** ، الاتجاه الرومانسي في الشعر الفلسطيني ، ط1، الفجر للطباعة 1995م .
- ٢٦٠ - **نعيم أبو الحمص** ، الفلسطينيون جيل الانتفاضة ، القدس ، كانون ثاني 1990م .
- ٢٦١ - **هاشم صالح مناع** ، بدايات في النقد الأدبي ، ط1 دار الفكر العربي، بيروت ، 1994م .
- ٢٦٢ - **هنري كتن** ، قضية فلسطين ، ترجمة رشدي الأشهب ، ط١، مطبوعات وزارة الثقافة ، السلطة الوطنية الفلسطينية ١٩٩٩م .
- ٢٦٣ - **واصف أبو الشباب** ، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط1، دار العودة ، بيروت 1981م .
- ٢٦٤ - **الولي محمد** ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ١٩٩٠م .
- ٢٦٥ - **يسرى جوهريّة عرنيطة** ، الفنون الشعبية في فلسطين ، ط3 ، وزارة الثقافة السلطة الوطنية الفلسطينية ١٩٩٨م .
- ٢٦٦ - **يمنى العيد** ، في معرفة النص ، ط٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٥م .
- ٢٦٧ - **يوسف أبو العدس** ، موسيقى الشعر ، علم العروض ، ط١ ، الأهلية النشر ، الأردن ١٩٩٩م .
- ٢٦٨ - **يوسف حجازي** ، أيام فلسطينية في القرن العشرين ، ط1، المركز القومي للدراسات والتوثيق 1999م .
- ٢٦٩ - **يوسف عبد الفتاح العزة** ، " ديوان الفردوس المفقود " ، ط1 ، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان 2004م .
- ٢٧٠ - **يوسف موسى رزقة** ، الرومانسية الإيمانية في الخطاب الشعري للدكتور إبراهيم أحمد المقادمة في ديوانه : "لا تسرقوا الشمس " ، من منشورات رابطة أسر مساجد البريج ، ذو القعدة ١٤٢٤هـ - يناير ٢٠٠٤م .

ثانياً: الرسائل العلمية :

- ٢٧١ - **آمال إبراهيم بسيوني** ، الخبز أرزي ، (دراسة فنية ونقدية) ، رسالة دكتوراة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ١٩٩٧م
- ٢٧٢ - **علي عشري زايد** ، موسيقى الشعر الحر ، - رسالة ماجستير (مخطوطة بكلية دار العلوم رقم ٩٢) سنة ١٩٦٨م .

ثالثاً : الصحف والمجلات :

- ٢٧٣ - جريدة الرسالة ، صحيفة يومية سياسية جامعة تصدر أسبوعياً مؤقتاً :
أ- العدد (٧) ، الخميس ٢٧ مارس 1997 م .
ب- العدد (235) ، الخميس 31 أكتوبر 2002 .
- ٢٧٤ - جريدة الحياة الجديدة ، الصفحة الأدبية ، ع 3289 ، يوم الخميس 16 / 12 / 2004 م .
- ٢٧٥ - جريدة الصحوة ، صوت الكتلة الإسلامية ، العدد الرابع والعشرون (السنة الثالثة)
رمضان 1425 هـ أكتوبر 2004 م .
- ٢٧٦ - جريدة الغد : العدد الثاني عشر / السنة الثالثة . آب أغسطس 2001 م .
- ٢٧٧ - مجلة الأفق ، يصدرها مركز البشير للدراسات ، القدس الشريف ، السنة الأولى ،
العدد الثالث ، ٢٠٠١ م .
- ٢٧٨ - مجلة أقلام حرة ، تصدر عن المنبر الديمقراطي الفلسطيني ، أغسطس 1999 م .
- ٢٧٩ - مجلة الأقلام العراقية عدد ٣ ، عام ١٩٧٥ م .
- ٢٨٠ - مجلة أمجاد ، العدد الثاني ، تصدر عن منتدى أمجاد الثقافي بغزة .
- ٢٨١ - مجلة الأمة ، العدد ٢٣ ، إبريل (نيسان) ٢٠٠٠ م ، الناشر مركز القدس للدراسات
والإعلام والنشر .
- ٢٨٢ - مجلة بلسم ، مجلة تصدر شهرياً عن جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني :
أ- العدد 308 ، شباط (فبراير) 2001 م .
ب- العدد (311) ، السنة السادسة ، أيار (مايو) ٢٠٠١ م .
- ٢٨٣ - مجلة صوت الوطن ، ع ١٠ ، سنة 1990 م .
- ٢٨٤ - مجلة المجمع الإسلامي ، مجلة دورية تصدر عن لجنة العلاقات والإعلام بالمجمع
الإسلامي ، العدد الأول ، السنة الأولى ، رجب 1424 هـ ، سبتمبر 2003 م .
- ٢٨٥ - مجلة المختار الإسلامي ، القاهرة ، العدد الأول ، الصادرة في يوليو 1979 م .
- ٢٨٦ - مجلة الوحدة ، الرباط ، عدد ٨٢ - ٨٣ ، سنة ١٩٩١ م .

رابعاً : التقارير والنشرات :

- ٢٨٧- تقرير صحفي صادر عن بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين الصادر في : 2-11-2004.
- ٢٨٨- سبائك أدبية ، نشرة ثقافية دورية يصدرها النادي الأدبي للشعراء الأحرار فلسطين . العدد (٢) شهر (٥ / ٢٠٠٤ م)
- ٢٨٩- صوت الجامعة العدد ١٩ - فبراير ومارس ١٩٨٧م ، نشرة دورية تصدر عن دائرة العلاقات العامة بالجامعة الإسلامية .
- ٢٩٠- منشورات النادي الأدبي للشعراء الأحرار : " أنفاس المصاييح لنافذة " ، نشرة ثقافية دورية ، العدد "1" الشهر (2 / 2005) ، السنة الأولى .
- ٢٩١- نشرة خاصة عن أيام الغضب ، المكتب الإعلامي لكتائب القسام .
- ٢٩٢- نشرة مركز الميزان لحقوق الإنسان ، المعاناة المستمرة للعمال في ظل الحصار ، سلسلة واجه الجمهور (1) ، الأحد 17 كانون أول ديسمبر 2000م .

خامساً : مواقع إنترنت :

- ٢٩٣- شبكة الإنترنت للإعلام العربي ، القدس ، 30 كانون أول ٢٠٠١م .
- ٢٩٤-- موقع "إسلام أون لاين" .
- ٢٩٥- موقع بيت الشعر الفلسطيني ، المركز الثقافي الفلسطيني ، معجم الشعراء .
- ٢٩٦- موقع شخصيات من العالم العربي .
- ٢٩٧- موقع الفاتح ، مريم العموري .
- ٢٩٨- موقع كتاب نسابا ، فاتنة الغرة .
- ٢٩٩- موقع مجلة رؤية ، العدد الثامن والعشرون ، آذار 2004م ، تصدر عن : الهيئة العامة للاستعلامات الفلسطينية .
- ٣٠٠- موقع مجلة فلسطين .
- ٣٠١- موقع مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، العدد 76 في 1 / 3 / 2004م ، الانتفاضة الفلسطينية الثانية وأثارها على الاقتصاد الصهيوني .
- ٣٠٢- موقع مخيم نهر البارد ، العادات والتقاليد الفلسطينية .
- ٣٠٣- موقع المركز الفلسطيني للإعلام .
- ٣٠٤- موقع النحوي . قسم الأدب .

فهرس الموضوعات

٣	الإهداء
٤	شكر وتقدير
٦	المقدمة
٩	التمهيد
٩	مفهوم الشخصية
١٢	بيئة البحث العامة
١٢	١ - البيئة الجغرافية
١٣	٢ - البيئة السياسية
١٥	٣ - البيئة الاقتصادية
١٧	٤ - البيئة الاجتماعية
١٨	٥ - البيئة الثقافية
٢٠	الفصل الأول العوامل المؤثرة في تشكيل الشخصية الإسلامية
٢١	أولاً : العامل الديني
٢١	١ - سقوط الشعارات والفلسفات المادية
٢٢	٢ - الصحوة الإسلامية المعاصرة
٢٢	٣ - الحركات والمؤسسات الإسلامية
٢٢	حركة المقاومة الإسلامية " حماس "
٢٣	حركة الجهاد الإسلامي
٢٤	المؤسسات الإسلامية
٢٤	المؤسسات المحسوبة على حركة "حماس"
٢٥	المؤسسات المحسوبة على حركة الجهاد الإسلامي
٢٥	المؤسسات الإسلامية المستقلة
٢٥	ثانياً : العامل السياسي
٢٥	١ - الاحتلال وممارساته الإجرامية
٢٦	٢ - أوسلو وقيام السلطة الوطنية
٢٩	ثالثاً : العامل الاجتماعي والاقتصادي

٢٩	١ - تركيبة المجتمع وطبقاته
٣١	٢ - العادات والتقاليد
٣٣	٣ - الأعياد والمناسبات
٣٦	الفصل الثاني ملامح الشخصية الإسلامية وآثارها في فنون الشعر
٣٧	أولاً : الشعر السياسي
٦٤	ثانياً : شعر الرثاء
٨٣	ثالثاً : شعر الوصف
١٠٥	رابعاً : شعر المديح
١٢٣	خامساً : شعر الغزل
١٣٧	الفصل الثالث الدراسة الفنية
١٣٨	أولاً : اللغة والأسلوب
١٣٨	١ - مفهوم اللغة الشعرية
١٤١	- أهم سمات اللغة الشعرية في الشخصية الإسلامية
١٤١	١ - تفاعل اللغة الشعرية مع الروح والقيم الإسلامية
١٤٩	٢ - توظيف الرموز والرموز الإسلامية في اللغة الشعرية
١٥٨	٣ - توظيف مفردات الواقع والبيئة الفلسطينية في لغة الشخصية الإسلامية
١٦٠	٤ - توظيف الجغرافيا الفلسطينية (المكان والزمان) في اللغة الشعرية
١٦٢	٥ - ظاهرة التكرار
١٧٠	٦ - ظاهرة الترادف
١٧١	٧ - توظيف ظاهرة الاشتقاق
١٧٣	٨ - توظيف التضاد والمخالفة
١٧٥	٢ - مفهوم الأسلوب
١٧٦	- الظواهر الأسلوبية لشعر الشخصية الإسلامية
١٧٦	١ - توظيف التراث (الديني والتاريخي والأدبي)
١٨٩	٢ - توظيف أسلوب السرد

١٩٣	٣ - توظيف أسلوب النداء
١٩٥	٤ - أسلوب النفي
١٩٨	٥ - أسلوب الاستفهام
٢٠١	٦ - أسلوب الأمر
٢٠٣	٧ - أسلوب النهي
٢٠٤	٨ - أسلوب الحذف والإضمار
٢٠٧	٩ - أساليب أخرى
٢١٠	ثانياً : الإيقاع الموسيقي
٢١١	أولاً : الموسيقى الخارجية
٢١١	١ - الوزن
٢١١	أ - في القصيدة العمودية
٢١٣	ب - الوزن في قصيدة التفعيلة
٢٢١	٢ - القافية
٢٢١	أ - القافية في القصيدة العمودية
٢٢٦	ب - القافية في شعر التفعيلة
٢٣٥	ثانياً : الموسيقى الداخلية
٢٣٥	أ - الموسيقى الداخلية في القصيدة العمودية
٢٤٧	ب - الموسيقى الداخلية في شعر التفعيلة
٢٥٧	ثالثاً : الصورة الشعرية
٢٥٨	١ - الصورة المفردة الجزئية
٢٧٣	٢ - الصورة الكلية
٢٧٤	أ - المفارقات التصويرية
٢٧٨	ب - أسلوب البناء التوقيعي
٢٨٠	ج - أسلوب البناء الدائري
٢٨٤	- الخاتمة
٢٩٠	- المصادر والمراجع
٣٠٩	- فهرس الموضوعات